ملك النهاية ◇ مذكرات كريم ثابت

فاروق كما عرفته

تقديم محمد حسنين هيكل

بقلم : كريم ثابت



دار الشروق

فاروق كما عرفته

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٩٦١)

مذكرات كريم ثابت

فاروق كما عرفته

تقديم محمد حسنين هيكل

١

ملك النهاية

◆

دار الشروق

إهـــداء الكتـــاب

إلى التى لم تبطرها النعمة، ولم تضعفها النقمة....
إلى زوجتى ...

هـذا الكتـاب ...

ليست صفحات هذا الكتاب سيرة لفاروق أو ترجمة لحياته، وإنما هى صفحات ضمنتها ما أظن أنه يهم القارئ معرفته عنه . .

تخيلت أننى كنت فى مجلس دار الحديث فيه على فاروق . . وتخيلت جميع الأسئلة التى كان من المحتمل أن يوجهها إلىَّ المشتركون فى هذا المجلس . .

ثم سجلت هذه الأسئلة، ونسقتها، وشرعت فى الرد عليها . .

ومن مجموع ردودى تألفت هذه الصفحات!

واستكمالا لهذه الخطة توخيت أن يجرى قلمى بالأسلوب الذى يجرى به لسانى عند كلامى . . فيجىء ما أكتبه كما لو كنت أسرده فى ذلك المجلس الذى تخيلته فى ذهنى!

وأكبر رجائى أن يجد القارئ فى هذا الكتاب التتمة التى كان ينتظرها لكتاب «عشر سنوات مع الملك فاروق» . .

مقـــدمـة

محمد حسنين هيكل

مع التفـاتة وداع أخيرة على القـرن العشرين ، وشمـسه تنحدر على الأفق ذاهبة إلى غروب ـ يستحق سـقوط الملكية سنة ١٩٥٢ . نظرة يمكن أن تكون نهـائية قـبل أن تنطوى الصفحات وتبهت الذكريات ، وتنتقل القصة من صخب السياسة إلى صمت السجلات ـ أوراقا وصورا ضوئية ، أو شرائط وأسطوانات إلكترونية .

وإذا كان قيام إسرائيل هو الحدث الأهم والأخطر فى القرن العشرين بالنسبة للتاريخ العربى الحديث ـ فإن سقوط الملكية فى مصر يحتل موقعا متقدما فى قائمة الأحداث العشرة الأولى فى هذا القرن بالنسبة للعرب .

تسبقه بالطبع ثورة ٢٣ يوليو القومية سنة ١٩٥٢ فى مصر (وهى حدث هائل تدخل فى دائرته محاولة تحديث العالم العربى على قيم العصر وآماله ، وحروب الأمة العربية المتصلة على ثلاث حقب ، وكذلك نهاية الإمبراطورية البريطانية) .

وتسبقه ـ فيما أظن ـ ثورة سنة ١٩١٩ الوطنية فى مصر (وهى حركة شعبية فى طلب الاستقلال كانت لها آثارها السياسية والتنويرية الواسعة) .

وتسبقه ـ ربما ـ محاولة أو محاولات الثورة العربية فى أواخر الحرب العالمية الأولى وفى أعقابها (وهى حركة تدافعت موجاتها من جدة والرياض وبغداد إلى دمشق وبيروت والقدس ، وكانت هذه الحركة نصف سياسية ونصف عسكرية ، وكذلك نصف عربية ولسوء الحظ نصف بريطانية ـ أيضا !) .

هكذا ؛ فإن سقوط الملكية فى مصر يجىء على الأرجح فى الموقع الخامس من قائمة الأحداث العربية الأهم فى القرن العشرين .

إن قصة أسرة «محمد على» كلها، ومن أوائل القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين - قصة تستحق أن تكتب تاريخيا وإنسانيا بطريقة مختلفة عن كل ما تم حتى الآن، ذلك أن ما جرت كتابته والأسرة على العرش جاء انتقاصا من الحق، ثم إن ما كُتب بعد نزولها عن العرش جاء انتقاصا من العدل. وفى السنوات الأخيرة ظهرت مجموعة من الكتابات، لكنها - باستثناء بعض الدراسات الجامعية المصرية الجادة - جاءت انتقاصا - كذلك - من العقل، فقد كان مطلبها أن تجارى نوعا من التشوق فى الوعى المصرى والعربى يبحث عن الحقيقة. ومع زيادة الطلب تحول البحث عن الحقيقة إلى سوق للمضاربات انفلت عياره وقل مقداره!

ولعل الظروف الآن مواتية لكتابة قصة أسرة «محمد على» من أول أمرائها وهو «محمد على» نفسه، وحتى آخر ملوكها وهو «فاروق» (الأول والأخير)، والسبب أن الوثائق الأصلية والشهادات الحية متوافرة وزيادة، وهى تسمح بكتابة تقارب الحقيقة بأدق ما هو ممكن وفى أجواء طبيعية.

والشاهد أن أمير البداية (محمد على) لم يكن عليه خلاف، فكل ما يتصل بشأنه كاف ومقبول لحكم تاريخى يُطمأن إليه، وربما أن آخره ما نُشر هذا العام - ١٩٩٨ - من شهادة القنصل الفرنسى «برناردينو دروفيتى» الذى توافقت خدمته فى مصر مع بداية طلوع نجم «محمد على». وقد لعب «دروفيتى» بوصفه «قنصل نابليون» دورا مهمّا فى الأحداث المثيرة التى أصبح فيها هذا الجندى الألبانى واليا على مصر!

لكن الأمر بالنسبة لـ «ملك النهاية»[1] (فاروق) مختلف، لأسباب منها أن ظروفه جنت عليه حين وضعته على العرش وهو فى الخامسة عشرة من عمره وفى نهاية مرحلة كانت ثورة ١٩١٩ قد استهلكت طاقة اندفاعها، واستنفدت ما تبقى من عزم رجالها. وكانت معاهدة سنة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا - وقد توافق توقيعها على نحو ما مع انتقال العرش من «فؤاد» إلى «فاروق» - هى الدليل على أن القافلة التى انطلقت بالأمل سنة ١٩١٩ تاهت فى السراب سنة ١٩٣٦!

❑ ❑ ❑

وحين زحفت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) بأهوالها فوق الأرض المصرية - فإن الحياة

(١) تعبير «ملك النهاية» ورد أصلا فى قصيدة للشاعر الفلسطينى «محمود درويش، ولم تكن القصيدة - التى ورد فيها هذا التعبير - عن الملك «فاروق» بالطبع!

السياسية فيها اختنقت تحت ثقل الجيوش وأسلحتها المقاتلة فى البر أو الجو، وعقائدها المتصارعة أصيلة أو ملفقة.

وهكذا كان عصر الملك «فاروق» كله، مابين أحوال داخلية متهالكة أو أثقال خارجية ساحقة.

وإذا كان ذلك هو ضغط الظروف العامة - داخلية وخارجية - على الملك «فاروق» وعهده من البداية إلى النهاية - فإن ضغط الظروف الخاصة عليه لم يكن أقل - بل لعله كان أشد، لأن التأثير هنا كان مباشرا وموجها بالتحديد إلى الإنسان داخل الملك، والحاصل أن «فاروق» كان مصابا فى حياته العائلية بنوع من النحس، لم يعطه الفرصة لتحقيق قدر ضرورى من التماسك المعنوى والتوازن النفسى، فقد كان متعلقا بأمه الجميلة، متباعدا عن أبيه القاسى. ثم اكتشف أن «اليشمك» الأبيض الرقيق الذى تضعه الملكة «نازلى» حجابا على شفتيها طبقا للتقاليد (العثمانية) - لم يحجب شيئا! - ثم أولع الملك الشاب غراما بزوجته الأولى «فريدة»، ثم اكتشف أن المسحة الملائكية التى تكسو تقاطيع وجهها لم تكن إلى هذا الحد ملائكية!

وهكذا، فإن «ملك النهاية» من أسرة «محمد على» كان مطاردا بمأساة مطبقة بالحصار عليه من كل ناحية: ظروف التربية والتعليم والتجربة، وأحوال السياسة فى الداخل، وقد أرخت له العنان فى درجة الانفلات، وأثقال السياسة فى الخارج وقد قيدت حركته إلى درجة الحصار، وزيادة عليه قصص الأم والزوجة - وكل هذه عناصر أدت بحاصل جمعها وبكيمياء تفاعلاتها إلى تركيب شخصية من أغرب ما عرفت قصور مصر، وكانت هذه الشخصية بالضرورة هى المركز الذى دارت من حوله الأحداث التى جرت فى السنوات الأخيرة من العصر الملكى فى مصر حتى انقضى زمنه فى السادسة وعشر دقائق بعد ظهر يوم السبت ٢٦ يوليو ١٩٥٢ حين أبحر اليخت «المحروسة» حاملا «فاروق» إلى منفاه فى إيطاليا كما اختار.

❑ ❑ ❑

إن شخصية «ملك النهاية» ما زالت تحتاج إلى شعاع ضوء آخر، وفى الغالب أخير، قبل أن ينطوى القرن الذى نحن فيه ثم ينزل الستار على ذلك العصر كله.

كذلك تحتاج «نهاية الملكية» ذاتها - فضلا عن «ملك النهاية» نفسه - إلى شعاع يكشف - أيضا - كيف ولماذا سقطت أقدم وأعرق أسرة مالكة فى المنطقة؟

وكانت المعضلة - كما هي أحيانا في ظروف شبيهة - أن الذين يعرفون لا يكتبون، وأن الذين يكتبون لا يعرفون، لكننا من حسن الحظ في هذا الكتاب أمام حالة لا تتكرر بسهولة.

وعلى وجه التحديد، فإن الدائرة الأقرب إلى الملك «فاروق» - وبصرف النظر عن أسرته وزوجاته وعشيقاته - كانت تضم ستة رجال ونساء بعضهم في الضوء وبعضهم في الظل.

في دائرة الضوء كان هناك الأستاذ« كريم ثابت» مستشاره الصحفي وزوجته السيدة «هيلانة» وقد اشتهرت باسم «توتة».

وكان هناك الدكتور «يوسف رشاد» طبيبه الخاص وزوجته السيدة «ناهد رشاد»، وكانت وصيفة شرف للملكة.

وفي الحقيقة، فإن هؤلاء الأربعة كانوا نجوم دائرة الضوء في حياة «فاروق»، وصحبته في كل مجتمع، ورفاقه حيث ذهب.

وأما دائرة الظل، فقد كان فيها رجلان هما السيد «محمد حسن» الشماشرجي المكلف بالخدمة الخاصة للملك، والسيد «أنطونيو بوللي» مدير شئونه الخاصة. أولهما وهو «محمد حسن» هناك داخل الجناح الملكي حيث يقوم الملك وينام، والثاني متواجد حيث يحلو للملك أن يلهو ويلعب أي ساعة وأي مكان!

وبين هؤلاء جميعا، وهم يعرفون، كان «كريم ثابت» هو الوحيد الذي يستطيع أن يكتب - ونعرف الآن أنه فعل!

❑ ❑ ❑

إن الأستاذ «كريم ثابت» الذي كان رئيسا لتحرير جريدة «المقطم» ظهر فجأة في أوائل سنة ١٩٤٢ في الحاشية القريبة من الملك «فاروق»، وكان ظهوره وقتها موضع تساؤل من كثيرين لم يلبث أن جاءهم الرد في «نطق سام» - كما كان يقال زمانها - أنهى لهم أن الأستاذ «كريم ثابت» أصبح المستشار الصحفي للملك». وفي يونيو سنة ١٩٤٢ تعزز النطق بمرسوم أكد «تعيين الأستاذ كريم ثابت في منصب المستشار الصحفي لحضرة صاحب الجلالة»، وهو منصب استحدث في القصر لأول مرة، وبه فإن وجود رئيس تحرير «المقطم» في الدائرة الأقرب إلى الملك أصبح قانونيا، ومع ذلك ظلت الحيرة تراود كثيرين!

وكان سبب الحيرة «كريم ثابت» نفسه ـ ولماذا هو بالذات؟

إن الرجل كان صحفيا معروفا ولكنه لم يكن أكثر الصحفيين شهرة، ثم إنه كان صحفيا متمرسا لكنه لم يكن أكثر الصحفيين كفاءة. يضاف إلى ذلك أن الرجل لم يكن مصريا خالصا؛ وإنما كان من أسرة تمصرت بالهجرة من الشام فى أواسط القرن التاسع عشر.

❑ ❑ ❑

كان سؤال «لماذا كريم ثابت بالذات؟» ـ هو السؤال الذى استوقف بالحيرة كثيرين حتى سمعت بعد طول سنين ما يمكن أن يكون جوابا مقنعا من خبير موثوق به هو «حسن يوسف» (باشا) آخر رئيس للديوان الملكى، وكان ذلك ضمن شهادة مسجلة[٢] عن حياته وتجربته فى وظائف القصر الملكى وقد امتدت من سنة ١٩٣٨ حتى سنة ١٩٥٢.

وقال «حسن يوسف» (باشا):

«كريم ثابت مسألة بسيطة وتعيينه كان منطقيا لكن الناس لم يربطوا التفاصيل ببعضها، ولو ربطوا لعرفوا أن الأمر لم يكن فيه سر.

الملك اختار كريم ثابت بعد ٤ فبراير ١٩٤٢. والملك كان يعتبر ٤ فبراير[٣] أكبر إهانة وجهت إليه حين فرضت عليه قوة الدبابات البريطانية أن «يُعيِّن مصطفى النحاس» (باشا) رئيسا للوزراء وإلا كان عليه أن يتحمل العواقب.

ليلتها كان الملك «فاروق» على وشك أن يفقد عرشه لأن السفير البريطانى قدم إليه ورقة يتنازل بها عن المُلك، وكان «فاروق» ـ مأخوذا بالمفاجأة ـ على وشك توقيعها لولا أن تدخل «حسنين» (باشا) [رئيس الديوان الملكى فى ذلك الوقت] مشيرا على الملك بقبول الإنذار البريطانى واستدعاء «النحاس» (باشا) وتكليفه بتشكيل الوزارة.

---

(٢) تمتد هذه الشهادة على طول ثلاثين ساعة تقريبا، وقد اشترط «حسن يوسف» (باشا) علىّ قبل تسجيلها ألا تذاع كاملة قبل مرور ثلاثين سنة على وفاته، وفى نفس الوقت فقد أذن لى باستعمال بعض ما يمكن أن يكون من هوامش القصة وليس من صلبها. وقد احترمت رغبة الرجل ولا أظننى أخالفها الآن بهذا الاستشهاد الخاص بـ «كريم ثابت»، فهو بأى معيار تفصيل هامشى.

(٣) اليوم الذى قام فيه السفير البريطانى السير «مايلز لا مبسون» الذى أصبح لورد «كيلرن» فيما بعد ـ بمحاصرة قصر عابدين بالدبابات ثم وجه إنذارا إلى الملك بضرورة تعيين «مصطفى النحاس» (باشا) رئيسا للوزراء قبل الساعة السادسة من مساء هذا اليوم، وإلا فإن الملك «فاروق» يتحمل العواقب.

يستطرد «حسن يوسف» (باشا) :

إن الملك «فاروق» كان يكره السفير البريطانى كره العمى، ويتمنى لو يفتح عينيه ولا يراه على أرض مصر. ولكن الملك كان يعرف أن «تشرشل» رئيس الوزارة البريطانية يثق فى «مايلز لا مبسون».

إن «حسنين» (باشا) كان يطلب من الملك أن يصبر على أساس أن أى سفير سوف ينقل من منصبه فى يوم من الأيام. وكان رأى «حسنين» (باشا) أن صبر الملك لابد أن يمتد على طول فترة الحرب؛ لأن «تشرشل» لن يستغنى عن سفيره الموثوق به فى القاهرة خلالها، خصوصا والعاصمة المصرية واحدة من أهم عواصم إدارة الصراع، وأما بعد انتهاء الحرب فكل شىء يمكن أن يكون محتملا إذا تهيأت الظروف.

لكن الملك و«حسنين» (باشا) وجدا أن من الضرورى أن تكون للقصر قنوات اتصال مع لندن غير السفير البريطانى «مايلز لامبسون».

من هذا المنطلق تم اختيار «عبد الفتاح عمرو» (باشا) سفيرا فى لندن؛ ليكون هناك فى بلاط «سان جيمس» ممثلا شخصيا للملك «فاروق» وناقلا لوجهة نظره باستمرار فى مواجهة ما قد ينقله «لامبسون» دَسًّا عليه.

ولم يكن ذلك كافيا، وقد رؤى زيادة عليه إيجاد قناة بديلة أو مساعدة واصلة إلى لندن مباشرة وإلى وزارة الخارجية البريطانية - ووزيرها فى ذلك الوقت هو «أنتونى إيدن» أقرب الوزراء إلى «تشرشل».

يواصل «حسن يوسف» (باشا) :

« وفى داخل السفارة البريطانية فى القاهرة لاحت فرصة، فعلى القمة فى هذه السفارة رجلان، أولهما بالطبع هو السفير السير «مايلز لا مبسون»، لكن الثانى وإن كان أقل من السفير رتبة - لايقل عنه أهمية؛ وهو السير «والتر سمارت» المستشار الشرقى.

وكانت هناك شواهد تؤكد أن السير «والتر سمارت» له صوت مسموع فى وزارة الخارجية البريطانية وفى وزارة الحرب على وجه العموم؛ لأن المستشار الشرقى فى مصر مقيم لا يتغير بينما السفير مدة وتنتهى. وبدا معقولا أنه لطول خدمة وخبرة السير «والتر سمارت» أن يكون تأثيره فى دوائر القرار البريطانى متواصلا وعميقا».

وبشهادة «حسن يوسف» (باشا) فإن السير «والتر سمارت» هو السبب وراء اختيار الملك لـ «كريم ثابت» مستشارا صحفيا له.

ويُفَصِّل «حسن يوسف» (باشا) :

«والعلاقة بين الاثنين موصولة :

ـ السير «والتر سمارت» (وهو مستشرق كما هو مستشار شرقى للسفارة البريطانية فى القاهرة) متزوج من السيدة «إيمى نمر» ، وهى ابنة «فارس نمر» (باشا) صاحب جريدة «المقطم» .

ـ و«كريم ثابت» ورث رئاسة تحرير «المقطم» عن والده «خليل ثابت» (بك) الذى هو ابن أخت لـ«فارس نمر» (باشا) . وكانت جريدة «المقطم» حتى قبل زواج «إيمى نمر» من «والتر سمارت» ـ هى الجريدة المعبرة عن السياسة البريطانية فى مصرمن أيام «كرومر» وبعدها .

وبالطبع ، فإنه لا الملك ولا «حسنين» (باشا) ولا غيرهما فى القصر ـ تصوروا أن «كريم ثابت» سوف يؤثر على «والتر سمارت» ، ولا أن «سمارت» سوف يعتمد على «كريم ثابت» فى معلوماته ، لكن الجميع تصوروا أنه خيط ممدود بين مكتب الملك ومكتب المستشار الشرقى فى السفارة ، وهو جاهز على الأقل لتوصيل رسالة إذا دعت ضرورة .

ثم يستكمل «حسن يوسف» (باشا) :

«والذى حدث أن الملك استلطف الرجل «كريم ثابت» بعد أن تعرَّف عليه ـ أى أنه بسبب الصلة بـ «والتر سمارت» جاء المنصب ، وبسبب الاستلطاف الملكى تحقق النفوذ!

وعلى أى حال ، فإن هذا الخيط الرفيع بين القصر ومكتب المستشار الشرقى فى السفارة لم يقم بدور يذكر ؛ لأن السير «والتر سمارت» نكبته مأساة إنسانية صرفت اهتمامه كليا عن السياسة ، فقد كان له من «إيمى» ولد وحيد جاءهما بعد طول انتظار ـ وكان اسمه «مايكل» ، وكانا يدللانه باسم «ميكى» ـ وفى يوم من الأيام وهما فى رحلة إلى الفيوم خرج الصبى مع صديق له يلعبان قرب خيمة نصبها «والتر» و «إيمى» على ربوة تطل من ناحية على منخفض القطارة ، ومن ناحية أخرى على بحيرة قارون ، وعثر «ميكى» فى الرمال على جسم صغير غريب من الحديد ولم يعرف الصبى أنه لغم مدفون عرّته الرمال ، وما كاد يلمسه حتى انفجر فيه ومزق جسده أشلاء وشظايا ، وكان على «والتر» و«إيمى» أن يجمعا ما بقى من وحيدهما وما بقى من حياتهما بعده .

المهم فى ذلك الآن «كريم ثابت» .

لهذا عيَّنه الملك فى منصب مستشاره الصحفى، وهكذا زاد نفوذه حين استلطفه الملك!» .

❑ ❑ ❑

إن نفوذ «كريم ثابت» ظل يتزايد حتى أصبح صاحب سياسة جديدة فى الشأن الداخلى يشير هو بنفسه إليها فيما سجل ضمن هذا الكتاب .

إن هذه السياسة التى ظهرت مؤشراتها سنة ١٩٤٩ عرفت فعلا باسم «السياسة الجديدة» وكان «كريم ثابت» هو الداعية لها، وقد استطاع بقربه من الملك إقناعه بها مستندا إلى أن الأوضاع السياسية (كما تبدت أواخر سنة ١٩٤٩) تنبئ بمخاطر شديدة على «البلد» وعلى «العرش» !

وكانت هذه الأوضاع كما يشير «كريم ثابت» فيما كتب - وكما تعززه إلى حد كبير شهادة «حسن يوسف» (باشا) - فى سياق إطار بدا تداعيا منطقيا فى وقته :

« مصر خسرت حرب فلسطين سنة ١٩٤٨، وجزء كبير من اللوم يوجه إلى الملك مباشرة والسبب أن فى الحكم أحزاب أقلية : حزب «السعديين» برئاسة «إبراهيم عبد الهادى» (باشا)، وحزب «الأحرار الدستوريين» برئاسة الدكتور «محمد حسين هيكل» (باشا) وقتها . وكلا الحزبين فى نظر الناس داخل مصر وخارجها أحزاب قصر يسندها الملك وحده، وبالتالى فهو الذى يتحمل تصرفاتها حتى فيما لا دخل له فيه! وقد تورطت هذه الأحزاب - خصوصا حزب «السعديين» - فى مواجهات عنيفة فى الداخل وبالذات مع الإخوان المسلمين، وفى هذه المواجهات قتل رئيس حزب الوزراء «السعدى» قبل «إبراهيم عبد الهادى» وهو «محمود فهمى النقراشى»(باشا)، وردا على ذلك وثأرا له قامت الدولة بتدبير قتل الشيخ «حسن البنا» مرشد الإخوان المسلمين، وهكذا فهناك على حد تعبير «حسن يوسف» (باشا) فى شهادته «تار بايت»، وإذا استمرت العجلة تدور فى نفس الاتجاه فلا أحد يدرى إلى أين تصل ومتى تتوقف؟»

ثم أضيف إلى ذلك أن أحزاب القصر فى الحكم(«السعديين» و«الأحرار الدستوريين» وغيرهما) عجزت عن حل القضية الوطنية مع الإنجليز، فلا هى نجحت فى المفاوضات، ولا هى وصلت إلى نتيجة بعرض القضية على مجلس الأمن، والآن - سنة ١٩٥٠ - راحت

هذه الأحزاب المعزولة عن الناس تتحدث عن أنواع من مقاومة الاحتلال تعرف قبل غيرها أنها لا تقدر عليها، ومعنى ذلك أن تقع العواقب على رأس الملك ؛ لأن تلك الأحزاب لا سند لها إلا أنها أحزاب الملك وهى فى الواقع العملى عالة عليه أكثر مما هى أداة نافعة فى يده!

❑ ❑ ❑

إلى جانب ذلك، فقد كانت هناك مواقع تأثير عديدة من الخارج ومن الداخل ترى أن الظروف تستدعى عودة الوفد إلى الحكم وتتمنى لو أن الملك «فاروق» أقبل على هذه الخطوة حتى من باب النظر إلى مصالحه شخصيا.

وكانت بعض الدول الغربية المهتمة عموما بشئون مصر (بريطانيا - والولايات المتحدة - وربما غيرهما) - ترى أن عودة الوفد إلى الحكم خير ضمان للاستقرار فى مصر وبالتالى فى المنطقة فى أحوال لاحت فيها بوادر الحرب بين الغرب والشرق.

كذلك كان بعض أمراء الأسرة المالكة ومعهم عدد من الأقوياء بين أصحاب المصالح المالية وكبار ملاك الأرض يرون أن عودة الوفد إلى الحكم كفيلة بأن ترد تيارات خطرة مما تحرك فى مصر بعد الحرب العالمية الثانية، وبينه تسلل الأحزاب الشيوعية وعنف الجماعات الإسلامية، وعوامل التوتر والقلق مما استفحل شره بزيادة حدة التناقضات الاجتماعية والفكرية داخل المجتمع المصرى وبالذات بين شبابه.

وكان التساؤل الهائم فى أجواء القصر:

«ولماذا يقبل الملك بهذا وغيره؟!

وأليس الأفضل له ولراحة باله أن يجىء بوزارة أغلبية (وفدية) وأن يمهد لها الطريق بنفسه كى تتحمل مسئوليات المرحلة، مع العلم أنه لو فعل ذلك؛ فإن حزب الأغلبية سوف يحمل له الجميل ويقدم له عهد ولاء للعرش لم يسبق للوفد فى تاريخه أن قدمه، وتكون تلك علاقة صداقة بين القصر والوفد مليئة بالفوائد!»

وفيما يبدو؛ فإن «كريم ثابت» استوعب ذلك كله واقتنع به وعرضه على الملك كسياسة جديدة، ومن مفارقات الظروف المتغيرة أن تلك كانت نفس السياسة المطلوبة «بريطانيا» فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وبالدبابات - وهى الآن يمكن أن تكون مطلوبة «ملكيا» من «فاروق» نفسه ولنفسه ومن غير دبابات!

ولم يرفض الملك ما عرضه «كريم ثابت»، ولعله أعطاه الضوء الأصفر - وليس الأخضر بعد - بمايشير إلى أنه على استعداد لإعطاء الفكرة فرصة للاختبار!

❑ ❑ ❑

وراح «كريم ثابت» يتحرك فى اتجاه الوفد، وقد تحرك على خطين فى نفس الوقت:

خط مع الأستاذ «فؤاد سراج الدين» الذى أصبح فى ذلك الوقت سكرتيرا عاما للحزب وأقوى شخصية فيه، وكان بدوره متحمسا لأى تقارب مع القصر واثقا من قدرته على إقناع «النحاس» (باشا) به.

وحاول «كريم ثابت» - من باب السعى لتعظيم مكاسب القصر، ومن داخل إطار السياسة الجديدة - أن يوحى لـ «فؤاد سراج الدين» بأنه قد يكون مناسبا نظرا لرواسب باقية من قديم أن يختار الوفد لرئاسة الوزارة مرشحا آخر غير «النحاس» (باشا) مع بقاء «النحاس» (باشا) زعيما للحزب. وكان المعنى المضمر فى الكلام نوعا من التلويح لـ «فؤاد سراج الدين» برئاسة الوزارة. لكن «فؤاد سراج الدين» - كما يشير «كريم ثابت» وكما تؤكد شهادة «حسن يوسف» (باشا) - أوضح أن ذلك لن يكون مقبولا من أحد، ثم إن فؤاد سراج الدين أضاف ولمزيد من الطمأنينة «أن الملك سوف يرى «نحاس باشا جديدا» إذا أعطى الوفد فرصة»[٤].

وكان الخط الثانى لـ «كريم ثابت» واصلا مباشرة إلى السيدة «زينب الوكيل» قرينة «النحاس» (باشا)، وهى بشخصيتها المتميزة ومكانتها الفريدة صاحبة النفوذ الأول والأكبر على قيادة الوفد. وبدت السيدة «زينب الوكيل» متحمسة للسياسة الجديدة، لكنها رفضت بطريقة قاطعة أى تلميح إلى تأليف وزارة وفدية برئاسة رجل آخر غير «مصطفى النحاس» (باشا)، بل وبدا أكثر من ذلك أنها مستفزة بشكل حاد أن يُطرح الموضوع للبحث مع أى كان، ثم كان قولها بأنها «أكثر من غيرها تعرف حقيقة مشاعر «مصطفى باشا» تجاه «مولانا» وتعرف مدى تصميم «الباشا» على أن ما جرى فى الماضى لن يتكرر فى المستقبل».

---

(٤) تحوى الوثائق البريطانية والأمريكية تفاصيل كاملة عن هذه الاتصالات الواسعة التى مهدت لـ «السياسة الجديدة».

هكذا سنة ١٩٥٠ ، قبل الملك بالسياسة الجديدة لـ «كريم ثابت» ، وعاد برضاه إلى نوع مما كان مطلوبا منه فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ بدون حاجة إلى دبابات السفير البريطانى ، وقد اعتبر السياسة الجديدة سياسته وإن حاول إدخال بعض التحسينات عليها .

اختار «حسين سرى» (باشا) رئيسا لوزارة تقوم بإجراء انتخابات مفتوحة ، مع إعطاء «توجيهات ملكية» إلى «محمد هاشم» (باشا) ، وهو صهر رئيس الوزراء ووزير الداخلية فى وزارته بأن تكون الانتخابات نصف مفتوحة بحيث يتحقق بنتائجها نوع من التوازن بين الأحزاب يسمح للوفد بأغلبية ـ دون أن تكون ـ كالعادة ـ أغلبية ساحقة !

❑ ❑ ❑

لكن التجربة أثبتت صعوبة إبقاء باب نصف مغلق ، ونصف مفتوح فى انتخابات عامة .

ذلك أن الباب إما أن يكون مفتوحا ، وإما أن يكون مغلقا . وكان ذلك فى الواقع رأى «حسين سرى» (باشا) رئيس الوزراء الذى كان بدوره نصيرا متحمسا للسياسة التى يسعى لها «كريم ثابت» .

وفاز الوفد بالأغلبية الساحقة فعلا فى انتخابات سنة ١٩٥٠ وبدأ تنفيذ السياسة الجديدة ، وكان هناك شىء من الإحساس بالتردد ـ مازال ـ لدى الملك من بقايا تجارب سابقة مع «النحاس» (باشا) قام بطمأنته فى أول اجتماع بينهما حين دُعى إلى قصر عابدين لتكليفه بتشكيل الوزارة ـ وكانت تلك هى المقابلة التى طلب فيها «النحاس» (باشا) تقبيل يد الملك ، وسمح له «فاروق» وقد اطمأن قلبه إلى نجاح السياسة الجديدة .

إن ذلك المشهد ـ وقد حدث بالفعل ـ يظل واحدا من المواقف الملفتة التى تستحق التأمل والدرس فى تاريخ مصر الحديث ، والراجح أن «النحاس» (باشا) ـ وهو فى العادة رجل صلب فى مواقفه السياسية ـ أراد أن يريح كل الأقربين منه وكل الوفديين عموما ، ويثبت لهم أنه وصل إلى نهاية الشوط إكراما لهم .

كانوا جميعا قد تضرروا من سياسة «إبعاد الوفد عن الحكم» منذ سنة ١٩٤٥ ، وحتى الآن (سنة ١٩٥٠) ، وقد تململ أنصارهم فى المدن وفى الريف نتيجة الحرمان مما يمكن أن تتيحه السلطة من خدمات لدوائرهم ونفوذ بين جماهيرهم .

كذلك كانوا جميعا ـ الأقرب والأبعد على السواء ـ تحت ضغط مزعج من الحملات المستمرة على الوفد وزعيمه ، خصوصا من صحف دار «أخبار اليوم» الموالية للقصر .

وكان ظنهم جميعا أن العقبة الوحيدة أمامهم هى «عناد رفعة الباشا ورأسه الناشف» .

ولعل «النحاس» (باشا) ـ قرب نهاية مسيرة طويلة وجليلة ـ أراد بهذه القبلة على يد الملك أن يقول للجميع «إنه ليس العقبة ، وأنه ليس الحائل بينهم وبين الحكم»!

ومن الحق أن يقال أن هذه «السياسة الجديدة» لم يُقَدَّر لها أن تستمر أكثر من بضعة شهور ، والسبب من ناحية أن طبع «مصطفى النحاس» (باشا) كان يضعه معظم الوقت فى حالة ضيق وتَبَرُّم بها ـ ومن ناحية ثانية فإن مسار الحوادث سنة ١٩٥١ وعلى الطريق التى أدت إلى إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ (يوم ٨ أكتوبر ١٩٥١) جرف «السياسة الجديدة» وجنح بها على الصخور .

ومهمايكن ، فإن التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى مصر بعد ذلك كانت لها قوة اندفاع أوصلت إلى حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ ، وتلك قصة أخرى .

والمهم أنه بعد حريق القاهرة وضياع السياسة الجديدة تحت أنقاضها ورمادها ـ لم يتوقف دور الأستاذ «كريم ثابت» قرب الملك «فاروق» حتى ظهر وزيرا للدولة فى وزارات «المستقلين» وأحزاب الأقلية بعد حريق القاهرة. وكان آخر ظهوره وزيرا للدولة فى وزارة «حسين سرى» (باشا) يوم ٢٠ يوليو ١٩٥٢ ، ولم تمض ثلاثة أيام حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو .

وبعد الثورة حامت اتهامات كثيرة فوق رأس «كريم ثابت» . وفى الحقيقة فإن تلك الاتهامات كانت تلاحقه من قبل الثورة ، فقد ورد اسمه خلال استجواب الأستاذ «مصطفى مرعى» عن فساد الحكم أمام مجلس الشيوخ ، وكان السند هو تقارير لديوان المحاسبة أشارت إلى أن «كريم ثابت» تقاضى خمسة آلاف جنيه عمولة من تبرعات جاءت لمستشفى «المواساة» بالإسكندرية ، كذلك فإن اسم «كريم ثابت» تردد حول صلته بأغنى رجل فى مصر قبل الثورة وهو «أحمد عبود » (باشا) ، وكانت الإشارات أن «كريم ثابت» تقاضى «مبالغ كبيرة من «عبود» (باشا) كى يتوسط لدى الملك لحمايته من مطالبات مستجدة بضرائب متراكمة حركتها ضده وزارة «نجيب الهلالى» (باشا) فى مارس سنة ١٩٥٢ ـ ونشرت الصحف البريطانية أن «كريم ثابت» هو الذى عقد الصفقة بين «عبود» (باشا) والملك «فاروق» والتى أقدم الملك بمقتضاها على إقالة وزارة «الهلالى» فى مقابل أن يدفع له «عبود» (باشا) مليون جنيه ، وفى ذلك الوقت فقد كان هذا المبلغ هائلا (يساوى أربعين مليون جنيه بسعر النقود الآن!) . .

وبعد الثورة ألقى القبض على «كريم ثابت» مرتين، وجرت معه تحقيقات وأفرج عنه بعد أن طبق عليه قانون العزل السياسى.

ولم يكن هناك من يعرف أن الأستاذ «كريم ثابت» كتب مذكرات تركها بعد وفاته سنة ١٩٦٤، وإن كان معروفا أنه كتب بعد الثورة أربعة أو خمسة مقالات نشرتها له إحدى الصحف اليومية سنة ١٩٥٤. ثم حدث فى أوائل هذه السنة ١٩٩٨ أن «ليلى» ابنته الوحيدة والأثيرة - والتى تعيش مع زوجها منذ سنوات فى لندن (وهو من أسرة «سبيرو سكوراس» اليونانية التى كانت تملك عدة دور للسينما قبل الثورة فى مصر) - كانت ترتب أوراقها، وإذا هى تعثر فى أحد الصناديق القديمة على عدة مئات من الصفحات بخط يد والدها، وكانت الأوراق فى مجموعتين، ولفت نظرها أن المجموعة الأولى مهداة لها «حين تكبر ويهمها أن تعرف عن والدها». وقد حاولت «ليلى» أن تقرأ، وكانت المهمة صعبة عمليا بعائق اللغة، واستشارت أصدقاء لها، وأحاطت بما كتبه أبوها، ثم كان أن اتصل أصدقاء لها بـ«دار الشروق» التى طلبت أن تطلع على الأوراق قبل أى ارتباط. وهكذا كان..

والشاهد أن مذكرات «كريم ثابت» شهادة سياسية بالغة الأهمية، أو هى فى الواقع شهادتان كل منهما ترسم صورة حية ناطقة متحركة كأنها شريط سينمائى:

الصورة الأولى: للرجل، الإنسان، الذى قدر له أن يكون آخر ملوك أسرة «محمد على»، وشخصيته المثيرة التى اختلفت الآراء فى تقييمها.

والصورة الثانية: للحياة السياسية فى السنوات العشر الأخيرة من العصر الملكى فى مصر قبل سقوطه النهائى أمام ثورة ٢٣ يوليو.

وكان «كريم ثابت» فى قلب الصورة الأولى - عاشها بنفسه على امتداد عشر سنوات.

وكان أيضا مشاهدا قريبا للصورة الثانية - رآها أمام عينيه طوال عشر سنوات.

وهكذا، فإنه يمكن القول أن «كريم ثابت» ترك كتابين، أحدهما عن «ملك النهاية»، والثانى عن «نهاية الملكية».

ثم...

... ثم إن هذا هو الكتاب الأول... قصة «ملك النهاية»!

تمهيـــد

كيف عرفت فاروق ؟

— ١ —

أنجزت كتابة رسالة إلى صديق لى فى القاهرة ، وبينما كنت أجتاز الردهة التى تؤدى من حجرة المكتبة إلى بهو الفندق ، لأضع الرسالة فى صندوق البريد ، حانت منى التفاتة إلى «الصالون» الكبير ، فبصرت بالملكة السابقة فريدة تحمل طفلة صغيرة وتلاعبها ، وقد أحاط بها سيدات حاشيتها وحسين سرّى «باشا» زوج خالتها وكان يومئذ رئيسًا للوزارة . . .

وكدت أمضى فى سبيلى . . .

ولكن «شعور الوالد» أوقفنى عن متابعة سيرى . . .

فقد شبه لى أن الطفلة التى تحملها الملكة ابنتى . . .

وأردت أن أتحقق . . فرجعت إلى الوراء خطوتين . . وألقيت نظرة أخرى . . .

إنها «ليلى» ابنتى ، لا شك فى ذلك !

ولمحنى حسين سرّى فسألنى : هل تعرف ابنة من هذه الطفلة؟

فقلت : ابنتى . . .

فقال : وأين أمها؟ . . . إن جلالة الملكة تحب أن تراها !

* * *

فى آخر سنة ١٩٤١ قررت وزوجتى أن نمضى عيد الميلاد وعيد رأس السنة بين أسوان والأقصر . . .

واستصحبنا معنا ابنتنا ليلى ، وكان عمرها سنة واحدة وأربعة أشهر . . .

وفى أسوان نزلنا فى فندق «كاتركت» . .

وبعد وصولنا إليه بيومين لاحظت أن فى الطابق الأول منه حركة غير عادية . . .

والتقيت فى إحدى الردهات بتوفيق دمرس «باشا» ، وكان رئيسًا لمجلس إدارة الشركة صاحبة الفندق . فعلمت منه أن الملك فاروق والملكة فريدة يصلان إلى أسوان فى الساعة السابعة من صباح الغد ، وأنه قدم خصيصًا من الأقصر ليشرف على إعداد الجناح الذى سيُفرد لهما . . .

وذهبت إلى زوجتى ونقلت إليها هذا النبأ وأنا غير مغتبط به ؛ لأن الملك سيظن أننى جئت إلى أسوان لأتعقب حركاته وأوافى جريدتى بأخباره ، فى حين أننا لما قررنا الرحلة لم نكن نعلم أنه سيعرج من رحلته الصحراوية على أسوان فى زيارة غير رسمية . . .

وقلت لزوجتى إننا سنبذل أقصى ما يمكننا بذله لنتجنب الالتقاء بالملك والملكة ، فإذا جلسا فى الجانب الأيمن من الفندق جلسنا نحن فى الجانب الأيسر ، وإذا انتقلا إلى شرفته نزلنا نحن إلى حديقته ، وإذا تنزها فى حديقته صعدنا نحن إلى شرفته . . .

وقبيل الساعة السابعة من صباح الغد هرع نزلاء الفندق إلى مدخله الرئيسى ، وانتشروا على جانبيه ، ليشاهدوا الملك والملكة عند وصولهما . . . أما نحن ، فلزمنا حجرتنا ولم نغادرها إلا فى الساعة العاشرة . . .

ولما دخلت البهو الكبير بادرنى أحد «السفرجية» بقوله : مبروك يا سعادة البك . .

فقلت له : مبروك على إيه؟

فأخبرنى أن الملك كان يجتاز البهو من قليل ، فرأى ابنتى تلعب بعروستها فاستوقفها وداعبها ثم مضى فى حاله . . .

وقرر الملك والملكة أن يتناولا طعامهما فى قاعة الأكل الكبرى مع سائر نزلاء الفندق فخُصص لهما ولحاشيتهما مائدة كبيرة فى مكان مرتفع يشرف على القاعة . . .

وأسرع كثيرون إلى «الميتر دوتل» يطلبون منه أن يغيّر أماكن موائدهم ليتاح لهم مشاهدة الملك والملكة . . . وكان لبعضهم غرض آخر من ذلك وهو أن يستلفتوا نظر الملك إليهم!

أما نحن فقنعنا بمائدتنا الأصلية واحتفظنا بها ، وكانت فى أحد جوانب القاعة . . . فى مكان نرى منه ما يجرى فى القاعة ، ولا يرانا سوى الجالسين على مقربة منا . . .

وإذا كنت أنوه بالجهد الذى بذلته يومئذ لأتجنب لقاء الملك ، فلأنى أعتقد اليوم أن هذا الجهد أتى بنتيجة عكسية لما كنت أتوخى . . .

إنى أعتقد اليوم على ضوء ما عرفته بعد ذلك من أخلاق فاروق وطبائعه أن حرصى على تفادى لقائه فى أسوان كان العامل الأول فى نشوء علاقتنا . . تلك العلاقة التى استمرت عشر سنوات!

فقد كان فاروق إذا دخل فندقًا أو مطعمًا ، أو أى مكان عام ، طلب أن يأتوا إليه بقائمة أسماء نزلاء الفندق ، أو أسماء الذين حجزوا موائد ، فيراجعها بعناية ، وإذا كان لا يعرف بعضها ، ولم ير وجوه أصحابها قبلاً ، سأل عن أماكن جلوسهم ليرى أشكالهم . . .

وجريًا على تلك العادة ما كاد يدخل فندق «كاتركت» حتى اطلع على أسماء نزلائه ، وكان اسمى كصحفى معروفًا منه ، ولكنه لم يرنى قط . فلما كان يتفرس فى وجوه نزلاء الفندق كان يسأل عنى ، وفى كل مرة كانوا يقولون له إننى لست بين الحاضرين . . . فكان من الطبيعى أن يثير ذلك دهشته ، وبخاصة أننى صحفى ، والمفروض فى الصحفى أن يحاول الاقتراب منه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ؛ ليتتبع أحاديثه وحركاته! . . . فزاد مسلكى من فضوله فى رؤية هذا الصحفى!

وعلى ضوء ما عرفته فيما بعد من أخلاق فاروق وطبائعه ، يمكننى أن أقول أيضا إنه لو سعيت إلى تعقبه والتقرب إليه عقب وصوله إلى أسوان ، لأوفد إلىّ ياوره يبلغنى أن الملك يحيينى ويذكرنى بأنه هنا فى زيارة غير رسمية ، ويرغب إلىّ فى الحد من نشاطى أو أغادر الفندق . . ولما وجه إلىّ كلمة واحدة طول مدة إقامته فى أسوان!

* * *

أعود إلى ما حدث بعدما قال لى حسين سرّى «باشا» إن الملكة تود أن ترى أم ليلى . . .

كانت زوجتى جالسة فى آخر الشرفة المطلة على النيل منهمكة بشغل «التريكو» ، فأسرعت إليها وقلت لها : إن الملكة تريد أن تراك!

فقالت: «بلاش هزار»، وخفف من صوتك لئلا يسمعك أحد . . .

فقلت لها: إنى لا أمزح . . . الملكة تلعب مع ليلى وتريد أن ترى أمها!

فعادت وقالت: «بلاش هزار» فى هذه الموضوعات!

وهنا خرج حسين سرّى إلى الشرفة ونادى قائلا: مدام كريم . . .

ولما وقع نظره على زوجتى أشار إليها أن تسرع . . .

ودخلنا «الصالون» فقدمنا للملكة، فهنأت زوجتى بطفلتنا وسألتها عن عمرها، ثم استمرت تلاعبها وتداعبها وهى تنظر إليها باسمة!

وشعرت بحرج شديد لما أمسكت ليلى بنظارات الملكة وألقت بها على الأرض، فلممتها وأعدتها إلى جلالتها وأنا أعتذر عما بدر من ابنتى؛ فقالت: إنها تفعل تماما كما تفعل ابنتى فوزية . . .

وبينما نحن كذلك، أقبل فاروق، وكان على موعد مع الملكة ليخرجا فى جولة بالسيارات مع حاشيتهما، فقدمنى له حسين سرى، فصافحنى وهو يقول: «إزيك يا كريم؟» . . .

وبعدما صافح زوجتى قال لى: التقيت بابنتك وهى تلعب فى البهو (الهول) وكلمتها بالعربية وبالفرنسية وبالإنجليزية؛ فلم ترد علىّ بكلمة واحدة!

فقلت له: إنها لا تتكلم بعد يا أفندم . . .

فقال: ومتى ستتكلم؟

فقلت: هذا علمه عند ربنا . . ولكنى واثق من شىء وهو أنه عندما ستتكلم فلن تتوقف عن الكلام كبنات جنسها!

فضحك وضحكت الملكة . . . وعندئذ أقبل الياور، وقال لهما: إن السيارات قد حضرت، فتركانا وهما يقولان: إن شاء الله نراكما فى فرصة أخرى . . .

ذلك كان لقائى الأول مع فاروق!

* * *

وفى مساء اليوم نفسه جلسنا بعد العشاء فى ركن منزو من «الصالون» مع بعض معارفنا

من نزلاء الفندق، وكان بينهم مراد وهبة «باشا» وقرينته، والدكتور محمود عزمى وقرينته . . . ولم يكن أحد منا يدرى أن هذا الركن من القاعة قد حجز للملكين وحاشيتهما، أو أن الهواء أسقط بطاقة كانت موضوعة على المنضدة وعليها بحروف كبيرة كلمة «محجوز»!

وبعد قليل أقبل الملكان يتقدمهما الياور ليرشدهما إلى المكان المحجوز لهما فى «الصالون»، فلما ألفياه محتلا ببعض نزلاء الفندق تابعا سيرهما . . .

وفى لحظة واحدة فطنا جميعا إلى ما حدث، فنهضنا وخرجنا إلى الشرفة المطلة على النيل حتى لا يطول انتظار الملكين فى الردهة!

وما كادا يجلسان فى «الصالون» حتى جاء الياور إلى الشرفة يقول: إن الملك يطلب منا جميعًا أن نعود إلى أماكننا، وأن نجلس حوله وحول الملكة بالترتيب الذى كنا جالسين به قبلاً، فترددنا وتردد صحبنا، فقال الياور إنه أمر ملكى، وإن علينا أن نمتثل له . . . فعدنا جميعًا إلى «الصالون» وجلس كل واحد فى مكانه الأول . . .

وساد الصمت نحو دقيقتين . . .

ثم قال الملك: أين كريم ثابت؟

فنهضت واقفًا، فقال: «تسمح تقترب منا قليلا» . . . فاتجهت نحوهما، ولما أصبحت على قيد خطوة منهما التفت إلى الملكة وقال لها: إن كريم ثابت زار معظم بلدان العالم، وعرف ملوكها ورؤساءها وزعماءها، وقد رافق المرحوم فى زيارته الرسمية لأوروبا . . .

وكان فاروق يشير دائما إلى والده بقوله «المرحوم» . . .

ثم التفت إلىّ وقال: هل لك أن تقصّ على جلالة الملكة بعض ذكرياتك عن رحلاتك ومقابلاتك . . .

ولم يدعنى إلى الجلوس، فلم أجلس طبعًا، ومكثت نحو عشرين دقيقة واقفًا أمامهما أسرد لهما بعض ما مدتنى به الذاكرة فى تلك الساعة من قصص وحكايات . . .

ولما شكرنى وأوعز إلىّ بالعودة إلى مكانى، قال مخاطبًا سائر الحاضرين: والآن أطلب من كل واحد منكم أن يقصّ علينا قصة من ذكرياته فى الموضوع الذى يختاره . . .

فأخذ كل واحد يقص قصة . . . حتى إذا وصل الدور إلى زوجتى قالت معتذرة : أنا وكلت عنى كريم . . .

فقال فاروق : أنا الذى آمر هنا ، وأقول من يتكلم ومن لا يتكلم . . .

وتدخلت الملكة فريدة ، ورضى الملك أن يعفى زوجتى من الكلام!

ولما انتهى الجميع من أحاديثهم ؛ قلت مخاطبًا الملكين : لقد نزلنا على رغبة جلالتيكما وتحدثنا طويلاً ، فهل لنا الآن من جهتنا أن نتقدم إليكما برغبة . . .

فقال فاروق على الفور : وما هى؟

فقلت : أن تحدثانا عن الأميرتين فريال وفوزية!

فقال : هل تعرف حسنين باشا؟

فقلت : أعرفه يا أفندم . . .

فقال : عند حسنين ملفات تحتوى على جميع المعلومات التى تريدها فاطلبها منه!

فاستدركت قائلاً : أؤكد لجلالتك أننى لم أتقدم بهذه الرغبة بصفتى صحفيًّا . . بل تقدمت بها لثقتى بأن جميع الحاضرين يتوقون إلى سماع هذا الحديث!

وارتفعت أصوات قائلة : نعم . . نعم . . .

وهنا قالت فريدة : أنا سأتكلم . . .

واسترسلت فى حديث طريف عن ابنتيهما الصغيرتين . . .

وكان فاروق يتتبع حديثها بانتباه تام ويحاول أن يقحم فيه بعض العبارات بين آونة وأخرى . . .

ولما فرغت فريدة من حديثها عقب عليه بقوله : إن وقتها كله ذاهب لبناتنا!

ثم قال لى باسمًا : إن شاء الله تكون قد أخذت كفايتك من معلومات!

* * *

وفى الغد خرجت قبل الظهر إلى الشرفة المطلة على النيل ، وجلست أطالع كتابًا اخترته من مكتبة الفندق ، وكانت الشرفة فى تلك الساعة غاصة بالنزلاء . . .

وبينما كنت منصرفًا إلى القراءة شعرت فجأة بيد ضخمة تهوى على كتفى من الخلف، وقبل أن أدير رأسى لأرى صاحبها؛ كان فاروق قد جذب كرسيا باليد الأخرى وجلس عليه!

وكانت هذه أول جلسة لنا وحدنا! . . .

ودار الحديث عن موضوعات شتى . . .

وكنت أنا المتكلم معظم الوقت . . .

وبعد ساعة أقبل أحد السفرجية يقرع طبلاً صغيراً، إيذانًا بحلول أول «دور» للغداء، فقال لى فاروق: هل تشعر بجوع أم تنتظر الدور الثانى؟

واتفقنا على انتظار الدور الثانى . . .

واستمرت جلستنا ساعة أخرى!

وقبل أن ينهض قال لى: إن عدد أعدائك زاد اليوم . . .

فقلت: لماذا يا مولاى؟

فقال: إن جميع الذين رأونى جالسًا معك يحسدونك الآن ويكرهونك!

ثم قال: لا تغادر الفندق بعد الظهر لأنى أريد أن أراك مرة أخرى!

وتكررت جلستنا بعد الظهر . . .

وفى نهايتها قال لى: ما هو برنامج رحلتك؟

فقلت: قضاء عيد الميلاد فى أسوان وعيد رأس السنة فى الأقصر . . .

فقال: وهل يضايقك أن تقضى العيدين فى أسوان؟

فقلت: أمرك يا مولاى!

وتعددت جلساتنا بعد ذلك، وتنوعت أحاديثنا . . .

وقبل أن يغادر الملك أسوان قال لى: «تبقى اسأل عنى فى مصر (القاهرة) وإن شاء الله أراك بخير!».

- ٢ -

لما قال لى فاروق فى أسوان «تبقى اسأل عنى فى مصر»، لم أفسر هذه العبارة بأكثر من أنه أراد أن يختم جلساتنا وأحاديثنا بتحية لطيفة . . . فلما عدت إلى القاهرة لم أحاول الاتصال به أو بأحد من رجاله الذين كانوا معه فى رحلته . . . بل رأيت أنه ليس من المعقول أن أسأل أنا عن الملك، وقلت فى نفسى إذا شاء هو أن يرانى وأن يجدد اجتماعه بى؛ فلن تعوزه الطريقة أو الوسيلة . . .

وكنت فى تلك الأثناء أتردد على القصر، كما يتردد عليه كثيرون من الصحفيين، وأقابل أحمد حسنين «باشا» رئيس الديوان الملكى وغيره من كبار رجال الحاشية.

وانصرم النصف الأول من عام ١٩٤٢ دون أن أتلقى من الملك أية إشارة، ودون أن يجرى بيننا أى لقاء . . . وفى ذات يوم اقترح علىّ حسنين «باشا» أن أقابل كبير الأمناء وأطلب منه التماس تعيين موعد أتشرف فيه بمقابلة جلالة الملك.

فقلت له : إن الملك لم يقابل أحداً من الصحفيين مقابلة رسمية بعد، وقد يرفض مقابلتى . . . وأنا لا أود أن أستهدف لموقف كهذا!

فابتسم وقال : ماذا طرأ عليك يا كريم . . .

فابتسمت بدورى وقلت له : إنى مازلت بعيدا عن فهم لغة القصور!

ولما تعلمت هذه اللغة فى السنوات التالية فهمت أن إشارة حسنين كان معناها أن الملك كلفه أن يوعز إلىّ بالتماس مقابلته، وأنه لولا هذا التكليف لما اقترح علىّ رئيس الديوان ما اقترحه أبداً!

وزرت كبير الأمناء، وأبديت له رغبتى، فكتب مذكرة بالتماسى . . .

وبعد يومين، وبينما كنت عائداً إلى منزلى فى المساء، التقيت عند مدخل الدار بأحد

رجال شرطة القصر وبيده كتاب من كبير الأمناء، يدعونى فيه إلى الحضور إلى قصر عابدين بعد ظهر اليوم التالى؛ لأتشرف بمقابلة جلالة الملك . . .

* * *

وقبل الموعد المعين للمقابلة بقليل، أقبل علىّ أحد رجال التشريفات وصعد بى إلى الطابق العلوى، حيث مكتب الملك، وهناك استقبلنى محمود السيوفى «بك» ــ الأمين الثالث إذ ذاك ــ وأجلسنى فى أحد «الصالونين» المجاورين للمكتب، ريثما يحل دورى فى المثول . . .

وكنت أعرف محمود السيوفى منذ كنا نطلب العلم معا فى مدرسة الآباء اليسوعيين (الجزويت) فارتحت إلى وجوده بالقرب منى فى تلك المناسبة، واستفسرت منه عن بعض مراسم المقابلة وعادات الملك فى مقابلاته، ثم سألته عن تقديره لمدتها، فقال إن الكشف الذى معه عين لى عشرين دقيقة، ولكن الملك غير مقيد بها ويمكنه أن يمدها أو يقصرها إذا شاء . . .

وجاء دورى فى المقابلة، فتقدمنى محمود السيوفى إلى حجرة مكتب الملك، وما كاد يخطو فيها خطوتين حتى انحنى محييًا الملك بالتحية المعروفة «بالتمنى»، وهى التحية التركية القديمة، وأعلن اسمى ثم رجع إلى الوراء خطوتين بدون أن يستدبر الملك وهو يؤدى «التمنى» مرة أخرى . . .

وكان فاروق واقفا بجوار مكتبه . . . فنفذت ما علمنى إياه رجال التشريفات بدقة تامة وأديت «التمنى» عند دخولى، ثم أديته مرة ثانية لما أصبحت على بعد خطوتين أو ثلاث من الملك . . .

وصافحنى فاروق باسمًا وهو يقول: «إزيك يا كريم؟» وفيما كان يهم بالجلوس، أشار إلى كرسى مواجه له فجلست عليه . . .

ثم قال: ألم أطلب منك فى أسوان أن تسأل عنى عندما تعود إلى مصر؟ فلماذا لم تفعل ما طلبته منك؟

فقلت: إن ذكرى ما لقيت من عطف جلالتك فى أسوان لم تبرح ذهنى، ولكن لم يكن فى استطاعتى أن أطرق باب القصر وأن أقول لهم بلغوا جلالة الملك أن كريم ثابت يسأل عنه . . . كانوا «قطعوا رجلى» قبل أن أصل إلى جلالتك!

فضحك وقال: يمكن معك حق. . . وعلى كل حال «كل تأخيرة وفيها خيرة»!

ثم قال: إن أحداثًا كثيرة حدثت منذ اجتماعنا فى أسوان. . .

وأدركت فوراً أنه يشير إلى حادث ٤ فبراير بوجه خاص. . .

فقلت: إنى كنت مع جلالتك فى تلك اللحظات بكل جوارحى. . .

فقال: وما رأيك فى ٤ فبراير؟

فقلت: لئن كان السفير البريطانى قد أحاط قصرك بالدبابات، فالشعب أحاطك بقلوبه. . فأنت الرابح فى هذه المعركة!

فقال: وإلى متى سيستمر «المبسن» فى هذه السياسة؟

فقلت: أرى على مكتب جلالتك لوحة نقش عليها بالفرنسية كلمة «الصبر». . . وإنى أعلم أن الملك فؤاد هو الذى وضع هذه اللوحة فى هذا المكان. . . ويلوح لى أنها وصيته إليك فى هذه الأيام. . . إنك يا مولاى لاتزال فى الثانية والعشرين من عمرك، و «المبسن» قد جاوز الستين. . . إن شاء الله تعيش و «تدوب» عشرين «لمبسن» لا «لمبسن» واحد!

وحاول غير مرة أن يستدرجنى إلى إبداء رأيى فى ظروف حادث ٤ فبراير وملابساته. . كذلك حاول أن يستطلعنى رأيى فى بعض الرجال؛ ومنهم من كان فى القصر. . . فتملصت من الإجابة عن أسئلته بكيفية لا أظن أن أمرها خفى عليه. . . وكان الباعث لى على هذا المسلك عدم معرفتى له معرفة كافية تسمح لى بمصارحته بآرائى، فضلا عن أننى كنت لا أعرف شيئًا بعد عن الأسرار التى أحاطت بحادث ٤ فبراير سوى النزر اليسير. . .

ودامت المقابلة أربعين دقيقة قال لى فى نهايتها: إن شاء الله أراك قريبا، وإن شاء الله أسمع عنك كل خير. . .

وبعدما تصافحنا، وخطوت بضع خطوات نحو الباب، توقفت وقلت له: هل تسمح لى جلالتك بكلمة؟

فابتسم لهذه الحركة غير المألوفة فى المقابلات الرسمية وقال: تفضل. . .

فدنوت من مكتبه وقلت له: سيقولون غدًا لجلالتك إن كريم ثابت يقول عن هذه المقابلة كيت وكيت، وإن كريم ثابت يقول إن الملك قال لى كيت وكيت، وإننى قلت له

كيت وكيت، وإنه تكلم معى فى كيت وأنا كلمته فى كيت، فأرجو من جلالتك ألا تصدق كلمة واحدة مما سيزعمون، وإنى أعاهدك على أن كلمة واحدة من حديثنا كله لن تخرج من فمى لأحد!

وثبت لى فيما بعد أن هذا الاحتياط كان فى محله . . . فإنى ما كدت أخرج من المقابلة الملكية حتى سئلت: ما هو الحديث الذى دار بينكما حتى استغرقت المقابلة أربعين دقيقة؟!

وقال لى آخر: لابد أن الكلام كله كان عن ٤ فبراير . . .

وقال ثالث: من المحقق أن الملك حمل كثيرا على فلان . . .

أما الخطة التى اتبعتها فى الرد على جميع الأسئلة التى وجهت إلىّ، فكانت أن أروى لكل واحد رواية مخترعة، تختلف عن الرواية التى رويتها لغيره . . . وكانت جميع الروايات التى ابتكرتها مخيلتى لا تمت بصلة ما إلى الحديث الحقيقى الذى دار فى المقابلة!

فماذا كانت النتيجة؟

كانت النتيجة أن «النابهين» قالوا: يبدو لنا أن الملك لم يشأ أن يخوض مع كريم ثابت فى الشئون السياسية، ولم يغرب عن باله أنه صحفى وأنه ليس من الحكمة أن يتكلم معه فى السياسة!

أما «غير النابهين» فجمعوا الروايات التى سمعوها منى، أو عنى، ونقلوها إلى الملك وهم يظنون أنهم بذلك «سيقطعون رجلى» عن بابه من أول مرة . . . فكان يصغى إليهم وهو يضحك فى سره!

* * *

وبهذه المناسبة أقول إنه لما توثقت علاقتى بفاروق، علمت أنه كان ينصب لى الفخاخ، ثم يراقب هل سأقع فيها أم لا! . . . فقد اعترف لى يومًا بأنه لما كنا فى بداية معرفتنا حذره كثيرون من اتصالى به . . .

قال له بعضهم إننى صحفى، وإننى سأستغل فى عملى الصحفى ما أسمعه منه من أخبار وأسرار . . . وقال له فريق آخر إننى وفدىّ النزعة، وإن الوفد «دسنى عليه» ليقف بواسطتى على أسراره وأسرار القصر . . . وقال له فريق ثالث إن الإنجليز هم الذين شجعوا دخولى القصر لأوافيهم بأخباره وحركاته!

أما هو؛ فلم يشأ أن يصدقهم، مع أنه كان بفطرته يميل إلى تصديق أخبار السوء والوشايات . . .

وأغلب ظنى أنه رأى فى تصديقهم مساسًا بكرامته باعتبار أنه هو الذى عرفنى وقربنى إلى مجلسه بدون وساطة أحد!

ومع ذلك أراد أن يمتحن بنفسه . . . ومن هنا كانت الفخاخ التى نصبها لى فى منشإ صلتنا . . . كان يروى لى من وقت إلى آخر رواية ملفقة لا أصل لها بتاتًا، ثم يراقب بعناية واهتمام هل رددها أحد أم لا، أو هل سمع أحد صدى لها فى الدوائر الرسمية أو غير الرسمية . . . وقد صارحنى فيما بعد أنه فعل ذلك غير مرة، وفى غير مناسبة واحدة، وفى غير موضوع واحد، فكانت النتيجة دائما فى مصلحتى!

* * *

وعلى ذكر الفخاخ التى نصبها لى ليمتحن أمانتى فى حفظ أسراره . . . فقد لاحظ فى أواخر سنة ١٩٤٣ أن بعض أحاديثه الخاصة تتسرب إلى خارج القصر، فأخذ يراقب المحيطين به والمقربين إليه ولكن بدون جدوى . . . وفى ذلك الحين حدث له حادث السيارة المعروف فى «القصاصين»، فانتهز يوما فرصة وجودهم جميعا بالقرب منه فى المستشفى وقصّ على كل واحد ممن كانت شبهتهم تحوم حولهم قصة خرافية من نسج خياله، موهما إياه أنها من الأسرار السياسية الخطيرة!

وبعد ثلاثة أيام أو أربعة جاءه حسنين «باشا» بادى الاضطراب يقول: إن «المبسن» السفير البريطانى طلب مقابلته على عجل، وحدثه عما بلغه عن اشتراك الملك فى موضوع معين، وإنه يرجو أن يكون ما بلغه غير صحيح، وإلا أنشأ لجلالته متاعب كثيرة!!

وترك رئيس ديوانه يحدثه عن تفاصيل مقابلة «المبسن» له بإفاضة وبدون أن يقاطعه، حتى إذا انتهى من إحاطته بما عنده ضحك وقال له إن الحكاية كلها غير حقيقية وإنه ابتكرها من أساسها، وأفضى بها إلى «فلان» ، لأنه كان يشك فى أنه ينقل أحاديثه إلى بعض الجهات!

ولم يقل فاروق شيئًا لـ «فلان» ولكنى لاحظت أنه لم يدعه بعد ذلك إلى حفلة من حفلاته الخاصة!

وأسر إلىّ يومًا أنه إذا أراد أن يوصل «حديثًا» إلى بعض الجهات من غير أن يظهر أنه

يسعى لإبلاغها إياه، استدعى «فلانًا» لأمر ما وأقحم فى كلامه معه ما يبغى «تسربه» إليها!!

* * *

وقبل أن أختم حديثى عن مقابلتى الرسمية الأولى له، أود أن أشير إلى أننى لم أكن، على ما أظن، تلميذا خائبا فى تعلم أصول «البروتوكول» ومراسمه، أو فى الإحاطة بالتقاليد التى كانت متبعة فى القصر . . .

غير أن هناك تقليداً واحداً لم أصب فيه توفيقًا . . . وهو التقليد الذى يقضى بأن ينصرف المرء من حضرة الملك بدون أن يستدبره!

وكان مستر «تاك» سفير أمريكا الأسبق فى مصر، يقول إنه إذا التقى برجل يودعه «ولا يعطيه ظهره» عند انصرافه أدرك فوراً أنه من رجال القصر . . . أو كان فى وقت ما من رجال القصر!

فهذا التقليد لم أحذقه قط! . . . ولعل ما فى رجلى اليسرى من مرض وخوفى عليها من الأذى إذا ارتطمت بشىء، أو إذا سقطت عليها، كان السبب فى ذلك . . .

ولابد أن فاروق ضحك كثيراً فى سره فى نهاية مقابلتنا الرسمية الأولى وأنا أحاول جهدى ألا أستدبره، وفى الوقت نفسه، أحاول جهدى أن أرى ما ورائى خشية أن تزل قدمى فأهوى على ظهرى!

ومن ذكرياتى عن هذا التقليد أنه لما احتفل فى قصر القبة بتوثيق قران «الأميرة» فائقة شقيقة الملك، وفؤاد صادق «بك» صافحت الأميرات الشقيقات الثلاث، ثم أردت الاتجاه إلى جانب آخر من القاعة لأصافح العريس . . . ولا أدرى لماذا خطر لى فى تلك اللحظة أن أحترم التقليد الذى لم أنجح فيه قط . . .

وسقط شىء على الأرض، وأحدث سقوطه دويّا!

وبدون أن يلتفت فاروق إلى ناحيتى قال: هذا من صنع كريم ثابت حتمًا!

وكانت زهرية كبيرة من «الكرستال» الغالى مملوءة ورداً وماء، ومن حسن الحظ أنها سقطت على سجادة من النوع الفاخر فلم تتحطم . . .

ومن ذلك اليوم أعفانى فاروق من التقيد بهذا التقليد . . . لا رحمة بحالتى، بل خوفًا على ما فى القصر من زهريات!

ـ ٣ ـ

مرّ على مقابلتى الرسمية لفاروق نحو عام كامل قبل أن نلتقى مرة أخرى . . . وكان لقاؤنا هذه المرة مجرد صدفة كذلك!

فقد كان بين الضباط الأمريكيين الذين خدموا فى مصر فى خلال الحرب العظمى ضابط برتبة الملازم الأول اسمه «بن ولز» ، وكان والده المستر «سمنر ولز» وكيلاً لوزارة الخارجية الأمريكية فى ذلك الحين ، وصاحب نفوذ كبير فى سياسة أمريكا الخارجية . .

ولما وصل «بن ولز» إلى مصر أحاطه سفير أمريكا بعناية خاصة وأحلّه ضيفًا عليه فترة من الزمان ، وعرفنى به يومئذ موظف لبنانى فى السفارة الأمريكية ؛ فدعوتهما ذات ليلة إلى العشاء فى حديقة «أوبرج الأهرام» على طريق الهرم ، وكان الوقت صيفًا . . .

وبينما كنا نتمشى أقبل الملك وبمعيته عز الدين عاطف ياوره البحرى ، واختار إحدى الموائد البعيدة عن حلبة الرقص وجلس إليها مع ياوره ، وكانت على مسافة قريبة من مائدتنا . . .

وكان عز الدين عاطف بصحبة الملك فى أسوان ، ورآنى معه هناك غير مرة ، فلما لمحنى فى «أوبرج الأهرام» أخبره بوجودى فأوفده إلىّ ليدعونى إلى مائدته . . .

* * *

وسألنى فاروق عن اسمى ضيفىّ ، ثم سألنى هل تعشيت ، فقلت له إننى كدت أفرغ من عشائى ، فقال باسمًا : إذن يمكننا أن نستبقيك معنا قليلاً ! . . .

وامتدت «قليلاً» هذه إلى ساعة . . ثم إلى ساعتين . . . ثم إلى ثلاث ساعات !

وفى نحو الساعة الواحدة صباحًا ، بلغ ضجر ضيفىّ أشدّه ، ولما قطعا الأمل من احتمال عودتى إليهما انصرفا !

أما نحن فامتدت جلستنا إلى الساعة الواحدة والنصف، ثم نهض الملك منصرفًا، وبينما كنت أودعه عند باب الدار قال لى: هل تكثر من التردد على هذا المكان؟

قلت: أجىء إليه أحيانًا . . .

قال: إن لقاءنا هنا أسهل من لقائنا فى القصر، وقد أحببت هذا المكان وسأتردد عليه، فتعال أنت إليه أيضًا «كل كم يوم» . . .

* * *

وبعد أيام كنت أتعشى فى «أوبرج الأهرام» مع بعض أصدقائى . . . وحضر الملك . . . وما كاد يعلم بوجودى حتى استدعانى إلى مائدته!

وتكرر ذلك غير مرة . . .

ثم حدث أن ذهب إلى «أوبرج الأهرام» مرتين أو ثلاث مرات ولم يلقنى . . . فلما ذهب إليه فى المرة التالية ولم يصادفنى، طلب من صاحب المكان أن يخاطبنى بالتليفون فى بيتى وأن يدعونى إلى الحضور باسمه! . . .

وبعد نحو ساعة كنت فى «الأوبرج» فسألنى: لماذا انقطعت عن التردد عليه؟ فقلت: إنى لم أنقطع، فقال: لقد حضرت إلى هنا ثلاث مرات أو أكثر، وفى كل مرة لم أجدك!

فقلت: هذا من سوء حظى يا مولاى . . .

فقال: لا . . . هذا ترتيب لا ينفع . . . سنعمل ترتيبا آخر . . . وهو أنه فى كل مرة أكون خارجًا للعشاء هنا أو فى مكان آخر، يتصل بك أحد رجالى؛ فتقابلنى فى المكان الذى يعينونه لك!

وفى بعض الأحيان، كان ينسى أن يقول لهم كلفوا كريم ثابت أن يقابلنا فى مكان كذا، فإذا بلغه ولم يعثر علىّ، فطن إلى نسيانه وأمرهم بالاتصال بى فوراً لأوافيه «على عجل»!

وكان بعض الناس إذا بصروا بى فى مكان من الأماكن العامة التى اعتاد ارتيادها، قالوا فيما بينهم: ها هو كريم ثابت ينتظر لعل الملك يحضر «فيفرض نفسه عليه» . . .

ولم يكن أحد منهم يدرى أننى هناك «بالأمر»!

أو إذا رأونى داخلاً المكان بعد الملك ومتجهًا صوب مائدته قالوا: ها هو كريم ثابت قد أسرع فى الحضور لما علم أن الملك هنا، وها هو يريه وجهه ليدعوه إلى الجلوس معه...

ولم يكن أحد منهم يدرى أننى قادم «بالأمر»...

وأننى لا أنصرف إلا بالأمر!

واتصل بى الياور البحرى عند ظهر أحد الأيام بالتليفون وقال لى: مطلوب منك اليوم أن تكون لابسًا «السموكنج» وجاهزًا فى الساعة السادسة والنصف مساء، وسأجىء إليك فى هذا الموعد لأستصحبك معى بسيارتى...

ولم يقل أكثر من ذلك!

ولم أسأله إيضاحًا؛ لأنى كنت أعلم أن المحيطين بالملك لا يقولون أكثر مما يؤمرون بإبلاغه، فلا فائدة إذن من السؤال...

وفى الساعة السادسة والنصف أقلنى الياور البحرى بسيارته إلى قصر عابدين!

ودخلت السيارة القصر من الباب الذى كان يسمى «باب المية» وبعدها اجتازت الفناء الذى تطل عليه مكاتب الديوان الملكى، أوغلت فى حديقة القصر، واتجهت إلى اليسار، واستقرت أمام باب صغير...

وهو الباب الذى كان فاروق يخرج منه لما كان يخرج من القصر بصفة غير رسمية...

ويؤدى هذا الباب إلى دهليز ضيق إلى يساره حجرة صغيرة للاستراحة، وإلى يمينه حجرتان كانتا مخصصتين «لأنطونيو بوللى» مدير الأشغال الخصوصية... فإذا خطا المرء خطوات أخرى فى هذا الدهليز؛ وصل إلى مصعد يصعد إلى الجناح الخاص بالملك وإلى طابق أعلى منه، حيث حجرات الأمناء الخصوصيين أو «الشمشرجية»...

وأمام ذلك الباب وقفت سيارة فاخرة كبيرة أدركت من المسافة التى تركها الياور البحرى بين سيارته وبينها أنها سيارة الملك الخاصة!

وبعد قليل نزل الملك وحده مرتديا «السموكنج» فوجه إلىّ تحية لطيفة، ثم صعد إلى مكان القيادة فى سيارته وأجلسنى إلى جانبه، وجلس الياور على المقعد الخلفى وكان لابسًا «السموكنج» كذلك...

ولم يكد محرك السيارة يتحرك ، حتى قال لى فاروق : أظن أن هذه أول مرة تركب معى؟

فقلت : هى المرة الأولى فعلاً يا أفندم . . .

فقال : وهل قال لك عاكف إلى أين نحن ذاهبون؟

فقلت : لا يا أفندم . . .

فقال : إننا ذاهبون إلى حفلة خاصة يقيمها لى مرشال الجو السر شلتو دوجلاس القائد العام للسلاح الجوى البريطانى فى الشرق الأوسط ، وهو صديق شخصى لى . . .

ثم قال : وقد دعا شلتو دوجلاس إلى حفلته المؤلف الموسيقى الإنجليزى الكبير «نويل كاورد» وهو فنان له مقام عظيم عندهم ؛ وسيسلينا بعزف بعض مقطوعاته . . .

وخفّ القائد البريطانى إلى استقبال الملك عند مدخل داره ، وبعدما تصافحنا قال له فاروق : قد استصحبت معى صديقى كريم ثابت . . أما عاكف ياورى البحرى فأنت تعرفه!

وتقدم شلتو دوجلاس وصافحنى مرحبًا . . .

وكان جميع المدعوين من كبار ضباط السلاح الجوى البريطانى وقريناتهم ، ولم يكن بينهم سوى مدنى واحد وهو «نويل كاورد» . . .

وبينما كان صاحب الدار يقدمهم «لصاحب الجلالة» فيصافحهم واحدًا واحدًا . . . كان ياوره يعرفهم بى واحدًا بعد الآخر . . .

وكان ياور القائد البريطانى قد سمع ما قاله الملك عنى لما قدمنى لرئيسه ، فما لبث الحاضرون أن تهامسوا به وأحاطونى بما هو خليق «بصديق» الملك أن يحاط به من عناية وتكريم . . .

وبدأت الحفلة بعرض شريط سينمائى فى حديقة الدار ، وأراد «شلتو دوجلاس» أن يجلسنى إلى جانب الملك فاعتذرت وجلست خلفه فى الصف الثانى . . .

ولاحظ فاروق تصرفى . . . ولاحظت أنه سُرَّ له!

ولما انتهى العرض ، دخلنا قاعة الأكل للعشاء ، وكان الداعى قد أعد لهذه المناسبة

مقصفًا «بوفيه» لعدم اتساع المكان للجلوس، فأكل الملك وأكلنا جميعًا واقفين. . وكان فاروق فى تلك الأثناء يرصد جميع حركاتى: كيف آكل، وكيف أشرب، وكيف أتكلم مع جيرانى، وباختصار كان يتتبع من طرف خفى كل حركة من حركاتى؛ ليرى هل يستطيع فى المستقبل أن يستصحبنى معه إلى مثل هذه الحفلة أم لا!

وجلسنا بعد العشاء فى قاعة الاستقبال نستمع إلى «نويل كاورد» يعزف بعض ألحانه على البيانو ويغنيها، وقد أعجب به الملك كثيراً وصفق له غير مرة، ثم دار بينهما حديث طويل عن موضوعات شتى، وكان يتخلله ضحك عال.

وفى الساعة الواحدة صباحًا غادرنا دار القائد البريطانى وعدنا إلى قصر عابدين. . .

وكانت تلك أول مرة لقبنى فيها فاروق بصديقه!

* * *

وفى إحدى الليالى، حيث كنا نمضى السهرة فى نادى الصيد، جاء ذكر «أنشاص» فى خلال حديثنا، فقال لى فاروق: على فكرة. . . هل زرت أنشاص؟

فقلت: لا يا مولاى ولكن إن شاء الله تأتى مناسبة أزورها فيها. . .

فسكت لحظة ثم قال: قم بنا نذهب إليها الآن. . . وحسبته مازحًا فى بادئ الأمر. . . فالساعة قد قاربت الواحدة صباحًا وليس معنا سوى «بوللى». . . وصعدت إلى سيارته وأنا لاأزال أحمل ما قاله على محمل المزاح، وأظن أننا متجهون إلى قصر القبة. . .

ولكن لما رأيت السيارة تنحرف عن مدخل القصر وتنطلق فى طريق الإسماعيلية، أيقنت أننا ذاهبون إلى أنشاص، وأنه كان جادًا فى كلامه!

وفى ذلك الطريق غير المطروق فى تلك الساعة من الليل، أطلق فاروق لسيارته أقصى سرعتها. . .

ولم أفهم معنى العبارة القائلة: «وكانت السيارة تطوى الأرض طيّا»، إلا فى تلك الساعة!

كان إحساسى أن السيارة تسير على الغبراء حينًا، ثم تسبح فى الفضاء حينًا آخر. . حتى كدت أصاب بدوار من شدة سرعتها!

وسألنى فاروق: هل أنت خائف من هذه السرعة؟

فقلت : وهل يكون لردى فائدة إذا قلت الحقيقة؟

فابتسم وقال : فى الحقيقة لا !

وكان المحيطون به يعرفون عنه أنه إذا لاحظ على الراكب معه شيئًا من القلق أو من الانزعاج ، زاد من سرعة سيارته ، إما رغبة فى إظهار براعته أو إمعانًا فى مداعبة صاحبه !

* * *

ولما بلغنا أنشاص أمر بفتح أبواب السراى القديمة وإضاءة أنوارها ، ليتسنى لى مشاهدة حجراتها ، وهى السراى التى استضاف فيها ملوك العرب ورؤساءهم وأمراءهم فى الاجتماع الذى دعاهم إليه فى شهر مايو سنة ١٩٤٦ . . . ولم أر فيها ما يستوقف النظر .

ثم ركبنا السيارة إلى «الڤيلا» الصغيرة التى بناها فى وسط الصحراء على بعد دقائق من السراى القديمة ، وبينما كنا نجتاز البساتين فى طريقنا إليها قال لى : أما البساتين فسنزورها فى الصباح . . .

وكان رجال فاروق يطلقون على تلك «الڤيلا» اسم «الحمام» ، لأنه أنشأ أمامها حمامًا كبيرًا للسباحة ، وكان هذا الحمام أجمل ما فى المكان ، أما الدار نفسها فلم تكن تحوى ما يستحق الذكر . . .

وفى تلك «الڤيلا» عقد ملوك العرب وأمراؤهم ورؤساؤهم اجتماعات مؤتمر أنشاص فى مايو عام ١٩٤٦ ، وحول ذلك الحمام ، أقام لهم فاروق حفلة الوداع الساهرة ، وكانت بطاريات كهربائية تسلط أنوارًا مختلفة الألوان على الأشجار المحيطة به ، فتزيده رونقا وبهاء . . .

* * *

وبعد طوافنا بأرجاء «الفيلا» عدنا إلى الطابق العلوى منها ، وكان فى بهوه مقعدان كبيران ، فاستلقى فاروق على أحدهما بملابسه ، وكان مرتديًا الملابس العسكرية الصيفية ، ودعانى إلى التمدد على المقعد الآخر وهو يقول : سننام قليلاً قبل أن ننهض لزيارة البساتين !

وكانت هذه أول مرة فى حياتى أنام بملابسى . . . وعلى مقعد . . . وبدون غطاء . . . ولكنى كنت متعبًا تعبًا شديدًا فلم أبال بذلك ، وظننت أننى سأغرق فى النوم فورًا . . . غير

أنه لم تمض عشر دقائق حتى استبان لى أننى لن أنام بتاتًا . . . وفعلاً انصرم ما بقى من ساعات الليل بدون أن يغمض لى جفن دقيقة واحدة!

لم أنم ، ليس لأن كل شىء فى هذه «النومة» كان جديداً علىّ، بل لأن فاروق كان يشخر تشخيراً قويا متواصلاً، حال دون نومى إطلاقًا بالرغم من شدة نعاسى!

أما هو فما كاد يلقى رأسه على الوسادة حتى نام ملء جفنيه . . وشرع فى تشخيره!

ولما انبثق الفجر ، نهضت وغسلت وجهى وأصلحت ما يمكن إصلاحه من هندامى ، ثم أسرعت إلى الطابق الأرضى؛ فاتصلت بأهل بيتى بالتليفون؛ لأخبرهم أننى مازلت على قيد الحياة!

واستيقظ فاروق فى نحو الساعة الثامنة وغسل وجهه ، ولو رأى أحدهم ملابسه فى تلك الساعة ، لأقسم بأنها لم تعرف الكى منذ حياكتها! . . . ثم طلب قهوة وما يتيسر إعداده من إفطار ، فجاءوا إلينا به من منزل مفتش المزارع الملكية ، وكان قد توقع منذ الليل أن يفاجئه الملك بهذا الطلب فاستعد له!

وفى الساعة الثامنة والنصف بدأت جولتنا فى البساتين . . .

تلك البساتين التى حولت الصحراء الجرداء القفر إلى جنة صغيرة يتجلى فيها ما تستطيع قوة المشيئة تحقيقه عندما يتوافر إلى جانبها المال والعلم والمثابرة!

ولم يكتف فاروق بأن نزورها بالسيارة . . . بل أرادها زيارة كاملة لجميع أقسامها ومحتوياتها ، وأنا لا أكاد أقف على رجلىّ من شدة التعب وعدم النوم!

ها هى مزرعة الدواجن . . . لابد أن ننزل من السيارة لكى نمر بجميع فروعها ووحداتها!

وها هى محطة الإكثار من بيض الدجاج وتحسين نوعه . . . لابد من أن نقف على جميع العمليات التى تجرى فى هذه المحطة!

وها هى حلبة الجياد . . . لابد أن نترك السيارة لكى نشاهدها فى حظائرها ونسمع اسم كل جواد منها!

وها هو متحف الجياد . . . لابد أن ندخله ، ولابد أن نطلع على جميع محتوياته!

وها هى محطة الجمال . . . هل نمر بها مرورا . . . كلا . . . لابد أن ننزل من السيارة لكى نراها عن كثب ، ونرى طريقة عنايتهم بها وتدريبهم لها !

وها هى محطة الرى . . . الآلات التى تدير الطلبمات وتروى هذه البساتين . . . لا أظن أنها تحتاج إلى زيارة . . . ولكن الملك يرى غير ذلك . . . ألم يقل إنه يريدها زيارة كاملة ؟ !

حتى إذا وصلنا إلى متحف البساتين قال فاروق : إن هذا المتحف يستأهل زيارة خاصة !

فقلت فى نفسى لعله سيقول : ولذلك سنرجئ زيارته إلى فرصة أخرى . . .

ولكنه خيَّب أملى وأردف قائلاً : ومع ذلك سنزوره اليوم زيارة سريعة !

* * *

وكان فاروق فى أثناء تجولنا فى أنحاء البساتين يحاول أن يضيف بعض البيانات إلى البيانات التى يدلى بها الموظف المختص أو المفتش العام للمزرعة ، ولكنى لاحظت أن معلوماته الزراعية يسيرة وأن اهتمامه بالجانب الزراعى من أنشاص سطحى . . . بيد أنه لما زرنا المتحف استرسل فى الكلام وخصوصا فى القسم الخاص بالصيد !

وقد زرت أنشاص بعد ذلك بصحبة فاروق مراراً ؛ فلم أسمعه قط يسأل مفتشها أسئلة تدل على تعمق فى تتبع سير العمل والإصلاح أو على رغبة حقيقية فى الإحاطة بها ، وفى السنوات الأخيرة كان يذهب إلى أنشاص ويبرحها دون أن يوجه إلى مفتشها سوى السؤال التقليدى المعتاد ، وهو : هل كل شىء على ما يرام ؟

وفى كل مرة كان الرد : كل شىء على ما يرام يا مولاى !

* * *

وفى نحو الساعة الواحدة بعد الظهر ، وكانت حرارة الشمس قد زادتنى إعياء ، قال لى فاروق : أظن أن زيارتنا لأنشاص اليوم كانت كافية لإعطائك فكرة إجمالية عنها . . . والآن سنعود إلى القاهرة !

وانطلقت بنا السيارة فى طريق القاهرة . . . ولما بلغنا قصر القبة ، أمر بأن تقلنى إحدى سياراته إلى منزلى ، فلم أغادر الفراش حتى صباح الغد !

— ٤ —

وخطت علاقتى بالملك خطوة جديدة . . .

وبعدما كنا لا نلتقى إلا فى خارج القصر ، صرنا نلتقى فى داخله أحيانًا ، وفى خارجه أحيانًا أخرى . . .

ففى ذات يوم اتصلوا بى تليفونيا من القصر ، وطلبوا منى أن أتوجه إلى مكتب «بوللى» فى عابدين . . . وهناك دعونى إلى الانتظار فى حجرة الاستراحة الصغيرة المواجهة لمكتبه . . .

ولم يخطر لى لحظة واحدة أننى سأقابل الملك فى تلك الحجرة المتواضعة وليس فيها سوى مقعد يتعذر معرفة لونه الأصلى ، وكرسيين من الخيزران ، ومكتب بسيط يجلس إليه عادة حاجب «بوللى» ليتلقى الإشارات التليفونية الخاصة به فى أثناء غيابه . . .

ولما رأيت الحاجب مقبلاً بالقهوة ، أيقنت أن الملك لن يقابلنى فى تلك الحجرة . . .

ولكن قبل أن أفرغ من شرب نصف الفنجان ، دخل علىّ فاروق بأسرع من لمح البصر . . . وصافحنى وجلس على المقعد ، وأشار إلى الكرسى المواجه له فجلست عليه . . . ثم قال : وهذا مكان آخر سنجتمع فيه من وقت إلى آخر !

وقد توهم أنه إذا قابلنى فى الجناح الخاص به ، فإن أنباء هذه الزيارات غير الرسمية قد تذاع فى القصر وتفضى إلى نشوء كثير من القيل والقال . . . بيد أنهم إذا رأونى متجها إلى مكتب «بوللى» ظنوا أننى قادم لزيارة مدير أشغاله الخصوصية ولم يتصوروا أن الملك سيقابلنى فى حجرة الاستراحة المخصصة لزائرى «بوللى» . . . وفاته أن بعض الحجاب كانوا أسرع من الراديو فى نقل الأخبار وإذاعتها !

* * *

وكنا فى بداية علاقتنا إذا انتهينا من سهرتنا فى مكان ما افترقنا عند باب المكان، فيستقل الملك سيارته إلى قصره وأعود أنا بسيارتى إلى منزلى.

فلما توثقت الصلة بيننا كان كثيراً ما يوصلنى إلى بيتى بسيارته مهما كان الوقت متأخراً . . . وفى بعض الأحيان كان الحديث يستمر بيننا من ربع ساعة إلى نصف ساعة بعد وقوف السيارة أمام الباب الخارجى للبيت!

ولم ينقض على ذلك زمان طويل حتى أخذ يمر ببيتى أحيانًا ليستصحبنى منه إلى المكان الذى يكون قاصداً إليه!

وفى تلك الأحوال كان أحد رجاله يكلمنى بالتليفون ويطلب منى أن أكون «لابسًا ومستعداً للنزول فى ساعة كذا لأن مولانا سيمر بى بنفسه»!

وكان يوقف سيارته فى أول مكان خال يجده أمام البيت، ويفتح «الراديو» الموجود فى السيارة، ويتسلى بالإصغاء إليه، بينما يهرع رسوله إلى الطابق الثالث من العمارة التى أسكن فيها ليبلغنى «إن مولانا منتظر»، فأوافيه وآخذ مكانى بجواره!

ولم أدر قط لماذا كان يطيب له فى بعض الأيام أن يفعل ذلك من غير أن ينبئنى بقدومه من قبل . . . فإذا صعد رسوله إلى منزلى وفاجأنى «بأن مولانا ينتظرنى تحت» قلت له: «إننى غير مرتد ملابسى كما ترى، فأرجو إمهالى حتى أرتديها»!

وقد استطعت بعد معرفتى للملك أن أغيِّر كثيراً من عاداتى ونظام معيشتى، ولكن من العادات التى لم أستطع تغييرها بطئى وتأنى فى ارتداء ملابسى . . .

وكان فى كل مرة يقول لى: أتحتاج إلى كل هذا الوقت الطويل لارتداء ملابسك!

وفى كل مرة كنت أقول له: لو كان مولانا أمر بإشعارى بأنه سيشرف لما أخرته دقيقة واحدة!

ومن الغريب أنه ظل يكرر ذلك حتى بعدما اعتاد أن يزورنى فى بيتى . . .

وخطر لى مرة أن أسأله: لماذا انتظر فى السيارة ولم يصعد إلى البيت؟

فأجابنى بقوله: أتريد منى أن أنتقل من أربعة حيطان إلى أربعة حيطان أخرى؟!

* * *

وكان الأستاذ مارك رياشمى نجل الأستاذ إسكندر رياشمى، صاحب جريدة «الصحفى التائه» اللبنانية ونقيب الصحفيين السابق فى لبنان يزورنى يوما حين أبلغونى «إن مولانا ينتظر تحت»!

ولم يكن عندى إشعار سابق بأنه سيمر بى...

فقلت لرسوله: إننى لم أرتد ملابسى بعد... وحتى ذقنى فى حاجة إلى حلاقة كما يظهر لك... فماذا أصنع؟

فقال لى مارك رياشمى: استغن عن الحلاقة!

فقلت: لا يمكن!

ثم التفت إلى رسول الملك، ورجوت منه أن يبلغ جلالته أننى سأستعد للنزول إليه بأسرع ما يستطاع...

ومع السرعة التى توخيتها لم أنته من الحلاقة و «الدش»، وارتداء ملابسى إلا بعد أربعين دقيقة!!

وصاح فىّ مارك رياشمى قائلاً: والله سأكتب أن الملك فاروق انتظرك فى سيارته أربعين دقيقة!!

ونزلت إلى الشارع وأنا أسأل نفسى عن نوع «التأنيب الملكى» الذى سيلقانى به فاروق... فإذا هو يحيينى باسمًا بقوله: علمت أنك ستتأخر فى لبسك فطفت بالجزيرة، ثم عدت من لحظة فقط!

وكان مزاجه صافيًا فى تلك الساعة فمضى فى حديثه قائلاً: وأنا آسف على مجيئى إليك مبكرًا، ولكنى فكرت فى أن نذهب إلى المعادى قبل غروب الشمس لنشرب الشاى فى ناديها...

* * *

ومرت الأيام...

وأصبح الملك لا يخرج من قصره بصفة غير رسمية بدون أن يستصحبنى معه، أو بدون أن أقابله فى الجهة التى يقصد إليها!

وكان الناس إذا لمحونى وحدى فى مكان ما أيقنوا أن الملك سيحضر إليه بعد قليل . . . بل غدا لا يذهب إلى حفلة خاصة من غير أن أكون فى معيته .

وكانت الحفلات الخاصة التى يشهدها فى خلال الحرب العالمية الثانية كثيرة ، وكان معظمها فى بيوت بعض رجال السلك السياسى الأجنبى أو بعض كبار العسكريين الأمريكيين والبريطانيين . . . تضاف إليها المآدب الخاصة التى كان يأدبها بدوره فى بعض المنتديات العامة ، ويدعوهم إليها تباعا ردًا لدعواتهم . . .

وكانت تلك الحفلات الخاصة تتيح له لقاء أناس كثيرين يهمه لقاؤهم ولا يستطيع استقبالهم فى القصر بسبب قيود «البروتوكول» . . .

ففى كل حفلة من تلك الحفلات ، وفى كل اجتماع من تلك الاجتماعات ، كنت الملازم الأول له . . . وكثيراً ما كان يحيل إلىّ الذين يرغبون فى دعوته إلى حفلات خاصة لنتباحث فى تفاصيلها ، وفى أسماء الضيوف الذين سيدعون إليها . . .

وبلغ من شدة اعتماده علىّ فى تلك المواقف ، أنه كان فى المآدب التى يقيمها فى بعض الأماكن العامة لا يتركنى مستريحًا فى مكان إلى المائدة ، بل يدعونى إلى الانتقال إلى جانبه ويأمر لى بكرسى صغير يقحمونه بين كرسيه وكرسى الجالس إلى يمينه ، وذلك لكى يشركنى فى حديثهما ولو اضطرتنى هذه الجلسة إلى الكف عن الأكل . . .

وكان يفعل ذلك مهما كان المكان غاصًا بالناس ، ومع علمه بأن جميع الأنظار مصوبة إلى مائدته !

وفى الغد كان يبلغنى أن كثيرين قالوا : انظروا كريم ثابت . . . حتى هنا لا يترك الملك . . . انظروا كيف «حشر» نفسه بجواره كيلا يتركه وحده دقيقة واحدة !

وعلى ذكر ما كان يقال . . . فقد كان من عادة فاروق إذا اقترب من المكان الذى يكون ذاهبا إليه بصفة غير رسمية أخرج سيجارا وأشعله . . . وكان وهو يشعله يقول لى كل مرة : «هل معك سيجار» ؟ . . فأجيب بالإيجاب . . . فيقول : «ومنتظر إيه علشان تولعه !» .

وكنت أقول له أحيانًا : إننى لم أتعش بعد ، وأفضل أن أدخنه بعد العشاء . . .

فيقول : «بعد العشاء تبقى تولع غيره» ! . . .

فأمتثل، وأشعل السيجار رغم أنفى، وأدخل المكان معه والسيجار بيدى . . . ثم أستمر فى التدخين بعد جلوسنا . . . وللسيجار كما لا يخفى دخان كثيف لا يمكن تفاديه . . . وفى اليوم التالى كنت أسمع أن بعض الذين رأونا فى الليلة السابقة قالوا: هل تشاهدون كيف أصبح كريم ثابت يدخن السيجار؟ . . . وكيف أصبح يقلد الملك؟ . . . هل لاحظتم كيف دخل معه والسيجار بيده؟ . . . والآن هل ترون كيف «ينفخ» الدخان فى وجهه؟!

فأقول فى نفسى: لو علموا أن هذا كله «بالأمر»!

أما أننى لم أدخن السيجار إلا بعد معرفتى للملك فغير صحيح، فقد علمنى تدخينه الرئيس السابق نجيب الهلالى منذ عام ١٩٣٥ . . . !

ـ ٥ ـ

وفى إحدى جلساتنا قال لى فاروق : سمعت أن بيتك مفروش فرشًا لطيفًا . . فهل لنا أن نذهب إليه ونشرب فنجان قهوة فى ضيافتك؟

فقلت له : إنه لشرف عظيم يا أفندم ، وإذا كنت لم أجرؤ على دعوتك إليه قبل الآن ؛ فلأنى كنت أنتظر أن تأتى الإشارة الأولى من جلالتك . . .

فقال : هيا بنا !

وبعد ربع ساعة كنا فى منزلى . . .

وكانت ابنتى تلعب فى بهو الدار فحاولت أن تهرب إلى حجرة أخرى ، فناداها وسألها : هل تعلمت الكلام الآن؟ !

ثم استوقفت نظره فى وسط «الصالون» الكبير مائدة سوداء موشاة برسوم جميلة من خيوط النحاس ، فسألنى من أين اشتريتها ، فقلت من مزاد عام ، فقال إنه يجمع هذا الطراز من الموائد ، لأنها من عهد جده الخديو إسماعيل ، وأنه يسره جدا أن يضم هذه المائدة إلى مجموعته !

فقلت له ما يقوله أى واحد لو كان محلى . . .

ثم رأيته يقلب زهرية من «البلور» الأحمر من صنع مصنع «جاليه» الشهير بفرنسا . . . وكان بهى الدين بركات «باشا» قد أهداها إلىّ بمناسبة زواجى . . .

وهنا كذلك قال فاروق إنه يجمع كل ما يجده من صنع «جاليه» لشغفه به !

* * *

ومن ذلك اليوم اعتاد فاروق التردد علىّ فى بيتى ، وكان يقول لى أحيانًا عند حضوره

إنه يشعر بجوع شديد، فيتعشى على مائدتى . . أو يتجه إلى «الفريجدير» رأسًا، وينتقى ما يطيب له من الطعام الذى يجده فيها، ويحمله إلى حجرة الأكل ويشرع فى التهامه غير منتظر مدّ المائدة! . . . ولكنه كان فى أغلب الأوقات يؤثر العشاء فى مكان عام «فرارًا من الحيطان الأربعة»، فنخرج إلى المكان الذى يقع عليه اختياره فى تلك الساعة!

وبلغ من إعجابه بنظام بيتنا المتواضع أنه كثيرًا ما كان يقول لأصدقائه إذا دعاهم إلى العشاء خارج القصر: «سنلتقى فى بيت كريم ثابت، ومن هناك نذهب جميعًا إلى مكان العشاء» . . .

* * *

وفى نحو الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر أحد الأيام، خاطبنى بالتليفون فى أمر ما، ثم سألنى وماذا تعمل الآن؟ . . فقلت له: إننا فى انتظار بعض الضيوف من رجال السلك السياسى وقريناتهم للغداء، فسألنى عن أسمائهم فذكرتها له، فقال: «وهل عندك كرسى زيادة؟» فقلت: «تشرف يا أفندم»، فقال: «إذن لا تقل شيئًا حتى أحضر»!

وأخذ الضيوف يفدون تباعًا، فشعرت بحرج شديد، فمن جهة كنت لا أستطيع أن أجهر بأن الملك سيشرفنا بحضوره، ومن جهة أخرى كنت لا أعلم متى سيحضر، فكيف أفسر لهم التأخير فى الجلوس إلى المائدة . . . إلى أن يعرفوا التفسير الحقيقى!

ولم يقتصر حرجى على ذلك، بل كان علىّ أن أشترك مع زوجتى فى الترحيب بضيوفنا، وأن أتردد فى الوقت نفسه على حجرة الأكل لأعيد ترتيب أماكن الجلوس على أساس أن الملك هو الذى سيرأس المائدة طبعًا!

وبذلنا جهدًا كبيرًا فى مدّ الحديث مع الضيوف . . . وطلبنا لهم دورًا ثانيًا من «الأبيرتيف» . . . وكان قلبى يخفق كلما سمعت صوت «المصعد» مقتربا من الطابق الذى نقطن به، فأظن أن الملك فى طريقه إلينا . . . ثم يخيب ظنى بعد لحظة!

وأخيرًا . . . وفى الساعة الثانية وخمس دقائق، دق جرس الباب دقًا متواصلاً، وكانت هذه عادة فاروق فى دق جرس الباب، فأسرعت إلى استقباله . . .

وكان قدوم الملك مفاجأة كبيرة للضيوف أنستهم كل تأخير . . . وكأنما أراد هو أن يخفف من مسئوليتى فقال لهم: لقد فاجأت صديقى كريمًا من برهة وجيزة بأننى قادم للغداء معه، فإذا كنتم قد تأخرتم عن موعد غدائكم، فأرجو أن تعذروه . . .

ثم ترأس المائدة وأدار دفة الحديث طول مدة تناول الطعام . . .

وبعد الغداء انتقلنا إلى «الصالون» حيث شربنا القهوة . . .

وأدرك فاروق أن المدعوين ـ وهم من السلك السياسى ـ لن ينصرفوا إلا بعد انصرافه ، فنهض بعد قليل ، وصافحهم جميعًا ، ودخل حجرتى ، ليمكنهم من الانصراف !

* * *

وكان الملك إذا زارنى فى بيتى بإشعار سابق ، استقبلته وأنا مرتد ملابسى طبعًا ، أما لما كان يزورنى فجأة وعلى حين غفلة ، فكنت أستقبله بالبيجامة و «الروب دى شامبر» . . . وأعتذر له على ظهورى أمامه بهذه الصورة ، مبديًا استعدادى لارتداء ملابسى على الفور ، فيأبى علىّ ذلك ، وإنما كان إذا لاحظ علىّ أننى كنت نائمًا ، طلب إلىّ أن أغسل وجهى «لكى يضمن أننى أفقت . . . وأننى سأفهم كلامه» ، كما كان يقول !

ولم يكن خوفى من البرد أمرا مجهولا منه ، فإذا كان الوقت شتاء ترك من معه فى بهو الدار ، وجلس معى فى حجرتى الخاصة . . . وقد يستلقى على سريرى طول مدة زيارته لى ، بينما أكون أنا جالسًا على المقعد المقابل له . . . تماما كما يتصرف صديقان لا كلفة بينهما !

وتوثقت العلاقة بيننا لدرجة أنه هبط علىّ بعد ظهر أحد الأيام ليمكث معى «نصف ساعة» ، كما قال عند قدومه ، وكنا مدعوين فى ذلك اليوم إلى حفلة ساهرة ، فكان مضطرًا للعودة إلى قصر القبة ليرتدى «السموكنج» ، ولكن حديثنا تشعب فطالت جلستنا أكثر مما كان متوقعًا لها ، فلما نظر إلى ساعته بعد ذلك قال لى : «أظن أننا سنذهب إلى سهرتنا من هنا» . . . واتصل تليفونيا بالشمشرجى «النوبتجى» فى قصر القبة وأمره بأن يضع «السموكنج» وجميع لوازمه فى حقيبة ويأتى بها إلى منزلى على عجل !

وفى جانب من حجرتى الخاصة ، وقف فاروق يغيّر ملابسه ويرتدى «السموكنج» بمساعدة أمينه الخاص ، بينما وقفت أنا فى جانب آخر من الحجرة أتأهب كذلك للسهرة التى كنا مدعوين إليها . . .

ونسى «الشمشرجى» أن يجلب معه «لبيسة» . . . وكان عندى «لبيسة» من العاج يعلو قبضتها فيل صغير ، فأعجب بها فاروق وقال إنه سيأخذها ! . . . وفى اليوم التالى أرسل

إلىّ «لبيسة» من عنده مصنوعة من العاج أيضًا ، ولكنها كانت قديمة وفيها كسر صغير ! . . .

* * *

وفى ذات يوم فاجأنى فاروق بزيارته فى موعد الغذاء وجلس على مقعد كبير فى بهو الدار ، ريثما ينتهون من إعداد المائدة . . .

وكانت ابنتى «ليلى» فى حجرتها فى تلك الساعة تستعد للعودة إلى مدرستها . . . وكانت فى الخامسة من عمرها يومئذ . . . وكان عليها لكى تصل إلى باب البيت أن تجتاز بهوه ، فلما علمت أن الملك جالس هناك ، استحت أن تظهر أمامه بملابسها المدرسية ، وأصرت على التزام حجرتها إلى أن يدخل حجرة الأكل . . .

ولما عادت إلى المدرسة متأخرة ، سألتها معلمتها عن سبب تأخيرها فأجابتها فى بساطة قائلة : لأن الملك كان عندنا !

ولم تقل المعلمة شيئًا ، ولكن التلميذات ضحكن ، فلما رجعت إلى البيت قصت علىّ ما دار بينها وبين المعلمة ، ثم سألتنى : ولكن لماذا ضحكت زميلاتى لما قلت للمعلمة إن الملك كان عندنا ؟ !

فقلت لها : ضحكن لأنهن ظنن أنك «تفشرين» عليهن !

والواقع أن التلميذات الصغيرات زميلات ليلى كن معذورات . . . فإن كثيرين من الكبار شكوا فى صحة الرواية لما قيل لهم فى البداية إن الملك يزورنى فى بيتى ويأكل على مائدتى . . . ولما استوثقوا من صحتها ، ازدادت علاقتى به أهمية فى نظرهم !

- ٦ -

لم يدخلنى فاروق الجناح الخاص به فى القصر إلا بعد حادث «القصاصين»، أى فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٣ . . . فإنه على إثر عودته إلى القاهرة من «القصاصين» اضطر إلى ملازمة الفراش فترة أخرى من الزمان لعدم إبلاله بعد مما ألم به.

ففى مساء يوم العودة، اتصلوا بى من قصر عابدين ودعونى إلى الذهاب إليه، وما كدت أبلغه حتى صعدوا بى إلى الطابق العلوى وأدخلونى الجناح الخاص بالملك، وبعد دقيقتين كنت واقفا أمام سريره . . .

وسألته عن حالته؛ فأجابنى بأن السفر أتعبه تعبًا شديدًا، ولكن الاستقبال الحماسى الذى أعده له الشعب خفف كثيرًا من آلامه وجدد آماله فى الحياة . . .

وكنت قد رافقته فى انتقاله من «القصاصين» إلى قصر عابدين، فطلب منى أن أصف له الرحلة بإسهاب، فحدثته طويلاً عن مشاهداتى وملاحظاتى وما سمعت من تعليقات، وكان بادى الانشراح بالرغم من تألمه وعدم استطاعته التحرك فى سريره إلا بمشقة عظيمة.

ودخل علينا الشمشرجى «النوبتجى»، وقال إن «جلالة الملكة» (فريدة) تروم زيارته قبل أن تدخل مخدعها، فصرفنى بقوله: إن شاء الله أراك غدًا . . .

ومن ذلك اليوم، أصبحت مقابلتى له فى الجناح الخاص به فى قصر «عابدين»، أو فى سائر القصور الملكية أمرًا عاديا!

* * *

وعلى ذكر قصر عابدين أقول إنه إذا استثنيت قاعة العرش وقاعات الأكل والاستقبال، فإنى لم أجد فى سائر أرجاء القصر إلا فرشًا عاديا يختلف اختلافًا تامًا عن الصورة التى كانت له فى ذهنى . . .

وحتى فى قاعات الاستقبال لم أر لوحات فنية نفيسة أو تحفًا قديمة ثمينة كالتى رأيتها فى قصور أوروبا . . .

رأيت فى «عابدين» أبوابا مزخرفة بماء الذهب ، وثريات تبرق ، ومقاعد وثيرة تلمع ، ولكنى لم أعثر على تحفة واحدة ذات قيمة خاصة ، ولم أصادف صورة واحدة تدعو إلى التأمل فيها !

وما يقال عن قصر عابدين يقال عن قصر القبة كذلك ، فإنى لم أشاهد فى جميع قاعاته وحجره صورة واحدة أو تحفة واحدة أو قطعة واحدة من الأثاث يقف المرء أمامها مبهورا !

وقد تمت زيارتى الأولى لجميع القصور الملكية الرسمية والخاصة بصحبة فاروق نفسه ، فقد حرص على أن يكون هو «دليلى» عند زيارة كل قصر منها . . . وتعاقبت تلك الزيارات بعدما أدخلنى الجناح الخاص به فى قصر عابدين ، وكان قصر القبة أول قصر زرناه . . .

ثم سافرنا إلى الإسكندرية «بالديزل» الملكى ، فأجلسنى معه فى حجرته الخاصة ، بينما جلس سائر المرافقين له فى حجرة أخرى . . . ولم يكن «الديزل» الملكى الجديد قد استورد بعد .

وكانت حجرته تؤلف «صالونا» صغيرا يحتولى على منضدة مستطيلة وأربعة كراسى كبيرة (فوتيلات) وكرسيين صغيرين . . . وكانت المنضدة تفتح وتحول إلى مائدة عند الاقتضاء .

وكان فى آخر هذا «الصالون» سريران يعلوهما التاج الملكى ، أحدهما للملك والآخر للملكة ، وبينهما باب يؤدى إلى حمام وإلى دهليز يوصل إلى حجرة الحاشية .

وقد سافرت بهذا القطار مرارا بمعية الملك ، إما فى تنقلاته بين العاصمتين ، أو فى رحلاته وزياراته . . . ولما كنا نسافر به ليلاً ، كان فاروق يخلع ملابسه فى بعض الأحيان ويستلقى على سريره ثم يقول لى : «افعل مثلى وخذ غفوة» وفى كل مرة كان يسمح لى بالنوم على سرير الملكة ، وإذا تصادف وجود ضيف آخر أو ضيفين أمر بأن تفرش لهما «مرتبة» على الأرض . . . ولئلا يتبادر إلى ذهن أحد أنه أراد تمييزى كان يقول : أما كريم فينام على السرير بسبب حالته الصحية !

* * *

وعند وصول «الديزل الملكى» إلى الإسكندرية، استأنف سيره إلى محطة قصر المنتزه، وكانت سيارة الملك تنتظره على رصيف المحطة، فانطلق بها إلى داخل القصر . . .

ومررنا بأحد البناءين الكبيرين اللذين يقومان فى وسط حدائق «المنتزه» فقال لى : هذه هى السراى القديمة ونحن نسميها «السلاملك»، ولكننا سننزل فى السراى الجديدة التى نسميها «الحرملك». . .

وبعد ثوان وقفت بنا السيارة أمام «الحرملك» وهو القصر الذى بناه الملك فؤاد. . .

وفى السنوات العشر التى قضيتها بالقرب من فاروق، كان يقيم دائما فى «الحرملك». .

ولما اختلف مع زوجته فريدة، كانت هى وبناتهما يقمن فى «السلاملك»، وهو القصر الذى بناه الخديو عباس حلمى الثانى . . . ولما تم الطلاق بينهما، انتقلت الأميرات إلى «الحرملك»، وأقفل فاروق أبواب «السلاملك»!

وفى «الحرملك» شعرت بأننى فى قصر ملكى حقيقة، وهو شعور لم يخالجنى لما دخلت قصر القبة أول مرة. . . ولكن لما انتهيت من تسريح الطرف فى فخامة بنائه وجمال زخرفته ونقوشه لاحظت أنه ــ هنا أيضا ــ لا أثر للوحات أو تماثيل أو تحف نفيسة. . . بل هالنى منظر صورة كبيرة تزين أحد جدران قاعة من قاعات الاستقبال!

ولا أعتقد أن القارئ يستطيع أن يتصور ماذا كانت تلك الصورة مهما أوتى من قوة الخيال!

كانت صورة فوتوغرافية . . . نعم فوتوغرافية . . . مكبرة . . . تمثل الملك فؤاد وإلى يمينه الملك فكتور عمانوئيل الثالث جالسين فى المركبة الملكية التى أقلتهما من محطة القاهرة إلى قصر عابدين عند زيارة ملك إيطاليا الأسبق لمصر رسميا! . . .

تلك كانت الصورة الوحيدة التى رأيتها فى ثلاث قاعات للاستقبال!

وكأنما شاء الذى علقها فى ذلك المكان أن يزيد منظرها قبحا فاختار لها إطاراً مذهبًا خلا من كل شىء إلا من انعدام الذوق!

ولكن لما دخلت الشرفة الكبيرة المتصلة بالجناح الخاص بالملك، أنسانى المنظر الذى تطل عليه كل أثاث فى العالم . . . منظر تلك الحدائق الغناء وهى تعانق البحر عناقا اجتمع

فيه إبداع الطبيعة وبراعة الفنان . . . وطالما ذكرنى هذا المنظر، فى سحره وروعته، بأجمل ما يحيط بخليج نابولى من مناظر رائعة ذاع صيتها فى العالم أجمع .

* * *

واختار لى فاروق بنفسه الحجرة التى أنام فيها وهى حجرة كبيرة فى الجهة المقابلة للجناح الخاص به، ولها «صالون» متصل بها . . . وكانوا فيما بعد يخصصونها لى كلما أقمت فى «المنتزه» بدعوة من الملك، وكان أول ما راعاه فى اختيارها بعدها عن تيارات الهواء، لما كان يعرفه عن خوفى منها!

وبعدما استرحنا قليلاً أرسل يبلغنى أنه سيطوف بى أرجاء «الجنينة» . . .

وكانت السيارة كلما توغلت فى بقعة جميلة، أشرفت على بقعة أجمل منها فى تلك الحدائق الشاسعة المترامية الأطراف . . . وكل بقعة فيها فتنة للأنظار!

وفى أثناء جولتنا كان فاروق يقول لى: أترى هذه البحيرة الصغيرة؟ . . . هنا تعلمت السباحة، وهنا تعلمت التجديف . . . أترى هذه المراكب الصغيرة؟ . . . إنها المراكب التى كنت أتنزه بها مع شقيقاتى والآن تستعملها بناتى . . . أترى هذا الملعب؟ . . . هنا كنت ألعب التنس لأحافظ على الوزن الذى قرره والدى لجسمى . . .

ولما ارتقينا ربوة صغيرة، أشار إلى حجرة كبيرة قائمة فى وسطها وقال: أترى هذه الحجرة؟ . . . إنها الحجرة التى كنت أتلقى فيها دروسى فى فصل الصيف! . . . وقد بنيت كلها من الزجاج ماعدا سقفها . . .

وزرنا «الكابينة» التى كان يتخلف عليها عند نزوله إلى البحر للاستحمام . . . وكان هناك على شاطئ «المنتزه» عدة «كابينات» . . . ولكن فاروق كان لا يتردد إلا على «الكابينة» الأولى بالذات، ولعله كان يؤثرها على غيرها للصخور التى تكثر فى ذلك المكان وتحجبه عن الأنظار!

وفى السنوات التى استحكم فيها الخلاف بين فاروق وفريدة، كانت الملكة تختار لنزولها إلى البحر وقتا يختلف اختلافًا تاما عن وقت استحمام الملك . . . وتذهب إلى «كابينة» تبعد مسافة كبيرة عن «كابينته» ولا يتيسر للجالس فى إحداهما أن «يكتشف» الجالسين فى «الكابينة» الثانية .

* * *

ولم نزر يومئذ قصر رأس التين لأن الملك وضعه فى أثناء الحرب تحت تصرف السلطات العسكرية البريطانية لتجعل منه مستشفى للجرحى . . .

وإنما زرناه لما استردته إدارة هندسة القصور الملكية وشرعت فى ترميمه وإصلاحه . . .

وكانت آثار شظايا القنابل التى ألقتها الطائرات الإيطالية والألمانية لاتزال باقية على جدرانه المطلة على البحر . . .

وكان زجاج كثير من نوافذه لا يزال محطمًا . . .

وقد تهدمت جدران بعض حجره ، وتصدعت جدران أخرى . . .

وانتهز الملك تلك الفرصة ، فأعاد إصلاح القصر كله ، ولاسيما المبنى القديم الذى بناه جده الأكبر محمد على ، وهو المبنى الذى تعلوه تلك القبة الكبيرة التى تُرى من البحر . . .

وتعلو القبة قاعة فسيحة ، كانت فى عهد محمد على قاعة الاستقبال الكبرى ، ثم سميت فى عهد أحفاده بقاعة العرش ، ولها شرفة واسعة تشرف على الجانب الأكبر من ميناء الإسكندرية . . .

وكان فاروق يراقب بنفسه سير العمل فى ترميم القصر ، ولذلك كان يتردد عليه من وقت إلى آخر ، وكنت أصحبه فى كل زيارة ، فيذرع القصر ذهابا وإيابا وبجانبه المهندس المختص يدوّن فى دفتر صغير ما يعن له من ملاحظات وطلبات .

واغتنم فاروق فرصة إصلاح القصر وترميمه فأولى الجناح الخاص به عناية خاصة ، فأعاد تأثيث حجراته تأثيثًا فاخراً ، إذا قوبل بأثاث حجراته فى سائر القصور ، وأنشأ لنفسه حماما لا مثيل له فى قصر عابدين أو فى قصر القبة .

ولما انتهت أعمال الإصلاح والترميم فى قصر رأس التين ، أراد أن يطلع الحكام على بعض مظاهرها ، فلما انتقل إلى الإسكندرية رسميا فى صيف سنة ١٩٥٠ ، دعا هيئة الوزارة إلى مأدبة أقيمت فى قاعة الأكل الكبرى ، وكانت الوزارة الوفدية برئاسة النحاس هى المتربعة يومئذ فى دست الأحكام . . .

وكانت تلك المأدبة آخر مأدبة رسمية شاهدتها تلك القاعة فى عهد الملكية !

* * *

ويتصل المبنى القديم لقصر رأس التين بمبنى جديد يكاد يكون قصراً قائمًا بذاته ، ويرجع تاريخ بنائه إلى عهد الملك فؤاد . . .

ولاحظت بعد زيارات متعددة لهذا القصر أن فاروق لم يدخل هذا المبنى الجديد قط ، ولم يحدثنى عنه قط !

ولاحظت من جهة أخرى ، أننى لم أر نوافذ المبنى الجديد مفتوحة قط !

وبينما كنا نتنقل يوما فى بعض جوانب القصر ، سألت فاروق عن المبنى الذى حيرنى منظره ، فقال لى : إن «المرحوم» هو الذى بنى هذا الجزء . . . ولو تعلم لماذا بناه؟ . . .

وسكت لحظة ثم قال : بناه لسكنى أولاده عندما يكبرون! ويتزوجون! وخصص لكل واحد منا جناحًا خاصًا به ، وذلك لكى نكون دائما قريبين منه . . . وكان له برنامج كبير فى هذا الموضوع! . . .

وتابعنا سيرنا . . . فقلت فى نفسى : أين أنت الآن يا فؤاد لترى الأم فى أمريكا . . وبنتًا فى الشرق . . . وأخرى فى الغرب!

ـ ٧ ـ

وبعد القصور الرسمية جاء دور القصور الخصوصية أو «البيوت» الخصوصية، كما كان فاروق يسميها . . .

وكان قصر «الطاهرة» أولاً . . .

وكنت أظن أن هذا القصر سمى «الطاهرة» نسبة إلى محمد طاهر «باشا» ابن عمة فاروق، باعتبار أنه هو الذى بناه لسكناه قبل أن يشتريه فاروق منه . . .

غير أن فاروق قال لى إنه سمى «الطاهرة» نسبة إلى شاعرة إيرانية قديمة . . . كان اسمها «الطاهرة»!!

ولم أكتشف قط ما هى العلاقة بين هذا القصر . . . وتلك الشاعرة الإيرانية . . . حتى يطلق اسمها عليه! . . .

وكان فاروق يضع على منضدة قريبة من الباب الداخلى للقصر كتيبًا بالإفرنجية عن الشاعرة «الطاهرة» ليقرأه من يرغب فى معرفة سيرتها . . .

وفى كل مرة أردت أن أتصفح الكتيب كنت أؤجل ذلك إلى فرصة أخرى، فكانت النتيجة أننى لم أقرأه أبدًا! . . .

وأظن أنه حتى لو قرأته لما اكتشفت لماذا سمى القصر باسم الشاعرة الإيرانية!

* * *

وليس «الطاهرة» قصرا بالمعنى الصحيح، بل هو «فيلا» كبيرة أو دار كبيرة . . .

ولكنه من أجمل الدور التى رأيتها هندسة وبناء وتقسيمًا . . .

وهى تتألف من طابقين: الطابق العلوى لحجر النوم وحماماتها، وكلها حمامات

بديعة ومنها حمام شرقى لم أر مثله فى دار أخرى فى مصر، وقد فرش فاروق حجر هذا الطابق فرشًا فاخرا .

وخصص الطابق الأول أو الأرضى لقاعات الاستقبال، ومنها قاعة شرقية سقفها وجدرانها آية فى جمال الزخرف والنقش، وقد جمع فاروق فى تلك القاعات طائفة من تحفه الخاصة، ومنها أشياء جميلة، وتستحق العرض فعلا، ولكنه لم يجد عند تأثيث الدار أنه إلى جانب تلك الأشياء الجميلة لا يجوز عرض أشياء مبتذلة فى متناول كل إنسان أن يشتريها من المحال التجارية الكبيرة فى القاهرة!

ففى خزانة واحدة رأيت مثلا أكوابًا من أكواب نابليون الأولى وعليها شعاره والحرف الأول من اسمه، وفى الخزانة نفسها رأيت صحائف من الزجاج الموشى بالفضة كانت فى ذلك الحين تباع فى غير متجر واحد من متاجر القاهرة!!

وحول فاروق جزءًا من «بدروم» الدار إلى متحف صغير جمع فيه بعض مخلفات جده الأكبر محمد على، ومنها الكرسى الذى يقال إنه كان كرسى العرش فى أيامه، والبلياردو الجميل الذى أهداه إليه الملك لويس فيليب ملك فرنسا، وكان محفوظا فى قصر شبرا فى حالة رثة فاستولى عليه وأصلحه، ثم نقله إلى «القاهرة» مع مخلفات أخرى من عهده . . .

* * *

وكان فاروق لا يقيم فى «الطاهرة» إلا لما كان يجىء فى خلال الصيف إلى القاهرة من الإسكندرية ليوم أو يومين، فبدلاً من أن يكلف رجاله مئونة فتح أبواب قصر القبة كان ينزل فى «الطاهرة» وكان يخصص لى دائمًا أقرب الحجر إلى الجناح الخاص به، وكان يتبع حجرتى ذلك الحمام الشرقى البديع الذى أشرت إليه فى فقرة سابقة .

* * *

وكان للمسيو «جاتينيو» صاحب المتجر المعروف باسمه فى القاهرة «فيلا» على مقربة من «الطاهرة» يفصل بينهما شارع . . . فابتاعها منه فاروق وألحقها بـ «الطاهرة» ليجعل منها دار ضيافة صغيرة، وضم الشارع إلى حديقة قصره بعدما نزل للحكومة عن جزء من الحديقة لتحوله إلى شارع بدلاً من الشارع الذى أخذه . . .

وفى تلك «الفيلا» التى اشتُريت من المسيو «جاتينيو» اعتاد فاروق أن يلتقى بصديقاته وخليلاته!

* * *

ودخلت «ركن فاروق» لأول مرة فى حفلة الشاى الخاصة التى أقامها فاروق للملك «زوغو» ملك ألبانيا السابق وزوجته الملكة جيرالدين . . .

وبعد انصرافهما طاف بى أرجاء الدار وكان قد انتهى من تأثيثها حديثًا . . .

وليس فى «ركن فاروق» سوى موقعه، فقد بنى على بقعة من أجمل البقع التى تطل على النيل بالقرب من «حلوان» فى مكان منتدى عام قديم كان اسمه «كازينو سان جوفانى» وكثيراً ما ترددت عليه وأنا ولد مع الذين كانوا يترددون عليه من أقرانى لنلهو فى حديقته المترامية الأطراف . . .

أما فيما عدا ذلك، فلم أشاهد فى «ركن فاروق» ما يستوقف النظر . . .

وكان فاروق شديد الإعجاب بمطبخ «ركن فاروق»، وهو يشغل معظم «البدروم»، كذلك كان شديد الاعتزاز بمطبخ «الطاهرة» وهو يشغل مساحة كبيرة أيضا، فحرص على أن أزور المطبخين بصحبته!!

وأذكر أنه لما انتهينا من زيارة مطبخ «ركن فاروق» سألنى عن رأيى فيه، فقلت له: «كل شىء عال وممتاز يا مولانا، وإنما كان ينقصه شىء واحد» . . . فقال مستغربًا: «وما هو؟» . . . فقلت: «الاستعمال!» . . .

والواقع أن رائحة مطابخ «ركن فاروق» وقصر «الطاهرة» كانت دائمًا رائحة مكان صاقع مهجور لا رائحة مكان مطروق يكثر فيه إشعال النار!

وفى إبان السنوات العشر التى قضيتها بالقرب من فاروق، لم توقد المطابخ فى «ركن فاروق» أو فى قصر «الطاهرة» أكثر من مرتين أو ثلاث مرات! . . .

* * *

ومن المعروف أن الخديو إسماعيل بنى لنفسه «استراحة» صغيرة فى سفح الهرم الأكبر . . .

وهناك أسطورة تقول إنه شيَّد تلك «الاستراحة» ليستقبل فيها الإمبراطورة «أوجينى» زوجة نابليون الثالث عند زيارتها للأهرام وأبى الهول . . .

وبليت «الاستراحة» على مر الأيام، وكان للإهمال نصيب كبير فى ذلك، فهدمها فاروق فى ليلة واحدة ليقيم مكانها «الاستراحة» الحالية، وقد بنيت على الطراز الفرعونى، فجاءت بهندستها ونظامها وزخرفتها وأثاثها تحفة فنية رائعة، أو «حلية حقيقية»، كما يقول الفرنسيون .

وقد عرفت هذه «الاستراحة» الجديدة لما كانت لاتزال رسما على الورق، ولما شرع فى بنائها كنت أصحب فاروق إليها كلما خطر له أن يعاين بنفسه مدى التقدم فى حركة البناء . . . ثم لما كان يتردد عليها ليتتبع سير العمل فى الرسوم والنقوش التى زينت بها جدرانها ، أو ليتحقق من أن الأثاث الجديد الذى يصنع لها يجىء مطابقًا للمواصفات التى أقرها، وقد روعى أن يكون جميع ذلك فرعونى الطراز . . . فالبناء فرعونى، ورسوم الجدران ونقوشها فرعونية، والأثاث فرعونى، وكل حلية تحلى الأبوباب أو النوافذ أو المصابيح أو المناضد فرعونية الشكل والطراز!

ولم تعمل فى «الاستراحة» الجديدة سوى أيد مصرية، فلم تخرج للناس «استراحة»، بل أخرجت لهم معرضًا يدل دلالة واضحة على ما يستطيعه الفنان المصرى متى توافرت له أسباب العمل والنجاح!

ولما تم تأثيثها ووصلنا فى طوافنا إلى حجرة نومه، قال لى فاروق: لم أحتفظ من الأثاث القديم إلا بأثاث هذه الغرفة، وكان يؤلف حجرة نوم إسماعيل باشا!

وكان من عادة فاروق أن يشير إلى جده بقوله «إسماعيل باشا» لا «الخديو إسماعيل» . . .

وقد شاهدت هذه الاستراحة آخر مأدبة أدبها فاروق فى القاهرة قبل رحيله عن مصر . . . فقد أراد قبل أن ينتقل إلى الإسكندرية فى شهر مايو سنة ١٩٥٢، ليمضى فيها فصل الصيف مع عائلته ـ أراد أن تعرف زوجته الجديدة ناريمان «استراحة» الهرم، فأقام فيها وليمة عشاء دعا إليها بعض الأقارب والأصدقاء . . . وبعد يومين سافرا إلى الإسكندرية ومكثا فيها إلى أن قامت الثورة!

* * *

وفى ذات يوم نشر فاروق أمامى خريطة كبيرة للصحراء الغربية ، وأشار إلى ربوة تشرف على البحر الأبيض المتوسط بالقرب من مرسى مطروح وقال لى : هذه ربوة لاحظت جمال موقعها الطبيعى وأنا أحلق مرة بالطائرة فوق الصحراء الغربية . . . وقد قررت أن أبنى عليها «استراحة» صغيرة لأستجم فيها من وقت إلى آخر!

وقال لى إن اسم ذلك المكان كان «رأس الكنائس»فغيّره وجعله« رأس الحكمة»!!

وقد علمت فيما بعد أن والده هو الذى اكتشف تلك البقعة . . . وأن القصة التى قصها علىّ عن تحليقه فوق الصحراء الغربية بالطائرة كانت من نسج الخيال!

وبعد مدة قصيرة قال لى : سنمضى إن شاء الله «شم النسيم» المقبل فى «رأس الحكمة» . . .

وقبل العيد بيوم ركبنا الديزل الملكى من محطة قصر القبة قبل الظهر فبلغنا محطة «رأس الحكمة» فى نحو الساعة الثامنة مساء . . . ومن المحطة أقلتنا السيارات إلى الاستراحة الملكية .

ولا ريب أن موقع هذه «الاستراحة» بديع ، ولكن البناء نفسه صغير ولا تتوافر فيه أسباب الراحة إلا للملك وحده . . . وقد خصصت له حجرة للنوم وحجرة أخرى ملحقة بها للجلوس وحمام وحجرة «للشمشرجى» القائم على خدمته . . . ولم يخصص للضيوف فى البناء عينه سوى حجرة واحدة متصلة بالقاعة الكبيرة الوحيدة التى فى الدار ، وكانت هذه القاعة تستعمل للجلوس وللأكل فى آن واحد . . .

ولم تكن الحجرة المخصصة للضيوف لتتسع لنوم أكثر من اثنين منهم أو ثلاثة ، فاضطر الآخرون وكان عددهم يزيد على عشرين أن يناموا إما فى مبنى كان مخصصا فى الأصل للخدم ، أو فى خيام نصبت لهم مؤقتا على مقربة من «الاستراحة» .

ونمت أول ليلة فى إحدى تلك الخيام . . . ويظهر أن الذين نصبوها لم يحكموا ربط أجزائها ببعض فاستيقظت فى الصباح وقد ملأ الرمل سريرى وجسمى وغطى حقيبتى ونفذ إلى ملابسى فقررت فى الليلة التالية أن أنام فى الحجرة المخصصة للضيوف فى داخل الاستراحة الملكية ، فلم أذق طعم النوم ساعة واحدة لوجود ثلاثة أشخاص آخرين معى ، فلما كان الصباح ، ادعيت أننى أشكو من احتقان فى الحلق واستأذنت من فاروق فى العودة لأعالج مرضى فأذن ، فأقلتنى إحدى السيارات الملكية إلى الإسكندرية

عن طريق «العلمين» ، ولم أبال بما كان بيننا وبين الثغر الإسكندرى من مسافة طويلة إذ كنت موقنا أننى سأجد فيها الراحة التى حرمت منها وأنا فى ضيافة الملك ! !

* * *

وفى الساعة العاشرة من مساء أحد الأيام ، وكنا جالسين فى حديقة قصر عابدين ، قال لى فاروق : إنك لم تعرف وادى «الرشراش» بعد . . .

فقلت : وادى «الرشراش» ؟ . . . هذه أول مرة أسمع فيها هذا الاسم ! . . .

فقال : سنذهب إليه الليلة ونعود غدا فى خلال النهار . . .

وقبيل منتصف الليل أجلسنى إلى جانبه فى سيارته وانطلق بها فى طريق حلوان . . . ثم فى طريق الصف . . . ثم فى طريق صحراوى غير معبد ، فظلت السيارة تعلو وتهبط طول المدة التى استغرقها اجتياز هذا الطريق وكان يمتد على مسافة طويلة . . .

وأخيرا دخلنا وادى «الرشراش» على ضوء القمر وحده ، واتجه فاروق بالسيارة إلى مبنى صغير قائم بذاته وأوقفها أمام بابه وهو يقول لى : هذه هى استراحة وادى «الرشراش» وسنمضى فيها ما بقى من ساعات الليل وفى الصباح تتفرج على المكان !

وكان بعض رجال حرسه يتبعوننا بسيارة أخرى ، فلما لحقوا بنا حياهم ودعاهم إلى التوجه إلى المبنى الخاص بهم . . .

وفى داخل «الاستراحة» الملكية ، ألفيت نفسى فى حجرة كبيرة واحدة ! . . فى أحد جوانبها سرير عريض ، وفى الجانب المقابل له مقعد يتحول عند الاقتضاء إلى سرير آخر . . . وفى وسطها مائدة صغيرة حولها أربعة كراسى . . . وفى آخرها من الجهة المقابلة للسريرين باب يؤدى إلى مكان للاغتسال وقضاء الحاجة ، أى أن هذا المكان لم يكن بعيدا عن الحجرة أو منعزلاً عنها ، بل كان بمثابة جزء مكمل لها وملحق بها . . . وسيدرك القارئ بعد لحظة سر تنويهى بهذا التفصيل ! . . .

وحدثنى فاروق ، وهو ينزع سترته وحذاءه ويستلقى على سريره ، عن وادى «الرشراش» فقال إنه مكان لصيد «التيتل» ، وأن المرحوم الأمير كمال الدين حسين ـ نجل السلطان حسين عمه ، وكان مولعًا بالصيد ـ هو الذى اقتناه وبنى فيه هذه «الاستراحة» الصغيرة . . . فلما توفى اشتراه بمبانيه وضمه إلى أملاكه الخاصة !

وما هي إلا لحظات حتى كان فاروق غارقًا في نومه . . . وفي تشخيره كعادته . . . وهنا تكرر ما حدث لي في «أنشاص» فلم يغمض لي جفن!

ولما طلع النهار شعرت بحاجة إلى دخول ذلك المكان الصغير . . . الملحق بالحجرة!

ولكنني ترددت . . .

ترددت لأنني لاحظت لما ذهبت إليه قبل النوم أن جميع أجهزته تحدث عند استعمالها جلجلة قوية من المحقق أن توقظ الملك إن تجددت!

غير أن شعوري بحاجتي الماسة إلى ولوجه زاد . . . فازدادت حيرتي . . . وجلست في وسط سريري أفكر فيما أعمل وكيف أعالج موقفي! . . .

ولما لم أعد قادراً على ضبط نفسي نهضت واجتزت الحجرة على أطراف قدميّ . . . ولكن لم تمض دقائق حتى حدث ما توقعت حدوثه بسبب عدم استعمال أجهزة المكان من زمان طويل . . . وأيقظ الصوت فاروق فقال لي: هل كانت هذه «الدوشة» كلها ضرورية؟!

فقلت له: إني آسف جدا يا أفندم . . . ولكن إذا أردت جلالتك أن تنعم بالنوم في المستقبل وجب تغيير هذا الحمام فوراً!

ثم رويت له ما عانيته قبل أن أقدم على ما أقدمت عليه، فأغرق في الضحك، وكان فيما بعد إذا اغتاظ مني لأمر ما «هددني» بزيارة أخرى لوادي «الرشراش»!!

وبعد إفطار سريع خرجنا لمشاهدة الوادي في وضح النهار . . .

لا شيء يستحق الفرجة!

واد أجدب . . . يطل عليه جبل متوسط الارتفاع . . . و «عين» يجري ماؤها شحيحا في جدول صغير كأنه «قناية» في حديقة عادية . .

وقليل من الزرع حول «العين» . . . ثم عشب في كل مكان!

هذا هو وادي «الرشراش»!

وطفنا بسائر المباني . . لا شيء أيضًا!

هذا مبنى صغير للخدم . . . وعلى مقربة منه مبنى آخر للحرس . . . فمبنى ثالث للمطبخ والمخزن و «للدينامو» الذى يضىء المكان كله بالكهرباء .

وفى نحو الساعة العاشرة قبل الظهر ، ركبنا السيارة عائدين إلى القاهرة . . .

وفى طريق عودتنا إليها قال فاروق إنه يروم زيارة جزيرة «فيشر» المشهورة بما فيها من حدائق كبيرة «للمانجو» . . .

وتركنا السيارة على الشاطئ واستأجرنا زورقًا شراعيًا صغيرًا أقلنا إلى الجزيرة ، فقضينا أكثر من ساعة فى زيارتها ، ثم عدنا إلى حيث كانت السيارة فى انتظارنا .

وبلغنا القاهرة بعد موعد الغداء وقد بلغ منى التعب أشده . . .

— ٨ —

ودعاني فاروق يومًا إلى مشاهدة مباراة عسكرية في الرماية في صحراء مصر الجديدة. . .

وفي خلال المباراة التفت إليّ وسألني مداعبًا: وأنت أين بندقيتك؟!

فأخرجت قلمي من جيبي وقلت مشيراً إليه: هذا هو بندقيتي!

فضحك وعاد إلى تتبع سير المباراة. . .

ولما رجعنا إلى القصر قال لي: أحقيقي أنك لا تعرف «تضرب نار»؟

فقلت: لم ألمس مسدسًا في حياتي!

فقال: والبندقية؟

فقلت: ولا البندقية!

فقال: دي حاجة غريبة صحيح!

فقلت: وبهذه المناسبة أود أن تعرف جلالتك الحقيقة كلها. . . إني لا أمارس أي ضرب من ضروب الرياضة! . . . حتى قيادة السيارات أجهلها!

فقال: والرقص؟

فقلت: إذا كانت السيدة التي أراقصها كريمة قالت عن طريقتي في الرقص إنها بداية لا بأس بها!

فقال: وهل تعرف «تلعب ورق»؟

فقلت: أبدًا! . . . لم ألعب حتى الآن، ولا أعتقد أنني سألعب في المستقبل!

فقال مستمراً فى مداعبته : إذن ماذا تعرف؟

فقلت «بالنغمة» نفسها : قليلاً من الكتابة! . . .

فقال ضاحكًا : وهذا أيضًا أمر مشكوك فيه!

وظننت أن حكاية «ضرب النار» انتهت بانتهاء هذا الحوار . . .

ولكن بعد أيام قلائل قال لى فاروق : ستجىء معى غداً إلى «دهشور» . . . فقد وعدت بأن أفتتح موسم صيد البط .

فقلت : لقد أخبرت جلالتك أننى لم أطلق بندقية فى حياتى!

فقال : : إن ذلك لا يمنع أن تجىء معى . . .

وفى الساعة الرابعة من صباح الغد، استصحبنى معه إلى «دهشور» وأنا أظن أنه سيضع بين يدىّ بندقية ويطلب منى أن أتمرن على إطلاقها! . . . فإذا هو يأمر لى بكرسى وإذا «مهمتى» تقتصر على تجاذب أطراف الحديث معه فى فترات «وقف النار» !

والخلاصة أنه أصبح لا ينقضى يوم بدون أن نلتقى فيه . . . ولو كان خارجا للصيد !

. . . .

تلك كانت بداية علاقتى بفاروق . . .

البــاب الأول

- يوم مع فاروق
- ملبســــــه
- مأكلــــــه
- شرابه وتدخينه

يــوم مع فــاروق

كان فاروق لا يستطيع النوم مبكرا إلا إذا كان جسمه متعبًا تعبًا شديدًا، أو كان قد انقضى عليه بضعة أيام لم ينم فى أثنائها نومًا كافيًا. . . أما فى أغلب الأحيان فكان لا ينام مادام الليل ليلا، وإن لزم القصر وآوى إلى فراشه والتمس النوم!

وفى هذا ما يفسر جانبا من شغفه بالسهر الطويل، فقد كان النوم لا يطاوعه إلا فى ظلمة الإصباح أو عند انبثاق الفجر، ولم يكن ضوء النهار ليقلقه إذا ذاق طعم النوم، وإن نام فى العراء. . .

وقد علمت أن هذه الظاهرة بدأت تتجلى فيه منذ كان طالبًا فى إنجلترا، ومما قصه علىّ رائده فى هذا الصدد أنه كان يأمر بإطفاء الأنوار كل ليلة فى ساعة معينة ليجبر فاروق على النوم، وكان يظن أنه نجح فى ذلك إلى أن اتضح له بعد حين أنه كان مخطئًا فى ظنه. . . ففى ذات ليلة لمح نورًا منبعثًا من حجرة فاروق فأدهشه الأمر، ولاسيما أن جميع أنوار القصر كانت مطفأة، وفى الغد دخل الحجرة متقصيًا سر ذلك النور، فعثر على «بطارية» اشتراها فاروق خفية وكان يضىء بها حجرته سرا ـ بعد اطمئنانه إلى نوم رائده ـ ويظل ساهرًا إلى أن يدركه النعاس فى الهزيع الأخير من الليل!

وبعد عودته إلى مصر، تفاقمت تلك الحالة تدريجيا، وغدا لا يقدر على النوم إلا إذا صفت النجوم ولاحت طلائع الفجر!

ولذلك كان إذا قضى السهرة خارج القصر، تعمد إطالة السهر بكل وسيلة لكى يضمن النوم عند عودته إلى القصر. . . وإذا عاد إليه قبل أن يغشاه النعاس خاطب أحد أصدقائه، أو إحدى صديقاته بالتليفون فى جميع الموضوعات التى تخطر له فى تلك الساعة ولا غرض له من الحديث سوى مقاومة أرقه، ولا يلقى سماعة التليفون من يده إلا إذا أحس أن جو النوم قد خيم على حجرته!

أما إذا كان ممضيًا السهرة فى القصر ـ أو «فى البيت» كما كان يقول لأخصائه ـ فكان يتسلى بالقراءة والاستماع إلى الراديو ومخاطبة بعض أصدقائه وصديقاته بالتليفون . . .

وكان أحيانًا يتسلى بلعب الورق مع بعض خدمه . . .

ولا يأوى إلى فراشه إلا إذا شعر بالتعب ، وأيقن أنه أتعب جميع القائمين على خدمته !

* * *

ولم يكن من الطبيعى بعد ذلك أن يستيقظ فى الصباح أو قبل الظهر إلا إذا كان مرتبطًا بموعد لاحتفال أو لاستقبال أو لسفر ، فيوقظه «الشمشرجى النوبتجى» قبل الموعد بساعة على الأقل . . .

أما فى سائر الأيام فكان يستيقظ عادة بين الظهر والساعة الثانية بعد الظهر ، وكان عند خدمه تعليمات صريحة منه ألا يقطعوا عليه نومه ويوقظوه إلا لأمر خطير !

وفى بعض الأحيان كان نومه يمتد إلى الساعة الثالثة بعد الظهر !

ولكن فى أحيان أخرى كان يستيقظ الساعة الحادية عشرة أو الساعة العاشرة أو الساعة التاسعة إذا كان قلقًا لأمر من الأمور ، هائج الأعصاب . . .

وبذلك لم يكن له موعد ثابت يستيقظ فيه ، بل كان على القائمين على خدمته الخصوصية أن يكونوا مستعدين لمواجهته فى كل وقت . . .

وفى بعض الليالى كان أرقه يستمر حتى الصباح ، فإذا فقد الأمل بالنوم غادر فراشه وشرع فى إصدار أوامره من الساعة السابعة صباحا ليعلم الجميع أنه غير نائم ! !

* * *

وكان يقوم على خدمته الخصوصية ثلاثة «شمشرجية» وكانوا يسمونهم «الأمناء الخصوصيين» كيلا يسموهم «شمشرجية» .

و «شمشرجى» كلمة تركية ، و «الشمشرجى» هو «اللبيس» ، أى الشخص الذى يعاون سيده على ارتداء ملابسه ، ويعنى بجميع شئونها ويكون مسئولاً عنها أمامه . . .

وكان أولئك «الشمشرجية» الثلاثة يتناوبون الخدمة كل أربع وعشرين ساعة ، وكانت خدمتهم تبدأ فى الساعة الثانية بعد الظهر أو قبيل ذلك .

وأشهرهم هو محمد حسن، وكان على جانب كبير من الذكاء واللباقة وسرعة الخاطر، والآخران هما عبد العزيز عثمان وخليل الكردى.

وكان عبد العزيز عثمان قوى الذاكرة كمحمد حسن ولكنه دونه ذكاء ولباقة ومقدرة فى الكتابة، ولم يكن يهتم بغير عمله، خلاف زميله.

أما خليل الكردى، وقد عرف فاروق منذ حداثته، فلم يكن يضارعهما فى فطنتهما وذكائهما أو فى مستوى تعليمهما، وكان إلى جانب ذلك كثير النسيان، وغير مطلع على مجريات الأمور، ومع ذلك كان محبوبا من الجميع لصفاء قلبه ولين معشره.

وفى أواخر عهد فاروق، ضُمّ إليهم «شمشرجى» رابع إذ أضيفت إلى عبد العزيز عثمان أعباء رئاسة خدم القصور الملكية بعد وفاة رئيسهم قاسم أفندى.

وكان لفاروق حلاقان، أحدهما مصرى واسمه حسنين الباشا، والآخر من أصل إيطالى ويدعى «بترو» وقد نشأ فى مصر ويتكلم العربية العامية بسهولة ـ وكان الاثنان يتناوبان العمل كل أربع وعشرين ساعة كذلك.

ولم يكن الحلاق «النوبتجى» ينصرف أو يغادر القصر بعد انتهائه من حلق ذقن فاروق، بل كان عليه أن يمكث فى القصر حتى مجىء زميله فى الغد لأن عمله لم يكن مقتصراً على الحلاقة وحدها، بل كان يجاوزها إلى مساعدة الشمشرجى «النوبتجى» فى مهامه ومؤازرته فى تنفيذ أوامر سيده...

إذن كان هناك دائما شخصان يتوليان ما كانوا يسمونه «الخدمة الخصوصية» فى لغة القصور الملكية، وهما الشمشرجى «النوبتجى» والحلاق «النوبتجى»...

وكانت حجرتهما فى كل قصر على مقربة من حجرة نوم الملك ومن سائر حجرات الجناح الخاص به ليسهل عليهما الاتصال به وتلبية ندائه، وفى تلك الحجرة ـ أو فى حجرة ملاصقة لها ـ كانا ينامان ليكونا رهن الإشارة فى كل وقت...

* * *

وفى إحدى جوانب حجرة الشمشرجى «النوبتجى» والحلاق «النوبتجى» كان مكتب صغير عليه تليفون متصل بخارج القصر اتصالاً مباشراً عن غير طريق «سنترال» القصر، وتليفون آخر يتصل بالخارج أو بمكاتب رجال القصر وموظفيه عن طريق «سنترال»

القـصـر، وتليـفـون ثالث مـتـصل ببـعض فـروع القـصـر ذات الصلة الدائمـة «بالخـدمـة الخصوصية» كالمطابخ وحجر السفرجية والحجاب وما إليها . .

وعلى المكتب نفسه إلى جانب ذلك : قلم حبر وأقلام سوداء وحمراء وزرقاء ، وشمع أحمر ، وظروف مختلفة المقاسات ، و «بلوك نوت» طبع التاج الملكى فى أعلى كل ورقة من أوراقه ، ومفكرة (أچندة) ، ومقص ، وآلة صغيرة لشبك الأوراق بعضها ببعض ، وختم مستدير نقش عليه بالعربية «المكتب الخاص لجلالة الملك» وإلى جانبها ترجمتها باللغة الفرنسية . . .

ذلك هو المكتب الذى كان يعرف بالمكتب الخاص لجلالة الملك !

أما الختم المستدير الذى أشرت إليه فكانوا يختمون به كل ظرف يصدر منه إلى كبار رجال القصر فى جميع أقسامه إشعارا لهم بأنه صادر من عند «جلالة الملك» أو بالحرى من «المكتب الخاص لجلالة الملك» ! . . .

وكان الذين يلمحون تلك الظروف على مكاتب كبار رجال الديوان الملكى ، أو ديوان كبير الأمناء ، أو ديوان كبير الياروان ، أو الخاصة الملكية ، يتساءلون كيف يتألف «المكتب الخاص لجلالة الملك» ؟ وممن يتألف ؟ وكان الذين لا يتساءلون عن ذلك يتوهمون أن السكرتير الخاص للملك هو الذى يشرف على هذا المكتب بمعاونة بعض مساعديه ، أو على الأقل أن الذين يعملون فيه هم «التشريفاتية» الذين يكونون «نوبتجية» فى القصر الذى يكون الملك موجوداً فيه . . .

ولكن من المحقق أنه لم يكن يدور فى خلد أحد ، من خير الواقفين على دخائل القصر ، أن الشمشرجى «النوبتجى» هو الذى يدير «المكتب الخاص لجلالة الملك» . . . وأن «المكتب الخاص لجلالة الملك» لا يتألف إلا من شخص واحد وهو الشمشرجى «النوبتجى» ! . . . وأن اليد التى كانت تستعمل ذلك الختم الكبير الذى نقش عليه «المكتب الخاص لجلالة الملك» ليست سوى يد الشمشرجى «النوبتجى» أو مساعده الحلاق «النوبتجى» ! !

* * *

وفى «المكتب الخاص لجلالة الملك» ، أى عند الشمشرجى «النوبتجى» والحلاق «النوبتجى» كانت تجتمع «البوستة» المرفوعة إلى الملك من الديوان الملكى وسائر دوائر القصر .

وهناك كذلك كانت تجتمع جميع الإشارات التليفونية التى يراد إبلاغ فحواها للملك ، إما على سبيل الإحاطة والعلم ، أو لتلقى «توجيهاته» فى صدد موضوعاتها . . .

وماذا كانت «البوستة» تعنى؟

ومن أين كانت تلك الإشارات التليفونية ترد؟

كانت «البوستة» تعنى جميع المذكرات والتقارير والأوراق المرفوعة إلى الملك من الديوان الملكى بما فيها المذكرات والتقارير والأوراق المعروضة عليه من الحكومة بواسطة ديوانه . . .

وكذلك جميع المذكرات والتقارير والأوراق المرفوعة إليه من ديوان كبير الأمناء، وديوان كبير الياوران، والخاصة الملكية . . .

فإن كل قسم من تلك الأقسام كان يضع أوراقه فى ظروف مطابقة لحجمها ويقفلها ويرسلها إلى دائرة «الأرشيف» (المحفوظات) حتى إذا أزفت الساعة الثانية بعد الظهر، وضعت كلها فى حقيبة كبيرة ـ أو فى حقيبتين إذا لم تسعها حقيبة واحدة ـ ثم أقفلت الحقيبة ووضع مفتاحها فى ظرف وختم الظرف بالشمع الأحمر وأرسلت الحقيبة مع الظرف المحتوى على مفتاحها إلى الملك فى الجناح الخاص به فى القصر الذى يكون مقيمًا به . . .

أما الإشارات التليفونية فكان أغلبها من ديوان كبير الأمناء أو من الديوان الملكى، وكانت إما لإحاطة الملك بأمور جدّت بعد إرسال «البوستة» إليه ، أو لعرض أمور طارئة وعاجلة ويراد استطلاع رأى الملك فيها وتلقى «توجيهاته» فى شأنها بسرعة . . .

وكان الشمشرجى «النوبتجى» هو الذى يتلقى تلك الإشارات التليفونية ويحفظها عن ظهر قلب ولا يدوّن على الدفتر الذى أمامه سوى رءوس الموضوعات، أما التفاصيل فكان يعتمد فيها على ذاكرته ، والواقع أن ذاكرة محمد حسن وعبد العزيز عثمان كانت تسجل بدقة تفاصيل عدة موضوعات فى وقت واحد ، ولا تغفل تفصيلا منها عند سردها للملك بعد ذلك . . . . أو «كرها» كما كان يقول!

وكانوا فى القصر يطلقون اسم «بُلُكْ مولانا»[1] على الجناح الخاص به ، فإذا أراد أحد

(١) «بلك»بضم الباء واللام وتسكين الكاف ويكتبها بعضهم «بلوك» .

رجاله أن يتصل بالشمشرجى «النوبتجى» تليفونيا، طلب من «سنترال» القصر أن يوصله «ببلك مولانا» فيرد عليه الشمشرجى «النوبتجى» ، أو الحلاق «النوبتجى» إذا كان الأول مشغولا مع الملك . . .

وأظن أن هذا الحديث عن الشمشرجية و «المكتب الخاص لجلالة الملك» كان ضروريًا لكى يستطيع القارئ أن يتتبع بسهولة ما سأرويه عما كان يحدث بعد استيقاظ فاروق من نومه . . .

* * *

كان يدق الجرس للشمشرجى «النوبتجى» فيسرع إليه بالصحف الصباحية والمجلات الصادرة فى اليوم نفسه، فيأخذها منه وهو يسأله: هل هناك إشارات تليفونية؟ فإذا أجاب بالإيجاب قال له «قول لما نشوف» . . . وقد يقول له «تفضل كر» إذا كان مزاجه رائقًا . . . أما إذا استيقظ فى حالة عصبية فيقول له «مستنى إيه علشان تتكلم!» . . .

وبعدما ينتهى الشمشرجى «النوبتجى» من عرض الإشارات التليفونية ويتلقى «التوجيهات السامية» يعود إلى «المكتب الخاص» ليبلغ هذه التوجيهات لمن يجب إبلاغهم إياها . . .

وإذا كانت «البوستة» لم تصل بعد، عكف فاروق على تصفح الجرائد والمجلات وهو مطمئن إلى أن «البوستة» ستحمل إليه نشرة بالأخبار والمقالات التى يعتقد المختصون فى الديوان الملكى أنها جديرة بأن يطلع عليها.

أما إذا كانت «البوستة» قد وصلت، بادر إلى الاطلاع عليها قبل أن يشغل نفسه بأى شىء آخر، فيفض بيده ختم الظرف المحتوى على المفتاح ويفتح به الحقيبة بنفسه، ثم يجلس على كرسى كبير فى حجرة نومه أو فى حجرة الشمشرجى «النوبتجى» ويتوفر على قراءة المذكرات والتقارير والأوراق المرفوعة إليه وبيده قلم كبير أحمر اللون، فإذا أراد أن يؤشر على ورقة بالموافقة، أجرى القلم عليها بعلامة «صح» كما يفعل المعلمون عندما يؤشرون تأشيرة «صح» على دفاتر تلاميذهم . . . وإذا أراد أن يؤشر بعدم الموافقة جعل العلامة بشكل حرف (×) الإفرنجى . . .

وكان يضيف أحيانًا إلى العلامة كلمتين أو ثلاثا كقوله «لماذا هذا؟» أو «نريد التفاصيل»، أو «يحول إلى فلان لرفعه إلينا» أو «على بركة الله» . . .

أما فيما يتعلق بالأوراق التى يريد أن يبدى بشأنها بعض الملاحظات أو التعليمات فكان

يترك للشمشرجى «النوبتجى» مهمة صياغتها وكتابتها على الورقة أو المذكرة المرفوعة إليه، كأن تلك الملاحظات أو التعليمات صادرة منه، وإن كانت بخط الشمشرجى «النوبتجى» وكان هذا يجتهد فى أن يستعمل ـ بقدر الإمكان ـ الألفاظ التى استعملها فاروق فيما طلب إليه كتابته!

وكان فاروق كلما فرغ من قراءة مذكرة أو ورقة وأبدى رأيه فيها ألقاها على السجادة راكمًا ورق كل قسم على حدة حتى إذا أتى عليها كلها قال للشمشرجى «النوبتجى» وهو يشير تباعًا إلى كل كومة منها: هذا يعاد إلى رئيس الديوان . . . وهذا إلى كبير الأمناء . . . وهذا إلى كبير الياوران . . . وهذا إلى فلان . . . وهذا إلى فلان . . . إلخ . . . فيجمع الشمشرجى كل مجموعة ويضعها فى ظرف ويكتب عليه اسم الموظف المرسلة إليه، ثم يختم الظرف بختم «المكتب الخاص لجلالة ا لملك» ويلقيه فى حقيبة «البوستة» . . . وكانت هذه الحقيبة تعاد بعد ذلك إلى دائرة «الأرشيف» بالقصر، فيتولى رجالها توزيع الظروف على مكاتب أصحابها .

أما الأوراق التى لم يكن هناك ما يقتضى إعادتها إلى المكاتب، فكانت تمزق أو تحرق، ومنها أقوال الصحف والمجلات المحلية، وكانت ترفع إليه يوميًا فى «البوستة» جريا على النظام الذى أنشئ فى عهد والده . . .

فقد كان الملك فؤال لا يحسن العربية كما هو معروف، ومن ثم لم يكن فى مقدوره أن يستوعب معانى كتابات الصحف العربية، فكانت الإدارة الأوروبية بالديوان الملكى تعد له كل يوم ترجمة فرنسية لأبرز أخبارها ومقالاتها . . .

بل إن جميع مشروعات القوانين وجداول أعمال مجلس الوزراء وقراراته وغير ذلك من الأوراق المهمة، كانت ترفع إليه مصحوبة بترجمتها الفرنسية . . .

أما فاروق، فكان فى غنى عن ذلك لأنه كان يقرأ العربية قراءة تمكنه من الإحاطة بما تتضمنه الأوراق الرسمية . . .

ولكنه فيما يتعلق بأقوال الصحف وأخبارها، كان يجب أن يرجع إلى ترجمتها بالفرنسية كيلا يفوته شىء من معانيها ومراميها، إذ كانت معرفته للغة العربية الفصحى متواضعة كما سنرى فى فصل آخر، ولذلك استمرت الإدارة الأوروبية بالديوان الملكى فى إعداد تلك الترجمة الفرنسية بعد ارتقائه العرش!

* * *

ومن الأوراق والتقارير التى كان فاروق يحتفظ بها باهتمام وعناية شديدين، كل ما كان متصلا بنشاط الشيوعية والشيوعيين فى مصر . . . وكان عنده فى الجناح الخاص به فى قصر القبة خزانة (دولاب) جمع فيها نماذج من جميع الجرائد والنشرات والمنشورات السرية التى أصدرها الشيوعيون فى مصر أو وزعوها فيها منذ بداية نشاطهم . . . وكذلك أهم التقارير والوثائق التى رفعت إليه فى هذا الصدد . . . وقال لى مرة وهو يطلعنى عليها: إذا أراد مؤرخ فى المستقبل أن يؤلف كتابًا عن نشأة الشيوعية فى مصر، وكيفية تطورها، ففى هذه الخزانة يجد المادة والمستندات والصور التى تكفيه! . . .

كذلك كان يحتفظ فى خزانة أخرى بالتقارير السرية التى كان بعضهم يرفعها إليه وخصوصا فى الشئون السياسية . . . أما لماذا كان يحتفظ بها، فأمر لم أفهمه قط!

* * *

ولننتقل الآن إلى ما كان فاروق يعمله بعد اطلاعه على «البوستة»، وفراغه منها . . .

كانت المقابلات الرسمية تبدأ الساعة الرابعة بعد الظهر فى الأيام التى كان يعينها لها، ولم تكن أيامًا ثابتة، بل كان يختارها تبعًا لمزاجه وحسب مقتضيات الظروف كلما اجتمع فى ديوان كبير الأمناء عدد من الطلبات التى يكون ــ أى فاروق ــ قد وافق عليها عند عرضها عليه . . .

فقد كان ديوان كبير الأمناء إذا تلقى من مصرى أو من أجنبى «التماسًا» للتشرف بالمقابلة الملكية، رفع إلى فاروق مذكرة بالالتماس مع الغرض من طلب المقابلة ــ وكان سفراء الدول ووزراؤها المفوضون لا يطالبون بذلك إلا إذا كان السفير أوالوزير المفوض يود تقديم زائر كبير له منزلة خاصة فى بلاده . . .

فإذا عادت المذكرة من عند الملك وعليها «تأشيرة» بالموافقة أضيف اسم صاحبها إلى كشف المقابلات «المعلقة» أو «المقبلة» . . . وإذا جاءت «التأشيرة» بالرفض، أغلقت المذكرة واعتذر كبير الأمناء أو الأمين الأول إلى صاحبها بما توفقه إليه لباقته!

ويظل كشف المقابلات «المعلقة» فى الانتظار إلى أن يحركه مزاج الملك، أو مقابلة لا سبيل إلى تأجيلها، فكان الشمشرجى «النوبتجى» يتصل تليفونيًا بكبير الأمناء أو الأمين الأول ويبلغه أن مولانا يأمر بتحديد مقابلات ليوم كذا أو ليوم كذا واليوم الذى يليه، وكان فاروق يذهب أحيانا إلى تعيين ثلاثة أيام متوالية للمقابلات، ثم «يضرب» عنها بعد ذلك أسبوعين أو ثلاثة أسابيع!!

ففى اليوم الذى كانت تجرى فيه مقابلات، كان فاروق يستحم بعد نظره «البوستة» مباشرة، وكان يحب الماء، فيمكث فى حوضه أطول مدة يسمح له بها وقته، وفى خلال ذلك ـ أى وهو فى الحمام ـ كان حلاقه يحلق له ذقنه، وكانت تلك هى عادته فى الحلاقة دائمًا . . . وكان يكره استعمال «الصابون» للحلاقة ويقول إن الماء الذى يبل وجهه فى أثناء الحمام يكفيه . . . فكان بعد دخوله الحوض بقليل يجلس فى وسطه وقد غمره ماؤه حتى صدره ويدعو إليه الحلاق فيجثو على ركبتيه أمام الحوض ويحلق له ذقنه وهو فى ذلك الوضع المتعب، حتى إذا انتهى من عمله كانت مكافأته فى كثير من الأحيان أن يطمس فاروق وجهه بالصابون والماء على سبيل المداعبة والعطف!

ولا يشرع فاروق فى ارتداء «الردنجوت» استعدادًا للمقابلات إلا قبل حلول موعد المقابلة الأول بدقائق معدودة لاعتماده على سرعته فى ارتداء ملابسه . . . غير أن هذا التسويف فى اللبس حتى اللحظات الأخيرة كان يؤخره أحيانا لسبب ليس فى الحسبان تأخيرًا يضايقه، ومع ذلك لم يقلع عن تلك العادة . . .

كان عليه مرة أن يقابل السفير البريطانى الساعة الرابعة، ومقابلات السفراء تتم بتدقيق عظيم؛ لأنهم يمثلون رؤساء دولهم، وكل تأخير فى استقبالهم قد يعد ماسًّا بكرامتهم، ففى تلك المرة تأخر فاروق فى التوجه إلى مكتبه لطارئ فجائى طرأ فى اللحظة الأخيرة ولم يحسب حسابه قبل أن يرتدى ملابسه، ولم يجد ما يعتذر به إلى السفير خيرًا من أن يقول له إن والدته كانت تكلمه بالتليفون من أمريكا!!

وكان السفير البريطانى يعلم ـ ولم يكن من الصعب عليه أن يعلم ـ أنه ليس هناك اتصالات بين فاروق وأمه، ولكنه تظاهر بالتصديق طبعًا!

بل انتهز الفرصة ليسأل فاروق عن صحة «جلالة الملكة الوالدة»! . .

ولم يكن للمقابلات موعد تنتهى فيه، وكانت تمتد أحيانًا إلى الساعة السابعة أو السابعة والنصف، ثم يعود إلى الجناح الخاص به، وبينما يكون متجهًا إلى حجرة نومه ليخلع «الردنجوت» يسأل الشمشرجى «النوبتجى» هل وصلت إليه «بوستة» جديدة أو هل تلقى إشارات تليفونية جديدة، فإذا أجاب بالإيجاب نظرها فورًا . . .

وإذا لم يكن الوقت قبل المقابلات قد اتسع له لنظر «البوستة» كلها إما لتأخره فى النوم أو لكثرة أوراقها أتم نظرها عندئذ . .

وقد يسأل القارئ: ومتى كان يفطر، أو يتغدى؟

وهنا سيكشف الرد عن ناحية أخرى من نواحي فوضى حياته الخاصة . . .

كان فاروق لا يفطر إلا نادراً ويكتفي بفنجان قهوة يشربه عند استيقاظه من النوم، وكان يذهب بنفسه أحيانًا إلى «ثلاجة» (فريجيدر) قريب من حجرته الخصوصية ويحتسى كوبًا من اللبن أو من عصير البرتقال أو يطلب من أحد خدمه أن يأتي إليه بكوب من العصير «الموجود» . . .

وإذا كان اليوم يوم مقابلات، فلا يتغدى لأن الاطلاع على «البوستة» لا يترك له متسعًا من الوقت لذلك . . . وفي النادر كان يتغدى قبل المقابلات ويؤجل «البوستة» إلى ما بعد انتهائه منها . . . فقد كان نظر «البوستة» هو الفرض الوحيد الذى يؤديه بلا تذمر ولا محاولة للتسويف ولم يكن يشعر أنه حر إلا بعد تخففه منه . . .

ولما لم تكن له قاعدة ثابتة للغداء في ذلك اليوم كان يتعين على الطهاة والسفرجية أن يكونوا مستعدين لكل احتمال من الساعة الثانية بعد الظهر حتى الليل!

وإذا كان معتزما الخروج من القصر بعد المقابلات؛ ففي الغالب كان لا يتغدى عند انتهائه منها، ويقتصر على تناول «تصبيرة» من عصير الفواكه، حتى إذا بلغ المكان الذى قرر أن يتعشى فيه جمع بين الغداء والعشاء في وجبة واحدة!

أما إذا كان جائعًا، وغير راغب في العشاء في جهة معينة، طلب «الغداء» وتكون الساعة قد قاربت الثامنة مساء! . . . وفي هذه الحالة لا يعود إلى الأكل في خارج القصر قبل الساعة الواحدة صباحًا أو قد يمكث طول السهرة بدون أكل «ليتعشى» عند أوبته إلى القصر!

هذا في أيام المقابلات . .

* * *

أما في الأيام التى لم يكن فيها مقابلات فكان إذا فرغ من قراءة «البوستة» أمر بجلب الغداء، وجلس إلى المائدة بين الساعة الثالثة والنصف والرابعة . . .

وإذا لم يشعر بجوع لتعب، أو لغضب، أو لكثرة ما كان يشرب من سوائل، استغنى عن الغداء، واستلقى على فراشه يطالع بعض المجلات، أو نزل إلى مكتب «بوللي»

وشاهد المشتريات التى أمره بشرائها، وألقى نظرة على ما يكون معروضًا عليه من تحف أو أسلحة قديمة، أو مجوهرات يرغب بعض التجار فى بيعها له . . .

أو دخل الحجرتين المخصصتين لمجموعة النقود القديمة ومجموعة طوابع البريد وحادث القائمين عليهما فى كل جديد متصل بهما، وإذا صادفهما منهمكين بتنظيف بعض النقود القديمة اشترك معهما فى تنظيفها . . .

فإذا عاد إلى الجناح الخاص، اتصل ببعض أصدقائه تليفونيا أو قضى بعض الوقت مع ناريمان فى الجناح الخاص بها إلى أن يقرب موعد خروجه من القصر فيستحم ويحلق ذقنه ويرتدى ملابسه!

* * *

ومما هو جدير بالذكر أن النظام الذى كان فاروق يجرى عليه فى أيام المقابلات أو فى الأيام الخالية منها لم يتغير قبل الزواج أو بعده! . . . هذا إن صح أن يسمى نظامًا!

وكان فى أى ساعة يعود إلى القصر يوقظ الشمشرجى «النوبتجى» إذا لم يستيقظ من تلقاء نفسه وسأله عما استجد فى أثناء غيابه؛ فيرفع إليه ما تلقى من رسائل ويحيطه بما اجتمع عنده من إشارات تليفونية فيصدر إليه تعليماته بشأنها . . .

ولم يكن فاروق يفرق بين ساعات النهار وساعات الليل، بل كنت تراه فى الليل أكثر نشاطا منه فى النهار . . . وكان ينسى أو يتناسى أن نهاره هو يبدأ بينما يكون رجاله عائدين إلى منازلهم من مكاتبهم، فكان من أيسر الأمور عنده أن يستدعى أحدهم لمقابلته الساعة الثالثة بعد الظهر، وبالسهولة نفسها كان يأمر بحضوره إليه الساعة الحادية عشرة ليلاً، أو يطلب عقد اجتماع فى تلك الساعة أو بعدها لبحث أمور كان من المتيسر جدًّا إرجاء بحثها إلى الغد، ولكنه لم يكن ليأبه لتعب أحد أو ليحسب حسابًا لتعب أحد إذا عنّت له فكرة وخطر له وجوب التداول فيها فورًا! . . .

* * *

ومن الغريب أن تلك الفوضى التى كانت تسود معيشته كان يقابلها غلو فى مراعاة النظام فى بعض الأحوال . . .

ومن ذلك أنه كان شديد الحرص على نظام الجناح الخاص به فى القصر . . . وعلى أن يكون كل كرسى فى مكانه . . . وكل منضدة فى مكانها!

كان يقابلنى أحيانًا فى حجرة نومه، وقد استلقى على سريره، فيقول لى اجلب هذا الكرسى واجلس عليه، فأفعل، فإذا انتهت الزيارة قال لى: «من فضلك أعد الكرسى إلى مكانه». . . وأكون قد نسيت كيف كان الكرسى فى وضعه الأول فلا يستريح حتى يراه قد أعيد إلى مكانه الأصلى تمامًا! . . . لا «سنتى» واحد إلى اليمين، ولا «سنتى» واحد إلى اليسار! . . .

وكثيراً ما كان يدعو اثنين أو ثلاثة إلى الاجتماع به فى «صالونه» فى الجناح الخاص به، ويسمح لهم بالتدخين، فإذا انتهت المقابلة وهَّم بالوقوف جمع «المنافض» بنفسه، وألقى ما حوته من أعقاب ورماد فى «منفضة» واحدة، ونادى أحد الحجاب وأعطاه إياها لتنظيفها! . . . مع أنه من المحقق أن الحاجب كان سيفعل ذلك من تلقاء نفسه بعد خروج الملك وضيوفه من الحجرة. . .

* * *

وقد ذكرت عنه فى مستهل هذا الفصل أنه إذا ذاق طعم النوم فالضوء لم يكن يقلقه أو يوقظه ولو نام فى العراء!

ولم أذكر «ولو نام فى العراء» عفواً. . . فقد كان إذا حل الصيف كف عن النوم فى حجرة نومه وأمر بأن يفرشوا له «مرتبة» على الشرفة الكبيرة المجاورة للجناح الخاص به لينام عليها كل ليلة، فكانوا يفرشونها عندما يخيم الظلام لتكون تحت تصرفه فى كل وقت وينصبون فوقها «ناموسية» منعًا للناموس والذباب. . .

وحتى فى الإسكندرية كان يفعل ذلك. . .

ففى قصر «المنتزه» كانوا يفرشون له مرتبته فى شرفة تطل على جانب من الحديقة والبحر معًا. . .

وفى قصر «رأس التين» كانت المرتبة تفرش على شرفة تطل على ميناء الإسكندرية. . .

ومن المعروف أن سكان الإسكندرية ونزلاءها يغلقون خشب (شيش) نوافذ حجر نومهم منعا للرطوبة، أما هو فكان ينام فى الهواء الطلق غير حافل بالتقلبات الجوية، وغير مقتنع بما كان يقال له عن ضرر ذلك. . .

وقد تركت الكلام عن عادة نومه فى العراء لآخر هذا الفصل؛ لأنى أود أن أختمه بذكرى «مقلب» دبره لى وله صلة بالموضوع. . .

ففى ذات يوم، وكنا فى فصل الصيف، جئت معه من الإسكندرية إلى القاهرة؛ لأكون بمعيته فى حفلة ساهرة شاء أن يشهدها على أن نقضى بقية ليلتنا فى القاهرة، ثم نعود إلى الإسكندرية فى الغد. . .

وكان قصر القبة مغلقًا لاصطيافه فى الإسكندرية، فلم ير فتح أبوابه لليلة واحدة وقرر أن ينام فى قصره الخاص ـ قصر الطاهرة ـ بصفة غير رسمية، مادام مجيئه إلى القاهرة لم يكن بصفة رسمية، ودعانى إلى النزول معه. . .

ولما عدنا إلى قصر الطاهرة فى نهاية السهرة وصعدنا إلى الطابق العلوى، اتجه بى رأسًا إلى الشرفة الكبيرة، فرأيت مرتبتين مفروشتين فى أحد جوانبها، ولما لمحنى أنظر إليهما مستغربًا قال لى باسمًا: مرتبة «السيادتك» ومرتبة لى. . .

فقلت: ولكن جلالتك تعلم أننى لا أستطيع النوم فى الهواء الطلق. . .

فقال لى: الدنيا صيف!

فقلت: ولكن المسألة مسألة عادة. . . فأنا لم أنم فى العراء قط. . ثم إن حلقى يلتهب لأقل برد!

فقال: يجب أن تبدأ تعويد نفسك على ذلك. . . أما حلقك فلا خوف عليه. . . هل تشعر بنسمة واحدة حتى تخشى البرد؟!

فقلت: والضوء يمنعنى من النوم. . .

فقال: أؤكد لك أنك متعب وأنك ستنام!

ولما تبين لى أن استمرار هذه المناقشة لن يجدينى نفعًا، غيّرت طريقة كلامى وقلت له: هل أنا أسير يا أفندم أو ضيف؟

وظن أننى أتوقع أن يرد علىّ بقوله إننى ضيف، وأننى سأقول له عندئذ ولماذا لا تريح الضيف؟!

ولكنى كنت أعرفه. . . ولذلك توقعت أن يكون رده أننى أسير. . .

وفعلا قال: أسير طبعًا!

فقلت: إذن لا أنام على الشرفة لأن هذا المكان مكان ضيف لا مكان أسير. . . أما الأسير فينام فى حجرة مقفولة!

وكان فى أثناء كلامى قد فكر فى «المقلب» الذى يداعبنى به فقال لى: إذا كنت تصر على ذلك فسيكون لك ما تريد. . .

ونادى «بوللى» وقال له شيئا بالإيطالية لم أفهمه، ثم التفت إلىّ وقال: لقد طلبت من «بوللى» أن يعد لك الحجرة التى ستنام فيها. . .

فشكرته وأنا أظن أنها الحجرة التى اعتدت النوم فيها كلما استضافنى فى هذا القصر. . .

ولما شعر أن النعاس يداعب عينيه تمنى لى ليلة سعيدة وصرفنى لآخذ قسطًا من الراحة بأرق عبارة كان يمكنه أن يصرفنى بها. . .

وذهبت إلى «بوللى». . . فإذا به يرشدنى إلى حجرة صغيرة «فى داخل» حجرة أخرى. . . لا نافذة لها ولا طاقة ولا أى متنفس ينفذ منه الهواء إلى داخلها!

وكان جو الحجرة حارا، خانقًا، قاتلاً، فقلت له: ما هذا؟

فقال: هذه هى الحجرة التى أمر بها مولانا لأنك تخاف من البرد. . .

فقلت: لن أستطيع النوم فى هذه «العلبة»، فلماذا لا أنام فى الحجرة المعتادة؟

فقال باسما: هذا أمره. . .

فقلت: اذهب إليه وراجعه فى أمره. . .

فقال: لقد نام، وأنت تعلم أنه عندما ينام لا يجرؤ أحد على إيقاظه. . .

فقلت له: تصرف من عندك. . .

فقال: إن الجناح الذى تشير إليه مغلق. . . وحتى إذا كان مفتوحًا، فهل فى إمكانى أن أفعل ما تطلبه منى!

والواقع أننى كنت أعلم أنه لا يستطيع مخالفة «أمر مولانا». . . فسكت ودخلت الحجرة صاغرا. . .

ولم أنم دقيقة واحدة من شدة الحر وكثرة العرق!

وفى الساعة الخامسة والنصف أسرعت إلى «دوش» الحمام فرارًا من عذابى!

واستيقظ فاروق بعد ذلك بثلاث ساعات، فاستدعى «بوللى» وسأله عما حدث لى، فوصف له ما عانيت، فلما رآنى ابتدرنى بقوله ضاحكًا: «طمنى» على حلقك. . . كيف حاله اليوم؟!!

وسيجد القارئ فى الفصول التالية نوادر وحكايات كثيرة عما كان فاروق يعمله مع أصدقائه على سبيل المداعبة كما كان يتصورها، وكانت فى معظم الأحوال تقطع بأنه لم يفهم المداعبة البريئة فهما صحيحًا، وأن شهوته فى التسلط الصغير كانت جزءا من نشأته والحياة التى ألفها منذ حداثته فى بيئة الخدم والتابعين أى فى بيئة الذين كان من الطبيعى أن يتظاهروا بالرضى والسعادة عن كل بادرة أو مداعبة مهما بلغت فى الأذى ومجافاة الطبائع السليمة!

ملبسه !...

لم أر فاروق أنيق البزة قط، ولا أذكر أننى هنأته يومًا ببدلة متقنة التفصيل، مع أنه كان فى القصر ترزى لا عمل له ولمساعديه سوى حياكة ملابسه، وكان هذا الترزى إنجليزيا ومحبوبًا منه لارتياحه إلى فنه، ولا يعنينا هنا تقصى حقيقة مرتبته بين المقتدرين من زملائه، فقد اختلفت الآراء فى ذلك، ولكنها أجمعت على أمر واحد، وهو أن فاروق لم يبدُ حسن الهندام قط!

غير أننى أريد إنصاف هذا الترزى، مهما تكن منزلته بين أقرانه، فأقول إن فاروق كان بطبيعته مهملا لهندامه، قليل العناية بمظهره، خلافا لوالده...

كان الملك فؤاد يستنفد جميع حيل الخياطين ليدارى بها بدانته وكرشه، وقد تعمد عند اختيار الملابس الرسمية التى تقررت فى عهده أن يكون زيها مساعدًا له على ذلك، فرفض مثلاً أن يكون «الفراك» لباسا رسميا للمصريين فى البلاط المصرى، لأنه يكشف عن كرشه ولا يلائم بدانته، وأصر على أن يكون للمصريين لباس رسمى آخر للسهرة يدارى ـ بقدر الإمكان ـ ما يروم مداراته، فى حين أن «الفراك» هو لباس السهرة الرسمى فى جميع البلدان الغربية وفى جميع البلدان الشرقية التى أخذ رجالها أزياءهم عن الغرب.

وكان فؤاد إلى جانب ذلك يحرص حرصًا شديدًا على ألا يصوروه رسميًا إلا جالسًا لأنه كان يعلم أن قصر ساقيه لا يتناسب مع الجزء الأعلى من جسمه... كذلك لم نشاهد له صورة فوتوغرافية رسمية واحدة تمثله واقفا «بقامته كلها»... فإن جميع الصور الفوتوغرافية الرسمية التى التقطت له كانت تنتهى دائمًا إما عند الركبتين أو عند بداية الساقين، وفى هذا دليل على ماكان لمظهره من شأن كبير فى نظره...

أما فاروق فبدلاً من أن يوصى الترزى ببذل ما يمكن بذله لستر بدانته كان يوصيه، قبل كل شيء، بأن تكون البدلة «مريحة» فى كل جزء من أجزائها... وكان معنى «مريحة»

عنده أن تكون «فضفاضة» . . . فتطاوعه فى جميع حركاته وجلساته دون أن يشعر بقيد ما! . . .

حتى فى ملبسه لم يكن يطيق القيود، ولو كانت القيود لمصلحته!

ولم أقل «لتطاوعه فى جميع حركاته وجلساته» عفوا أو مبالغة، فكثيراً ما كان يستلقى على الفراش بملابسه ليستريح بعض الوقت، أو يلقى بنفسه على مقعد فى جلسة تريحه ولكنها «تهرجل» سترته وبنطلونه . . . فلا يبالى بذلك مادام مستريحًا أو مادام قد استراح قليلاً . . . أما كيف تبدو بدلته بعد تلك «المرمطة» فآخر ما كان يكترث له!

وكم من مرة أشفقت على ملابسه، ولا سيما الصيفية منها، للتحول السريع الذى كانت تتحوله قبل وصولنا إلى المكان الذى نكون ذاهبين إليه! . . . كان يغادر القصر ببدلة لا يشوب كيها شائبة فلا يكاد يصعد إلى سيارته ويجلس فيها الجلسة التى تريح ظهره وساعديه ورجليه حتى تفقد البدلة رونقها تدريجًا، فنبلغ مكان الحفلة أو الزيارة وقد قضى على الجانب الأكبر من مجهود «المكوجى» بالرغم من جودة القماش ومتانته! . . .

ومما كان يساعد على سرعة «هرجلة» ملابسه أنه كان كثير العرق بطبيعته . . . وكان إذا جلس فى مكان مسقوف شعر حالاً بحر يضايقه، فيطلب المزيد من فتح النوافذ والأبواب، وكان يحس ببعض هذا الحر حتى فى فصل الشتاء، فيأمر بفتح أقرب النوافذ إليه . . . وكثيرا ما كان ذلك يزعج الجالسين معه أو على مقربة منه، ولاسيما السيدات منهم، ولكن لم يكن هناك مفر من إطاعة أمره، ولم يكن للمنزعجين والمنزعجات إلا أن يستقبلوا لفحات الهواء صاغرين، أو أن يغيروا أماكنهم فى هدوء صامتين!

* * *

ولم يكن شرط أن تكون البدلة فضفاضة، كل ما كان الترزى المظلوم مضطرًا إلى إخضاع فنه له . . .

كلا . . لم يكن هذا الشرط أقسى ما يكابده! . . . بل كان هناك ما هو أدهى من ذلك . . .

كان فاروق يأبى أن يجرب بدله الجديدة، ولو مرة واحدة، وأعنى بالتجربة ما يسمونه فى لغة الترزية «بروفة» . . . فهذه «البروفة» كان فاروق يرفضها، ويصر على الرفض مهما ألح الترزى وتوسل!

ولو كان جسم فاروق من الأجسام التى يسهل إلباسها لهانت مهمة الترزى، أو لو كان وزنه لا ينقص ولا يزيد باستمرار لاستطاع الترزى الماهر أن يفصل كل بدلة طبقًا للبدلة التى قبلها، غير أن جسمه لم يكن من الأجسام التى تيسر للترزية مهمتهم، فضلاً عن أنه لم يكن يستقر على وزن معين، وإنما كان فى زيادة مطردة فى أغلب الأحيان . . .

فماذا كان يحدث؟

كانت البدلة الجديدة تصل إلى الجناح الخاص بالملك فيخبر فاروق بوصولها فيأمر بحفظها فى مكانها بين بدله من غير أن يجربها . . . إلى أن يخطر له يومًا أن يخرج بها لحفلة أو لزيارة، فيلبسها ، ولم يبق على موعد خروجه سوى دقائق معدودة، فتظهر له عندئذ بعض عيوبها، فإذا كانت يسيرة سكت عليها، وإلا أمر الشمشرجى «النوبتجى» أن يذكره بها عند عودته إلى القصر «لعمل اللازم»! . . .

أى أنه فى الحالتين لم يكن يعدل عن ارتداء البدلة الجديدة، وقد قلت فى فقرة سابقة إن أناقته كانت آخر شىء يعنى به ويهتم له . . .

وكان إذا ظهرت له عيوب أخرى فى بدلته الجديدة فى خلال الفترة التى يمضيها خارج القصر، أضافها فى ذهنه إلى العيوب السابقة التى قرر أن «يعمل اللازم» بشأنها عند أوبته إلى القصر . . .

فما هو هذا «اللازم»؟ وكيف كان يتم التصرف فيه؟

كان إذا عاد إلى القصر ودخل الجناح الخاص به، استدعى الشمشرجى «النوبتجى» وقال له «والآن لنعمل اللازم فى هذه البدلة . . . اكتب . . . أولا ضيق تحت الباط الشمال فيجب التوسيع قليلا».

فيقول الشمشرجى «النوبتجى»: «حاضر يا أفندم»، ويكتب ما أملاه عليه على قطعة صغيرة من الورق ثم يشبك هذه الورقة بالبدلة فى المكان المعين لها تحت الكتف اليسرى!

ويسأله فاروق: خلاص ؟

فيقول الشمشرجى: خلاص يا أفندم . . .

فيقول له فاروق: والآن اكتب الملحوظة الثانية . . الياقة عالية من اليمين فيجب خفضها قليلا من تلك الناحية . . .

فيدوّن الشمشرجي هذه الملاحظة الثانية على قطعة ثانية من الورق ويشبكها بالياقة من الناحية اليمين! . . .

ويستمر فاروق في إبداء ملاحظاته وطلباته . . . والشمشرجي يسجلها تباعا ويشبكها بمواضعها ورقة بعد أخرى . . . إلى أن يفرغ من خلع البدلة كلها!

وفي صباح الغد كانت البدلة الجديدة ترسل إلى الترزي ليجري فيها الإصلاحات المطلوبة «غيابيا»! . . . وكان منظرها وهي في طريقها إليه وقد شبكت بها تلك الأوراق الصغيرة أشبه بشجرة «عيد ميلاد» متنقلة!

وإذا خطر للترزي بين حين وآخر أن يسأل : هل يتفضل عليه جلالة الملك «ببروفة» لبدلة جديدة جاءه الرد من الشمشرجي «النوبتجي» بأن «مولانا مشغول وما عندوش وقت، وإن شاء الله في فرصة أخرى!» . . .

وكانت الصعاب التي يواجهها الترزي المظلوم لا تقف عند هذا الحد . . .

فقد كان فاروق يكره «الحمالات» ولا يلبسها إلا مع الملابس الرسمية، أما في الملابس العادية فكان يكتفي بالشد على البنطلون ولا يعبأ بما يطرأ على منظره بعد لبسه بقليل!

* * *

وأذكر أن تلك العادة ــ عادة عدم تجربة بدله ولاسيما الجديد منها ــ أوقعته في حرج كبير لما سافر إلى أوروبا في صيف عام ١٩٥٠ .

فقد اختار لتلك الرحلة مجموعة من بدله القديمة والجديدة، وأمر بوضعها في حقائبها من غير أن يجربها، ولم يفطن إلى ذلك إلا وهو في عرض البحر، ، فاتضح له عندئذ أن البدل القديمة تحتاج إلى تعديل لا مندوحة عنه، ولم يكن قد لبسها منذ الموسم السابق، وكذلك لاحظ أن في البدل الجديدة عدة عيوب يتحتم إصلاحها ليتمكن من ارتدائها بدون أن تكون موضع انتقاد، ولاسيما أنه سيكون قبلة الأنظار في كل مكان ينزله . . .

والخلاصة أنه وصل إلى «دوفيل» وليس معه سوى بدلة واحدة تصلح لأن يظهر بها . . .

وللحال أخذ «بوللي» يبحث سرّاً بمعاونة البوليس الفرنسي عن الترزي المطلوب، ولم يكن العثور عليه واقتياده إلى الفندق أمراً سهلاً، وخصوصًا أنه أريد إحاطة الموضوع

بالكتمان الشديد خشية أن يتسرب أمره إلى عشرات الصحفيين الذين امتلأت بهم ردهات الفندق، وقد أمكن كتمانه عنهم، وظل فاروق يلبس بدلة واحدة، ولا يغيرها، إلى أن أسعفه الترزى ببدلة أخرى، ثم أصلح سائر البدل إصلاحًا سريعًا بالقدر الذى سمحت له به الظروف!

ولكنه لم يتمكن من إصلاح ياقة سترتين (جاكتتين) «للسموكنج» مصنوعتين من القماش الذى يسمونه «شارك سكين»، وأبى فاروق أن يرتدى السترة السوداء بحجة أن الجو حار ويضايقه، واستمر فى ارتداء تينك السترتين غير مبال بما كان فيهما من عيب واضح!

* * *

وكانت السرعة التى يرتدى بها ملابسه سببا آخر من أسباب عدم أناقته، فقد كان لبسه لا يستغرق أكثر من ثلاث دقائق سواء كان لابسًا بدلة عادية أو «الردنجوت» أو «السموكنج»... وسيان عنده هل أحكم عقد «كرافتته» أو لم يحكمه، أو هل جاوز أحد طرفيها حدّه أو قصر!

ولم أدخل طبعا فى تقدير الدقائق الثلاث التى كانت تكفيه للبسه الوقت الذى كان يمضيه فى الحمام والحلاقة، وقد تكلمت عن ذلك فى مكان آخر...

وبلغ من حبه للسرعة فى ارتداء ملابسه أنه كان يرفض أن توضع له أزرار فى «بنطلونات» بدله، وكان يستعيض عنها «بسوستة» صغيرة يشدها إلى أعلى دفعة واحدة عندما يلبس البنطلون، أو إلى أسفل عندما يخلعه، وهى «كالسوستة» التى تستعملها السيدات فى بعض فساتينهن...

على أنه كان من جهة أخرى يمقت مقتًا شديدًا «كرافتات» ملابس السهرة التى يشتريها بعضهم معقودة جاهزة، إما توفيرًا للوقت الذى يستغرقه عقدها، أو لعدم توفيقهم فى عملية ربطها، وكان لا يفتأ يردد أن الرجل الذى «يعرف كيف يلبس» يعقد بيده رباط الرقبة عند ارتدائه ملابس السهرة!

وكان هو يعقد هذا الرباط بسرعة مدهشة قد تكون هى السر فى الانتقاد الذى كان يوجهه إلى الذين يشترونه جاهزًا... حتى أنه لما كنا فى «دوفيل» أمر أحد خدمه ذات ليلة بأن يطوف بضيوفه من الرجال ويسألهم واحدًا واحدًا: من منهم يعقد كرافتة «السموكنج»

بيده ومن منهم يبتاعها جاهزة، على أن يسجل ردودهم فى ورقة أعطاه إياها وقسمها قسمين. . . وقد رفع إليه هذه الورقة بعدما أنجز مهمته، ثم لم نسمع عنها شيئا بعد ذلك ولم يعد إلى موضوعها مرة أخرى!

* * *

وتذكرنى براعته فى عقد «كرافتات» بدل السهرة بحادث طريف حدث له فى أثناء إقامته فى «دوفيل». . .

فقد كانت الفنانة الفرنسية اللطيفة التى اتخذت لنفسها اسم «ليدى باتاشو» تغنى فى ذلك الحين فى تياترو كازينو بلدة «تروفيل» المجاورة «لدوفيل» فقرر فاروق أن يسمعها فى ذلك المسرح وبصحبته جماعة من ضيوفه وأصدقائه. . . ومن المعروف عن هذه الفنانة أنها تغنى الأغانى الفرنسية الشعبية الشائعة وتطلب من الحاضرين أن يشتركوا معها فى ترديد بعض مقاطعها وتنذر بالعقاب كل من يحجم عن الغناء أو لا يغنى بقوة. . . أما العقاب فهو أن تقص «كرافتته» بمقص كبير وتعلقها على حبل طويل فى وسط القاعة تتدلى منه مئات «الكرافتات» المقطوعة، وهى من كل نوع ومن كل لون، فيتعالى الضحك من كل مكان، ويشتد الهرج والمرج، ويكون صاحب «الكرافتة» المنكودة الحظ وأصدقاؤه أول الضاحكين والمرحين!

وتوقع فاروق وهو يتأهب للذهاب إلى تلك السهرة أن «ليدى باتاشو» لن تتردد فى توقيع «العقوبة» التقليدية عليه إذا بصرت به لا يغنى. . . فأخذ معه «كرافتة» أخرى للسهرة على سبيل الاحتياط وخبأها فى جيبه من غير أن يشعر أحدا بذلك!

وحدث ما توقعه. . . فإن ليدى «باتاشو» لمحته لا يشارك الحاضرين غناءهم، أسرعت إليه وقالت له باسمة: أرانى يا سيدى مضطرة لتوقيع العقوبة عليك. . .

وقبل أن تخرج مقصها من جيبها كان فاروق قد فك «كرافتته» وأخرجها من قميصه وناولها إياها فأخذتها شاكرة واستدارت متجهة نحو «المرسح» لتعرض «الكرافتة» على جميع الحاضرين، ولكن فى اللحظة التى اعتلت فيها المرسح حانت منها التفاتة إلى فاروق فرأته لابسًا «كرافتة» أخرى بدلاً من الأولى، وكان قد عقدها بسرعة فائقة، بينما كانت فى طريقها إلى «المرسح»، فأغرقت فى الضحك وصفق الحاضرون تصفيقا شديدًا إعجابًا منهم بهذه المناورة!

* * *

ولنعد إلى عدم مبالاة فاروق بملبسه ومظهره. . .

لم يكن قميصه أسعد حظًا من بدلته. . . وكان يرفض أن يضع «باغة» فى طرفى ياقته لا لشىء سوى أنه كان يرى فى وضع «الباغة» عملاً يدل على التأنق! . . . فلا تلبث الياقة أن تفقد شكلها الأصلى ويلتوى طرفاها فيخيل إلى القميص أنه كان ملبوسًا من قبل!

ولم يكن يثبت جواربه بحمالة (جارتيير) طبعًا. . .

أما فيما يتعلق بأحذيته فكان يشترط على صانعها شرطين أساسيين: الأول أن تكون واسعة بحيث يمكنه أن يحرك جميع أصابعه بسهولة، ولاسيما أنه كان يشكو أحيانا من آلام تسببها له بعض أظافر قدميه.

والشرط الثانى أن يستطيع لبسها وخلعها بدون أن يحتاج إلى حل رباطها!

وكانت أحذيته كلها ـ فيما عدا الأحذية التى تلبس مع الملابس الرسمية ـ من نوع واحد: نعلها «كريب» وسطحها من ذلك الجلد المثقوب الذى يبدو للناظر إليه كأنه مصنوع من فتل من الجلد ضم بعضها إلى بعض، وكانت إما سوداء للملابس القاتمة أو بنية للملابس الفاتحة، أو بيضاء للملابس البيضاء، وكان لا يحيد عنها صيفا وشتاء لأنها كانت «تريحه» كما كان يقول. . .

أما كونها ضخمة وتزيد منظر قدميه ضخامة، وأما كونها من الأحذية التى لا تلبس عادة إلا مع الملابس «السبور» ولا يليق بملك أن يلبسها فى الحفلات والزيارات والمجتمعات ـ إن كل ذلك لم يكن له عنده أقل اعتبار مادام يجد فيها راحة لقدميه!

بل إنه فى السنتين السابقتين لتنازله عن العرش لم يجد غضاضة فى أن يلبس تلك الأحذية مع «الردنجوت» فى الحفلات الرسمية. . . وحتى فى الاحتفال بافتتاح البرلمان. . . وأصبح لا يتخلى عن لبسها إلا إذا ارتدى ملابس السهرة. . . مبالغة منه فى إراحة قدميه!

وكانت قدماه تتعبان بسرعة من المشى أو الحركة، وربما كان ذلك بسبب ثقل جسمه عليهما، فكان إذا عاد إلى القصر من حفلة عامة، أو من افتتاح معرض أو معهد، تمدد على سريره ودعا إليه إحدى «الكلفوات» وطلب منها أن تدلك له قدميه «بالبودرة» إلى أن يزول عنهما التعب!

* * *

ومن الغريب أن فاروق ــ وقد كان هذا شأنه فى ملبسه ـ كان ينتقد جميع الذين حوله فى شئون ملبسهم!

كان إذا شاهد أحدهم لابسًا سترة ذات صفين من الأزرار قال له «زرر الزرار التحتانى مش الفوقانى!» . . . ولم يكن يفوته إبداء هذه الملاحظة قط!

وقلت له مرة إن العمل بذلك لا يناسب سوى أصحاب الأجسام المعتدلة القوام، فأبى أن يصغى إلىّ واستمر «يزرر الزرار التحتانى ويترك الزرار الفوقانى» فيزيد منظر كرشه بروزا واستمر فى إبداء الملاحظة عينها لرجاله كلما خطر له أن يبديها!

وفى بداية علاقتى به دعيت يومًا إلى مقابلته، وكنا فى الإسكندرية، وكان الوقت صيفًا، وكانت المقابلة غير رسمية، فذهبت إلى قصر «المنتزه» بالملابس التى اعتدت لبسها فى الصيف وهى السترة البيضاء والبنطلون الرمادى والحذاء البنى والأبيض، فما كاد يرانى حتى قال لى: «هل تعرف من يلبس هذا النوع من الأحذية . . . أى الأحذية المصنوعة من لونين . . .»؟

قلت: لا يا أفندم . .

قال: سائقو السيارات الذين جمعوا قرشين فى أثناء الحرب! . . . فمن فضلك لا تلبس هذا الحذاء مرة أخرى . . . إما كله بنى، أو كله أسود، أو كله أبيض . . . ولكن لا أحذية بلونين!

ومن ذلك اليوم لم يرنى طبعًا بأحذية ذات لونين! . . .

وفى تلك المناسبة حدثنى عما لا يحبه فى ملابس الرجال، فقال إنه «يكره» منظر «الكرافتات» المعروفة «بالبابيون» إلا ما يلبس منها مع ملابس السهرة . . .

وكذلك «الكرافتات» المصنوعة «تريكو» (شغل الإبرة) بجميع ألوانها وأشكالها!

وسكت لحظة ثم قال: لقد تذكرت . . . وأنا أكره أيضا الجوارب التى تحليها نقوش بشكل حلقات، فإنها تذكرنى بملابس المسجونين فى سجون أميركا!

وكانت تلك الجوارب تلقى رواجًا فى تلك الأيام . . . وكان عندى بعض منها فلم أمد إليها يدا بعد ذلك!

وكان «المستجدون» من جلسائه يجهلون ما يحب من «الكرافتات» وما يكره، فكان إذا

شاهد واحدا منهم لابسا «بابيون» أوعز إليه بأن يغيرها فى الحال . . . أما إذا شاهده بكرافتة «تريكو» فكان يتساهل معه ويمهله ويكتفى بأن يطلب إليه الإقلاع عن عادة لبسها!

وكان فاروق يؤثر «الكرافتات» التى رسمت نقوشها بشكل خطوط على سواها من «الكرافتات» ، فكان أخصاؤه يختارون «كرافتاتهم» دائما من الطراز الذى يعجبه إراحة لنظره، وتفاديا لانتقاداته، وكان يبالغ فيها أحيانا مبالغة غير مستحبة . . .

أذكر أننا كنا فى مستشفى المواساة فى الإسكندرية بمناسبة العملية التى أجراها الدكتور أحمد النقيب لناريمان، وكانت تشكو من الزائدة الدودية . . . فدخل النقيب يوما على «الصالون» الذى جلسنا فيه وقد ارتدى بدلة جديدة «سكوتش» ذات الرسوم المعروفة باسم «البرنس دى جال» (وهى رسوم بشكل مربعات) وكانت البدلة جميلة وقد ارتداها النقيب لأول مرة، فأخذ فاروق ينتقد تفصيلها، ويعدد ما «يرى» فيها من عيوب، ويلومه على قبوله لبسها والظهور بها . . . ولم يسكت إلا لما نهض النقيب ووعده بأنه سيغيرها فورًا! . . . وفعلاً عاد إلينا بعد قليل وقد ارتدى بدلة أخرى!!

* * *

أما البدل الوحيدة التى كان فاروق يجربها بعناية وصبر، ويطلب إلى الترزى أن يدقق فى تفصيلها و «ضبطها» فكانت بدل «التشريفة» وهى البدل التى كان يفتتح بها البرلمان ويستقبل بها المهنئين فى «التشريفات» الكبرى، وكذلك سفراء الدول ووزراءها المفوضين عند تقديمهم أوراق اعتمادهم . . .

غير أنه لم يلبث أن تخلص من تلك البدل ومن قيود لبسها! . . . فإنه لما دخلت مصر حرب فلسطين أمر بوقف جانب كبير من المراسم والتقاليد الملكية مراعاة لحالة الحرب، ومن ذلك أنه بدلاً من أن يفتتح البرلمان ببدلة «التشريفة» المزركشة بالذهب، أصبح يفتتحه ببدلة «الردنجوت» (وكذلك فعل الوزراء وكبار المدعوين اقتداء به)، وبدلاً من أن يذهب إلى دار البرلمان بالمركبة الملكية المذهبة جعل ذهابه إليها بالسيارة، وبدلا من أن يستقبل سفراء الدول ووزراءها المفوضين عند تقديمهم أوراق اعتمادهم ببدلة التشريفة أخذ يستقبلهم «بالردنجوت» . . .

ولما توقف القتال فى فلسطين أمر بالاستمرار فى وقف تلك المراسم والتقاليد بحجة أن البلاد ما برحت فى «حالة حرب» مع إسرائيل! . . . وغادر مصر والمراسم والتقاليد

المذكورة لاتزال موقوفة . . فاستراح نحو خمس سنوات من قيود بدل «التشريفة» ومشقة لبسها، ومن المحقق أنه لم يكن يحبها أو يميل إليها!

* * *

بقيت نقطة واحدة لم أتكلم عنها وأظن أن القارئ يود معرفة معلوماتى فى صددها، وهى ماذا كان فاروق يلبس فى داخل القصر . . .

كان فى ساعات المقابلات الرسمية يلبس «الردنجوت» فلا يكاد يفرغ منها حتى يسرع إلى خلع بدلته، وكثيرا ما كان يشرع فى خلعها وهو لا يزال فى طريقه إلى الجناح الخاص به، ولا يشعر براحة إلا عندما يلبس «أحب الملابس إليه» . . .

وكان يلبس لمقابلاته غير الرسمية بدلة من بدله العادية، فإذا انتهت عاد حالاً إلى «أحب الملابس إليه» . . .

أما فيما عدا ذلك من الأحوال فكان لا يلبس فى داخل القصر سوى «أحب الملابس إليه» . . .

وماذا كان «أحب الملابس إليه»؟

كان اللباس الأبيض (الكلسون) لا أكثر، وفوقه عباءة من «السكروتة» . . .

و «الشبشب» (الخف) الذى يستر به جانبًا من قدميه الحافيتين . . .

فإذا ضايقه الحر طرح العباءة جانبًا وأبدل اللباس الأبيض ببنطلون قصير (شورت) وسار عارى الصدر، منتعلا الخف تارة ومستغنيا عنه تارة أخرى!

وإذا كان الوقت شتاء ارتدى قميصا خفيفا من القطن تحت العباءة «السكروتة» . . . فإذا اشتد البرد نزل عن العباءة «السكروتة» لأقصر مدة ممكنة ولبس «روب دى شامبر» من الصوف مع بقائه حافى القدمين مهما كان البرد شديدًا!

ذلك كان ملبسه فى داخل القصر من اللحظة التى كان يستيقظ فيها إلى اللحظة التى كان يأوى فيها إلى فراشه، فلم يكن يرتدى ملابسه إلا للمقابلات الرسمية أو الشبيهة بالرسمية أو عند تأهبه للخروج من القصر!

وكان ذلك هو لباسه للنوم أيضا، فيما عدا العباءة «السكروتة» طبعا، أو «الروب دى شامبر» . . .

أى أنه لم يكن يرتدى «بيچامة» عند نومه . . . لأنه لم يكن يطيقها على جسمه لاصيفا ولا شتاء!

ولهذا لم يكن عنده «بيچامات» صيفية أو شتوية . . وكثيرا ما سمعناه يقول: «ولماذا أصنع بيچامات وأتكلف ثمنها ما دمت لا أستعملها»! . .

واحتاج مرة وهو فى المستشفى إلى «بيبچامة» فواجهوا مشكلة من أعقد المشاكل، إذ لم يكن من السهل أن يدبروا بسرعة «بيجامة» تلائم مقاسه وضخامته، وأخيراً جلبوا له إحدى «بيچامات» حلاقه «بترو» وكان جسمه أقرب إلى جسم فاروق من أجسام سائر الموجودين معه فى المستشفى، وبذلك تيسر لهم حل الإشكال بدون أن يشاع أنه ليس عند الملك «بيچامة»!!

* * *

وكانت سنوات الحرب العظمى مريحة له جداً من ناحية ملبسه، فتحرر من جميع قيود البدل العادية وبدل السهرة بارتداء الملابس العسكرية فى جميع غدواته وروحاته . . .

وعلل ذلك فى بادئ الأمر ـ أى قبل أن تدخل مصر الحرب ـ بأن الضباط البريطانيين والأميركيين يغشون جميع الأماكن التى يتردد عليها، وقد يحدث إذا لم يعرفوه أن يبدر من بعضهم ما يزعجه فى حين أن ملابسه العسكرية مع العلامات التى على كتفيها تكفل له حسن تصرفهم وإن لم يكتشفوا شخصيته!

فلما انضمت مصر إلى الحلفاء وأعلنت الحرب على المحور قبل انتهاء القتال بمدة قصيرة، أضحى يعلل ظهوره بالزى العسكرى فى كل وقت، بأن البلاد فى حالة حرب، وأنه يتعين عليه بوصفه رئيس الدولة والقائد الأعلى للجيش أن يكون قدوة للعسكريين المصريين فى ضرورة ارتداء الملابس العسكرية فى كل وقت!

وكان يختار أكثر الأزياء العسكرية بساطة وسهولة فى الملبس، فيلبس فى معظم الأحيان الملابس العسكريةالمعروفة عند العسكريين باسم «لبس الميدان» وخصوصًا فى فصل الصيف، فإن «لبس الميدان» يتألف عندئذ من قميص خاكى مفتوح عند الرقبة وله كمان قصيران والبنطلون . . . فلا سترة ولا ياقة ولا رباط رقبة!

ولم تكن ملابسه العسكرية أكثر هندامًا من ملابسه العادية، ولاسيما الصيفية منها، فكانت تبدو عليه كأنه تعمد أن يرتديها بدون أن «تكوى»!

ولما انتهت الحرب، ولم يبق ما يسوغ ظهوره بالزى العسكرى عاد إلى ملابسه المدنية مُكرهًا، فما كادت نار القتال فى فلسطين تندلع حتى ارتدى ملابسه العسكرية واستمر فى ارتدائها إلى ما بعد عقد الهدنة الثانية بمدة قصيرة. .

وكان فى حبه «للبس الميدان» الصيفى يصر على لبسه حتى فى ليالى أكتوبر ونوفمبر، وفى الهواء الطلق، فكان يحدث أحيانا أن يشعر بشىء من البرد فيأمر بأن يجلبوا له معطفه من سيارته (ويكون قد أحضره معه احتياطا) فيلقيه على كتفيه غير مبال بما يكون عليه منظره ساعتئذ: منظره بقميص مفتوح عند الرقبة وقصير الكمين. . . وقد تدلى عليه معطف!

وألف هذا اللباس لدرجة أنه لما عاد إلى ملابسه المدنية لم يعد يطيق أخف الملابس حملاً فى فصل الصيف، ولشد ما كانت دهشتنا حين أبصرناه يوما داخلاً مكانًا عامّا بالسترة البيضاء التى يسمونها «ساهاريين» فوق بنطلون رمادى، وهى سترة ذات كمين قصيرين ومفتوحة عند الرقبة ولها حزام من قماشها ولونها، وقد سميت بالفرنسية «ساهاريين» نسبة إلى الصحراء، لأنها ابتكرت فى الأصل للرحلات الصحراوية والخلوية، ويندر أن ترى أحدا بها فى مجتمع راق أو فى مكان عام من الأماكن التى تدخل فى عداد منتديات الدرجة الأولى، وخصوصًا فى المساء، أما هو فلم يكن يجد غضاضة فى قضاء السهرة بتلك الملابس مادامت تريحه وتعينه على الترويح عن نفسه، وكثيرا ما رآه الناس بها فى نادى السيارات أو فى بعض الأماكن العامة التى كان يرتادها، وقد حاولت، وحاول غيرى، أن نقنعه بالعدول عن لبسها، أو على الأقل بعدم الظهور بها فى المجتمعات والمنتديات العامة، فلم نوفق إلى ذلك!

مأكلــه !...

ترى كم كان فاروق ينفق عى مطابخه فى السنة؟ . . .

وجهت هذا السؤال إلى كثيرين فى مناسبات شتى . . .

فكان بعضهم يقول: ستة آلاف جنيه فى السنة. . . على أساس خمسمائة جنيه فى الشهر!

فيقاطعهم آخرون قائلين: خمسمائة جنيه فى الشهر قليل. . . قولوا ألف جنيه فى الشهر!

ثم كان هؤلاء وأولئك ينظرون إلىّ ليعلموا أى الفريقين أصاب فى تقديره. . .

فأقول للفريق الثانى: ألا ترفعون رقمكم قليلاً؟ . . .

فيقول مستغربًا: أكثر من ألف جنيه فى الشهر على المطابخ وحدها؟ . . . إذن كم كان ينفق؟ . . . ألفى جنيه فى الشهر؟ . . . لا يمكن أكثر من ذلك. . . أى نحو سبعين جنيها فى اليوم الواحد!

والواقع أن مطابخه كانت تكلفه أكثر من ذلك أضعافًا مضاعفة!

كانت تكلفه ١١٨٠٠٠ جنيه فى السنة!

ولئلا يتبادر إلى ذهن القارئ أنه وقع خطأ فى الأرقام أكرر المبلغ بالحروف: مائة ألف وثمانية عشرة ألفا!

كان يتقاضى من الدولة ١٠٠٠٠٠ جنيه فى السنة مخصصات، وينفق ١١٨٠٠٠ جنيه على مطابخه!

وقبل أن يرحل عن البلاد بسنتين قال إنه يريد توفيرًا فى هذا الرقم، فنزل إلى ١١٠٠٠٠ جنيه أو ١٠٨٠٠٠ جنيه أى بوفر عشرة آلاف جنيه فى السنة!!

وكنت إذا ذكرت تلك الأرقام قابلوها جميعا بدهشة عظيمة ، فأؤكد لهم أننى جاد فى حديثى ، وأن الأرقام التى هالهم سماعها صحيحة .

وكان الذين أتيح لهم أن يأكلوا على مائدة فاروق فى دعوات خاصة ، أو فى مناسبات رسمية ، أكثرهم دهشة ، لأن الطعام فى المآدب الملكية كان دائمًا أقل مستوى مما كانوا ينتظرون!

والواقع أن الطعام فى القصر كان من الدرجة الثالثة جودة وإتقانًا ، إذا قوبل بالألوان الشهية التى تقدم فى كثير من البيوت المصرية ، وكان دائمًا على نمط واحد وإن اختلفت الأسماء ، حتى أن الذين كانوا يدعون إلى المائدة الملكية أكثر من سواهم كانوا يرددون كل مرة مقدما أسماء الألوان التى ستقدم للمدعوين . . .

ولم يكن العيب الأول أو النقص الأول فى عدم تنوع الألوان أو فى عدم اختلاف طرق إعدادها وكيفية عرضها وتقديمها ، وإنما كان فى بعدها عن الإتقان الذى يضفى عليها النكهة واللذة والشهية . . .

وكنت ترى فى بعض الألوان مظهر تقتير غير لائق بمائدة ملكية ، ولاسيما إذا كان صاحب هذه المائدة ينفق نحو عشرة آلاف جنيه فى الشهر على مطابخه!

كانوا فى المآدب الرسمية يقدمون فى بداية الغداء ما يسمونه فى قائمة الطعام «مشهيات» ــ ترجمة للكلمة الفرنسية الدولية «أور دوفر» ــ وكانوا يضعونها فى أطباق صغيرة على صينية كبيرة يطوف بها السفرجية على المدعوين ، وكان هناك سفرجى يقوم على خدمة كل أربعة منهم أو ستة حسب عددهم ، أى أن المفروض أن كل صينية (أو كل «سرفيس») كانت تعد لأربعة ضيوف أو ستة ، ولكننا كنا دائمًا نلاحظ أن كمية «الكافيار» (الخبيارى) الموضوعة فى الطبق الذى يتوسط سائر الأطباق لا تليق لأن تقدم لأكثر من مدعو واحد أو لأكثر من مدعوين اثنين ، على أن يكون نصيب كل واحد منهما «عيّنة» لا أكثر!

صحيح أن «الكافيار» من أغلى المأكولات ولا يؤكل بكميات كبيرة فى غير البلدان التى تنتجه . . . ولكن هناك فرق بين كمية كبيرة . . . و «عيّنة»!

ونحن هنا نتكلم عن مائدة ملكية ، وعن مائدة ملكية فى مآدب رسمية يدعى إليها رؤساء الوزارات والبرلمانات والوزراء وعلية القوم ، ويدعى إليها كذلك سفراء الدول

ووزراؤها المفوضون وكبار ضيوف مصر ــ وهى مائدة ملك معروف عنه أنه واسع الثراء . . . ملك تكلفه مطابخه وحدها أكثر من مائة ألف جنيه فى السنة!

كان من الخير ألف مرة ألا يقدموا «كافيار» بتاتًا ، من أن يقدموه بذلك التقتير المعيب!

وما كنا نلاحظه على أطباق «الكافيار» كنا نلاحظه على أطباق أخرى فى مناسبات كثيرة . . .

ولم يكن عدد المآدب الملكية كبيرا ، فيقال إن كثرتها كانت تضطر المسئولين عنها إلى قبض أيديهم بالنسبة لألوان معينة . . . بل إن تلك المآدب كانت نادرة!

وكان فاروق لا يرى سوى «السرفيس» الذى يقدم له وللقريبين منه ، وكانوا يعنون بمظهره عناية خاصة طبعًا . . .

وهنا كانت تنقصه الخبرة التى كان يفتقر إليها فى شئون كثيرة بسبب ارتقائه العرش فى سن مبكرة ، فلم يتح له أن يشاهد حياة القصور فى أوروبا ، وأن يقتبس عنها ما يحسن اقتباسه كما كانت عادة والده . . .

وكان الملك فؤاد فى حرصه على أن تستكمل مأدبه ما يجمل بها من مجالى الإتقان يدخل أحيانًا قاعة الأكل قبل حلول موعدها ويطوف بالمائدة فاحصًا كل ما عليها بعين خبيرة . . . حتى الأطباق (الصحون) كان يقلبها بيده ليستوثق من أنه ليس فيها ما يعيب شكلها!

وفى أثناء المأدبة كانت عينا فؤاد تتبعان «الخدمة» تتبعهما لأنواع «السرفيس» التى تقدم للضيوف ، حتى إذا انصرف هؤلاء دعا إليه المختصين وأنبهم تأنيبًا شديدًا على ما لاحظ من خطإ أوتقصير . . .

بيد أن فاروق لم يكن يهتم بشىء من هذا كله . . . والشىء الوحيد الذى كان يهمه فى تلك المآدب الرسمية ، هوأن تنتهى بسرعة وأن يتخلص من «جوّها» بأسرع ما يستطيع!

ولذلك فقدت تلك المآدب شيئا كثيرا من رونقها على مر الأيام . . . بل فقدت شيئا كثيرًا من النظام الدقيق الذى اشتهرت به . . . حتى أننا كنا فى خلال المآدب التى تؤدب فى قصر القبة نسمع صوت «قرقعة» السكاكين والشوك والأطباق واصلا إلينا من «الأوفيس» ، ونسمع صوت أحد الخدم القدامى وهو ينهر زملاءه ليخففوا من أصوات كلامهم وضوضائهم . . . وكان فاروق وحده هو الذى لا يسمع شيئا من ذلك ، لأنه لم

يعرف كيف كان نظام المآدب فى أيام والده، ولأنه لم يشهد عددا كافيًا من الولائم فى قصور أوروبا!

* * *

وهنا قد يقول القارئ: ولماذا لم يكن أحد منكم ينبهه إلى ذلك؟ . . . لماذا لم يكن الأمناء يلفتون نظره إلى مواطن النقص ليصدر أوامره بمعالجتها، وهم المسئولون عن «البروتوكول» فى القصر . . . لماذا لم تكن أنت مثلا، وقد كنت مقربًا إليه، تكاشفه بذلك ليتدارك ما يجب تداركه ويقوّم ما ينبغى تقويمه؟

والرد على ذلك: أن فاروق كان يعانى مركب نقص فى هذه الناحية كذلك، ويشق عليه أن ينتقد له أحد شيئًا فى بيته، فيصدمه صدمة تجعله يأسف على إبداء انتقاده أو ملاحظته، وتبعث الآخرين على الإحجام عن الاقتداء به فلا يقدم أحد على الكلام، ويظل المعوج قائمًا!

أذكر أنه بعد تعيينى مستشارًا صحفيًا أريته يومًا بعض الصور التى صورت للمآدب الملكية التى أدبت فى أثناء مؤتمر «أنشاص» وقلت إنه يُلاحظ عندما يتأهب المصور لتصويره فى المآدب الملكية أن السفرجية يحشرون أنفسهم إلى جواره وجوار كبار ضيوفه ليظهروا معهم فى الصور، فتبدو وجوههم أحيانا أكبر من وجوه الملك وضيوفه، وعززت كلامى بما وضعت أمامه من صور، وكنت أنتظر أن يكون رده على ذلك أن يبلغ السفرجية أمرا بأن يتجنبوا إقحام أنفسهم فى الصور بتلك الكيفية . . . فماذا فعل؟

دعا إليه، بعد انصرافى، اثنين من رؤسائهم وسألهما قائلا: إيه اللى بينكم وبين كريم ثابت؟

فقالوا: ولا حاجة يا مولانا . . . خير إن شاء الله؟

فقصّ عليهما حديثى معه، ولم يعقب عليه بشىء من عنده، ولو ليشعرهما على الأقل بأنه لا يستهن ما أبديته له . . .

ولما ذهبت إلى القصر فى الغد فوجئت ببعض السفرجية يلقانى متبرمًا وقائلاً: ليه كده يا سعادة البك . . . إحنا عملنا حاجة لسعادتك أو قصرنا فى خدمتك؟!

* * *

وكان سفرجية القصر وحجابه وخدمه قوة يحسب حسابها، لأنهم كانوا يعرفون كيف يكسبون عطف القائمين منهم على خدمة الملك المباشرة، ولأنهم كانوا يعرفون كيف يتكتلون فى وجه من يرون فيه عنصراً مناوئًا لهم، ولذلك لم يكن أحد من رجال القصر، مهما سما مقامه، يجرؤ على تحدى نفر منهم؛ خوفا من تكاتفهم جميعا على محاربته، وكان رؤساؤهم والباسطون رعايتهم عليهم يعرفون كذلك كيف يختارون الفرصة الملائمة لتنفيذ انتقامهم وتحقيق مآربهم!

وكان ذلك يتجلى بأجلى مظاهره إذا شاع أن فاروق غاضب على أحد رجاله . . . فإذا كان المغضوب عليه مرضيا عنه من الخدم بذلوا قصارى طاقتهم ليلطفوا من حدة غضب الملك عليه بكلمات يلقونها فى الفرص المناسبة عن إخلاصه وولائه وتفانيه فى الخدمة، أما إذا كان موقفهم منه غير ذلك قرأ الملك فى أعينهم جميعا موافقة إجماعية على غضبه عليه ـ هذا إن لم يتطوع بعض منهم ليقول له إن غضبه عليه فى محله!

ومع ذلك لما زار «دون أدنبرة» مصر وقرر فاروق أن يأدب له مأدبة غداء رسمية فى قصر القبة يدعى إليها مع المستر بيفن ـ وكان يزور مصر فى ذلك الحين ـ لم يتمالك عبد اللطيف طلعت «باشا» كبير الأمناء أن يدعو إليه فى مكتبه بقصر عابدين كبير الطهاة فى المطابخ الملكية، ويبحث معه «قائمة طعام» تلك المأدبة خوفًا من «المفاجآت غير السارة»، كما قال لى كبير الأمناء بعد انصراف كبير الطهاة وكنت حاضراً حديثهما . . . وقد نسيت على مر الأيام والأحداث ذكرى اجتماعات وأحاديث كثيرة، ولكن من المحقق أن اجتماع كبير الأمناء وكبير الطهاة لتفادى «المفاجآت غير السارة» ـ من الاجتماعات التى لن أنسى ذكراها أبدا!

قلت قبلا إن الطعام فى القصر كان من الدرجة الثالثة من حيث إتقانه وحسن مذاقه . . .

ولا أنوى أن أعرض هنا لأسباب ذلك، أو لماذا كنا لا نرى على المائدة الملكية مظهر ذلك الرقم الهائل الذى كان فاروق ينفقه على مطابخه . . . أو بعبارة أصح ذلك الرقم الهائل الذى كانوا يقولون له إن مطابخه تتكلفه!!

على أنه لا ريب فى أن فاروق نفسه كان أحد تلك الأسباب بعدم تأنقه فى طعامه وقلة اكتراثه به . . .

وكما أنه لم يكن ذا «مزاج» فى ملبسه، كذلك لم يكن ذا «مزاج» فى مأكله . . .

كان كل ما يطلبه أن تكون ألوان الطعام التى تقدم له بسيطة فى مظهرها . . . وقد رأيته فى حفلات خاصة أقيمت له، يعرض عن معظم الألوان التى كانت أمامه لأن «السمكة» مثلاً عليها طبقة من الزخرف والنقوش (جارينتور) ولأن شرائح «الديك الرومى» مغطاة «بالجيلاتين»، وكانت المحال التى أعدت الطعام لتلك الحفلات قد علمت أنها لتكريم الملك فتفننت فى كيفية تقديم ألوانه وهى تجهل النتيجة الوخيمة التى ستكون لذلك فى آخر الأمر . . .

أما فيما عدا ذلك، فإنى لم أعرف رجلاً «سهلاً» فى أكله مثله!

لم أسمعه قط يقول إن هذا الطعام مالح مثلاً أو ينقصه ملح . . .

أو أن هذا الطعام يكون أكثر لذة لو زادوا فيه كمية «البهارات» مثلا، أو لو «سبكوه» أكثر قليلا . . .

أو أن هذا الطبق فاتر، أو بارد، أكثر مما يجب أن يكون عليه . . .

أو أنه ودّ لو طهوا هذا «الطبق» على طريقة كذا بدلاً من هذه الطريقة . . .

كلا . . لم أسمعه قط ينتقد ما أمامه من طعام، أو يطلب نوعًا معينًا من الطعام، أو يقترح طهوه له بطريقة معينة . . .

وأعنى الطعام الذى كان يأكله فى القصر، فقد كان راضيًا به، مسرورًا! . . . مع أننى ــ وقد شاركته إياه غير مرة ــ لم أجد على مائدته مرة واحدة طبقًا شهيًا مغريًا، أو طبقا لا تجد مثله فى أى بيت من البيوت المتوسطة . . . كان طعامًا عاديًا ليس فيه، من أى وجه كان، أى مظهر أو أى أثر لعشرة آلاف جنيه كان يدفعها كل شهر سدادا لنفقات مطابخه!

* * *

وبسبب «مركب النقص» الذى كان يعانيه، والذى أشرت إليه فى مناسبة سابقة، كان يتحاشى أن يجهر بأنه يجد الطعام فى بعض الأماكن التى يتردد عليها، وفى بعض البيوت التى يزورها، ألذ من طعام القصر بكثير!

غير أننى سمعته يقول مرتين أو ثلاث مرات ونحن نتعشى فى بعض المحال العامة: «متى سنأكل فى القصر لحمة كويسة زى اللحمة دى؟» . . . فأعجب للملك يقول متى سآكل فى قصرى لحما كهذا الذى آكله فى هذا الفندق أو فى هذا النادى، بينما ينفق على طعامه ٣٥٠ جنيها فى اليوم الواحد!

ولما كان يأكل فى نادى السيارات أو فى بعض الأماكن العامة أو فى بعض البيوت كنا نلاحظ أنه يتناول مرتين من لون أو لونين ، وهو أمر لم يكن يبدر منه فى القصر إلا نادرًا . . . ومع ذلك لم أسمع يومًا أنه اتخذ إجراء لتحسين طعام القصر!

وكانت مائدته الخاصة مثالاً فى البساطة ، ولم يكن يتناول وجباته فى حجرة الأكل إلا فى المناسبات الرسمية أو فى الحفلات الخاصة التى كان يقيمها فى بعض المناسبات ، أما فى الأيام العادية فكانوا يعدون له مائدة صغيرة يتعاون سفرجيان على حملها إلى الجناح الخاص به . . . وكان يمقت أن يقدم له السفرجى ألوان الطعام لونًا بعد آخر طبقا لترتيب ورودها فى «قائمة الطعام» فكانوا يرصونها كلها على المائدة دفعة واحدة ، بما فيها الحلوى ، فيبدأ بالصنف الذى يريده ثم ينتقل إلى غيره دون أن يتقيد بنظام أو ترتيب ، وغير آبه لتغيير طبقه (صحنه) بعد كل صنف ما لم يسرع السفرجى ويغيره ، وكان على السفرجى أن يختار اللحظة التى يتدخل فيها لتغيير الأطباق تبعا لمزاج سيده لا وفقا لأصول فنه وعمله!

وفى صنف واحد ، أو صنفين ، كان فاروق يركز جهده فى أغلب الأحيان ، ولم يكن يحب الخضراوات بوجه عام ، فكان معظم طعامه يتألف من اللحم والطيور والأرز و «المكرونة» . .

بل كان من المحتم أن يكون على المائدة فى كل وجبة من وجبتى الغداء والعشاء طبق «مكرونة» وطبق أرز ، ذاقهما أو لم يذقهما ، فقد كان شديد الشغف «بالمكرونة» نهاراً وليلاً ، كذلك كان من أحب المأكولات إليه أن يضع أمامه طبقا كبيرا من الأرز وأن يغرقه «بالصوص» (الغموس) ، ثم يلتهمه كله!

وكان يأكل بسرعة عجيبة ، ويزدرد الطعام بدلاً من أن يمضغه!

ومن الغريب أنه لم يكن يحب سوى المأكولات التى تزيده بدانة ، ولم يكن لبدانته أى اعتبار عنده فى اختياره لنوع طعامه . . . أو لكميته!

وليس ذلك كل شىء . . . فقد كان «يدهن» الخبز فى أكثر الأحيان بطبقة كثيفة من الزبدة ، ولكى تساير هذه العملية سرعته فى الأكل كان لا يمانع فى أن يعاونه أحد الحاضرين فى «دهن» الخبز بالزبدة ليجد قطعة مدهونة جاهزة كلما انتهى من ازدراد القطعة التى قبلها!

ومرة أخرى أقول إن ذلك لم يكن كل شيء . . .

فقد كان غير شغوف بالفواكه بوجه عام، وإذا أكل منها فلا يكثر، ولكنه كان محبّا للحلوى على اختلاف أنواعها!

كان يحب «الكامبوت» (الفاكهة المطبوخة) ولكن لا كما يحبه الناس . . . أو على الأقل لا كما يحبه أصحاب الأجسام البدينة منهم . . . فقد كان يؤثر شرب ماء (صلصة) «الكامبوت» على أكل فاكهته، كأنما كان يرى فى مائه، وكله سكر، علاجا للتخفيف من وزنه!

وكثيرا ما كان الذين يشاهدونه متعشيًا فى نادى السيارات يسمعونه يطلب زجاجة «مربة» حتى إذا «ضرب» نصفها بملعقة كبيرة، وبدون خبز، سألهم هل عندهم زجاجة من نوع آخر، فإذا أجابوا بالإيجاب ترك الزجاجة الأولى «ليعادل» الثانية بها، ويكون قد أكل قبل ذلك ثلاث دست من «الجندوفلى» ، وست بيضات مطبوخة «بالصلصة»، وطبقا من اللحم!

* * *

وطالما تسلى فى نادى السيارات، وهو يلعب الورق، بأكل «البسكويت»، إما «كتصبيرة» قبل العشاء، أو «كملحق» للعشاء بعد انتهائه منه بقليل، فكانوا يجيئون إليه بطبق أفرغوا فيه علبة من «البسكويت» فتظل إحدى يديه «طالعة نازلة» إلى ألاّ يبقى فى الطبق سوى قطع معدودة، لا يزيد عددها على أربع أو خمس، فيدفع الطبق وهو يقول: هل يحب أحد منكم أن يأكل «بسكويت» . . فيأخذ كل واحد قطعة واحدة وهو يتمتم بعبارات الشكر والدعاء!

وفى تلك الجلسات كانت له طريقة خاصة فى أكل «البسكويت» أو بالأحرى فى التهامه . . .

فقد ذكرت عنه أنه كان يأكل بسرعة عجيبة، وأنه كان يزدرد الطعام ولا يمضغه، ولما لم يكن من السهل عليه أن يأكل «البسكويت» بتلك الكيفية فماذا كان يفعل؟

كان يضع إلى جانب طبق «البسكويت» كوبة من الماء فكلما تناول من الطبق قطعة غمسها فى ماء الكوبة ليتمكن من بلعها بدون أن تمر على أسنانه!

ومادام كان يحب جميع المأكولات التى تساعد على البدانة كان من الطبيعى أن يحب «الشيكولاتة» . . .

كان إذا ذهب إلى بيت من البيوت التى يزورها وقدموا له «شيكولاتة» فإما أن يكون متخما فلا يذوق شيئا منها، وإما أن تكون شهيته «مفتوحة» فيمسك العلبة بيديه ويشرع فى قرض محتوياتها قطعة قطعة، فالقطعة التى يعجبه حشوها يكمل أكلها، والقطعة التى لا يعجبه ما فى داخلها يعيدها إلى العلبة، ولا يتوقف عن هذه العملية إلا إذا أتى على عدد كبير من القطع يعادل ما يأكله خمسة أشخاص على الأقل، إذا كانوا من محبى «الشيكولاتة»!

* * *

تلك كانت عاداته فى المأكل وفى كيفية الأكل . . .

ولننتقل الآن إلى نزواته فى المأكل . . . فقد كان له فى هذه الناحية من حياته نزوات لا تقل عن نزواته فى سائر نواحيها . . .

كان يقول إن كل من يعصر ليمونا على السمك أو «الكافيار» لا يفهم فى الأكل!

وكان جلساؤه إذا سمعوا ذلك امتنع معظمهم ــ والجالسون بالقرب منه بوجه خاص ــ من عصر الليمون على السمك أو «الكافيار» اقتداء به ومبالغة فى إرضائه والتودد إليه . . .

ومن ألطف ما حدث فى هذا الصدد أنه فى إحدى مآدبه الخاصة أردت مداعبة أحد المدعوين فقلت لفاروق: إن فلانا يعصر ليمونا على «الكافيار» الذى أمامه . . .

فقال على الفور: إن فلانا حمار!

وكان إلياس أندراوس بين المدعوين إلى تلك المأدبة، وكان حديث العهد بتلك الجلسات، ولربما كانت أول مرة يدعى فيها إلى المائدة الملكية، وكان ممسكا بليمونة وشارعًا فى عصرها على «الكافيار» حين سمع الملك يقول إن فلانا «حمار» لأنه يعصر ليمونا على «الكافيار»، فلم يكن منه إلا أن أسقط الليمونة من يده على الأرض تخلصا منها قبل أن يلمحه الملك فينعم عليه باللقب الذى أنعم به على جاره!

وعلى ذكر «الكافيار» أقول إن الناس فى جميع بلدان العالم يأكلونه مع الخبز المقددة والزبدة، فيدهنون قطعة الخبز بالزبدة، ثم يضعون عليها قليلاً من «الكافيار»، أو يفرشون

«الكافيار» عليها، ثم يأكلونها ويشرعون فى إعداد قطعة أخرى من الخبز، وهكذا إلى أن ينتهى ما فى طبقهم منه. أما فاروق، فكان يغرف كمية كبيرة منه على طبقه ثم «يجرها» إلى فمه بالشوكة، والخبز المقدد فى يده الثانية، توفيرا للوقت... وللمجهود!... ولاسيما أن الكمية التى كان يغرفها لنفسه كانت تعادل أربعة أمثال أكبر كمية يغرفها غيره!

* * *

وقد سمعت أناسًا كثيرين فى مناسبات شتى يطرون فوائد أكل الثوم نيّئًا فيؤيدهم فريق من الحاضرين ويعارضهم فريق آخر، ولم يكن يهمنى أى الفريقين يغلب رأيه على الآخر، مادمت لا أرغم على أكله...

ولا أدرى من هو ابن الحلال الذى أدخل فى رأس فاروق أن الثوم النى مفيد للصحة، ولم يكن ذلك ليزعجنى لو قنع بقصر فوائده على نفسه، وإنما أدرى أنه فاجأنا يوما بحديث عن فوائد الثوم النى، فظننت أنه يردد خلاصة مقال قرأه... لا أكثر. غير أننى ما لبثت أن أدركت أننى كنت متوهمًا، وأن الحديث الذى سمعته منه عن فوائد الثوم لا يقتصر على الناحية النظرية وحده، إذ بدءوا من ذلك اليوم يضعون أمامه على مائدته الخاصة عددًا من فصوص الثوم النى فى طبق صغير فيأكل معظمها، وإذا تصادف وجود أحد معه دعاه إلى الاقتداء، فإن اعتذر أو تردد، ألح عليه.. فلا يرى مندوحة عن النزول على رغبته!

وبعد أيام دعا بعض أخصائه وأصدقائه إلى قضاء يومين فى الجناح الخاص به فى الاستراحة المعروفة باستراحة «شل» فى منتصف الطريق بين القاهرة والإسكندرية، فحتم عليهم جميعا أن يشاركوه أكل الثوم النى ولو فى الغداء على الأقل، وقد حاولت يومئذ أن أتملص من أكله بدون أن يفطن إلى ذلك، فشق على أحد المدعوين ألا أشاطرهم «بلواهم» فوشى بى عنده... وكانت النتيجة أننى اضطررت إلى الامتثال!

وعمّ المحيطين به فرح شديد لما علموا بعد مدة غير قصيرة أنه أقلع عن أكله!

غير أن فرحتنا بهذا التحول لم تدم طويلا، إذ سرعان ما نكبنا بمصيبة أكبر... وفى هذه المرة كذلك لم أعرف «ابن الحلال» المسئول عنها...

ففى أحد الأيام قال لى فاروق: هل أكلت المكرونة (السباجتى) مع الثوم والأنشوجة؟

فقلت: لا يا أفندم...

فقال: فاتك شىء كثير... إنها فعلا «أكلة» لذيذة... وستأكلها معى اليوم إن شاء الله!

ثم قال: إنهم فى المطبخ لا يعرفون كيفية إعدادها بهذه الطريقة، ولكن «بترو» بارع جدا فى طبخها، وهو الذى سيطبخها اليوم...

وأكلت المكرونة بالثوم والأنشوجة!

وإذا أراد القارئ أن يعرف ماذا كان رأيى فيها فحسبى أن أردد له هذه الكلمات الثلاث: مكرونة، ثوم، أنشوجة... ففيها الكفاية على ما أظن!

ومع ذلك فقد كان أكلها فى النهار محتملاً لو اقتصر الأمر على ابتلائنا بها فى الغداء، ولكن فى معظم الأحيان كان فاروق يختار لأكلها الساعة العاشرة أو الحادية عشرة أو الثانية عشرة ليلا!

وأين؟....

فى مطعم كازينو «مونترو» فى أقصى مصر الجديدة، لأنه «اكتشف» أن صاحب المحل يجيد إعداد هذا الطبق أكثر مما يجيده «بترو»!

فبينما نكون جالسين «بأمان» فى وسط المدينة نسمعه يقول فجأة: «سنتعشى الليلة المكرونة التى يحبها فلان... هيا بنا»...

أما فلان فيكون أكثر الحاضرين كرهًا لتلك الأكلة، وأشدهم انزعاجًا منها ومن صعوبة هضمها...

وتنطلق بنا السيارات كالبرق الخاطف إلى مصر الجديدة، ومن مصر الجديدة إلى «مونترو» على الطريق الذى يؤدى إلى مطار القاهرة الدولى... حتى إذا بلغنا المكان المختار، حيا فاروق صاحبه تحية لطيفة، وقال له: كالمعتاد!

أما «المعتاد» فكان المكرونة بالثوم والأنشوجة، ثم طبقا من اللحم المشوى والبطاطس، ثم الحلوى...

وإذا امتنع أحد الضيوف عن أكل اللحم أو الحلوى لم يعارضه فاروق فى ذلك... أما «المكرونة» إياها فكان لابد أن يشاركه الجميع فى أكلها بالأمر!

* * *

ومن نزواته كذلك فى الأكل أنه كان يظل أحيانا شهراً، أو شهرين، أو ثلاثة أشهر، متعلقا بأصناف معينة للعشاء لا يغيرها ولا يبدلها إلا فى بعض المناسبات . . .

ومن ذلك أنه استمر بضعة أشهر لا يتعشى فى نادى السيارات سوى «ساندوتش» مصنوع من البيض المسلوق، ثم «يحلى» بسندوتش مصنوع من الزبدة والعسل!

وكانوا يعدون له هذا السندوتش بالخبز المعروف «بالعيش الشامى» ويخصصون لكل صنف منهما ثلاثة أرغفة ويقطعون كل رغيف ثلاث قطع ليسهلوا له أكلها . . . وفى بعض الأيام كان يطلب مزيداً من الصنفين!

وفى مكان آخر كان يكثر من التردد عليه دأب على طلب صنف واحد من الحلوى شهراً بعد آخر . . . أرز باللبن!

* * *

وكان دائما لطيفًا مع السفرجية و «الجرسونات» الذين كانوا يتولون خدمته فى تلك المحال، وكان يتبسط مع بعضهم فى الحديث والمزاح تبسطا لم يكن وزراؤه يظفرون منه بمثله . . .

وبهذه المناسبة أذكر أنه فى أثناء الحرب العظمى الأخيرة كان فندق «سمر بالاس» الفندق الكبير الوحيد المفتوح فى رمل الإسكندرية، فذهب إليه بعد ظهر يوم ليأكل «دندرمة» على شرفته، وكنت بصحبته، وكان مدير الفندق واقفا على مقربة منا يشرف على خدمة الملك بنفسه . . . وما كاد فاروق «يضرب» أول ملعقة فى كأس «الدندرمة» التى قدمت له حتى خرجت منها قطعة صغيرة من جريدة يونانية، فارتبك مدير الفندق، وأقبل عليه معتذرا، فقال له فاروق باسما: إذا كنتم مصرين على أن تقدموا لى جريدة مع «الدندرمة» فلتكن بلغة أعرفها، فإنى مع الأسف لا أقرأ اليونانية!

وكان ولعًا «بالدندرمة» على اختلاف أنواعها، ويقبل على أكلها بشغف عظيم ولو كان الوقت شتاء!

* * *

وكان فاروق لا يذوق لحم الخنزير أبدا، وإذا رآه على مائدة «البوفيه» فى حفلة خاصة دعى إليها استنكر وجوده استنكاراً شديداً، ولذلك كان الأجانب يضعونه فى مكان منعزل

لا تقع عيناه عليه . . . فإذا لمح مسلمًا ـ أو مسلمة ـ ممسكا بقطعة منه عنفه على أكله بشدة وأغلظ له القول!

وفاجأ في إحدى تلك الحفلات سيدة مسلمة متزوجة وبيدها شريحة منه فاستشاط غضبا وأنّبها بصوت مسموع على الحرام الذى تقترفه بأكلها محرما . . .

ووجد القريبون منه صعوبة عظيمة فى كتمان دهشتهم وإخفاء ابتسامتهم . . . فقد كانوا جميعا يعلمون أن تلك السيدة كانت إحدى خليلاته فى ذلك الوقت!!

شـــرابـه وتـدخينــــه !

فى خلال السنوات التى قضيتها بالقرب من فاروق، سئلت مئات من المرات: هل يشرب الخمر، وكنت لا أكاد أجيب بأنه لا يذوقها حتى ألمح علائم الدهشة ترتسم على وجوه السائلين، فقد كان فى كثير من تصرفاته فى الأماكن العامة ما يبعث الناس على الاعتقاد بأنه يشرب، وأنه يفرط فى الشرب حتى يسكر...

والحقيقة هى أنه لم يكن يشرب، ومن ثمَّ لم يكن يسكر!

ولا أرجع إعراضه عن الخمر إلى فضيلة، أو إلى حرص على مظهر أو خوف من انتقاد، وإنما أعزوه إلى سبب بسيط جدا، وهو أنه لا يحب الخمر ولا يجد لذة فى احتسائها...

وقد سمعت من الرئيس السابق حسين سرى أن فاروق كان يشرب فى وقت ما، وأنه رآه يشرب فى بعض الحفلات والاجتماعات الخاصة، التى كان يشهدها مع الملكة السابقة فريدة، وأنه كان يفعل ذلك لظنّه أن المشروبات الروحية تعزز حيوية الرجل وتنشطها...

ولا يستبعد أن يكون فاروق قد جرّب الشرب مسوقا إليه بهذا الوهم، فلما لم يفده كف عنه، ولاسيما أنه لم يأنس من نفسه ميلا طبيعيا إلى مذاقه...

غير أنه فى السنوات العشر التى عاشرته فيها لم أره يشرب قط لا نهاراً ولا ليلاً، لا فى الحفلات العامة ولا فى الحفلات الخاصة، ولا فى جلساته مع أخصائه...

ولو كان يشرب ـ أو لو كان استمر فى الشرب إذا أخذنا برواية حسين سرى ـ لما اهتم بكتمان الأمر عن أخصائه على الأقل، فقد كان لا يكتم عنهم أسرار أخص شئونه الغرامية مع أنها أولى بالكتمان...

وحتى فى مناسبات الأعياد العامة أو الأعياد الخاصة، كان «لا يساير» الحاضرين فى شرب الشمبانيا ولو كان العيد عيده ولو شربوا جميعا نخبه ـ كان عند شرب النخب يدنى

الكأس من شفتيه متظاهراً بأنه يرتشف منها ، ثم يعيدها إلى مكانها بدون أن يذوق منها نقطة واحدة!

ولكنه كان فى الحفلات الخاصة التى يقيمها ، أو يدعى إليها ، يسمح بالشرب للذين يريدون أن يشربوا . . .

وكل ما كانوا يفعلونه فى حفلاته هو أنهم كانوا يختارون مكانا منعزلا للمائدة التى يضعون عليها الزجاجات والكئوس . . . ولم يكن هذا التدبير سوى إجراء «شكلى» لأنه كان يرى الكئوس الملونة فى أيدى الشاربين والشاربات . . . بل كان يرى المائدة نفسها عندما يقترب منها ليذوق بعض «المزات» وبيده كأس من عصير البرتقال . . .

وكنا إذا جلسنا فى مكان عام مع جماعة من أصدقائه سأل : هل بيننا من يروم أن يشرب كأسا من «الويسكى» ، فقد كان من هذه الناحية يترك لجلسائه حرية تامة ، ولكن الويل لمن كان يبدر منه أقل إشارة أو حركة أو كلمة تدل على أنه أصيب بنشوة . . . إذ كان يتهمه حالا بالسكر ، ويوجه إليه من قارص الكلام ما هو كفيل بالتنغيص عليه طول السهرة!

ولذلك كنا إذا خرجنا معه فى عدد قليل ، امتنع كل واحد منا عن الشرب لئلا تقع الشوكة مثلا أو ترتفع ضحكة ، فيقول على الفور : «خذوا بالكم من فلان فقد سكر!» . . . وكان يظن أن كأسا واحدة من «الويسكى» تكفى لفقد التوازن!

وفى بعض المناسبات ، وبدون أن نعرف السبب أو الباعث ، كان يطلب إلى جميع الذين معه ألا يذوقوا خمرا فى تلك الليلة . . . فكان بعضنا يتواطأ مع «الجرسون» على أن يضع له قليلا من «الويسكى» أو «الروم» فى كوبة من «الكوكاكولا» فلا تظهر الخمر فى هذا المزيج . . . ولكن هذه الحيلة كانت تقتضى أن يفرغ السفرجى زجاجات «الكوكاكولا» قبل أن يحضرها إلينا بدلا من أن يفتحها أمامنا كما هى العادة . . . وأدرك فاروق بعد حين أن فى الأمر سرا ، ولما عرفه غضّ الطرف عنه ولاسيما أنه ليس من المعقول أن يشرب المرء أكثر من «كوكاكولا» واحدة فى الجلسة ، أو اثنتين!

* * *

أما هو فكان لا يشرب سوى «البيبسى كولا» وعصير الفواكه ، سواء كان معدّا خصيصًا له أو معبأ فى زجاجات ، وكان خبيراً فى جميع أنواع الزجاجات المعبأة عصيراً ، وكان عنده مجموعة كبيرة منها فى كل قصر من قصوره . . .

وكان مديرو المحال العامة التى يتردد عليها يعرفون عنه ذلك، فكان عندهم دائما «احتياطى» من هذه الزجاجات استعدادا «للطوارئ». . . ولما عرف العصير المسمى «فروت بول» ذهب ذات ليلة إلى أحد المنتديات العامة وطلب زجاجة منه فقال له مدير المحل إنه غير موجود عندهم، وإنه لم يسمع هذا الاسم قبلا، فما كان منه إلا أن أمر باستحضار صندوق من زجاجات هذا العصير من القصر فوراً، ولما جىء به بعد نصف ساعة أقبل مدير المحل يبلغه أن الصندوق قد وصل فأمره بأن يقدم له زجاجة منه، وأن يحتفظ بسائر الزجاجات ريثما يزود محله بكمية منها!

والسر فى أنه كان يشرب «البيبسى كولا» ولا يشرب «الكوكاكولا» هوأنه كان يملك عدداً كبيرا من أسهم الشركة الأولى، فكان يرى فى استهلاكه لإنتاجها دعاية لها ومن ثم مصلحة لأصحاب أسهمها!!

* * *

وكان يحرص على إفراغ زجاجات العصير فى كوبته بنفسه، ولا يدع ذلك للخادم إذ كانت له «طريقة خاصة» فى إفراغ الزجاجة. . . أو هو على الأقل كان يعتقد أنها «طريقة خاصة». . . كان يرفع الزجاجة عاليا ويسكب مضمونها فى كوبته وبينهما أكثر من شبر ليـزيد من الرغـوة، ومن قـوة المادة الغـازية مع تجنبـه تلويث غطاء المائدة. . . تلك هى «الطريقة الخاصة» التى كان يعتقد أنه قلّ من يتقنها مثله على وجه البسيطة!

وكم من مرة استهدف أناس للومه وتقريعه بسبب زجاجات العصير، وهم يظنون أنهم يخدمونه ويرضونه. . . فقد كان «الجارسونات» الذين يعرفون عنه حرصه على إفراغ الزجاجات بنفسه، يجلبون الزجاجة ويفتحونها ويضعونها أمامه دون أن يفرغوها. . . فإذا كان الجالس بالقرب من فاروق غير محيط بعاداته ونزواته، توهم أن «الجارسون» نسى إفراغ الزجاجة أو أهمل ذلك فيبادر إلى رفع الزجاجة ليفرغها فى الكوبة، فإذا أدركه فاروق قبل أن يهمّ بإفراغها، لم يقل له أكثر من «متشكر، فإنى أحب أن أفرغها بنفسى». . . وإذا كان غير متنبه لانشغاله بحديث أو بالتطلع إلى جهة أخرى ولم يدركه إلا بعد وقوع الواقعة، فهناك تكون المصيبة! . . . وفى هذه الحالة تكون مكافأة من أراد الخدمة أن يقول له غاضبًا: «مين طلب منك يا سيدى أن تفرغها وليه بس الشطارة دى»؟! . . . فيتلعثم الرجل ويقضى بقية وقته معه منزعجا مرتبكًا. . .

* * *

ولما سافر إلى أوروبا فى صيف عام ١٩٥٠ ، اجتاز فرنسا كلها بالسيارة فى طريقه من مرسيليا إلى دوفيل . . .

وفى كل مرحلة كان يقف فيها للأكل ، أو للراحة ، أو للنوم ، كان يسأل عن زجاجات عصير الفواكه ، ويجمع عينات من التى يروقه مذاقها ، فلما وصل إلى دوفيل ونزل فى فندق «جولف» ذى الصيت العالمى ، سأل كبير خدمه هل عندهم زجاجات من نوعها ، فأجابه سلبًا ، فأبدى له استغرابه ودهشته ، فقال كبير الخدم إن تلك الزجاجات صنعت فى مصانع لا تتجاوز مبيعاتها حدود الأقاليم التى تقوم فيها . . .

ولم يشأ كبير الخدم أن يقول له إن من يسأل عن تلك الأنواع من الزجاجات فى فندق «جولف» يكون كمن يقيم فى فندق «سميراميس» ويستأجر جناحًا خاصًا ، ثم يطلب من كبير الخدم زجاجة «كازوزه» من صنع «ميت غمر» أو «إدفو» . . .

ومع أن عصير الفواكه الطازجة كان متوافرا فى الفندق ، ومع أنه كان عندهم أشهر أنواع الزجاجات المعبأة عصيرا ، فقد استمر فاروق فى البحث عن زجاجاته فى كل ضاحية من ضواحى دوفيل أو القرى القريبة منها . . . وكان كلما عثر على نوع جديد ضم عيّنة منه إلى مجموعته!

وكان أحبها إليه أكثرها حلاوة . . . حتى إن العصير الذى كانوا يعدونه له فى القصر كانت حلاوته تفوق حلاوة العصير الاعتيادى مائة فى المائة ، ولم يكن فى أثناء أكله يشرب شيئا آخر سواه ، ولا يذوق الماء إلا قليلاً . . .

ولا ريب فى أنه كان للسوائل التى كان يشربها بمقادير كبيرة نهارا وليلا ، نصيب يذكر فى الزيادة العظيمة التى زادها وزن جسمه فى السنوات التى قضاها على العرش . . .

* * *

وسمعت غير سيدة أجنبية واحدة تسأله : لماذا لا يشرب الخمر؟ فكان يرد عليهن جميعًا بقوله : «إن الناس يشربون عادة إما لينسوا أو ليمرحوا . . . وأنا ليس عندى شىء أريد أن أنساه . . . أما من حيث المرح فإنى أستطيع أن أمرح بدون أن أشرب!» . . .

وثمة دليل آخر على أن طبيعته لم تكن تقبل الخمر ، هو أنه بالرغم مما كان يبذله أحيانا فى سبيل كسب ودّ امرأة لم تستطع امرأة ما أن تحمله على الشرب ، مع أن بعض صديقاته

كن يفرطن فى ذلك ويحرضنه على احتساء ولو كأس واحدة فيرفض ويصر على الرفض . . .

على أن امتناعه عن الشرب وإعراضه عن جميع المشروبات الروحية على اختلاف أنواعها ، لم يكن ليمنعه عن التظاهر بأنه خبير فيها وإن كان لا يشربها . . . ولاسيما إذا كان مهتما بمغازلة سيدة أجنبية ويريد أن يفوز «بتقديرها» . . .

أقام له إلهامى حسين «باشا» يوما مأدبة عشاء خاصة دعا إليها سمو أغاخان والبيجوم قرينته ونحو ثلاثين رجلاً وسيدة من أخصائه وأصدقائه . . . وأمره فاروق بأن يدعو إلى هذه الحفلة سيدة أرجنتينية قادمة من آسيا فى طريقها إلى أوروبا ، وكان جلالته قد عرفها بواسطة أحد مواطنيها ، فاستحلاها واستلطف مجلسها . . .

وقبل أن أصل إلى القصة التى سأرويها بمناسبة ما ذكرته عن فاروق وادعائه الخبرة فى أنواع المشروبات الروحية ، أود أن أشير إلى أن الحفلات التى كان إلهامى حسين يقيمها كانت دائما من الطراز الأول نظاما ورونقا وإتقانا ، وأن مائدته بطعامها وشرابها كانت دائما من الطراز الأول كذلك ، وكان يجلب أفخر أنواع النبيذ من فرنسا رأسا بسخاء وكرم فلا تجد لها فى مصر مثيلا . . .

أما وقد عرفنا ذلك عن صاحب الدار ، فقد كان من الطبيعى ، والملك ضيفه مع لفيف من أخصائه وأصدقائه ، أن يأمر بتقديم أجود ما عنده من أصناف النبيذ والشمبانيا . . . فماذا حدث؟

لما جلس الضيوف ليتعشوا طاف بهم بعض الخدم وملئوا كئوسهم بنبيذ فاخر كان مضيفنا شديد الاعتزاز به ، ماعدا كأس فاروق لأنهم كانوا يعلمون أنه لا يشرب سوى عصير الفاكهة ، ولما انتهوا من ذلك تناول فاروق كأس السيدة الأرجنتينية وقال لها «إنى سأشرب من كأسك نقطة لأعرف أسرارك» . . . وما كاد يدنى الكأس من فمه حتى قال : «إن هذه الخمر فاسدة مع الأسف»!

ونادى صاحب الدار وقال له بالفرنسية : «إلهامى . . . يظهر أن فى هذا النبيذ عيبا لسبب ما» . . .

فاحمر وجه إلهامى ، وتناول الكأس وذاق جرعة منها . . . فوجد النبيذ لذيذًا وفاخرًا ولا عيب فيه بتاتًا . . . ولكن ماذا يفعل؟ . . . أيخالف الملك ويجادله فى «خبرته» . . .

غير ممكن . . . فالتفت إلى كبير خدمه وقال له : اجمعوا الكئوس كلها وافتحوا صندوقا آخر بسرعة!

وجيء بالنبيذ من صندوق آخر، وملئوا به الكئوس . . . وتناول فاروق كأس السيدة الأرجنتينية «ليعرف أسرارها»، ورفعها إلى فمه، وفي اللحظة نفسها هزّ رأسه وقال: هذا أمر غريب حقيقة!

فسألته السيدة عما يعنى، فقال: وهذا النبيذ غير صالح للشرب أيضا . . .

وللمرة الثانية نادى مضيفنا وقال له : إلهامى . . . يظهر أن الذين باعوا لك هذا النبيذ قد غشوك، وأن الرسالة كلها معطوبة! . . .

وللمرة الثانية ذاق إلهامى النبيذ، وللمرة الثانية «اقتنع» بأنه معطوب فعلا . . . فأمر بتقديم «الشمبانيا» رأسا . . .

وقالت السيدة الأرجنتينية لفاروق بلهجة الإعجاب: من المدهش أن يكون لجلالتك هذه المعرفة العظيمة بالنبيذ الفرنسي وأنت لا تشرب الخمر . . .

وكان الحديث يدور بينهما بالفرنسية، فرد عليها بما ترجمته: إن صناعتى (أو مهنتى) تقتضى معرفة شيء يسير من كل شيء!

ولست فى حاجة إلى التنويه بأنه فى المرتين كانت السيدة الأرجنتينية تذوق النبيذ بعد فاروق ثم تقول فورا: إن جلالتك على حق . . . ففى هذا النبيذ شيء غير تمام!

وفى المرة الثانية أضافت إلى ذلك قولها: وهذا أمر مؤسف له لأنه نبيذ فاخر حقيقة . . .

ووددت فى تلك اللحظة لو عرفت رأى إلهامى حسين فى «خبرتها» فى أفخر أنواع النبيذ الفرنسى!

* * *

وقد ذكرت فى مستهل هذا الفصل أنه كان فى كثير من تصرفات فاروق فى الأماكن العامة ما يعزز الإشاعات القائلة بأنه يحتسى الخمر ويفرط فى احتسائها لدرجة أن يخرج على اتزانه . . .

وأزيد هنا على ذلك أن بعض الذين كانوا يصادفونه فى الأماكن العامة كانوا يؤكدون فى الغد لأهلهم وأصدقائهم أنهم شاهدوه ثملا مخمورا . . .

كانت ضحكته بتلك القهقهة العالية أول ما يبعثهم على الظن بأنه شارب . . . فإن الذين عرفوه أو ألفوا لقاءه فى الأماكن العامة هم وحدهم الذين كانوا يعلمون أن تلك كانت ضحكته فى كل وقت ولا علاقة لها بالمكان أو بالخمر . . . أما الذين كانوا يرونه لأول مرة أو الذين كانوا لا يغشون تلك الأماكن إلا نادراً، فكان يصعب عليهم أن يصدقوا أنها ضحكة طبيعية عادية لرجل «غير شارب» ولاسيما أنه كثيراً ما كان يكررها فى فترات غير متقاربة إذا كان منشرحا فى جلسته . . .

وكانوا يسمعونه أحيانًا يصفر متتبعا اللحن الذى تعزفه الموسيقى، أو يغنيه بصوت خافت، وإنما كاف لإسماع مائدتين أو ثلاث من الموائد التى حوله . . .

وإذا أراد أن يشعل «سيجاره» وكان السيجار ملفوفًا بورقة من «السلوفان» شاهدوه مشعلاً الورقة أولا ثم يشعل «السيجار» بها!

ثم كانوا يبصرون «طريقته الخاصة» فى إفراغ زجاجات عصير الفاكهة فتسترعى حركاته انتباههم وتثير دهشتهم . . .

وفى ليال كثيرة كان يجلب معه «راديو» صغيرا ليسمع نشرات الأخبار فى مواعيدها فتتجه إليه الأنظار من كل جهة . . .

وإذا عنّ له أن يداعب أقرب الجالسين إليه من رجاله لمحوه «ينفض» سيجاره على رقبته . . .

أو يوهم السيدة الجالسة إلى جانبه ــ عندما يكون بين المدعوين سيدات ــ بأنه سيشعل لها سيجارتها حتى إذا أدنى «الولاعة» منها أطبقها على السيجارة وانتزعها من فمها على سبيل المداعبة والمزاح . . .

كل تلك التصرفات وغيرها كانت فى أنظار كثيرين تصرفات «رجل شارب»، ومن هنا كان هؤلاء يأبون أن يصدقوا أنه لا يذوق الخمر، ويؤكدون أنهم رأوه ثملا وآتيا حركات لا يمكن أن تصدر إلا عن ثمل!

ومن ذلك أيضا أنه فى إحدى الحفلات الخيرية التى أقيمت ذات ليلة فى «أوبرج الأهرام» أبصر فاروق بعض الحاضرين والحاضرات يطلقون «البندقيات» على أهداف

مثبتة إلى جدار أمامهم، فإذا أصابوها وزعت عليهم هدايا تبرعت بها بعض المحال التجارية . . . فتقدم واشترك معهم فى الرماية فصفقوا له إعجابًا، وكان صيادًا ماهرًا ويجيد الرماية بالمسدس والبندقية، كما سيجىء الكلام عن ذلك.

ويظهر أن تصفيق الإعجاب حرك حماسته فأراد أن يتيح لهم مشاهدة بعض ضروب براعته فى الرماية فاستدبر الجدار الذى ثبتت عليه الأهداف، وانحنى، والنظارات على عينيه، إلى أن قارب رأسه ركبتيه وأمكنه أن يتبين مكان الأهداف من خلال ساقيه، ثم أدخل البندقية بينهما وصوّب فوهتها نحو الهدف الذى اختاره وأطلقها عليه فأصابه . . .

ولكن فى الغد انتشرت فى بعض الأندية والمجالس إشاعة بأن الملك «سكر» فى الحفلة الساهرة التى أقيمت فى «أوبرج الأهرام» فى الليلة السابقة . . . وأطلق البندقية «بالمقلوب» من بين ساقيه!

ومن المعروف أنه فى بعض الليالى الراقصة التى تقام فى الفنادق والأماكن العامة وخصوصًا فى الأعياد الكبيرة توزع على الحاضرين والحاضرات أكياس مملوءة ورقا صغيرا ملونا (كونفيتى) وكرات صغيرة ملونة من الورق المجفف ليتراشقوا بها فى أثناء الرقص إذكاء للهو والمرح . . .

وكان فاروق فى تلك السهرات يحشد بجواره عددًا كبيرًا من أكياس تلك البكرات ويرشق بها الذين يرغب فى مداعبتهم من معارفه وغير معارفه ــ رجالا ونساء . . .

ثم كان يخطر له أن يغمس الكرات بالماء فكانت كل كرة تقع على فستان سيدة تترك فيه أثرا من لونها ولاسيما إذا كانت الفساتين بيضاء أو زاهية الألوان فترتفع ضحكات من بعض جوانب القاعة، بينما يأبى كثيرون أن يتصوروا أن هذا تصرف رجل لم تلعب الخمر برأسه! . . .

فإذا طاب له أن يشترك فى الرقص أوعز إلى الذين معه بأن يحذوا حذوه، وكثيرًا ما كان يداعبهم فى أثناء الرقص «بالاصطدام» بهم أو بالنقر على أذن من يلتقى به من خلف . . .

كان يفعل ذلك أولا لأن تلك الحركات ــ وقد كانت جزءا من نزواته ــ كانت تسره وتسرى عنه، وثانيا لأنه كان يظن أن بعضها يظهره بمظهر الملك الشعبى الديمقراطى!

ومن الإنصاف أن أقول هنا إن بعض أخصائه حاولوا مثلى أن يقنعوه بالإقلاع عن تلك الحركات، ولو فى الأماكن العامة على الأقل، فلم يقتنع بكلام أحد، ولم نكن فى بعض

الأحوال نجاوز حد الإشارة العابرة؛ إذ كان من طبعه فى أغلب الأحيان أن يقابل الملاحظة التى تبدى له بالإمعان فى تصرفه والمغالاة فيه . . .

بلغنى أنه لما كان فى «بيارتز»[1] حضر أكبر ليلة راقصة تقام فيها فى موسم الصيف، وهناك أيضا أقدم على إلقاء الكرات الملونة مغموسة بالماء فخشى إلهامى حسين أن يؤدى إصابة فستان سيدة إلى إغضابها أو إغضاب زوجها فينشأ عن ذلك موقف هو فى غنى عنه، فوجه نظره إلى ما يخشاه، فلم يكن منه إلا أن كف عن إلقاء الكرات واستعاض عنها بحبات عنقود من العنب كان أمامه . . . عنادا منه!

* * *

وكان شأنه فى التدخين كشأنه فى الملبس والمأكل . . . فلا «كيف» ولا مزاج!

ولم يكن يدخن السجاير، وفى السنوات العشر التى قضيتها قريبا منه رأيته مرة واحدة فقط يدخن السيجارة . . . فقد كان يدخن «السيجار» دائما.

ومرت به فترة كان يدخن فيها «البيبة» (الغليون)، فأخذ يجمع كل شكل غريب من «البيبات» يقع تحت نظره، غير أنه لم يلبث أن أبطل تدخينها وتوقف عن جمعها، واقتصر على تدخين السيجار وحده . . .

ولم يكن يدخن فى خلال النهار وإن غادر فراشه مبكراً، إلا إذا كانت هناك مأدبة غداء رسمية فى القصر أو فى خارج القصر، ففى هذه الحالة كان يشعل سيجاراً بعد الطعام.

أما فى الظروف العادية فكان لا يشعل سيجاره الأول إلا بعد غروب الشمس!

وفى أيام كثيرة كان لا يبدأ التدخين إلا فى المساء، ثم يستمر فيه طوال السهرة إذا كان خارج القصر، وفى تلك الساعات كان يدخن سيجارين كبيرين أو ثلاثة . . . لا بدافع من مزاجه، بل تسلية وبدافع من حالته العصبية . . .

* * *

وكان «خبيراً» فى أنواع «السيجار» كما كان «خبيراً» فى أنواع «النبيذ» . . . يردد فى كل مناسبة أن السيجار الذى اسمه «بارتاجاس» هو أفخر أنواع سيجار «هافانا» وقد حاولت أن أقنعه بأن «هافانا» تصنع عدة أنواع من السيجار الممتاز، وأن لكل نوع محبيه وغواته، كما

---

(١) فى صيف عام ١٩٥٠ وكنت قد افترقت عنه فى «دوفيل».

هو الحال فى الويسكى الأسكتلندى مثلا . . . فأبى إلا أن يكون «البارتاجاس» أفخر أنواع السيجار، بدليل أنه هو يدخن منه!

وظللت فى شك من حيث حقيقة مزاجه فى تدخين السيجار إلى أن اكتشفت أمرا عجيبًا، وعندئذ تجلت لى الحقيقة سافرة، وهى أنه يدخن بلا مزاج ولا «كيف» كما قلت . . .

فمن المعلوم أن السجيار إذا أطفئ، أو انطفأ، وترك فترة من الوقت، تغير مذاقه واستحال على صاحبه أن يستأنف تدخينه . . هذا إن كان ذا مزاج فى التدخين ويعرف كيف يتلذذ بتدخين السيجار وغير مضطر إلى الاحتفاظ بنصفه الآخر لفرصة أخرى مراعاة لحالة جيبه، فعندئذ يتناسى طبعا أصول تدخينه ويتساهل فيها . . .

ففى مساء أحد الأيام خرجت مع فاروق بسيارته، وكان هو الذى يقودها كعادته فى جميع تنقلاته غير الرسمية، وبعدما تركنا القصر بقليل فتح العلبة الصغيرة الملاصقة لساعة السيارة وأخرج منها سيجاراً «مستعملا» لم يبق منه سوى نصفه وأشعله وأخذ يدخنه فانبعثت منه رائحة غير مستحبة كالتى تنبعث من كل سيجار يعاد إشعاله بعد إطفائه بفترة طويلة . . .

وسألته متى أطفأ هذا السيجار؟ فقال: فى آخر سهرة الليلة السابقة عند عودته إلى القصر، وأخبرنى عندئذ متباهيا أنه عندما «يشبع» من التدخين ويكون باقيا من السيجار نصفه يشعر بأن من «البطر» أن يرميه فيحتفظ به لفرصه أخرى، وكذلك إذا عاد إلى القصر فى آخر السهرة وبيده سيجار لم ينته بعد، خبأ الجزء الباقى منه فى «جيب» السيارة ليستأنف تدخينه فى الغد كما رأيته يفعل الآن! . . .

وأكد لى فى تلك المناسبة أن الفكرة الشائعة وهى أن السيجار يفقد لذته إذا انطفأ مدة طويلة فكرة خاطئة يروجها بائعوه!!

ولما كان يخرج من القصر إلى مكان عام كانوا يضعون له دائما فى سيارته علبة من الجلد تتسع لأربعة سيجار، فإما أن يدخن منها أو يدخن من السيجار الذى يشتريه فى المكان الذى يكون جالسا فيه إذا وجد النوع الذى يدخن منه . . . ولا أذكر أنه أضافنى ـ أو أضاف غيرى ـ من تلك العلبة قط، ولكنه لم يكن يعارض أن أطلب سيجاراً على حسابه إذا نفذ ما كان معى منه، وكذلك كان يفعل غيرى من جلسائه من مدخنى السيجار باعتبار

أننا ضيوفه . . . إلا إذا كانت الحفلة أو المأدبة بدعوة من أحد منا فيكون هو ومن معه الضيوف!

وفى نهاية المآدب الرسمية التى كانت تؤدب فى القصر كانوا يقدمون له وللجالسين حوله ــ وحوله فقط ــ نوعا كبيرا من سيجار «بارتاجاس» الفاخر، فمن أراد سيجاراً أخذ منه، ومن آثر عليه سيجارة قدموا له سجاير . . . أما سائر المدعوين فكانوا يقدمون لهم مع السجاير سيجاراً من الدرجة الثانية أو الثالثة، وكان أحيانًا «محروقًا» لقدم عهده، وكثيراً ما كان هذا التصرف، أى تقديم نوعين مختلفين من السيجار فى مأدبة واحدة، مدعاة لانتقاد شديد!

أما فى المآدب التى كانت تقام فى القصر لكبار رجاله ــ وكانت تعقب صلاة الجمعة إذا أداها رسميا فى أحد مساجد المدينة ــ فكانوا يقدمون السيجار له وحده، ويقدمون السجاير للمدعوين، فإذا انتهت المأدبة جاء رئيس الخدم بسيجار لمن اشتهر بتدخينه منهم كتحية شخصية منه لهم!

ولا أخالنى فى حاجة إلى القول إن الحرص على صحتهم لم يكن السبب فى عدم تقديم السيجار لهم جميعا . . .

ولو قدموه لهم لما عارض فاروق فى ذلك، ولكن رؤساء خدمه كانوا يعلمون أنهم بعدم تقديمه يرضونه «أكثر» . . . والدليل على ذلك أنهم كانوا يوزعونه بعد انصرافه!

* * *

وكان «البروتوكول» فى المآدب الرسمية يقضى بألا يشعل أحد سيجاره أو سيجارته إلا بعدما يشعل الملك سيجاره.

ولاحظ فاروق بعد إحدى تلك المآدب أن حفنى محمود «باشا» ــ وكان وزيرا يومئذ ــ أشعل سيجارته قبل أن يشعل هو سيجاره، فنادى أحد رجال التشريفات وأمره أن يذهب إليه ويطلب منه إطفاء سيجارته!

ومع أنه كان فى مآدبه وجلساته الخاصة يترك لضيوفه وجلسائه جانبا كبيرا من الحرية، فقد كان لا يتسامح مطلقا إذا أقدم أحد منهم على إشعال سيجاره أو سيجارته قبله، بل كان يلاحظ عليه ذلك فورا إما بنفسه أو بواسطة آخر، ولم يكن فى ذلك يفرق بين الرجال

والسيدات، أو بين مآدبه وجلساته الخاصة فى القصر ومآدبه وجلساته الخاصة فى خارج القصر . . .

دعا مرة جماعة من السيدات والرجال، من مصريين وأجانب، إلى العشاء فى ضيافته فى مكان عام، وكان فى مقدمتهم «حضرة صاحب السمو الإمبراطورى والملكى البرنس «دون خوان دى براجانس بارم» حفيد آخر إمبراطورة للبرازيل وشقيق وريث عرشها وقريب ونسيب كثير من الأسر الملكية فى أوروبا . . . وفى خلال العشاء أخرج سموه علبة السجاير من جيبه وقدم سيجارة للسيدة الجالسة إلى جانبه وأراد إشعالها لها، فشكرته وقالت له إنها ستدخنها فيما بعد، وكانت سيدة مصرية وتعرف تشدد فاروق فى هذا الشأن، ولكنها لم تر أن توعز إليه بعدم إشعال سيجارته، فما كاد فاروق يلمحه حتى قال له جادا: «إننا لم نعتد أن ندخن خلال الأكل»!

وكان الحديث بينهما يدور بالإنجليزية فقال الأمير باسما: هل هذا أمر ملكى يا سيدى؟

فلم يجاوبه وعاد إلى محادثة جارته . . . فلم يكن من الأمير البرازيلى إلا أن أطفأ سيجارته ولم يشعلها بعد ذلك إلا بعدما أشعل فاروق سيجاره!

ولذلك كنا فى مجالسه الخاصة إذا رأيناه متباطئا فى التدخين سألناه هل يريد سيجاراً؟ فإما أن يجيب بالإيجاب ويشعله، وإما أن يقول إنه لا ينوى التدخين الآن، وإنما فى استطاعة الحاضرين أن يدخنوا إذا أحبوا ذلك . . .

أما فى الحفلات والمناسبات الرسمية فكان لابد من الانتظار . . . فإذا لم يدخن اضطر جميع الحاضرين إلى الاقتداء به!

حدث فى أواخر عام ١٩٤٩ أن حضر عرضًا عسكريًا كبيراً بمناسبة الذكرى المئوية لمحمد على الكبير مؤسس أسرته، وكان أمام كرسيه خوان صغير عليه علبة مملوءة سيجاراً، وأخذ بعض الأمراء المحيطين به يرقبون بفارغ صبر أن يشرع فى التدخين ليتيسر لهم أن يدخنوا بدورهم، ومنهم من لم يكن يستطيع البقاء بدون تدخين طويلاً، ولكنه أمسك فى ذلك اليوم عن التدخين طول مدة العرض وقد استغرق أكثر من أربع ساعات، أما من كان جالسًا بعيدا عنه من كبار المدعوين فتمكن من التدخين خلسة، وقد تمنى كثيرون أن يجلسوا فى الصفوف الأخيرة لو كان فى مقدورهم أن يفعلوا ذلك من غير أن يلفتوا نظره إليهم، وقد كان منظرهم وهم يتلفتون إلى الذين أمكنهم التدخين يدعو إلى الرثاء لحالهم حقيقة.

* * *

ودأب فاروق فى وقت ما على تدخين السيجار الهولندى مع ما بينه وبين سيجار «هافانا» من فارق كبير، وفى هذا دليل آخر على أنه لم يكن يدخن عن لذة ومزاج. . .

ولم يكتف بذلك، بل أخذ يدخن أصغر أنواع السيجار الهولندى حجما، وكان السيجار منها بطول السيجارة العادية وأرفع منها. . .

فعل ذلك لا لتعب شعر به فى صحته أو عملا بنصيحة من أطبائه، بل فعله لأنه رأى يوما علبة من ذلك السيجار الهولندى الصغير مع أحد معارفه فجربه فأعجبه فقرر أن يدخن دائما منه. . .

وبعد أشهر عاد إلى سيجار «هافانا»، ونبذ السيجار الهولندى!

* * *

وسأله مرة وزير مفوض للبرازيل فى مصر: هل دخن السيجار البرازيلى؟ فأجاب سلبا، وكان هذا الوزير منقولاً إلى بلاده فاستأذن منه فى أن يرسل إليه منها صندوقًا من أجود سيجارها. . .

وكان بين ذلك الوزير وبينى علاقات ودّ وصداقة، وكان يعرف أننى مولع بتدخين السيجار، فلما عاد إلى بلاده وأعد هديته جعلها صندوقين بدلا من صندوق واحد: الأول لفاروق، والثانى لى. . .

وتلقيت بعد حين طردا كبيرا من البرازيل، ولما فضضته بدا لى صندوق كبير من الخشب الجميل تتوسط غطاءه قطعة مربعة من الذهب نقش عليه التاج المصرى وتحته حرف «ف» ولما فتحته ألفيته من الداخل بشكل مدرج يحتوى كل قسم من أقسامه على عدد من السيجار يختلف حجمه عن أحجام سيجار سائر الأقسام ويبلغ عدد كلها مائتى سيجار، وقد حلى أعلى المدرج بحلية صغيرة من الذهب نقش التاج المصرى فى وسطها وتحته حرف «ف» كذلك. .

ولما اتصل بى فاروق تليفونيا لأمر ما اغتنمت الفرصة وحدثته عن تلك الهدية اللطيفة فقال لى إنه هو أيضا تلقى صندوقه. . . ولكن ما كاد يسمع منى وصف صندوقى حتى صاح قائلا: إن الصندوق الذى وصل إليك هو الصندوق الذى كان معدًّا لى، فإنه ليس على الصندوق الذى جاءنى حلية أو تاج أو الحرف الأول من اسمى. . . فأرسله إلىّ وأنا أرسل إليك صندوقك!

ويظهر أن الذين تولوا إعداد الصندوقين خلطوا بين الطردين فكتبوا اسم فاروق على الطرد الخاص بى وكتبوا اسمى على الطرد الخاص به!

وبعد أقل من ساعة، تسلم فاروق الصندوق الذى أرسل إلىّ خطأ...

أما صندوقى فلم يأت أبدا!

وفى أول فرصة سنحت لى قلت لفاروق: إن جلالتك لم تخبرنى كيف وجدت السيجار البرازيلى؟!

وأدرك مغزى سؤالى فقال: أقل مما كنت أنتظر، وقد أيقنت أنه لن يعجبك، ولذلك لم أرسل إليك صندوقك!...

البـــاب الثـــانى

- مجموعاته الخاصة
- رياضتـــه
- حراسـتـه
- تعليمـــه

مجموعاته الخاصة ..!

لم يكن فاروق معدوم «المزاج» فى ملبسه ومأكله وتدخينه فقط، بل كان معدوم «المزاج» كذلك، فيما كان يملك من مجوهرات وساعات وعلب سجاير وولاعات ومحافظ جيب مع أنها كانت مكدسة عنده تكديسا على اختلاف أنواعها وأشكالها.

كان يلبس خاتما واحدا لا يغيره ولا يبدله، مع أنه كان عنده عدة خواتم أخرى لا تقل عنه رونقا وجمالا . . . وكان ذا فص كبير من الزمرد.

وكان إذا ارتدى ملابس السهرة وضع فى أكمام قميصه أحيانا أزرارًا صنعت من فصوص كبيرة من الألماس ـ هذا فى النادر ـ أما فى معظم الأحيان فكان يلبس معها أزرارًا عادية جدًا . . .

ورأيته فى بعض السهرات الخاصة ـ ولا أظن أن عددها زاد على ثلاث أو أربع ـ مزينًا سلسلة ساعة جيبه بماسة كبيرة بحجم الجوزة، ولم يكن يحمل ساعة جيب إلا نادرًا وعلى أن يكون لابسًا ملابس السهرة . .

وكان عنده مئات من الساعات القديمة والحديثة. وأعنى بالقديمة الأثرية منها والتاريخية، وهذه طبعًا لم يكن من المنتظر أن يحملها، ولكنه لم يكن يحمل الحديثة كذلك، فقد كان عنده فى حجرته ثلاث ساعات لليد، أو أربع، يحمل كل واحدة منها أيامًا، ثم يتركها، ثم يعود إليها . . .

أما سائر ساعاته الحديثة فلم يكن يراها أو يتمتع بها، بل كان «الأمين» عليها (أى الموظف المسئول عنها وعلى سائر مجموعاته) يرقم كل ساعة منها برقم، ثم يسجله مع وصفها فى السجل الخاص بالساعات، ثم يضعها فى مكانها فى الحقائب أو العلب التى صنعت خصيصًا لحفظ الساعات فيها . . .

* * *

وكان عنده عدد كبير من علب السجاير التى اشتراها بنفسه، أو أهديت إليه فى مناسبات شتى، وكانت من كل نوع ومن كل حجم، وكان بعضها آية فى الرونق والجمال، ومع ذلك لم أر معه يوما علبة منها، إذ كان لا يدخن السجاير، فكانت كلها تحفظ فى الحقائب الخاصة بها لدى أمين المجموعات، ولا يتمتع فاروق إلا بمنظر السجلات التى سجلت فيها أوصافها وأرقامها!

واعتاد فى وقت ما أن يحمل معه سجاير ليقدم منها للسيدات اللواتى يجتمع بهن، ولكنه كان يحتفظ بها فى علبها الأصلية المصنوعة من الورق أو الصفيح! . . . أما علب سجايره الغالية المكدسة فى الخزائن فلم تر النور قط!

وأعجب من ذلك شأنه فى الولاعات. . .

* * *

كان يقتنى منها عددًا كبيرًا جدًا، وكانت من كل حجم، ومن كل طراز. . . من ذهب، ومن ذهب محلى بأحجار كريمة، ومن ذهب وبلاتين، ومن فضة، ومن فضة مزخرفة، أى أنه كان عنده منها ما يلائم كل مناسبة وكل درجة من درجات الحفلات والمجتمعات التى يحضرها. . .

فما هى الولاعة التى تظن أنه كان يؤثرها عليها كلها؟

كان فى سنى الحرب العظمى الأخيرة لا يستعمل سوى ولاعة واحدة، وهى الولاعة السوداء الضخمة التى كانت شائعة بين رجال القوات الأميركية، وقد أحبها لأن الهواء كان لا يطفئها، ثم صنع لها غلافا من الذهب. . .

وفى ذات يوم رأى ولاعة مصنوعة من «البلاستيك» لا يزيد ثمنها على بضعة قروش، فاستعاض بها عن تلك، وأصبحت هى الولاعة المفضلة عنده. . .

وفى أواخر عهدى معه أبدلها بولاعة أخرى من «البلاستيك» ــ أيضا ــ يُرى البنزين من خلال غلافها. . . ويُرى فى وسط البنزين «زهر» صغير شبيه «بزهر» اللعب وكانت تباع فى جميع المحال!

وأما الولاعات الجميلة والثمينة فكان لا يحملها ولا يستعملها. . . كانت مدفونة فى «المجموعة». . . فى الحقائب الخاصة بها. . . عند «أمين» المجموعات!

* * *

ودبابيس ربطات الرقبة (الكرافتات) كان عنده منها عشرات، من كل شكل، ومن كل نوع ولون . . . كانت عنده «اسما» . . . أما «فعلا» فكانت عند «أمين» المجموعات! . . .

ولا أظن أنه هو نفسه كان يعرف عدد «محافظ الجيب» التى كانت عنده، وكانت كلها من أفخر الجلود وأجملها، وقد ثبت عليها جميعا تاج صغير والحرف الأول من اسمه بالذهب أو بالماس أو بالبلاتين، وكان إذا تلقى محفظة جديدة اغتبط بها كأنها ستعوضه عن آخر محفظة عنده، أو كأنه كان ينتظرها بفارغ صبر لتحل محل المحفظة التى معه . . . . فى حين أنه كان لا يحمل سوى محفظة واحدة لا يغيرها ولا يبدلها أبدا . . . وكانت دون جميع محافظه شكلا ونوعا . . .

أما محافظه الفاخرة والجميلة، فكانت عند «أمين» المجموعات . . . فى الحقائب الخاصة بها!

* * *

ومن كان الموظف الأمين عن تلك «المجموعات» والمسئول عنها؟

كان الأمين عليها هو الأمين على مجموعة النقود القديمة ومجموعة طوابع البريد كذلك، وكان رجلا إيطاليا اسمه «جارو»، وكان حلاق الملك فؤاد منذ كان أميراً، فلما اعتلى العرش احتفظ به وألحقه بخدمته، ثم عين له مساعداً شابّا اسمه «بترو» وهو الذى أصبح فيما بعد أحد حلاقى فاروق.

ولما تقدم «جارو» فى السن وأريد تدبير عمل آخر له عينه فاروق أمينا على المجموعات الخاصة، وكان مجتهداً فى عمله من حيث تنظيم المجموعات وتنسيقها والعناية بنظافتها، وإن كنت قد عجزت عن اكتشاف الصلة بين فن الحلاقة . . . ومجموعة العملة القديمة مثلا!

وأراد فاروق أن يعين له مساعداً، فاختاره من حجاب القصر!

وهكذا كان يقوم على صون «المجموعات» الملكية حلاق وحاجب!

* * *

وبعد رحيل فاروق عن مصر شاهد الناس ما كان عنده من أكواب وكئوس غالية صنع بعضها من الذهب وحده، وصنع بعضها الآخر من الذهب وحلى بالماس وبغيره من الحجارة، فكانوا يتخيلون أبهة الملك حين كان الشراب لا يصل إلى فمه إلا عن طريق تلك الكئوس والأكواب . . .

بيد أنه كان فى الحقيقة لا يلمسها ولا يستعملها قط . . . ولا يراها إلا مرة واحدة، وذلك ساعة وصولها . . . ثم تنقل إلى المكان المخصص لحفظها وصونها!

أما الأكواب التى كان يشرب منها فكانت كالأكواب الموجودة فى جميع البيوت . . .

وحتى فى المآدب الرسمية كانت كوبته عادية كأكواب سائر المدعوين . . .

وكان يقال أحيانا فى وصف بعض الحفلات الملكية إنه قدمت للمدعوين مثلجات فى أكواب من ذهب، أو «دندرمة» فى صحائف من ذهب، أو فاكهة فى أطباق من ذهب . . . وكانوا يعنون بذلك طقما قديما يرجع إلى عهد الخديو إسماعيل . . . ولم يكن من ذهب، وإنما كان من الفضة المذهبة أو المطلية ذهبا . . . ولم يكن يظهر إلا فى بعض المناسبات فيستعمله فاروق عندئذ كما يستعمله سائر الحاضرين . . .

وليس معنى ذلك أنه لم يكن عنده صحائف من ذهب، أو أطباق من ذهب أو شوك وسكاكين وملاعق من ذهب . . . بل كان عنده منها . . . وكان عنده منها كلها بوفرة . . . ولكن أين؟ . . . فى صناديقها، فى علبها، فى الخزائن المخصصة لها!

أما الأطباق التى كان يأكل فيها فى حياته العادية وفى المآدب الرسمية وغير الرسمية، فكانت من الصينى . . لا أكثر.

وأما كل ما كان من ذهب فلم يكن يظهر . . . ولم يكن يستعمل . . . بل لم يكن يعرض . . . كأنما كانوا يخافون عليه من أشعة الشمس أو من ضوء المصابيح!

ولما تكاثرت تلك المجموعات فكر فاروق فى تحويل أحد أدوار قصر القبة إلى متحف خاص لتحفه وطرفه ونفائسه الخصوصية، وقد تركت خدمته والعمل فى إعداد هذا المتحف لا يزال جاريا، ولا أظن أنه عرض فيه شيئا منها قبل رحيله، فظلت «مخزونة» طوال السنوات التى قضاها على العرش!

* * *

ومن المسابح الجميلة التى كانت عنده مسبحة أهداها إليه الملك عبدالله ملك الأردن

عند زيارته الأخيرة لمصر، وكان العاهل الأردنى قد تلقاها هدية من الرئيس عصمت إينونو خلال زيارته الرسمية لتركيا، وكانت من الكهرمان الأحمر.

وفيما عدا مسبحة كان فاروق يضعها على مكتبه... كانت مجموعة مسابحه كلها محفوظة إلى جانب سائر مجموعاته فى الحقيبة الخاصة بها!

ولما رأى الناس بعد الثورة صور تلك الأطقم المتعددة من «الظروف»[1] التى تفنن أمهر الصياغ فى صنعها من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة على اختلاف ألوانها ـ لما رأى الناس تلك الظروف، وكل ظرف منها حلية فنية رائعة قائمة بذاتها، تساءلوا طبعا كيف أمكن المحافظة على رونقها وبهائها بالرغم من استعمالها للقهوة، والقهوة تشرب غير مرة فى اليوم الواحد...

ولو علموا الحقيقة لدهشوا!

وما الحقيقة سوى أن تلك الأطقم لم تستعمل مرة واحدة، ولم تغسل مرة واحدة...

بل لم تتعرض للضوء والهواء يوما واحدا!

فقد كان فاروق فى حياته اليومية يتناول القهوة فى فناجين من الصينى العادى، ولم تكن تقدم له فى «ظرف» من تلك الظروف المصنوعة من الذهب والمحلاة بالحجارة الكريمة إلا فى المآدب والاحتفالات الرسمية... وكان ذلك يقتصر عليه وحده لأنه حتى فى تلك المناسبات كانت القهوة تقدم للمدعوين فى فناجين عادية، إلا إذا كان ضيفه ملكا آخر أو رئيس جمهورية، فكانوا يقدمون له قهوته فى «ظرف» مماثل «للظرف» الذى يقدمونها به لفاروق...

ومع ذلك فقد كان استعمال «الظروف» فى المآدب والاحتفالات الرسمية مقتصراً على طقمين اثنين يتألف كل منهما من «ظرفين»... وكان هذان الطقمان لا يتغيران مطلقا... أما سائر الأطقم فكان مصيرها كمصير المجموعات الملكية الأخرى... فى الحقائب أو العلب الخاصة بها... وفى خزائن لا تفتح إلا لتنظيفها من وقت إلى آخر!

ولما سافر فاروق إلى أوروبا فى صيف عام ١٩٥٠ أخذ خدمه تلك «الظروف» الأربعة معهم لتكون فى متناول أيديهم إذا أقام حفلة رسمية أو مأدبة رسمية...

---

(١) هى «الظروف» التى توضع فناجين القهوة فى داخلها. أما الفناجين نفسها فتصنع من الصيني كالفناجين العادية.

وفى ذات ليلة، بينما كان فاروق جالسًا إلى إحدى موائد القمار فى كازينو «دوفيل» طلب أن يأتوا له بفنجان قهوة. . .

وكان قد رتّب المظاهرة التى شاهدها الحاضرون ساعتئذ بدون أن يكاشف أحدًا بما رتبه. . .

شاهدوا سفرجيا من سفرجية الملك القادمين معه من مصر داخلا قاعة اللعب الكبيرة بسراويله الحمراء المزركشة بالقصب[1] والطربوش وبين يديه صينية مستديرة من الذهب عليها «ظرف» من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة. . . وبعد السؤال والاستفسار عرفوا أنها «القهوة الخاصة بالملك». . . فكان أول تعليق لهم على ذلك أن فاروق يخاف أن يدس له خصومه السم فى القهوة فجلب معه من مصر بعض خدمه المختصين بإعداد القهوة فى القصور الملكية. . . ورددت الصحف صدى هذا التعليق!

من حيث الموضوع نفسه، أما من حيث «المظاهرة» التى شاهدوا فيها كيفية تقديم القهوة له فقالوا إنه إذا كان وهو فى قاعة اللعب فى كازينو دوفيل يتناول القهوة فى ذلك الظرف النفيس المصنوع من الذهب والحجارة الكريمة ومن يد «سفرجى» يلبس ملابس مزركشة بالقصب، فكيف تكون أبهته فى بلاده؟ وكيف يكون بذخه وترفه عندما يكون فى قصوره. . .؟!

وهل يلامون على ما صوره لهم خيالهم فى تلك الساعة وهم يرونه لا يشرب القهوة فى كازينو دوفيل إلا إذا كانت فى ظرف من ذهب. . . وإلا إذا كان الذهب محلى بالحجارة الكريمة!!

والغريب أنه فعل ذلك فى قاعة القمار بالكازينو، بينما كان فى الجناح الخاص به فى الفندق يشرب القهوة فى فناجين الفندق العادية وإن صنعها له بعض خدمه! . . .

وهنا قد يسأل القارئ: وما الذى حدا به إلى ترتيب هذه المظاهرة؟

وقد أجاب هو نفسه على هذا السؤال بما قاله يومئذ لحاشيته. قال: لا شك أن منظر عبدالعال ــ وكان اسم السفرجى ــ وهو داخل بملابسه الحمراء المزركشة بالقصب يحمل صينية من ذهب عليها ظرف من ذهب وماس وزمرد كان دعاية جميلة لمصر!

(١) كان ذلك لباس السفرجية فى المآدب والحفلات الرسمية فى القصر، وكان لهم لباس آخر أخضر اللون للمناسبات عينها.

ولما قرأ بعد يومين تهكم بعض الصحف الإنجليزية على تلك «المظاهرة» ابتسم وقال: هم «مفلوقين» لأنى أزور فرنسا ولا أزور بلادهم!...

ثم عادت «مظاهرة» القهوة فتكررت فى كل ليلة أمضى سهرتها فى الكازينو!

* * *

وكان عند تجار المجوهرات والعاديات فى مصر تعليمات من القصر بأنه إذا وقعت فى أيديهم حلية نفيسة أو ساعة قديمة ثمينة أو تحفة نادرة، بادروا إلى إبلاغه عنها ليكون أول من يفوز بشرائها إذا أعجبته...

كذلك كان الذين يزورون مصر من كبار تجار المجوهرات الأجانب ليعرضوا فيها نماذج من صنع محالهم يرسلون إلى القصر المجموعة التى سيعرضونها ليكون الملك أول من يتفرج عليها...

وكانت أشهر محال المجوهرات والعاديات فى أوروبا وأميركا ترسل إليه تباعا نشرات مصورة عما تخرجه من نفائس أو عما تعثر عليه من تحف وطرف نادرة، فإذا راقه شىء منها أرسل فى طلبه...

وهذا غير رجاله الذين كانوا يجدُّون فى البحث عن كل تحفة طريفة فى أوروبا وأميركا ويبلغونه بانتظام نتيجة بحوثهم وتحرياتهم...

ولم تكن القيمة المادية، أو التاريخية، الأمر الوحيد الذى يهمه فيما يشترى ويقتنى، بل كان يهتم «بالشكل» أيضا، فقد كان لكل فريد غريب قيمة خاصة فى نظره، ولا أغالى إذا قلت إن التحف والطرف ذات «الأشكال» الغريبة كانت تستهويه أكثر من سواها!

* * *

وكان فاروق شديد الحرص فى الهدايا التى يهديها إلى أخصائه وأصدقائه، ولا أعنى من حيث كرمه أو بخله فهذا موضوع سأتكلم عنه فى فصل آخر، وإنما من حيث ما كانت تحمله من طابع يدل على أنها مهداة منه...

فقد جرت عادة الملوك على أنهم إذا أحبوا أن يهدوا هدية شخصية إلى أحد رجالهم أو أصدقائهم، جعلوا هديتهم إما صورتهم الفوتوغرافية موقعا عليها وموضوعة فى إطار جميل يعلوه التاج، أو ساعة جميلة ونقش عليها التاج واسم الملك أو الحرف الأول من

اسمه، أو علبة للسجاير من فضة أو من ذهب وعليها التاج واسم الملك أو الحرف الأول من اسمه كذلك، أو دبوسًا لرباط الرقبة (الكرافتة) على النمط نفسه.

فهذا النوع من الهدايا الشخصية كان فاروق يضنّ به ضنّا عظيمًا، وأقصد «بالهدايا الشخصية» الهدايا ذات الطابع الشخصى أى الهدايا التى عليها التاج واسمه أو الحرف الأول من اسمه...

فقد كان فى معظم الأحيان إذا أراد إهداء هدية شخصية أمر بشرائها من السوق مباشرة وإرسالها إلى المهدى إليه من غير أن يكون عليها التاج واسمه أو الحرف الأول من اسمه، أى من غير أن يكون عليها دليل يدل على أنها منه، وذلك لأنه كان يشعر أن فى تثبيت التاج واسمه على الهدية شرفا يجمل به ألا يغدقه على أحد بسهولة... فقد علمه الذين كانوا محيطين به عند اعتلائه العرش وأفهموه أن «أى هدية» يهديها إلى أحد يجب أن تقابل من المهدى إليه بالشكر والدعاء والحمد لأنها دليل على «العطف السامى والتقدير الكريم»... ومن هنا نشأ اعتقاده بأنه إذا أهدى إلى أحد هدية عليها التاج واسمه سما به إلى منزلة رفيعة، ومن هنا كان ضنه بهذا النوع من الهدايا!

وأذكر أنه لم يهد إلىّ هدية عليها التاج والحرف الأول من اسمه ـ وكانت علبة للسجاير من فضة ـ إلا بعدما توثقت علاقاتنا بخمس سنوات وأحسّ أننى أستحق إلى أن أرفع إلى تلك المنزلة!

ولا أظن أن عدد الذين أهدى إليهم هدية ذات طابع شخصى زاد على أربعة أو خمسة فى مصر كلها طول مدة جلوسه على العرش!

ودارت بيننا يومًا مناقشة حادة فى هذا الموضوع أغضبته علىّ، فقد أهدى إلىّ مرة فى الذكرى السنوية لابتداء معرفتنا هدية خالية من كل طابع شخصى ويمكن لكل إنسان أن يشتريها من محال كثيرة... وكانت التقاليد تقضى بأنه إذا تلقى أحد رجاله أو أصدقائه هدية منه بادر إلى الاتصال «بالشمشرجى النوبتجى» تليفونيا وطلب منه أن يرفع إليه شكره مقرونا بدعائه، ثم يعود فيكرر له شكره عندما يلتقى به شخصيا... فلما تلقيت تلك الهدية لم أبلغه شكرى... فانتظر ثلاث ساعات، ولما لم يخبروه أننى تكلمت وشكرت؛ اتصل بى تليفونيا متظاهرا بأنه يكلمنى ليسألنى عما تم فى مسألة معينة، ثم قال: وعلى فكرة... هل وصل إليك شىء منى اليوم بعد الظهر؟...

فقلت بلهجة لا حماسة فيها: وصل يا أفندم، وأنا شاكر لجلالتك عطفك...

فقال: يبدو من كلامك أنك غير مبسوط من الهدية . . .

فقلت: الواقع أن عندى كلاما فى هذا الموضوع سأستأذن يوما من جلالتك فى قوله لك . . .

فقال: ولماذا لا يكون ذلك الآن . . . سأكون بعد ربع ساعة فى فندق شبرد فتعال إلىّ هناك . . .

ولما دخلت الفندق ألفيته جالسًا فى آخر بهوه، وما كدت أحييه وأجلس حتى قال لى: إنى مستعد لسماع ما عندك من كلام . . .

وكانت خلاصة حديثى أنه أهدى إلىّ فى مناسبة سابقة هدية ذات طابع شخصى، فإذا كلمته الآن فى موضوع هداياه فلا يمكنه أن يظن أننى أتكلم عن نفسى . . . ولكن بمناسبة الهدية التى أهداها إلىّ اليوم وبمناسبة خلوها من كل طابع شخصى أرى من الواجب علىّ أن أصارحه بأننى سمعت انتقادات كثيرة على هداياه الشخصية، لأنها عندما لا تكون ذات طابع شخصى، لا يكون لها رونق ما فى نظر الشخص الذى تهدى إليه . . . فى حين أن الملوك عندما يهدون هدايا عليها رسم تيجانهم وأسماؤهم إنما يقصدون قبل كل شىء أن يكون لها طابع تذكارى . . . وهذا الطابع التذكارى أو المعنى التذكارى هو الذى يضفى على هداياهم قيمة خاصة ويبعث فى المهدى إليه الرغبة فى توريثها لأولاده وأحفاده . . .

وأردت أن أعزز كلامى فقلت إنه لما توفى الدكتور محمد شاهين «باشا» وكان الطبيب الخاص للملك فؤاد عقد ورثته اجتماعا بحثوا فيه كيف يتقاسمون الهدايا التذكارية الشخصية التى تلقاها فى مناسبات شتى من الملك فؤاد والملكة نازلى . . .

وآلمه حديثى فحاول أن يستر ذلك بتظاهر الغضب فقال: أنا حر فى الهدايا التى أهديها ومستعد لاسترداد كل هدية لا تعجب . . .

فتظاهرت من جهتى بأننى لا ألاحظ غضبه ومضيت فى حديثى قائلا: لقد اعتدت جلالتك مثلا أن تهدى إلى بعض أصدقائك المسيحيين فى عيد الفصح بيضة كبيرة من الشيكولاتة يشتريها أحد رجالك من محل «جروبى» . . . ولاشك أن هذه اللفتة تسرهم للمعنى الذى تنطوى عليه، ولكن ثق جلالتك أن اغتباطهم يكون أعظم جدًا لو تلقوا منك شيئا صغيرا ذا طابع تذكارى بدلاً من بيضة من الشيكولاتة . . .

فقال: قلت لك إننى مستعد لاسترداد كل هدية لا تعجب!

فقلت: إنى أعلم أن هذا الموضوع ناعم وحساس، ولن تجد جلالتك من يصارحك القول فيه، وقد كلمتك بشأنه وأنا مقدر أن كلامى سيغضبك، ولكن إذا كنت أنا لا أقوله لك مهما عانيت فى هذا السبيل، فمن ذا الذى سيقوله لك؟ . . .

فقال: على كل حال إذا كانت هديتى لم تعجبك ففى إمكانك أن تعيدها إلىّ. . .

وافترقنا فى تلك الليلة والعلاقات بيننا فاترة. . .

وبعد هذا الحديث بيومين دعانى إلى نزهة معه فى ضاحية «المعادى» فلما بلغناها أوقف سيارته أمام مدخل «نادى اليخت» بها، ولم يكن قد انقضى على إنشائه زمان طويل، وقال لى: إننى لم أزر هذا النادى بعد ولذلك أردت مشاهدته اليوم واخترت للزيارة ساعة مبكرة قبل أن يتوافد عليه الأعضاء. . .

وفعلا لم يكن فى النادى فى تلك الساعة سوى بعض الخدم وشاب أجنبى كان جالسًا يقرأ فى أحد جوانب الشرفة المطلة على النيل. . .

وبينما كان فاروق يطالع أسماء أعضاء النادى مكتوبة على لوحة فى بهو الدار، اقترب منا هذا الشاب وانحنى للملك محييا، ثم قال بالفرنسية: أرجو من جلالتك أن تسمح لى بتقديم نفسى، فأنا فلان سكرتير النادى أضع نفسى فى خدمة جلالتك، لأدلى بأى معلومات تريدون معرفتها عن هذا النادى. . .

ولما جلسنا دعاه فاروق إلى الجلوس معنا، وبعدما استفسر منه عن أمور شتى سأله عن عمله فأجاب بأنه أستاذ الفلسفة فى إحدى المدارس الأجنبية الكبيرة بالقاهرة، وكان مما ذكره عن نشأته أن والده كان قنصلا لليونان فى إحدى مدن روسيا الساحلية فى عهد القيصر. . .

وهنا أخرج من جيبه ساعة كبيرة من الذهب نقش عليها بالحجارة الكريمة الشعار الإمبراطورى الروسى والحرف الأول من اسم القيصر، وقال: ولما زار القيصر تلك المدينة رحب به والدى باسم القناصل بوصفه عميد الهيئة القنصلية، فأهدى إليه القيصر هذه الساعة تذكارًا لتلك المناسبة. . . وقد ورثتها عنه!

فأخذ فاروق الساعة منه وبعدما قلبها بين يديه لحظة أعادها إليه قائلا: إنها حقيقة تذكار لطيف. . .

ولم أقل شيئا. . . ولما عدنا إلى السيارة لم أقل شيئا أيضا، فلم يلبث أن سألنى: ساكت ليه؟ . . .

فقلت : ولا حاجة يا أفندم . . .

فقال : أنا عارف إنت عاوز تقول إيه . . . نهايته بختك كويس !

فقلت : الحق هو اللى كويس !

ولم نعد إلى هذا الموضوع مرة أخرى . . .

وظل مقيما على خطته القديمة !

* * *

وكان ضنينًا بصوره الفوتوغرافية الممضاة منه أكثر من ضنه بهداياه الشخصية . . .

حتى شقيقاته لم يكن عندهن صورة له ممضاة منه إلى أن رأت إحداهن الصورة التى صورت له بالملابس العادية لتلصق على جواز السفر الذى سافر به إلى أوروبا فى سنة ١٩٥٠ باسم «فؤاد باشا المصرى» فقالت له إنها صورة ناجحة وتود أن يكون عندها «نسخة» منها . . . وفى الغد أمضى ثلاث صور وأرسلها إلى شقيقاته الثلاث «منعا للغيرة بينهن» كما قال يومئذ !

وقد جرى الملوك على عادة إهداء صورهم ممضاة منهم إلى السفراء الأجانب الذين ينقلون من بلدانهم إذا كانت قد نشأت بينهم صداقة شخصية ، ومن الملوك من يهدى هدية شخصية بدلا من الصورة ، ومنهم من يهدى الصورة والهدية الشخصية معا . . .

ولكنى لا أذكر أن فاروق أهدى هدية شخصية إلى أحد من السفراء الأجانب الذين مثلوا بلدانهم فى مصر فى السنوات السبع عشرة التى قضاها على العرش ، ولا أظن أنه أهدى صورته الفوتوغرافية إلى أكثر من سفيرين طوال تلك السنوات !

ولهذه المناسبة أذكر أنه لما زار الأميرال لورد مونتباتن ميناء الإسكندرية بالبارجة المعقود عليها لواؤه دعا فاروق إلى الغداء على مائدته بالبارجة ، ودعا معه الذين رغب فاروق فى أن يكونوا بصحبته من رجال القصر ، وكنت منهم .

ولا يخفى أن للورد مونتباتن مقامًا خاصًا فى إنجلترا لما أبدى فى أثناء الحرب العظمى من مقدرة وشجاعة ، ولما أظهر من أصالة الرأى وحصافة لما كان نائبا للملك فى الهند ، وللقرابة التى تربطه بالعائلة المالكة الإنجليزية[١] .

---

(١) وهو في الوقت نفسه خال دوق أدنبرة زوج الملكة إليزابيث .

ولما جلسنا إلى مائدته كان يزينها بعض الكئوس والصواع الفضية الجميلة وكلها تذكارات شخصية تاريخية لها شأنها وقيمتها . . . فهذا إناء أهدته إليه الملكة فيكتوريا يوم الاحتفال بتعميده (تنصيره)، وتلك كأس أهداها إليه الملك إدوارد الثامن (دوق وندسور) وقد نقشت عليها خارطة تمثل جميع البلدان التى زارها اللورد معه كياور له لما كان وليا للعهد، وهذا صاع من الملكة مارى جدة الملكة الحالية إلخ . . . وعلى منضدة صغيرة صورة للملك جورج السادس ممضاة منه . . . وفى أحد جوانب حجرة الجلوس الملاصقة لحجرة الأكل عدد من الصور الفوتوغرافية المضاة لمجموعة من أصحاب الأسماء الكبيرة . . . وفى جانب آخر من الحجرة نموذج مصغر من الفضة لبناء هندى شهير أهداه إليه أمراء الهند عند اعتزاله منصب نائب الملك . . . والخلاصة أن التذكارات الشخصية التى شاهدناها فى تينك الحجرتين تكفى وحدها للدلالة على مقام الرجل حتى إن كان زائره غير ملم بسيرته . . .

ولما عدنا إلى القصر اقترحت على فاروق أن يرسل صورته ممضاة منه إلى لورد مونتباتن كتحية وكشكر على ما أحاطه به من ضروب الحفاوة والتكريم . . . فرفض اقتراحى !

رفض بكلمة واحدة !

قال : يتعب . . .

وهكذا رأى فاروق أن لورد مومنتباتن ليس أهلا لأن يهدى إليه صورته الفوتوغرافية ممضاة منه . . . أو أن لورد مونتباتن لا يستحق هذه الصورة بعد ! . . .

ولما أحيل السير رونالد كامبل السفير البريطانى الأسبق فى مصر إلى المعاش لمناسبة بلوغه السن القانونية وتقرر أن يغادر القاهرة، أراد فاروق أن يكرمه تقديرا لعلاقاته الطيبة ولكى يظهر للإنجليز أن كرهه لسلفه ــ لورد كيلرن ــ كان بسبب تصرفاته معه . . . فأقام له حفلة شاى فى حدائق قصر القبة، وقال إنه سيهدى إليه صورته الفوتوغرافية ممضاة منه عند مقابلته له قبل الشاى . . .

ومع ذلك ظل يومين مترددا فى إمضاء الصورة . . . ودام تردده إلى ما قبل موعد المقابلة بخمس دقائق . . . ثم أمضاها !

ولما جاء الملك عبدالله إلى مصر فى آخر زيارة لها، كانت علاقاته بفاروق على أحسن ما يرام، مما بعثه يوما على إبلاغه أنه يود أن يكون عنده صورة حديثة له. . .

واستجاب فاروق لرغبته، وأمضى الصورة، وهمّ بإرسالها إليه، ولكن فى اللحظة التى انتهى فيها من إمضائها تذكر فجأة أنه أهدى إليه من قبل صورة أخرى، فقال: كفاية صورة واحدة!

ولم يرسل إلى الملك عبدالله الصورة الثانية!!

* * *

وفى منتصف شهر يونيو سنة ١٩٥٠ قامت السيدة حرم الرئيس السابق مصطفى النحاس حفلة خاصة فى إحدى قاعات فندق سان إستفانو احتفالا بعيد ميلاد زوجها، ودعت إليها بعض رجال القصر وكنت من الذين شملتهم الدعوة. . .

وكان مصطفى النحاس رئيسا للوزارة إذ ذاك، وكانت العلاقات بينه وبين فاروق يومئذ على خير ما يرجى أن تكون عليه العلاقات بين رئيس الوزراء والملك، بل إن فاروق كان فى تلك الأيام يقول إنه «ممنون امتنانًا خاصّا» من كبير وزرائه.

ولما علم فاروق أن النحاس سيحتفل بعيد ميلاده، أحب أن يغتنم الفرصة ليشمله بلفتة خاصة، فسألنى عما أقترحه فى هذا الصدد، فقلت له: إن النحاس لا يدخن، ولذلك لا يحمل علب سجاير أو ولاعات، ولكنه يحمل ساعة جيب، فلتكن الهدية ساعة للجيب من الساعات التى نقش عليها التاج والحرف الأول من اسم جلالتك. . . .

وسأل حسن يوسف «باشا»[1] رأيه فى الموضوع نفسه فاقترح أن يهدى إليه صورته الفوتوغرافية ممضاة منه. . .

وبعدما استمع للاقتراحين ضرب بهما عرض الحائط، وأرسل إلى النحاس هدية أخرى لم تخطر لأحد ولا يفكر فيها أحد. . .

أرسل إليه صندوقا مملوءا فاكهة من بساتينه فى «أنشاص»!

أو من «بشائر» أنشاص، كما قيل يومئذ فى الصحف. . .

رياضتـــه !...

حدثنى فاروق فى إحدى جلساتنا عن القيود الشديدة التى فرضها والده على نظام معيشته فى حداثته «ولاسيما لما لاحظ استعداد جسمى لأن يزداد وزنًا بسهولة ، فكان بالاتفاق مع الأطباء يعين لى من وقت إلى آخر الحد الذى يجب على وزن جسمى ألا يتعداه بحال ما ، وكان يراقب كشوفات هذا الوزن بنفسه باهتمام عظيم» . . .

وظل محافظًا على الوزن الذى عيّنه له والده إلى أن عاد من إنجلترا بعد وفاته ، واعتلى العرش ، فأخذ يهمل جسمه تدريجًا غير مكترث للزيادة المطردة التى تطرأ على وزنه ، وسرعان ما تحولت إلى بدانة فاستسلم لها ! . .

وكان فى أول الأمر إذا شعر بزيادة جلية فى وزنه قضى أيامًا فى رحلة صحراوية شاقة وأمسك فى خلالها عن الطعام الدسم والسوائل الكثيرة ، فيعود إلى قصره وقد نقص وزنه نقصًا محسوسًا . . . وكان حتى ذلك الحين يكثر من مناسبات الصيد والقنص فتساعده على الاحتفاظ بوزنه بقدر الإمكان . . .

ثم كفّ عن الرحلات الصحراوية ، وقلّل كثيراً من مناسبات الصيد ، وانقطع عن ممارسة جميع ضروب الرياضة ماعدا رياضة البحر ، وكان يقبل عليها فى فصل الصيف بالإسكندرية ، ولكن بطريقة غير مجدية ، فكانت النتيجة أن زادت بدانته زيادة سريعة فى السنوات الأخيرة لعهده ، ولاسيما منذما ولع بالقمار وأخذ يمضى ليله حول الموائد الخضراء بعد نهار نصفه فى الفراش ونصفه الآخر على المقاعد والكراسى !

* * *

ولا أعلم على وجه التحديد الرقم الذى بلغه وزنه قبل رحيله عن مصر ، فقد كان يكتم حقيقته حتى عن أطبائه ! . . . ولا أدرى هل كان هو نفسه يعرف الحقيقة ، إذ لا أظن أنه عنى بوزن جسمه فى السنتين الأخيرتين من سنى ملكه !

وسمعته فى أوائل سنة ١٩٥١ يذكر أمام أحد أطبائه ـ وهو الدكتور أحمد النقيب «باشا» ـ أن وزنه لا يزيد على ١١٠ كيلو . . . وقد تضايق منى فى ذلك اليوم لأننى سألته هل هذا وزنه بملابسه أم بدونها ، فقال لى : «وما الفرق؟» . فقلت متظاهرًا بالجد : «لأنه بدون الملابس والحذاء يكون الوزن أقل حتما ! . . .» .

وأدرك أننى أردت التشكيك فى الرقم الذى ذكره . . . غير أنه لم يجد فى كلامى أو فى لهجتى ما يؤاخذنى عليه ، فابتسم وقال للحاضرين ـ وكانوا جميعا من أخصائه ـ وهو يشير إلىّ «طويل اللسان صحيح !» ، ثم غادر الحجرة إلى الجناح الخاص به .

ولما أصبحنا وحدنا سألت الدكتور النقيب عن رأيه فى الرقم الذى زعم الملك أنه وزنه ، فهز رأسه ورفع حاجبيه وقال : لا يمكن أن يكون أقل من ١٣٠ أو ١٤٠ كيلو !

وفى مرة أخرى كان فاروق يخلع ملابسه أمامى فقلت له : ما شاء الله . . .

فقال : «إذا كنت تظن أننى سمين فأنت مخطئ ، فإن حجمى متناسب مع طولى . . . ولو تأملت فىّ لوجدت أن هذا كله ـ وأشار إلى كتفيه الضخمتين ـ عضل لا لحم !» .

وهكذا بعدما حاول أن يخدع أطباءه أخذ يحاول أن يخدع نفسه . قال لى فى مناسبة أخرى : أنا لا أخشى الزيادة التى يزيدها وزنى لأنى أستطيع أن أقضى على هذه الزيادة كلها برحلة واحدة فى الصحراء وسيكون ذلك قريبا إن شاء الله . . .

وانقضت خمس سنوات بدون أن تأتى هذه الرحلة !

وفى أثناء تلك السنوات الخمس كانت بدانته قد تملكت واستفحلت !

* * *

وكان يزين حجرة نومه فى قصر القبة ـ وهو القصر الذى كان يقيم فيه أكثر من كل قصر آخر ـ بصورة فوتوغرافية واحدة له ، وقد صورت له لما كان فى إنجلترا قبل أن يخلف والده على العرش ببضعة أشهر ، وكان من الصعب على الناظر إليها أن يصدق أنها للشخص نفسه الذى كان الناس إذا نظروا إلى صوره بعد ١٥ سنة أذهلهم التحول الكبير الذى تحولته هيئته وملامحه بسبب بدانته المفرطة !

وكان يضع تلك الصورة على منضدة صغيرة مواجهة لسريره ، فكنت أعجب كيف أن منظرها «اليومى» لا يحثه على وجوب الاهتمام بمعالجة حالته عند أشهر الأطباء فى مصر وفى الخارج . . .

إنى لست طبيبا، ولكنى أعتقد أن فى بدانة فاروق غير العادية شيئا له صلة باختلال إفراز بعض غدده إلى جانب عدة أسباب أخرى، ومع ذلك فالذى يهمنى تسجيله هنا هو أنه لم يستشر أحدا من كبار أطباء مصر فى مشكلة بدانته، ولما سافر إلى أوروبا فى صيف سنتى ١٩٥٠ و١٩٥١ لم يفكر طبعا فى معالجة نفسه، وقد دبّر يومئذ وقتا لأمور كثيرة، ولم يجد وقتا للاستئناس بآراء كبار الأطباء الإخصائيين فى العلاج الذى يحتاج إليه . . . لأنه لم يشأ أن يجد هذا الوقت!

وقد صارحه بعض أطبائه فى مصر بالأخطار التى ستستهدف لها صحته وحياته إن لم يتدارك أمر بدانته وينظم معيشته تنظيما آخر، فلم يُقم لتحذيرهم وزنا . . . وفى أواخر عهده شكا إليهم بعض الأعراض، ولا أعرف ماذا كانت، وإنما أعرف أنه فى اليوم السابق لليوم الذى كان مقرراً أن يزوره فيه بعض الأطباء ليبحثوا معه ما يجب بحثه، وليكاشفوه بالعلاج الذى يتعين عليه أن يخضع له، اتصل بأحدهم تليفونيا وقال له: إذا كنتم ستجيئون إلىّ غدا لتقولوا إنه من الضرورى اتباع «رجيم» فى الأكل وعمل إبر (حقن) وغير ذلك، فمن الأفضل ألا تجيئوا! . . .

فقال له الطبيب: كل ذلك لا مفر منه يا مولانا . . .

فقال له: فى هذه الحالة لا تحضروا! . . .

وفعلا لم يذهبوا إليه لأنه صمم على عدم مقابلتهم، وكان ذلك قبل رحيله عن مصر بوقت قصير.

وقد تدرب فى حداثته على طائفة من ضروب الرياضة، وظل يمارسها كلها إلى أن توفى والده، فأهملها شيئا فشيئا، ثم تخلى عنها نهائيا، ولم يُبق إلا على الصيد شتاء والسباحة صيفا . . .

كان يلعب «التنس» فتركه، والسيف والشيش فقاطعهما، وكان يجدف فأبطل التجديف، وكان يركب الخيل فهجرها بعد حلفه اليمين الدستورية بمدة قصيرة . . .

وفى قصر القبة قاعة أعدت للألعاب السويدية (الجمبازية) وجهزت بجميع المعدات اللازمة لها، ومنها ما يتحرك بالكهرباء ـ كالآلة التى تدلك كل جزء من أجزاء الجسم لتساعد على الحركة الدموية وتعاون على مقاومة البدانة ـ فهذه القاعة لم يعد فاروق يدخلها مرة واحدة فى السنة!

وبعدما كان ينظم رحلات صحراوية يستغرق بعضها أسابيع برمتها، وبعدما كان يُسر بها، ويعترف بما يفيده منها، نبذها تماما، وأوقف الرحلات البحرية التى كان يرحلها فى البحر الأحمر للصيد والاستطلاع. وكل ذلك منذ ولعه بالقمار أو بعبارة أصدق منذ تولعه بالقمار!

* * *

ومع إبقائه على الصيد قلل من خروجه له إلا للضرورة التى تحتمها التقاليد، كاضطراره إلى افتتاح موسم صيد البط بحضور الصيادين من الأمراء والسفراء والوزراء المفوضين وبعض أعضاء نادى الصيد، بحيث أصبح فى السنوات الأخيرة لا يخرج للصيد إلا مرتين فى الموسم كله أو ثلاثا على أكثر تقدير!

ومن القواعد التى يتبعها الصيادون أن يأووا إلى فراشهم مبكرين ليلة ذهابهم إلى الصيد إراحة لأعصابهم وبصرهم ولكى يتسنى لهم أن يستيقظوا قبل الفجر نشيطين معافين... أما فاروق فكان فى السنوات الأخيرة يقضى ليلة الصيد فى نادى السيارات ويغادر مائدة القمار إلى مكان الصيد رأسا. وقد استولى عليه التعب فيقاومه جهده ويفطر مع المدعوين مظهراً النشاط ومدعيا حسن الاستعداد لمواجهة المجهود الذى ينتظرهم... ثم يتخذ كل واحد مكانه فى البقعة المعينة له... ويطلق الملك الطلقة الأولى فتكون إيذانا ببدء الصيد... وبعد فترة قصيرة كان يحس بعجزه عن الاستمرار فى مقاومة تعبه، فينتظر أول فرصة تفتر فيها حركة إطلاق البندقيات انتظارا لوصول أسراب جديدة من الطير ويعود إلى المخيم... فإما أن يدخل خيمته ويستلقى على فراشه وينام، حتى إذا عاد المدعوون قالوا لهم إنه متعب ويستريح بعض الوقت... وإما أن يسرع إلى سيارته وينطلق بها إلى قصره لينام بقية النهار، وفى هذه الحالة يقولون للمدعوين إنه طرأ ما اقتضى عودته إلى القصر فورا!...

وإذا كان بين المدعوين سفراء يهمه مراعاة خواطرهم استلقى على كرسى كبير وتجلد وانتظر أوبتهم ليلاطفهم بكلمتين ثم يقول لهم: «إنه كان بوده أن يمكث معهم وأن يتغدى بصحبتهم ولكنه مكره على العودة إلى القصر لشئون طارئة ويرجو أن يقدروا ظروفه»... وبعدما يصورونهم معه الصورة التقليدية وأمامهم «محصول» الصيد، يصافحهم واحداً واحداً، ثم يستقل سيارته متنفساً الصعداء!

وكان برنامج الدعوة يتضمن دائما أن يتناول المدعوون طعام الغداء على المائدة الملكية،

ولكن بعد انصرافه لم يكن من المعقول أن يمكثوا ساعتين أخريين فى انتظار حلول موعد الغداء، فلا تكاد سيارته تبتعد عن الأنظار حتى يهرعوا جميعا إلى سياراتهم . . . تاركين للخدم الاستمتاع «بالغداء الملكى»! . . .

وفى الغد كانوا يتوجهون ـ حسب التقاليد ـ إلى القصر ويكتبون أسماءهم فى سجل التشريفات شاكرين لجلالة الملك كرم ضيافته والشرف العظيم الذى أولاهم إياه بدعوتهم إلى الصيد فى صحبته . . .

وكان فاروق يجيد الرماية إجادة تامة، وقد رأيت بنفسى البط يتساقط بعدد كبير أمام طلقاته السريعة المتعاقبة، ومنها طلقات تشهد له بالمهارة الفائقة، غير أنه لم يكن يطيق «تعمير» (حشو) بندقياته بنفسه . . . فبينما يكون متعقبا البط الزاحف نحوه ومصوبا بندقيته إليه يكون خادمه الألبانى المسئول عن «سلاح صيده» منهمكا بتعمير بندقية أخرى ليناوله إياها فى اللحظة التى يمد يده لأخذها منه . . . وتلك صورة أخرى من صور التكاسل والخمول اللذين استوليا عليه فى السنين الأخيرة!

وبعد انتهائه من الصيد كانوا يرصون «محصوله» على مقدمة سيارته ليدخل به المخيم عند عودته إليه . . . وكان من الطبيعى أن يفوق دائما النتيجة التى وفق إليها أى صياد آخر من المدعوين، لأنهم كانوا يضمون إليه كل مرة ما يصطاده اثنان من رجاله كانا يقفان على مسافة قريبة منه!

ورغم أن المدعوين كانوا يبدون إعجابهم العظيم «بمحصوله» الكبير فلا ريب أنهم كانوا فى قرارة أنفسهم يعلمون أنه ليس نتيجة مجهوده وحده، فينتقص ذلك من قدره فى أعينهم كصياد، مع أنه كان فى الحقيقة من الصيادين المتفوقين وفى غير حاجة إلى هذه الوسيلة ليقيم الدليل على أنه صياد ماهر، ولكنه كان يظن أنه «الملك» يجب أن يكون «محصوله» أوفر المحاصيل سواء كانت ظروف الصيد ملائمة له أو غير ملائمة، ومن الغريب أنه كان يحرص على ذلك حرصًا شديدًا، بينما كان يضرب عرض الحائط بمظاهر كثيرة أخرى أعظم شأنًا وأخطر أثرًا . . .

* * *

وكان يجيد الرماية بالمسدس إجادته لها بالبندقية ويباهى بذلك . . .

دعا مرة جماعة من أصدقائه المصريين والأميركيين والبريطانيين إلى رحلة فى بحيرة

قارون، وبينما كان يجتاز شرفة الفندق[1] المشرفة على البحيرة وقع نظره على رجلين جالسين بالقرب من باب الشرفة فلم يعجبه منظرهما، وقال لبعض الذين كانوا حوله إنه لا يستبعد أن يكونا من الشيوعيين، وطلب من ضابط البوليس الخاص المرافق ألا يغفل مراقبتهما . . .

ولما اكتمل عقد المدعوين أخذوا يتشاورون فيما يمكنهم عمله إلى أن يأزف موعد الغداء فاقترح عليهم فاروق تنظيم مباراة فى الرماية بالمسدس، فنظموها فورا، واشترك فيها كل من له بالرماية دراية، وكان هو قد طلب أن يكون آخر من «يضرب» . . .

وكان الهدف الذى تباروا فى إصابته «لمبة» صغيرة من لمبات المصابيح الكهربائية وضعوها على مائدة صغيرة، فكان بعضهم يصيبها والبعض الآخر يخطئها، فلما جاء دور فاروق رغب إلى إحدى السيدات الحاضرات أن تضع أصبع «الروج»[2] على المائدة مكان «اللمبة»، وأطلق عليه مسدسه فأصابه فى وسطه، ثم جعل «اللمبة» هدفه فأصابها كذلك، فأمر «بلمبة» أخرى وفى هذه المرة أطلق مسدسه بيده اليسرى فوفق فيها توفيقه فى المرتين الأوليين، وعندئذ قال بصوت مرتفع «والآن إذا كان هنا شيوعيون يريدون أن يجربوا فأنا مستعد!» . . .

ثم دنا منى وقال لى بالفرنسية مشيرا إلى الرجلين اللذين رابه أمرهما: «إذا كانا شيوعيين وينويان الاعتداء علىّ فإنهما سيعاودان التفكير فى مشروعهما طويلا بعد الذى شاهداه الآن!» . . .

أما تحريات البوليس فدلّت على أنهما رجلان مسالمان وقد فوجئا بدخول الملك عليهما، ولما لم يعلما كيف يتصرفان بدون أن يُساء تأويل تصرفهما رأيا أن خير ما يعملان هو ألا يتحركا من مكانهما . . .

* * *

وفى الإسكندرية، وفى أثناء فصل الصيف، كان يمارس رياضة البحر بنشاط، ويخصص لها جانبا كبيرا من وقته، وقد ظل شغوفا بها حتى آخر عهده . . .

وإذا كنت قد قلت «رياضة البحر» ولم أقل السباحة، فلأن صيد السمك كان غرضه

(١) هو الفندق المعروف باسم «أوبرج الفيوم» .

(٢) طلاء الشفتين .

الأول من النزول إلى البحر لا السباحة، وكان يعوم ليصطاده تحت الماء بأحدث الأدوات التى صنعت لهذا الغرض، وكثيرا ما كان يمضى ساعات برمتها بين الصخور باحثا عن السمك، متعقبا إياه . . . وكان الصيد تحت الماء يلذ له فى منطقة صخرية بالقرب من قصر رأس التين، وكان له استراحة صغيرة فوق بعض الصخور تتألف من حجرتى نوم فى الطابق العلوى ومن حجرة للأكل ومطبخ صغير وحمامات (دوش) فى الدور الأرضى - وفى تلك الاستراحة البسيطة بكل شىء يحلو له أن يمضى معظم وقته عند وجوده فى الإسكندرية!

كان يحب قصر «المنتزه» وشاطئ «المنتزه» وحمام «المنتزه» ولكنه كان يشعر بالحرية فى تلك الاستراحة المتواضعة القائمة على الصخور لبعدها عن القصور وجو القصور وتقاليد القصور . . . فينام بلباس البحر (المايوه) ويستيقظ بلباس البحر ويمضى يومه كله بلباس البحر وهو حافى القدمين!

وكثيرا ما كان يقيم فى تلك الاستراحة أياما متواصلة لا يذهب فى خلالها إلى قصر «رأس التين» أو إلى قصر «المنتزه» إلا لمقابلة رسمية أو لظرف يقتضى ذلك، ثم يعود إليها فى آخر النهار . . . ومع أن قصر «رأس التين» على مسافة دقائق منها كان يؤثر النوم فيها على النوم فى الجناح الخاص به فى القصر، وشتان بين المكانين!

على أن الطعام كان يجيئه من القصر كلما طلبه، أما القهوة وما إليها فكانت تصنع فى الاستراحة، وكانت فيها ثلاجة (فريجيدير) تحتوى دائما على عدد كبير من زجاجات عصير الفاكهة . . . وثلاجة أخرى مخصصة للسمك الذى يصطاده بالاشتراك مع بعض رجاله . . .

* * *

وولع فى السنوات الأخيرة ولعًا خاصًا بصيد «الأخطبوط»، وتعلم كيفية تجفيفه، فكنا نرى دائما عددًا منها معلقا فى أحد جوانب الاستراحة - وكان يأكلها مجففة مع الزيت والليمون ويتلذذ بها . . . وحدث مرة أن قطع الدكتور يوسف رشاد قطعة صغيرة من «أخطبوط» منها ليذوق طعمه، فلما أقبل فاروق وتفقدها لاحظ أنه ينقص من إحداها قطعة فسأل غاضبا عمن قطعها، فأجاب رشاد بأنه هو الذى أكلها ليخبر طعمها، فأنبه تأنيبا شديدًا، ولما يذهب عنه الغضب إلا لما قال له المسيو «ياناس» إنه اصطاد «أخطبوطا» كبيرا وأنه مستعد للنزول عنه لجلالته!

ومن هو المسيو «ياناس»؟

كنت عند فاروق يوما فى تلك الاستراحة فلمحت زورقا شراعيا صغيراً يدنو من مرساها فظننت أن صاحبه توغل فى تلك المنطقة خطأ وهو يجهل أنها منطقة محظور على الأهلين دخولها كما هو مكتوب على اللوحات العائمة المحيطة بها . . . ثم لاحظت أن الحراس البحريين يشاهدونه ولا يعترضون له طريقا . . . وقبل أن أسأل عن سره سمعت فاروق يقول فى انشراح : هذا «ياناس»!

وخرج من الزورق رجل هزيل ضئيل الجسم ليس فى مظهره ما ينم على أنه رياضى سوى زورقه ولباس البحر ، وقد رد على تحية الملك وسؤاله عن صحته بصوت ضعيف كذلك مناسب لحجم جسمه . . . وعرفت بعد قليل أنه المسيو «ياناس» الموظف بالبنك الأهلى بالإسكندرية ، وأن صيد البحر هوايته ورياضته ، وأنه يتردد على بوغاز الميناء منذ عشرين سنة حتى أصبح خبيراً مشهوداً له بالبراعة الفائقة فى صيد «الأخطبوط» وسائر أنواع السمك ، فلما عرفه فاروق عن طريق أحد أصدقائه قدّره وقربه إليه ليستفيد بخبرته الفنية وتجاربه العملية . . .

ومع الأيام تحولت هواية فاروق لصيد السمك تحولاً جديداً فعكف على الإحاطة بكيفية تنظيف السمك الذى يصطاد فى تلك المنطقة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى تعلم مختلف طرق طهوه . . . وهو موضوع سأتحدث عنه بإفاضة فى مكان آخر .

* * *

وكان «الشمشرجى النوبتجى» يأتى إلى الاستراحة «بالبوستة» المرفوعة من الديوان الملكى وسائر أقسام القصر وبجميع الإشارات والتبليغات التى تحتاج إلى عرض على الملك . . . فينظرها فاروق فى حجرة الأكل وهو بلباس البحر حافى القدمين! . . . وكان «الشمشرجى النوبتجى» يكرر زيارته للاستراحة كلما جد ما يقتضى ذلك ، أما الشئون العادية فكانت تُصرّف بالتليفون! . . . .

* * *

وبالرغم من المجهود الذى كان فاروق يبذله فى تلك الرياضة البحرية لم يكن وزنه ينقص ، لأنه لم يكن يقرن ذلك بتنظيم موضوع غذائه فكان يأكل كالمعتاد ، بل أكثر من المعتاد ، إذ كان هواء البحر ورياضته يزيدانه شهية وإقبالا على الطعام وعلى عصير الفواكه . . .

وبينما كان يهمل بعد ارتقائه العرش ضروب الرياضة التى مارسها فى حياة والده، ماعدا الصيد والسباحة، كان يتعلم لعبة رياضية جديدة فى نادى الجالية السويسرية بالقاهرة . . .

فللسويسريين لعبة رياضية هى رياضتهم الوطنية الأولى ويسمونها لعبة «الكى» (بتسكين اللام وكسر الكاف وتسكين الياء)[1] . . . ويتلخص وصفها فى أن لاعبيها يتبارون فى قذف كرة كبيرة من الخشب فى اتجاه أهداف من الخشب مرصوصة على الأرض على مسافة بضعة أمتار، فمن يسقط أكبر عدد من الأهداف فى خلال المباراة يفز بأكبر عدد من «النقط» وعلى أساس التفاوت فى «النقط» يكون ترتيب الفائزين . . .

ويقبل سويسريو القاهرة والإسكندرية على هذه الرياضة بعدد كبير، ويتمرنون عليها بنشاط وانتظام استعداداً للمباراة السنوية التى تقام بين منتخب ناديهم فى القاهرة ومنتخب ناديهم فى الإسكندرية، وتبدأ المباراة بعيد الظهر وتنتهى فى ساعة متأخرة من الليل . . .

وقد أحب فاروق لعبتهم، وتردد على ناديهم فى القاهرة ليتعلم أصولها ويمارس لعبها، فانتخبوه رئيسا لمنتخبهم مجاملة له، وكان فى كل سنة يشترك فى مباراة المنتخبين ويشهد جانبا منها، وإن كان فى السنوات الأخيرة قلل كثيرا من ذهابه إلى ناديهم لانصرافه إلى القمار . . . تلك الآفة التى استحوذت على كل مشاعره وصرفته عن أشياء كثيرة . . .

* * *

وقد تعلم قيادة السيارات وهو فى السابعة من عمره، وكان يحتفظ فى «جراج» قصره فى إنشاص بأول سيارة قادها على سبيل التذكار . . .

ومنذ اعتلائه العرش إلى حين نزوله عنه كان يقود سيارته بنفسه فى جميع تنقلاته ورحلاته غير الرسمية . . .

وبرع فى قيادة السيارات، ولولا ذلك لكان عدد الحوادث التى حدثت له لا يحصى بسبب السرعة العظيمة التى كان يقود بها سيارته والمجازفات التى كان يجازفها أحيانا . . . بل لولا ذلك ولو لم تكن سياراته قوية ومتينة لكان أصيب فى أكثر من حادث . . .

ومع هذا، فإن عدد الحوادث التى مر بها ليس يسيراً، وإن كان الناس لم يعرفوا سوى أكبرها وأشهرها، وهو حادث تصادمه بسيارة نقل عسكرية بريطانية من جهة

---

(١) IEV DE QVILLES

«القصاصين» بالقرب من الإسماعيلية فى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، وقد رئى عقب الحادث أن حالته من الخطورة بحيث لا تسمح بنقله إلى مستشفى بعيد ، فنقل إلى المستشفى ا لعسكرى البريطانى فى صحراء «القصاصين» ، فمكث هناك ثلاثة أسابيع قبل أن يقدر على العودة إلى العاصمة . . .

ومن الأمور التى لم تعرف يومئذ أنه لولا السيارة «مرسيدس» القوية التى أهداها إليه هتلر قبل الحرب العظمى للقى حتفه حتما فى ذلك الحادث . . . فقد غادر القاهرة بسيارة خفيفة صغيرة قاصدا الإسماعيلية ليتفقد الإصلاحات التى أدخلت على يخته ، فلما بلغ إنشاص عرج على قصره فيها لأمر ما ، وكانت السيارة «مرسيدس» فى جراچه ، فخطر له أن ينتقل إليها وأن يستأنف بها رحلته ثم يعود بها إلى القاهرة لأن السيارة الصغيرة لم ترحه . . . ولو كانت هى التى اصطدمت بالنقالة التى كانت السيارة البريطانية تجرها خلفها لتناثرت أجزاؤها فى الهواء حاملة معها أشلاء فاروق والذين كانوا معه ! . . .

واعتقدنا أن حادث القصاصين وما عاناه بسببه من آلام مبرحة سيكون درسًا ناجعًا له فيخفف من السرعة التى يقود بها سياراته فى المستقبل ، ولكنه ما كاد يسترد عافيته وينسى ما حاق به من خطر حتى عاد سيرته الأولى . . .

وكنا مرة فى الإسكندرية ، وكنت جالسا إلى جانبه فى سيارته ، ويظهر أن ذهنه شرد لحظة ، أو أنه شغل بالتطلع إلى جهة أخرى ، فلم ير الترام الذى كدنا نصطدم به إلا ونحن على قيد أنملة منه ، فتحول عنه بحركة جريئة سريعة ، بينما كان الركاب يصيحون صيحات الإشفاق علينا لاعتقادهم أن السيارة هالكة لا محالة ، ولما جاوزنا لحظة الخطر أطلق لها العنان كيلا يعرفوه . . . ثم سألنى إلى أين نذهب؟ فقلت له : إلى أقرب مكتب للتليفون . . .

فقال مستغربا : لماذا؟

فقلت : لأتصل بشركة «السكورتاه» فى القاهرة وأطلب منها مضاعفة قيمة بوليصة التأمين على حياتى . . .

وعدت فاغتنمت تلك الفرصة لأحثه على ضرورة الإقلاع عن السرعة التى يقود بها سيارته ، فذهب كلامى كله هباء!

وتوهم بعضهم أنهم لو تظاهروا بالخوف عند ركوبهم معه فى السيارة لدعاه ذلك إلى التقليل من سرعتها ، فلاحظوا بعد حين أن مناورتهم أتت بنتيجة عكسية . . . فقد كان إذا

علم أن أحدا من الراكبين معه قلق أو وجل زاد سرعة السيارة ليزداد سرورا بانزعاج ضيفه! . . .

والشيء الوحيد الذى كان يخيفه فى أثناء قيادته لسيارته هى منظر الماء على الأرض التى ستجتازها، فيخفف سرعتها حالا خوفًا من انزلاق عجلاتها . . .

وبينما كان عائداً مرة إلى قصر القبة فى آخر الليل، لاحظ عند محطة كبرى الليمون أن على الأرض ماء، وأنه يمتد إلى مسافة طويلة، فهدأ فوراً من سرعة السيارة، وسار بها ببطء تام، ورغم ذلك انزلقت عجلاتها واختل توازنها فارتطمت بالرصيف، واتضح له عندئذ أن السائل الذى استوقف نظره كان زيتا لا ماء . . .

ولما قص عليّ ما جرى له فى تلك الليلة، كان يخالجه اعتقاد كبير بأن ما صادفه فى طريقه كانت نتيجة تدبير أريد به أن يحدث لسيارته حادث يلقى فيه مصرعه. قال: «ومن المحقق أن الذين رشوا الأرض بالزيت فى تلك المنطقة على تلك المساحة الكبيرة كانوا يعلمون أننى سأجتازها حتما عند عودتى إلى قصر القبة بعد انتهاء سهرتى، فبنوا تقديرهم على ذلك وعلى السرعة التى أقود بها سيارتى عادة، ولكنهم كانوا يجهلون عنى احتراسى الشديد من الماء . . . ولولا هذا الاحتراس لتحطمت بى السيارة قطعا!».

* * *

وفى خلال الحرب العظمى الأخيرة تشرفت بمقابلة جلالة الملك «بول» ملك اليونان الحالى فى منزل المسيو كوتسيكا الثرى اليونانى المعروف، وكان جلالته يومئذ لايزال وليا للعهد.

وكان فاروق قد دعاه قبل ذلك بيومين إلى زيارة بساتينه فى أنشاص واستصحبه معه إليها بسيارته . . . وبعدما نوّه لى جلالته باغتباطه بتلك الزيارة وبما شاهده فيها قال: ولكن لا أخفى عليك أننى لم أشعر فى حياتى بمثل الخوف الذى شعرت به لما كنت جالسا إلى جانب الملك فاروق بسبب السرعة الهائلة التى كان يقود بها . . .

وفى المساء قصصت على فاروق ما سمعته من ولى عهد اليونان، فقال لى: هل لك أن تزوره مرة أخرى وتقول له إننى أنا أيضا لم أحس قط بمثل الخوف الذى أحسست به ونحن فى طريق العودة من أنشاص، إذ تولى هو قيادة السيارة عندئذ فانطلق بها بسرعة مريعة!

ولم أر طبعا موجبا لزيارة العاهل اليونانى وإبلاغه ذلك . . .

وبعد يومين أو ثلاثة أيام سألنى فاروق هل نقلت رسالته إلى البرنس بول؟ فقلت له إننى أفضيت بها إلى شقيقته البرنسس كاترين، وكنت وزوجتى قد عرفناها معرفة وثيقة.

فقال: وماذا كان تعليقها عليها؟

فقلت: ضحكت وقالت يظهر أن قيادة السيارات بسرعة داء يشكو منه أصحاب التيجان، فإن ابن شقيقتها الملك ميخائيل (ملك رومانيا السابق) يقود سيارته بسرعة مزعجة كذلك. . .

* * *

وفى أحد الأيام زارنى فاروق فى بيتى وبعدما مكث قليلا دعانا إلى النزول معه لنذهب إلى نادى الصيد سويا. . .

ولم أر سيارته أمام باب الدار فسألته عنها فأشار إلى سيارة «جيب» وقال: ها هى. . .

وحسبته مازحا فى بادئ الأمر فقلت: سيارة «جيب». . . جلالتك تقود سيارة «جيب» فى وسط ميادين القاهرة وشوارعها. . . مش ممكن!

فقال: مالها؟ . . . وحشة؟

فقلت: لأ. . . بس مريحة فوق اللزوم!

دار بيننا هذا الحوار وأنا مازلت متوهما أنه يمزح. . . ولكن لما قفز إلى «الجيب» أدركت أنه كان جادا فلم يسعنى إلا أن أحذو حذوه. . . ولم أجد فيها من ناحيتى سلسلة أجعل منها حاجزا أستند إليه، فكنا كلما بلغنا منعطفا وأدارها بسرعة وعنف، خُيّل إلىّ أنها ستلفظنى وتقذف بى إلى عرض الطريق قذفا!

وظل فاروق عدة أسابيع لا يخرج فى تنقلاته غير الرسمية إلا «بالجيب» سواء كان الوقت نهارا أو ليلا، وسواء كان المكان الذى يقصده قريبا أو بعيدا. . . ثم أدركتنا رحمة الله فكفّ عن قيادتها فى وسط القاهرة، ولم يعد يرى بها بعد ذلك إلا فى الصحراء أو فى داخل حدائق قصر «المنتزه» لما كان يخرج لتفقد سير العمل فى الأرض البور التى عبّدها وأصلحها بين قصر «المنتزه» وقصر «المعمورة» فى اتجاه أبى قير. . .

* * *

وكانت جميع السيارات التى يستعملها فى تنقلاته الخاصة مجهزة بصفارة ذات صوت

خاص، فإذا سمعه الناس ورجال البوليس عرفوا من القادم، وكان لا يطلقها إلا نادرا واضطرارا، أو إيذانًا أحيانًا بوصوله إلى مكان حفلة غير رسمية، وكان البوليس لا يسمح لأحد باقتناء تلك الصفارة منعا لكل لبس . . .

وكان فى المعتاد يحترم إشارات المرور وينتظر دوره، إلا إذا واجه زحامًا شديدًا وقدّر أن صفارته تساعده على سرعة شق طريقه فيطلقها فيخف بوليس المرور إلى إفساح الطريق أمامه، أما فى الليل وعند خلو الشوارع من الحركة، فكان يخالف إشارات المرور الكهربائية بكثرة!

وكانت بعض سياراته متصلة بقصر عابدين بتليفون لاسلكى يعمل مادامت السيارة لم تجاوز حدود دائرة معينة خارج المدينة، ولا أذكر أنه استعمله إلا لتجربته! . . .

* * *

وبمناسبة الحديث عن فاروق وقيادة السيارات تحضرنى ذكرى قصة طريفة يرجع تاريخها إلى عهد زيارة حسنى الزعيم[1] له فى أنشاص فى ربيع سنة ١٩٤٩ .

فإنه لما تقررت تلك الزيارة بحث فاروق مع حسن يوسف[2] ومعى تفاصيل كيفية استقباله لحسنى الزعيم عند وصوله إلى قصره، أى أين ينتظره؟ وأين يقف؟ ومتى يتقدم لمصافحته، ثم كيف يودعه؟ وإلى أين يوصله؟ . . .

وكان مما اتفق الرأى عليه أن ينزلل معه عند انتهاء الزيارة حتى باب القصر فيصافحه هناك مودعًا . . .

وسار كل شىء طبقا للبرنامج المرسوم، غير أنه لما بلغنا باب القصر فاجأنا فاروق بقوله لحسنى الزعيم: سأوصلك إلى المطار بسيارتى!

وأمر فاروق بإحضار سيارته الخاصة، وتولى قيادتها بنفسه، وإلى يمينه حسنى الزعيم . . . وبعد أيام تلقى فاروق تقريرا سريا عما كان لاجتماعهما من وقع فى نفس الرئيس الجديد للدولة السورية . . .

ومما جاء فى ذلك التقرير أن بعض أقارب حسنى الزعيم سألوه هل وجد فاروق لطيفا؟ . . . فأجابهم بقوله: لطيف جدا . . . تصوروا أنه اشتغل لى «شوفير»!

---

(١) صاحب الانقلاب العسكرى الأول الذى حدث فى سوريا سنة ١٩٤٩ .

(٢) رئيس الديوان الملكى بالنيابة إذ ذاك .

حراسته !

وحتى أنظمة حراسته لم تخل من المتناقضات!

أقول «أنظمة» لأنه كان هناك غير نظام واحد للسهر على سلامته . . .

وأحيانًا لم تكن هناك حراسة ما!

بل كانت هناك أحيانا مجازفات من جانبه!

وكان لا يعادل شغفه بهذه المجازفات فى بعض الأحوال سوى تدقيقه فى شئون حراسته فى أحوال أخرى . . .

ومن هنا كان التناقض، فكان رجاله يقولون: ما الفائدة من التشدد فى حراسته أياما مادام هو نفسه «يشل» هذه الحراسة ويستبعدها أيامًا أخرى . . .

ولكن حتى سلامته لم تكن تخلو له بدون متناقضات!

* * *

ولا أقف طويلا عند نظام حراسته فى تنقلاته الرسمية، فقد كان الناس يشاهدونه فى المواكب الملكية . . .

كانت حركة المرور توقف وقفا تاما فى الطريق الذى سيجتازه الموكب الملكى قبل مروره بفترة طويلة . . .

وكان رجال البوليس يصطفون على جانبى الطريق: واحد وجهه للشارع ليراقب ما يجرى فيه، وآخر وجهه للرصيف ليراقب الواقفين عليه . . .

وكان رجال البوليس السرى ينتشرون على أسطح عدد كبير من الدور المطلة على الطريق، أو على شرفاتها . . .

وكان رجال بوليس القصور الملكية هم الذين يتولون الحراسة فى مكان الزيارة أو الاحتفال . . .

وكانت تتقدم السيارة الملكية بمسافة قصيرة ، سيارتان تقلان بعض ضباط البوليس وفى مقدمتهم حكمدار بوليس القاهرة . . .

وكانت تحيط بالسيارة الملكية من الجوانب الأربعة سيارات «جيب» تقل بعض رجال الحرس الملكى من ضباط وجنود ، وقد جُهّزوا بالمسدسات والبندقيات سريعة الطلقات . . .

وكان يحف بالسيارة الملكية من الجوانب الأربعة كذلك بعض ضباط الحرس من راكبى «الموتوسيكلات» وقد تقلدوا جميعا المسدسات . . .

وفى مكان الزيارة أو الاحتفال كان يتولى حراسة الملك ضباط الياوران بملابسهم العسكرية وبعض ضباط «البوليس الخاص» وقد ارتدوا الملابس المدنية .

* * *

وكان «البوليس الخاص» يتألف من بعض ضباط البوليس وبعض رجال البوليس السرى (المخبرين) الملحقين بالقصر ، وكانوا يتبعون قائد بوليس القصور الملكية . . .

وقد أوجد فاروق البوليس الخاص ليسهر على حراسته فى أسفاره غير الرسمية ، وفى تنقلاته الخصوصية ، وفى الأماكن العامة التى كان يرتادها ، وكانوا يلبسون الملابس المدنية فى أغلب الأوقات . . .

فكان إذا سافر إلى الإسكندرية مثلا بصفة غير رسمية ، صحبه بعض منهم إما «بالديزل» الملكى إذا كان مسافرا به ، أو بسيارة تسير خلف سيارته إذا كان مسافرا بالطريق الصحراوى . . .

وكان إذا ذهب إلى «أوبرج الأهرام» أو إلى «حلمية بالاس» أو إلى «الإسكارابيه» أو إلى أحد الفنادق الكبيرة تبعوه بسيارة أخرى وجلسوا إلى مائدة قريبة من مائدته وأنظارهم لا تفارقه لحظة ، فإذا اشترك فى الرقص واختلط بجمهور الراقصين وقف اثنان منهم بجوار حلبة الرقص ليكونا أكثر قربًا منه ، ولم تكن مهمتهم تخلو من دقة ، ولاسيما لما كانت الأنوار تطفأ أحيانًا فى خلال «العرض» ولا يبقى سوى ضوء ضعيف فى القاعة الفسيحة كلها . . .

وكذلك كانوا يصحبونه فى زياراته الخاصة وفى الحفلات الخاصة التى كانت تقام فى دور بعض أصدقائه، ولكنهم فى تلك المناسبات كانوا يقتصرون على مرافقته حتى باب الدار ولا يدخلونها معه، بل كانوا ينتظرونه فى سيارتهم . . .

وبالاختصار كان رجال البوليس الخاص يلازمونه فى جميع غدواته وروحاته غير الرسمية، ولم يكن يستصحب معه فى أغلب الأحيان سوى اثنين منهم، وكانوا يتناوبون الخدمة بحيث كان هناك دائما اثنان منهم على الأقل رهن الإشارة فى أى ساعة من ساعات النهار أو الليل . . .

* * *

غير أنه كثيراً ما كان يخطر لفاروق أن يخرج من القصر وحده، وليس معه سوى رجل واحد من رجاله بدون أن يأمر رجال البوليس الخاص بأن يتبعوه، بل بدون أن يشعرهم بأنه خارج من القصر، وبدون أن ينبئهم بالمكان الذى يكون قاصداً إليه . . .

وقد يتبادر إلى الذهن أنه كان يسلك هذا المسلك حرصا منه على «سرية» زيارة لا يروم أن يعرف أمرها حتى رجال بوليسه الخاص، أو رغبة منه فى كتمان «موعد» أو «مقابلة» يهمه أن يظل أمرهما مجهولاً حتى من حراسه الخصوصيين . . .

وإلا فلم كان يخرج من القصر وحده؟ . . . ولِمَ كان يجازف بسلامته هذه المجازفة؟ . . .

وسيدهش القارئ إذا قلت له إن السبب لم يكن ذلك . . . وإنما كان مجرد نزوة يصعب تعيين الباعث عليها!

كان يخرج وحده فى معظم الأحيان ليذهب إلى نادى الجزيرة مثلا . . . ولم يكن فى ذلك ما يستأهل إخفاء حركاته عن حرسه الخاص . . .

أو ليزور أحد أصدقائه فى بيته . . . وكان رجال بوليسه الخاص يعرفونهم جميعا ويعرفون أنه يتردد عليهم . . .

إذن لماذا كان يفعل ذلك؟

لا ردّ عندى على هذا السؤال، لأنه لم يكن هناك سبب كما قلت . . .

أو بعبارة أصدق كان السبب نزوة من نزواته . . . لا أكثر!

ومن نادى الجزيرة، أو من بيت الصديق الذى يكون عنده، كان ينتقل إلى المكان العام الذى يختاره للعشاء، فإما كان يذهب إليه بدون حراسة أيضا، وإما كان يتصل بالقصر تليفونيا ويأمر بأن يسبقه الحرس الخاص إلى ذلك المكان، فإذا بلغه استقبله رجاله عند بابه مع أن المفروض أن يرافقوه فى جميع تنقلاته . . .

وفى نادى السيارات لم يكن رجال البوليس الخاص أو الحرس الخاص يدخلون الحجرة التى «يلعب» فيها، بل كانوا ينتظرونه فى بهو النادى . . .

وكان إذا توجه إلى مكان عام من غير رجال حرسه الخاص، امتنع هؤلاء عن اللحاق به ماداموا لم يتلقوا أمرًا بأن يكونوا بمعيته!

* * *

وقد رأيته مرارًا عائدًا إلى قصره فى آخر الليل بمفرده وهو يقود سيارته بنفسه . . .

وكان يستصحبنى معه أحيانًا فى نهاية السهرة بدون أن يكون معنا ثالث، فإما أن يوصلنى حتى باب بيتى، وإما أن يدعونى إلى النزول فى ميدان التحرير (الإسماعيلية)؛ ليوفر على نفسه التعريج على «جاردن سيتى»، ويقول لى عندك هنا موقف للسيارات، فخذ سيارة منها لغاية بيتك . . . ثم يمضى إلى قصر القبة وحده!

ولفت نظره غير مرة إلى ما فى مسلكه هذا من خطورة، وسألته عما يحدث له إذا أدركه تعب مفاجىء وهو وحده، أو إذا أصيبت السيارة أو إحدى عجلاتها بعطب . . . فكان يبتسم كل مرة ويأبى أن ألازمه حتى القصر . . . فإذا سألته لماذا لم يحضر أحد رجاله بمعيته ليعود معه، قال إنه لم يفكر فى ذلك . . . فإذا قلت له إنه ليس من «المناسب» أن يتنقل من غير حراسة؟ أجابنى بما كان يردده من وقت إلى آخر وهو أنه «مفيش حد بيموت قبل يومه» . . .

وعبثًا حاولت أن أجادله فى ذلك غير مرة، فقد كانت المجازفة طبيعة فيه! . . .

* * *

ولما تعددت الاغتيالات والاعتداءات السياسية فى وقت ما، فكر فى تعزيز حراسته، فكان إذا ذهب إلى مكان عام بعيد عن وسط المدينة مثل «أوبرج الأهرام» (على طريق الهرم) أو «الحلمية بالاس» (فى ضاحية الحلمية) انتشر رجال الحرس الملكى (وهم غير رجال البوليس العادى) على طول الطريق فى الجهات النائية إلى أن ينتهى من سهرته . . .

غير أنه كثيراً ما كان «يفسد» هذا الاحتياط الشديد فى الليلة نفسها بذهابه بعد ذلك إلى مكان آخر فى وسط المدينة، إما بحراسة صغيرة أو بدون حراسة بتاتا!

وكان يسره أحيانا أن يغافل حراسه فيدخل القصر من باب ليوهم «بأنه عاد إلى البيت» ثم يخرج من باب آخر . . .

وكم من مرة خطر لى أنه من أيسر الأمور الاعتداء عليه فى نادى السيارات أو فى «الإسكارابيه» ولو بنسف المكان كله . . . بل إن الاعتداء عليه كان أمرًا ميسورًا فى كل مكان من الأماكن العامة التى كان يغشاها، وخصوصًا أنه كان يجلس فى بعضها إلى موائد مكشوفة من جهاتها الأربع لكل معتد يريد أن يجعل منه هدفا للعدوان . . .

وأخبرنى يوما أنه يتوقع اعتداء عليه فى خلال الأيام المقبلة وأن التقارير السرية التى تلقاها ترجح أن الاعتداء سيكون بقنابل تلقى على سيارته أو على مكان جلوسه . . . ثم قال لى : «فإذا كنت معى ولمحت قنبلة قادمة نحونا، فادفعها بيدك بهذه الكيفية» . . . وأرانى كيف أدفعها!

فقلت له : أنا إذا جاءتنى كرة «تنس» بهذه الصورة عجزت عن ردها، فكيف إذا كانت قنبلة؟

فقال : يبقى ذنبك على جنبك! . . .

ورأيت أن أغتنم هذه الفرصة لأكرر حضّه على التقليل من غشيان الأماكن العامة، فقلت : ولماذا لا تقلل جلالتك الخروج فى هذه الأيام، وتتجنب كل هذه المجازفات . . .

فقال : وهل تعتقد أن الأيام التى ستجىء بعد ذلك ستكون أحسن؟ . . . إن الشيوعية تنتشر كل يوم أكثر من اليوم الذى قبله!

وكانت الشيوعية محور قلقه الدائم . . .

* * *

وكان لا يخرج من القصر بدون مسدس فى جيبه، وكان عنده مسدس صغير يمكنه أن «يطويه» وأن يخبئه فى جيب «الصيديرى» أو فى جيب «البنطلون» الصغير، وهو المسدس الذى كان يحمله دائما إلا فى حالة الطوارئ، فكان يتقلد مسدسًا كبيراً يعلقه تحت سترته بحمالة خاصة ليسهل «وضع اليد عليه» إذا احتاج إليه . . .

وهذا غير المسدس الكبير الذى كان يضعه إلى جانبه فى سيارته، فإذا اشتبه فى سيارة سارت خلف سيارته مسافة طويلة؛ أمسك بهذا المسدس، وهو يتتبع حركات السيارة التى خلفه من خلال المرآة الصغيرة التى أمامه، ولا يعيده إلى مكانه إلا عندما يتبين له أن السيارة التى اشتبه فيها كانت تسير خلف سيارته صدفة، ولم تكن تتعقبها، وإنها مضت فى طريقها، أو غيرت خط سيرها!

وإلى جانب ذلك المسدس الكبير كان معه باستمرار بندقية سريعة الطلقات موضوعة بالقرب من قدميه، وكنت أشعر بمداعبتها لرجلى كلما دعانى إلى الجلوس بجواره...

وقال لى مرة إنه اختار هذه البندقية بالذات من بين عشرات البندقيات المماثلة لها، لأنه لاحظ أنها «رخوة» لدرجة أن الرصاص يكاد يخرج منها بدون ضغط على زنادها!

فقلت له: عال يا أفندم وادى اللى كان ناقصنا... مسدس من الشمال... وبندقية «بتضرب وحدها» تحت الرجلين... وقنابل من اليمين... ثم يسمون ذلك شرف الركوب «بالمعية السنية»!...

فضحك وقال: إن الإنسان لا يموت سوى مرة واحدة!

فقلت: ما هىّ المصيبة فى كده... فى أنه بيموت مرة واحدة...

فقال: اللى مكتوب... مكتوب!

* * *

وعلى ذكر البندقية التى اختارها لأنها تكاد تنطلق من تلقاء نفسها... حدث مرة ـ وكانت الساعة تقترب من الواحدة صباحًا ـ أن أراد أن ينقل «سلاحه» من سيارة صغيرة إلى سيارة أكبر منها، فطلب إلى «بوللى» أن ينقله، فما كاد يقبض على البندقية المذكورة حتى انطلقت رصاصة منها وأصابته فى فخذه، ولو لم يسارع إلى رفع يده عن زنادها لتعاقبت الطلقات وتلاحقت!

ونقل فوراً إلى مستشفى الدكتور مجدى، حيث أجريت له فورا عملية جراحية لاستخراج الرصاصة...

وقال فاروق إنه لو ذُكرت الحقيقة فى الصحف لما صدقها أحد، ولقيل إن بعضهم حاول الاعتداء عليه هو فأصاب «بوللى»، وأمر بأن يكتب فى الصحف أن العملية التى عملت لـ«بوللى» كانت لاستئصال الزائدة الدودية!!!...

فقلت له إن الناس سيعلمون من مصادر شتى أن العملية لم تكن عملية الزائدة، وعندئذ سيقولون لماذا لم تذكر الحقيقة فى الصحف مادام قد أصيب قضاء وقدرًا؟ . . . فمن الخير إذن نشر الحقيقة كاملة، فيقال إنه بينما كان ينقل سلاحًا من مكان إلى آخر انطلقت رصاصة خطأ وأصابته فى فخذه. . إلخ . . .

فقال: إن الناس لن يصدقوا الروايتين. . . ومادام الأمر كذلك فلينشر أن العملية التى أجريت له كانت لاستئصال الزائدة الدودية!

وراجعته فى ذلك أكثر من مرة فأصر على رأيه. . .

ولما خرج «بوللى» من المستشفى لاحظ الناس أنه يعرج!

ولأول مرة عرفوا أن «الزائدة الدودية» تستأصل من الفخذ. . عندما يأمر الملك بذلك!! . .

* * *

ودعانى فاروق يومًا فى بداية علاقتى به إلى مشاهدة مجموعة الكلاب التى يقتنيها، وكان بينها كلب كبير دربوه على تعقب كل من يطلق عيارًا ناريا وإن كان مدربه نفسه هو الذى أطلقه!

وأمر بإجراء تجربة أمامى. . فأخرج المدرب مسدسًا، لطلقاته صوت كصوت الرصاص الحقيقى وأطلقه. ثم أطلق لساقيه الريح متظاهرا بالفرار. . . فلم يكن من الكلب إلا أن عدا فى أثره وجذبه من ثيابه ولولا معرفته له لأنشب أظافره فى جسمه. . .

ولكنى لم أر هذا الكلب بصحبته قط!

حتى فى أسفاره ورحلاته لم أره معه!

كان يحفظه فى «الحظيرة» كما كان يحفظ الساعات وعلب السجاير والولاعات ومحافظ الجيب فى الصناديق، وكما كان يحفظ التحف والطرف فى الخزائن!

* * *

وبمناسبة ما رويته عما كان يعمله «احتياطا» إذا خامره شك فى أن سيارة غريبة تتبع سيارته، سأقص على القارئ قصة حادث فريد من نوعه حدث له مع السيد أحمد الوكيل شقيق السيدة زينب الوكيل حرم الرئيس السابق مصطفى النحاس «باشا».

ففى ذات ليلة كان فاروق عائداً بسيارته من «أوبرج الأهرام» . . . وكان مايزال فى طريق الهرم حين لاحظ أن سيارة أخرى تسير بسرعة فائقة تقتفى أثر سيارته ، فلما أدركتها خففت من سرعتها وحدّق فيه راكباها كأنهما يتحققان من شخصيته ، ثم مضيا فى سبيلهما . . .

وقال أحمد الوكيل لصديقه الذى كان راكبا معه : ألم أقل لك «إن هذه السواقة سواقة الملك»؟ فهل آمنت الآن بأنه هو؟ . . .

فقال له صديقه : أرأيت كيف نظر إلينا غاضبا؟ . . .

أما فاروق فقال للجالس إلى جانبه : أليس هذا أحمد الوكيل؟ . . .

فقال الآخر : إنه هو يا أفندم . . .

فقال فاروق : إنى أشك فى نواياه من زمان طويل . . .

واعتدل فى جلسته وأطلق لسيارته العنان ليدرك سيارة أحمد الوكيل بدوره . . .

ولما بصر أحمد الوكيل بسيارة فاروق تدنو منه ، هدأ من سرعة سيارته ليدعه يمر أمامه . . .

وظن فاروق أنها مناورة من أحمد الوكيل فخفف من سرعة سيارته كذلك . . .

وعندئذ رأى أحمد الوكيل أن ينطلق بسيارته بأقصى سرعتها . . .

وتوهم فاروق أن أحمد الوكيل يبغى الإفلات منه «لينتظره» فى مكان آخر فجدّ فى أثره . . .

وعاد أحمد الوكيل فقرر أنه قد يكون مَن الأفضل أن يتمهل فى السير حتى يمر فاروق بسيارته ويسبقه . . .

وفسَّر فاروق مسلك أحمد الوكيل بأنه حيلة لاستدراجه إليه فتباطأ فى السير هو الآخر . . .

ولما وصل أحمد الوكيل إلى الجزيرة عرج على الطريق المؤدى إلى الزمالك بدلاً من أن يواصل السير إلى كبرى قصر النيل ، وأمل أن يفهم فاروق من ذلك أنه لا يلاحقه . . .

وفهم فاروق ذلك، وإنما أراد أن يحرج أحمد الوكيل وأن «يتعبه» فتبعه فى طريق الزمالك. . .

وتوجس أحمد الوكيل خيفة من مطاردة فاروق له؛ فحاول أن يضلله فى شوارع الزمالك وأزقتها. . .

ولكن فاروق كان يجيد قيادة السيارات ويعرف دروب الزمالك معرفة جيدة، فلم يمكنه من تحقيق غرضه. . .

وأيقن أحمد الوكيل أنه لن يفلت منه؛ فدخل محطة لبيع البنزين لعل فاروق يمل الانتظار فيتركه وشأنه. . .

غير أن فاروق خيّب أمله وظل له بالمرصاد. . .

ونزل الصديق الذى كان مع أحمد الوكيل وتركه وحده. . . حائرًا، لا يدرى أى السبل يسلك!

وبعدما كان فاروق هو الذى يعتقد أن أحمد الوكيل يضمر له سوءا أصبح أحمد الوكيل هو الذى يعتقد أن فاروق يريد به شرًّا. . . وأنه إنما ينتظر المكان المناسب والفرصة الملائمة لتنفيذ غرضه! . .

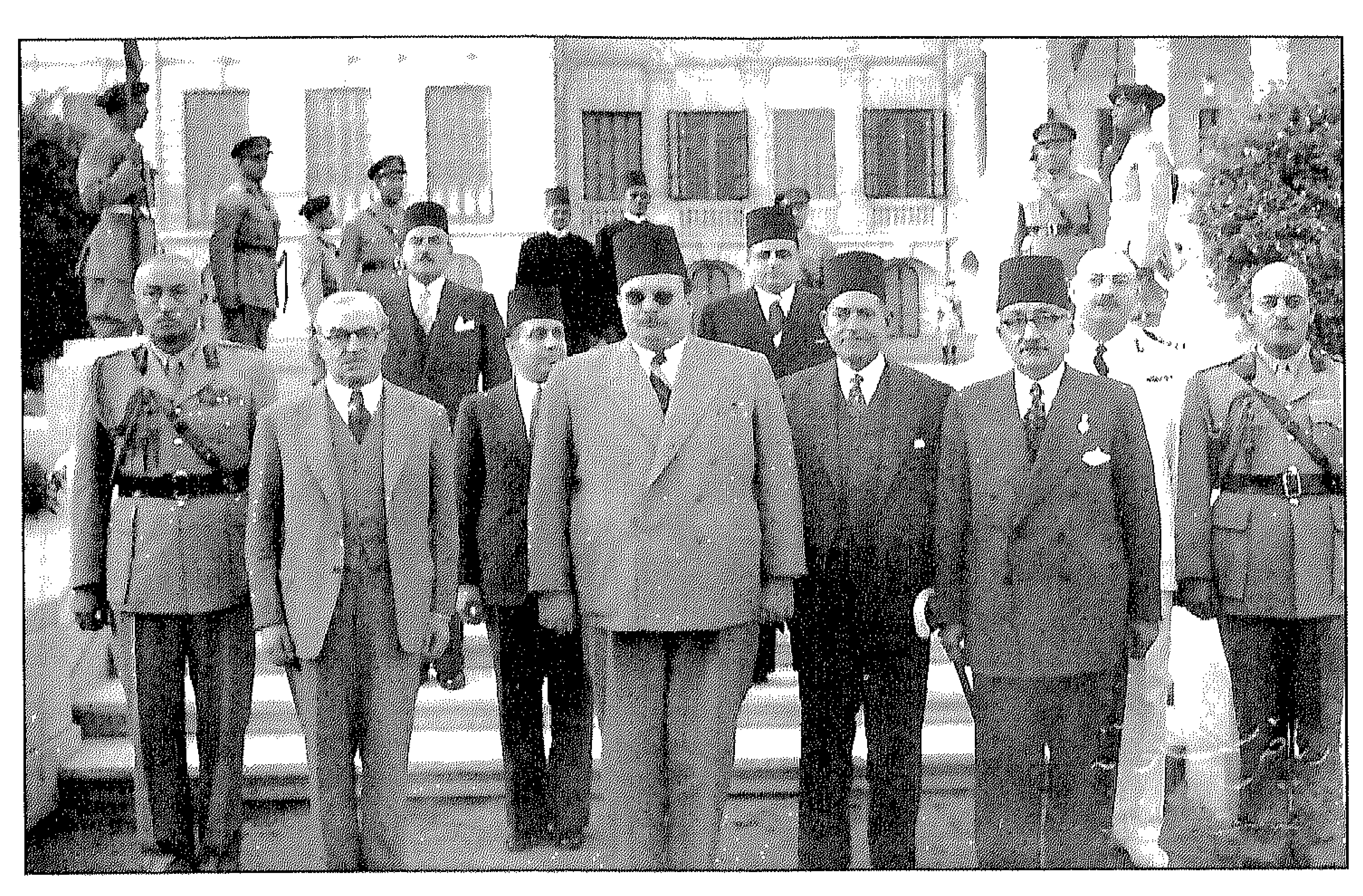
واندفع أحمد الوكيل بسيارته من ميدان إلى ميدان، ومن شارع إلى شارع، وفاروق يطارده من مكان إلى آخر. . .

وأخيراً فكر أحمد الوكيل فى حيلة. . . فعرج على شارع تكثر فيه العمارات الكبيرة ونزل من سيارته بسرعة البرق ودخل عمارة منها قبل أن يلمحه فاروق وتوارى خلف عمود ضخم فى داخل تلك العمارة وهو يتصبب عرقا!

وذهبت جميع محاولات فاروق للاهتداء إليه عبثا، ولما استوثق من أنه لن يعود إلى سيارته، قرر العودة إلى القصر. . .

وخرج أحمد الوكيل من مخبئه وهو لا يصدق أن فاروق عدل عن الاستمرار فى مطاردته! . . .

وفى الغد قصّ علىّ فاروق ما حدث بينه وبين أحمد الوكيل فعرفت جانبا من القصة. . .



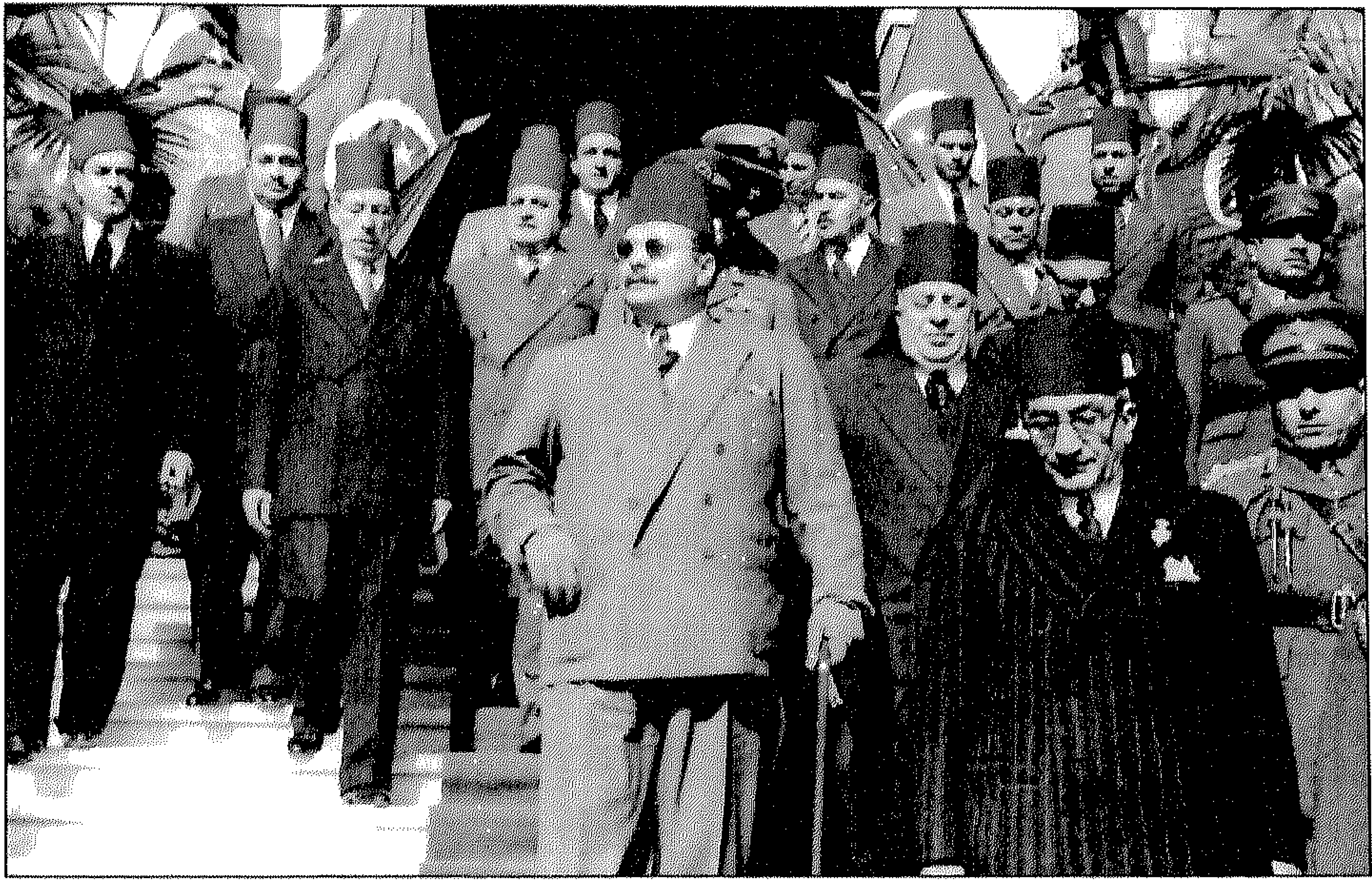
الملك فاروق مع النحاس باشا والسفير البريطانى وكريم ثابت



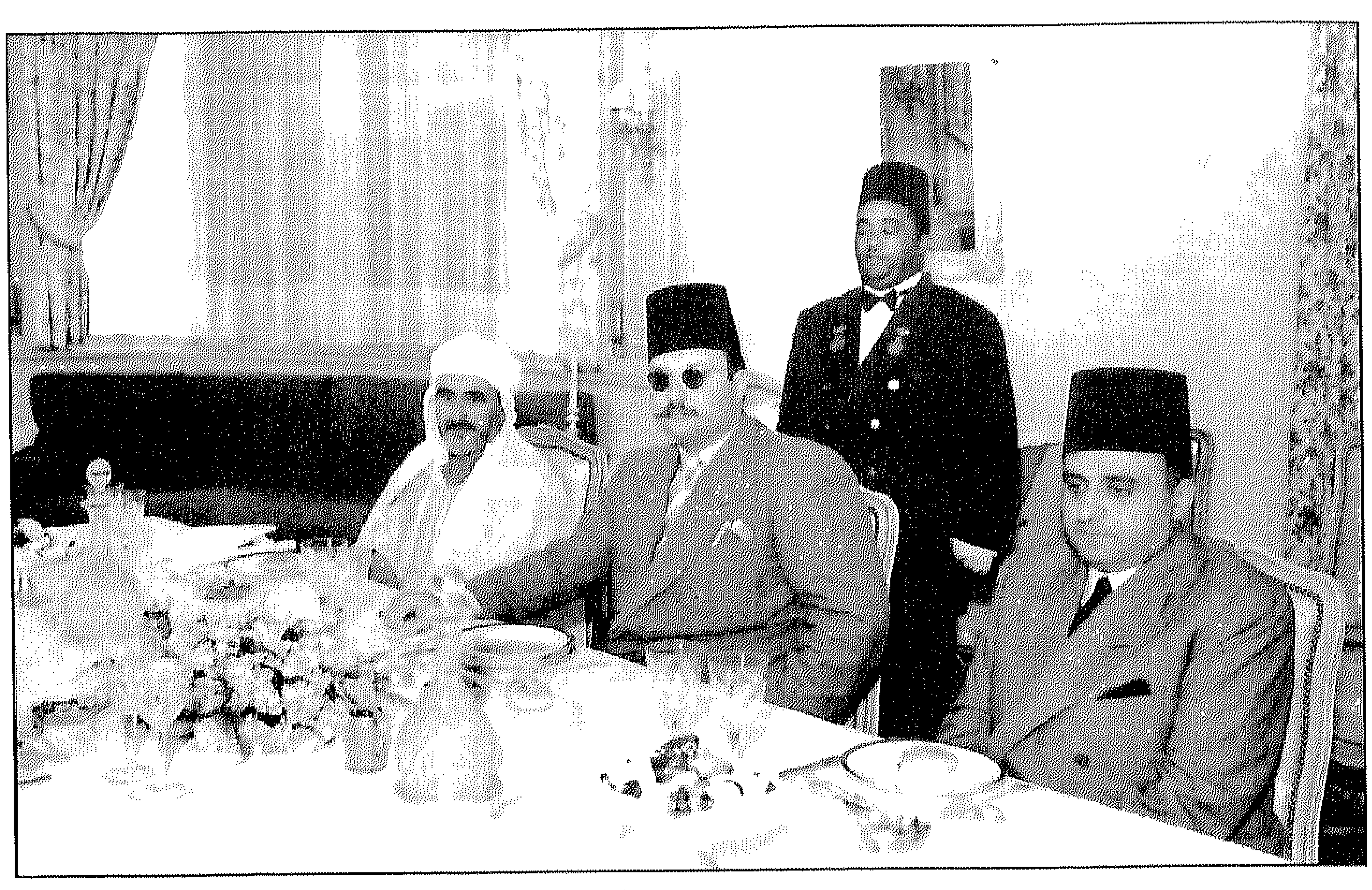
الملك فاروق يتفقد إحدى الوحدات العسكرية ويفحص إحدى البنادق



فاروق يتوسط كبار رجال الدولة



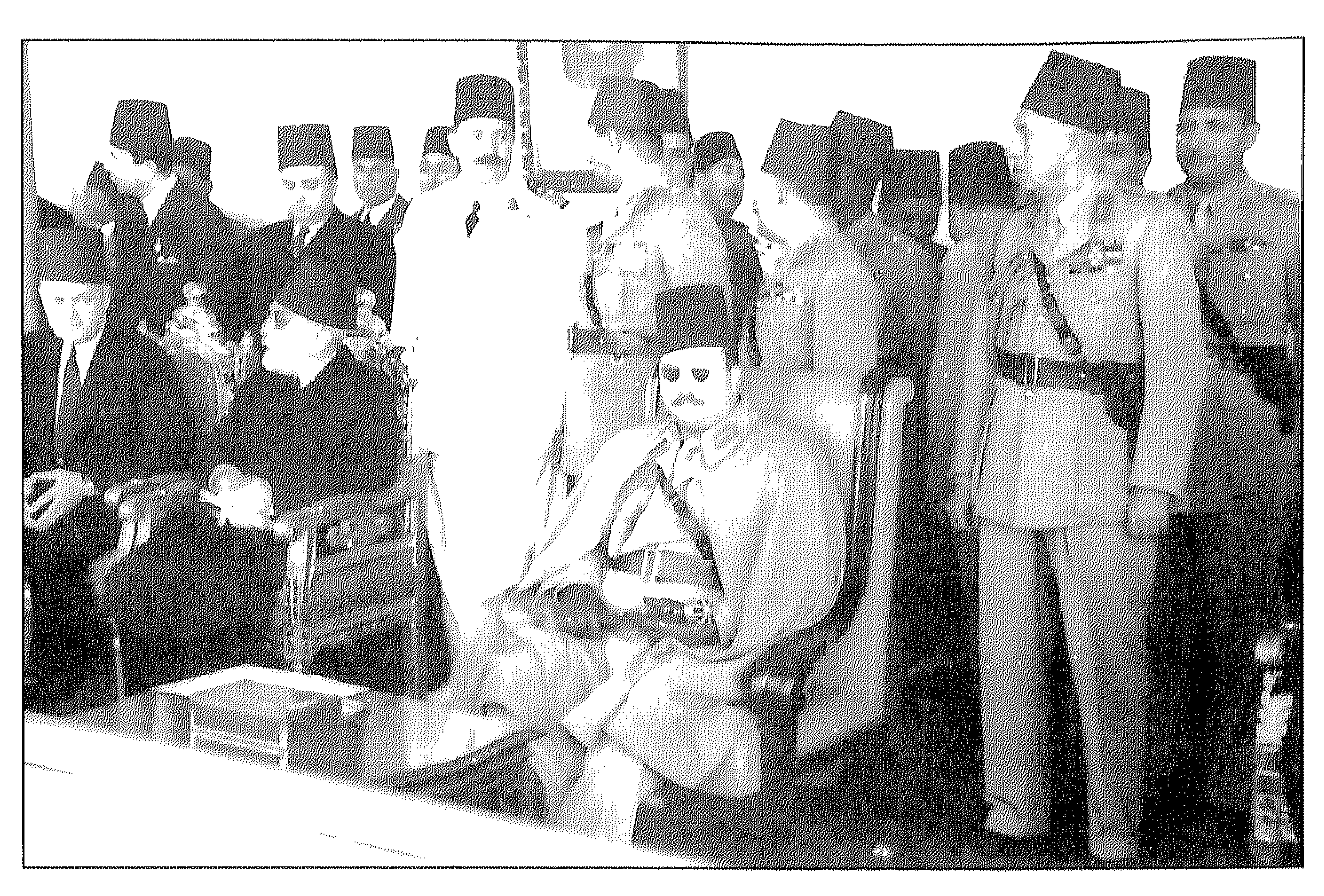
فاروق فى إحدى زياراته الميدانية



الملك فاروق وعلى يساره كريم ثابت وعلى يمينه الأمير المغربى محمد عبدالكريم الخطابى



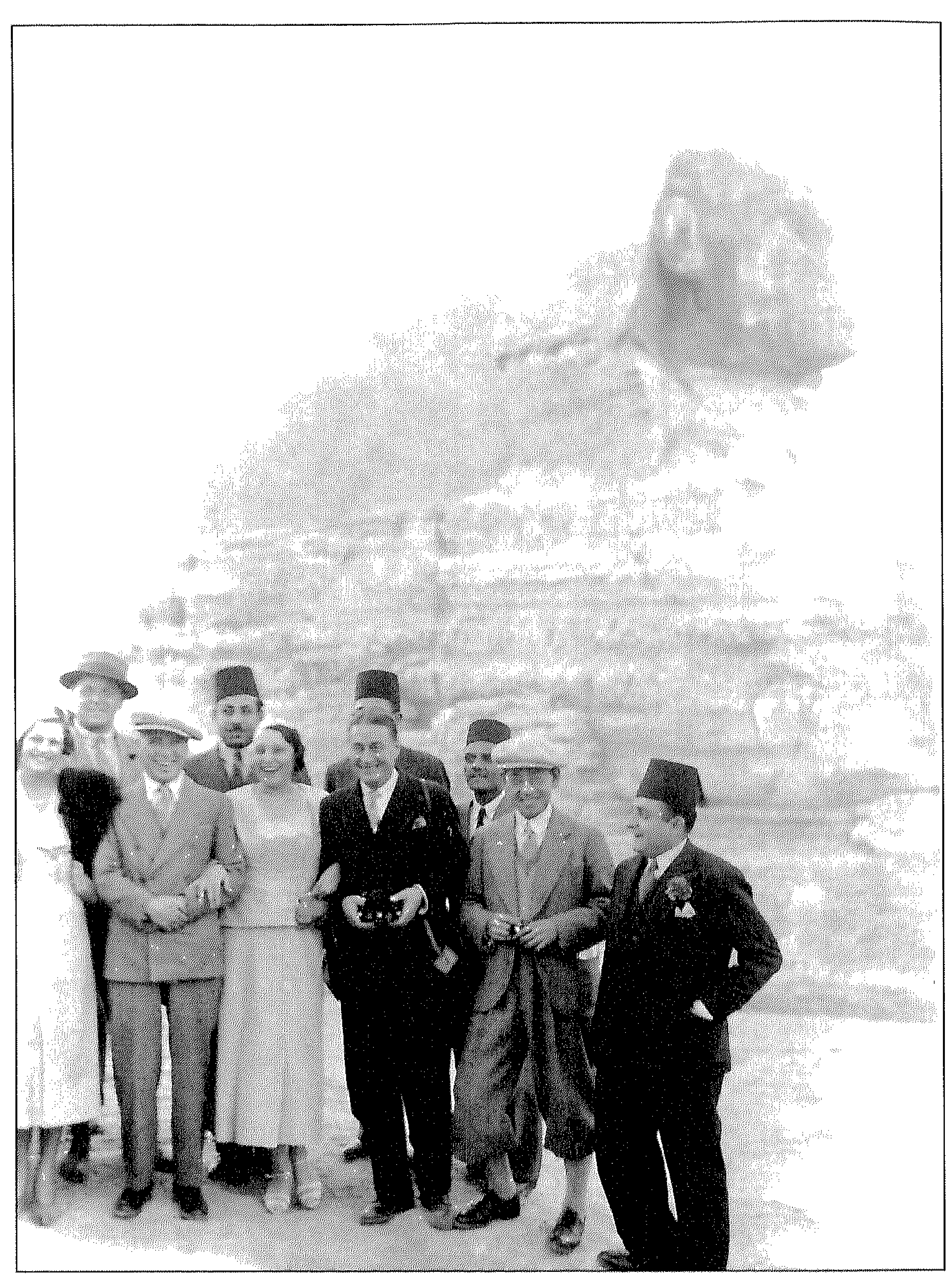
كريم باشا ثابت يتوسط مجموعة من السفراء العرب



الملك فاروق مع الأمير محمد على ويظهر كريم ثابت فى الخلف



الملك فاروق مع كريم ثابت والوفد العسكرى



كريم ثابت مع شارلى شابلن فى زيارة للأهرامات



كريم ثابت مع جلاد باشا صاحب «جورنال ديچيبت»



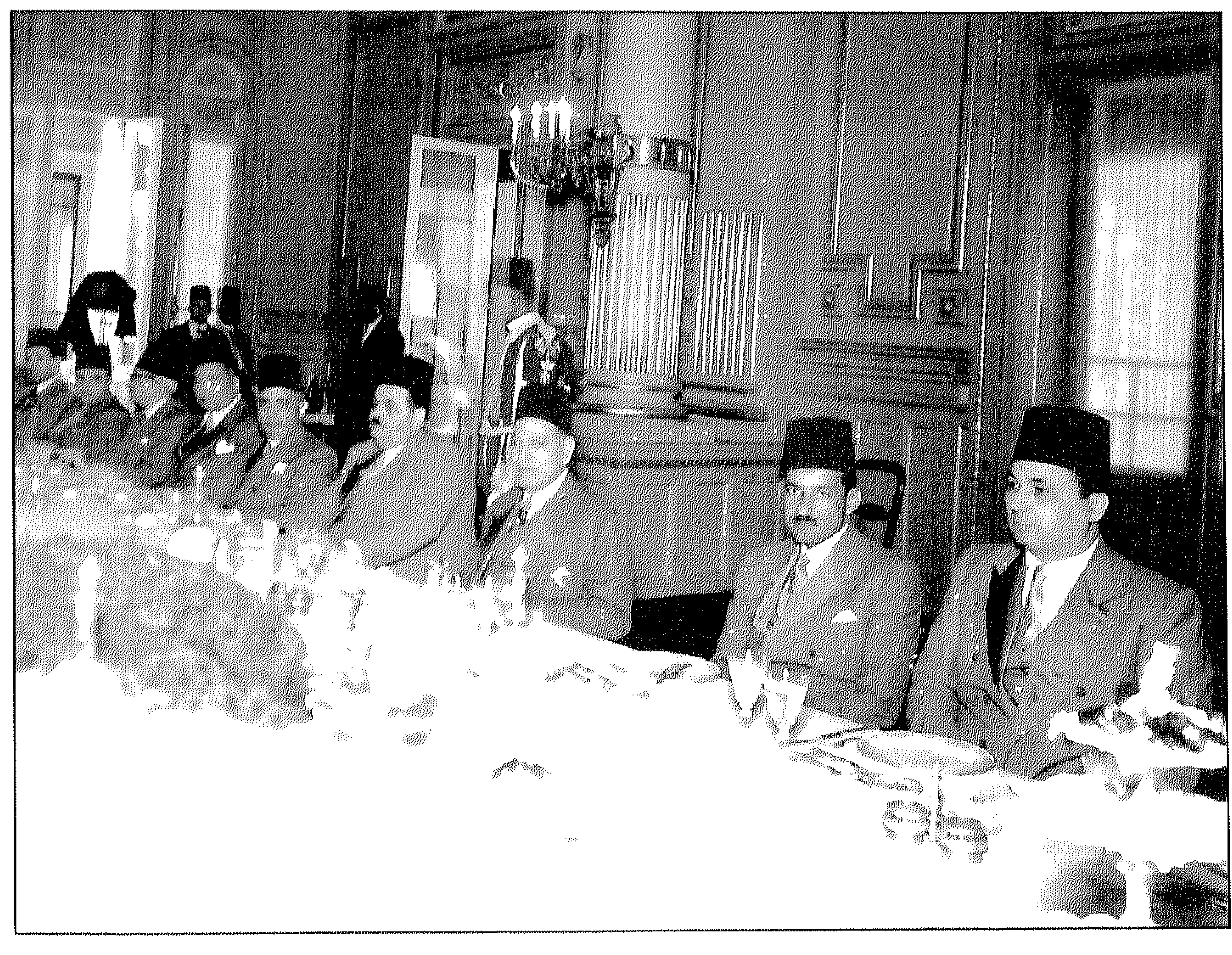
الملك فاروق وكريم ثابت فى حديقة الحيوان



الملك فاروق فى زيارة لمبرة محمد على



الملك فاروق مع كريم ثابت فى إنشاص



عشاء رسمى ويظهر النحاس باشا وفؤاد باشا سراج الدين

وبعد سنوات . . . وفى صيف سنة ١٩٥١ التقيت بأحمد الوكيل فى جنيف ، وجاء ذكر ذلك الحادث فقص عليّ الجانب الآخر من القصة . . . وبذلك اكتملت عندى عناصرها كلها كما رويتها للقارئ!

* * *

وشاعت فى أوقات مختلفة إشاعات شتى عن اعتداءات قيل إنها وقعت على فاروق . . . ومن أشهرها الإشاعة التى قالت : إنه بينما كان ذاهبا مرة إلى أنشاص خرج عليه جماعة من الأهلين وهددوه واعتدوا على صحبه ؛ فعاد إليهم بعد قليل ومعه بعض رجال حرسه وانهال عليهم بالرصاص . . .

والحقيقة أن جميع تلك الإشاعات كانت غير صحيحة ، ماعدا إشاعة واحدة منها وهى الخاصة بالمصوّر ، الذى حاول تصويره فى إحدى الليالى وهو واقف بسيارته فى طريق القاهرة ـ السويس . . .

ففى تلك الليلة استصحب فاروق معه بسيارته امرأة يعرفها ، وقصد بها إلى طريق السويس ، بعد مصر الجديدة بقليل ، وأوقف السيارة فى مكان أعجبه فى الصحراء .

وتصادف فى الليلة عينها أن كان مندوب إحدى المجلات المصورة يعدّ ـ بمساعدة بعض رجال بوليس الآداب ـ بحثا صحفيا (ريبورتاج) عن كيفية مطاردة السيارات التى يشتبهون فى أمرها ، وكان مع ذلك الصحفى مصور فوتوغرافى يصور المناظر التى يطلب منه تصويرها . . .

وأبصر الصحفى والمصور ومن معهما من رجال البوليس سيارة الملك ، فلم يعرفوا طبعا أنها سيارته وظنوا أن الظروف الموفقة قيضت لهم فرصة حسنة . . . فاتجهوا بسيارتهم نحو سيارة الملك وسلطوا عليها النور الكشاف ونزل المصور بسرعة ليصور السيارة التى دوهمت . . .

ولم ير فاروق سبيلا إلى إقصاء المصور وتفادى التصوير ، سوى أن يطلق عيارين ناريين فى الفضاء . . .

وفى تلك الدقيقة اكتشف رجال البوليس والصحفى والمصور أنهم أمام الملك فنكصوا على أعقابهم مهرولين!

وانتهى الحادث بسلام . .

وكنت أغط فى نومى حين دق جرس التليفون بجوار سريرى، وإذا فاروق يقص علىّ تفاصيل الحادث الذى حدث له، ويشكو من أن الإنسان لا يستطيع أن يتمتع بشىء من الحرية حتى فى وسط الصحراء!

وأردت أن أقول له إنه لا يجمل به أن يُستهدف لما استهدف له؛ فأفرغت حديثى فى عبارة يقبلها وقلت له: يبقى كل القصور والأماكن اللى عند مولانا مش كافية... لازم كمان المنافسة فى طريق السويس!...

فقال: واشمعنا الناس يا سيدى لها الحق تتفسح فى طريق السويس وأنا مليش حق!

ولم يذهب فاروق بصديقته إلى طريق السويس إلا لأنه سمع أن بعض العشاق يتخذون من هذا الطريق مكانًا لنزههم الخلوية بسياراتهم، فلماذا لا يفعل هو مثلهم؟...

وهكذا كانت عقدة الحرمان[1] تلازمه أينما كان!

* * *

ولم تكن مجازفة فاروق بسلامته تقتصر على خروجه من القصر بدون حراسة، وعلى تردده بانتظام على أماكن عامة معينة يسهل الاعتداء عليه فيها...

بل كانت تجاوز ذلك إلى الاستهداف لأخطار السموم فى كل مرة كان يتناول طعامًا فى تلك الأماكن... فإن الطعام الذى كان يقدم له فيها كان يطهى فى مطابخها بدون أى رقابة، ثم كان خدمها يحملونه إليه بدون أى حراسة، فكان دسّ السم فيه من أيسر الأمور!..

وما يقال عن الطعام يقال عن القهوة... وكان من السهل جدا معرفة الفنجان الذى سيقدم له!...

ومع ذلك لم يهتم قط بهذا النوع من الخطر على سلامته، ولم يعن باتخاذ أية تدابير وقائية فى الأماكن العامة التى كان يرتادها...

وذهبنا يومًا إلى فندق «مينا هاوس» وليس معنا ثالث، وكانت الساعة تقترب من السابعة والنصف مساء، فطلب فنجان قهوة «بسكر زيادة» وطلبت لنفسى فنجانًا بسكر قليل أو «على الريحة» كما يقولون...

---

(١) سيجد القارئ حديثا طويلا عن هذه العقدة فى فصل تال.

ولما سكب السفرجي الفنجانين وابتعد عنا أبدل فاروق فنجانه بفنجاني . . .

فسألته : هل أخطأ السفرجي فأعطاني فنجان جلالتك؟ . . .

فقال : لا . . ولكن وجه الرجل لم يعجبني . . . فأخذت فنجانك وأعطيتك فنجاني حتى إذا كان فيه شيء ظهر عليك! . . .

وضحك . . .

وشربت الفنجان . . .

وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي رأيته فيها متصرفا بهذه الكيفية!

* * *

وفي أواخر الحرب العظمى الماضية دعاه القائد الأمريكي للقوات الأمريكية في مصر إلى رحلة جوية من القاهرة إلى الإسكندرية ـ ذهابا وإيابا ـ بطائرة أمريكية كبيرة تقطع المسافة بين العاصمتين في ١٧ دقيقة . . . وكانت تلك الطائرة تسمى C54 على ما أذكر الآن . . .

ودعاني فاروق إلى مرافقته في هذه الرحلة ، وكان اغتباطه عظيما بالسرعة الفائقة التي قطعت بها الطائرة المسافة بين العاصمتين . . . ولم يلبث السلاح الجوي البريطاني أن أهدى إليه طائرة سريعة كبيرة فأخذ يتنقل بين العاصمتين بطريق الجو . . . ويكثر من هذا التنقل . . .

وفجأة عدل عن ذلك!

وكان عدوله على أثر تقرير تلقاه بأن بعض رجال السلاح الجوي المصري ينتوون به شرّاً فقاطع ركوب الطائرة بصفة نهائية!

* * *

وكثيراً ما شاهده الناس وهو في المجتمعات العامة يخرج من محفظة جيبه ورقة بحجم «الكارت بوستال» ، ثم يتناول قلما ويعكف على إمعان النظر فيها مضيفا إليها كلمة أو كلمتين ، وحاذفا منها كلمة أو كلمتين . . .

وكانت في الحقيقة أسماء لا كلمات . . .

فماذا كانت تلك الأسماء ، ولماذا كان يحرص على إبقاء تلك الورقة معه على الدوام؟ ولماذا كان يعلق عليها هذا الشأن الكبير؟

أخبرنى ذات يوم أنه يسجل على تلك الورقة أسماء ألدّ خصومه وأعدائه مستخرجة من التقارير والمعلومات السرية التى تصل إليه ، ومعززة بما يجريه فى شأنها من بحوث وتحريات خصوصية!

ثم صارحنى بأنه يحتفظ بها دائما فى جيبه« لحكمة» وهى أنه إذا لقى حتفه يومًا اغتيالاً ، اهتدى إليها رجاله سريعا وعرفوا منها أسماء المسئولين عن التحريض على قتله فينتقمون له منهم فورًا!

وكان يراجع تلك القائمة بين الحين والحين ، فيضيف إليها أسماء ويحذف أخرى على حسب ما تهديه إليه «تحرياته» ونزواته . . .

ولم يرض قط أن يطلعنى على الأسماء التى أدرجها فيها ، وإنما تلا علىّ مرة بعضا منها على سبيل المثال ، فظهر لى أن أكثرها لرجال لا يفكرون فى التخلص منه ، ولا يهمهم تخلصت البلاد منه أو لم تتخلص . . . ولكنه أصر على رأيه فيهم ، وقال إنى لا أعرف عنهم ما يعرفه هو!

وطوى الورقة بعناية وأعادها إلى محفظته ووضعها فى جيبه مطمئنا إلى ما سيحدث إذا وقع اعتداء عليه! . . .

ورحم الله شاعرًا قال :

حـذر أمـورًا لا تضـــير وآمن

ما ليس ينجـــيه من الأقـــدار

تعليمــــه !...

اعتلى الملك فؤاد عرش مصر، وهو يشكو من عقدة نفسية لم تؤلمه لما كان أميراً بقدر ما آلمته بعدما أصبح ملكًا!

وفى السنوات التسع عشرة التى دامها ملكه لم يسترح منها يومًا واحداً. . . وحاول أن يتغلب عليها بكل وسيلة فلم يفلح، بالرغم من قوة إرادته ومن الجهد الذى بذله فى هذا السبيل. . . فمات والحسرة التى ولدتها فى نفسه لم تخمد جذوتها!

فقد كان يتكلم اللغة العربية العامية (الدارجة) بصعوبة، وبلهجة تركية ــ إيطالية ظاهرة، ثم استطاع مع الوقت أن يتكلمها بشىء من السهولة، ولكن لكنته الأعجمية لازمته حتى آخر حياته. . .

وكثيراً ما كان يعجز عن توضيح آرائه بالعربية؛ فكان ينتقل إلى الكلام بالفرنسية، أو كان يستعين بألفاظ وعبارات فرنسية ليعزز بها ألفاظه وعباراته العربية. . .

أما اللغة الفصحى؛ فلم يكن له إلمام بها. . .

ومما أذكره عنه فى هذا الصدد: أنه لما أنشىء البرلمان المصرى فى سنة ١٩٢٤ سئل القصر هل سيلقى الملك خطاب العرش كما هى العادة فى سائر الممالك؟ فطلب الملك فؤاد أن يمهلوه قبل أن يبلغهم رده. . . وحاول فى تلك الأثناء أن يتدرب على قراءة خطاب العرش بلهجة عربية مقبولة، وقضى فى هذه المحاولة ساعات طويلة، فلم يوفق إلى تحقيق أمنيته، وقرر ــ على مضض ــ أن ينزل عن تلاوة الخطاب لرئيس الوزراء، فأصبح ذلك تقليداً من ذاك التاريخ!

أما فاروق؛ فكان يجيد الكلام بالعربية العامية إجادة تامة، سواء كان ذلك من حيث تركيب العبارات التى يعبر بها عن آرائه، أو من حيث اختيار الألفاظ التى تتألف منها عباراته. وكان نطقه عربيًا ولهجته مصرية، لا تشوبها شائبة. ولم ألق أحدًا من أعضاء

الأسرة العلوية يتكلمها بطلاقته ويعرف ما يعرفه من الاصطلاحات التى لا تردد إلا فى الأوساط الشعبية البحتة . .

وكان يدهشنا بما يحفظ من تلك الاصطلاحات والأمثال العامية ، ومن النداءات الشعبية التى يرددها الباعة الجائلون ، وفى مقدمتهم باعة الخضر والفاكهة ، كأنه نشأ فى حىّ من الأحياء الوطنية ، أو أمضى حداثته فى الأوساط الشعبية . وكذلك كان يعرف عن ظهر قلب جميع الاصطلاحات الفنية العامية التى يستعملها الميكانيكيون والنجارون والنقاشون وغيرهم من أصحاب الحرف فى عملهم ، وفى تسمية أدواتهم وآلاتهم . . .

* * *

وكان يتخلل حديثه أحيانًا ألفاظ وعبارات باللغة الفصحى ، ولاسيما لما كان الحديث يدور مع رجال الأقطار العربية الشقيقة ، وكان يفعل ذلك أولاً خوفًا من أن يفوتهم معنى بعض الألفاظ العامية غير الشائعة فى سائر الأقطار العربية ، وثانيًا ليظهر لهم أنه محيط باللغة الفصحى إحاطته باللغة العامية . . .

ولجميع هذه الأسباب لم يكن يخطر للذين يقابلونه أو يسمعونه يتكلم العربية ؛ أن إلمامه باللغة الفصحى كان يسيرًا أو دون اليسير !

فقد كان يقرأ العربية الفصحى ويفهمها ، وإن غاب عنه بعض ألفاظها . . . وأعنى بالعربية الفصحى التى كان يفهمها لغة الجرائد والمجلات ، وما إليها من مطبوعات ، والأوراق الحكومية التى كانت ترفع إليه : لا أكثر ! . . .

ومع ذلك كان إذا قرأها بصوت مسموع أخطأ فى تشكيل معظم كلماتها ، وكنت إذا رأيته ممسكًا بجريدة أو بمجلة ؛ ليقرأ منها نبذة على بعض جلسائه حسبت لقراءته ألف حساب ، مع أننى لم أكن مسئولاً يومًا ما عن دروسه العربية ! وقد كان أستاذه فيها رجلاً فاضلاً من خيرة الأساتذة علمًا وخبرة . . .

كذلك كان يخطئ فى تشكيل الأمثلة الفصحى والأقوال المأثورة التى يتعلمها عن طريق القراءة لا عن طريق السمع ، ولا يفتأ يرددها خطأ إلى أن يسمع نطقها الصحيح «فيلتقطه» ويتعلمه . . .

سمعته يقول فى أحد مجالسه «وعلى كل حال إن الذوق شىء ليس فى الكتب» بضم الباء فى كلمة «الكتب» فتأكدت أنه «قرأ» هذه العبارة ولم يسمعها فوقع فى هذا الخطأ

الشنيع . . . وخفت أن يكرره إذا كرر العبارة عينها ، فقد كان من عادته إذا قرأ مثلاً جديداً أو قولاً جديداً أن يكثر من ترديده والاستشهاد به ، بحيث إن المحيطين به كانوا يلحظون بسهولة العبارات والكلمات التى كان يتعلمها تباعًا . . .

خفت إذن أن يكرر قوله «فى الكتب» بضم الباء ، ورأيت أن أنبهه إلى ذلك فوراً بدون أن أخدش كبرياءه من جهة ، وبدون أن أشعر الحاضرين بأننى أصحح خطأه من جهة أخرى ، فقلت له : يظهر أن ثقة جلالتك فى فهمنا ضعيفة ! . . .

فقال باسمًا : لماذا؟

فقلت : لأنك لما قلت «إن الذوق شىء ليس فى الكتب» (شددت فى كسر الباء ، ومددت فى الكسرة) كأنك أردت زيادة فى التوكيد . . .

وفطن حالاً إلى غرضى الحقيقى من هذا التعقيب فقال : «وهل من شك فى أن الذوق شىء ليس فى الكتب» (وشدد فى كسر «باء» الكتب كأنه يفعل ذلك للمرة الثانية) . . . فقال الحاضرون : «حتمًا لا يا أفندم ! » .

ولم يضم هذه «الباء» بعد ذلك أبدًا ! . . .

* * *

أما الكتابة باللغة الفصحى فكان يجهلها جهلاً تامّا ، ماعدا بضع عبارات وجيزة حفظها عن ظهر قلب وصوّر فى ذهنه كيفية كتابتها تصويراً ! . . .

وهذا يفسر لماذا كان يكلف «الشمشرجية» كتابة «تأشيراته» على المذكرات والأوراق الرسمية التى كانت ترفع إليه من الديوان الملكى ومن سائر مكاتب القصر . . . فمع أن مستواهم فى اللغة العربية كان ضعيفًا جدّاً ، فإن مستواه فيها كان أضعف !

ومن يرجع إلى الوثائق المحفوظة فى قصر «عابدين» يجد أن «التأشيرات» التى كتبها فاروق بخط يده اقتصرت دائمًا على كلمتين أو ثلاث كلمات ، وأن هذه الكلمات كانت ثابتة لا تتغير ، فإن غيّرها أخطأ فى الهجاء حتمًا . . . أما كل «تأشيرة» جاوزت كلمتين أو ثلاثًا فكانت تكتب بمعرفة الشمشرجى «النوبتجى» وخطه !

وكان خطه بالعربية كخط التلاميذ المبتدئين ، وكان أقرب إلى خط الإفرنج الذين يتعلمون العربية منه إلى خط «أولاد العرب» . . .

ولم تكن كتابة «تأشيراته» بواسطة «الشمشرجية» سرّا مجهولاً، فإن جميع رؤساء الديوان الملكى وكبار رجال القصر كانوا يعلمون أن «التأشيرات» التى يعملون بمقتضاها وينفذون أوامرها وتعليماتها ليست بخط الملك، بل بخط الشمشرجى «النوبتجى»، ولم يكن بينهم من يجهل السبب الحقيقى فى ذلك على ما أعتقد! . . .

* * *

ولما ارتقى فاروق العرش، قرر أن يستمر رئيس مجلس الوزراء فى تلاوة خطاب العرش فى البرلمان . . . وقد قرر هذا القرار فى الظاهر احتراما لذكرى والده بالإبقاء على التقليد الذى أنشأه، بيد أنه لم يقرره فى الحقيقة إلا خوفًا من مواجهة الموقف لشعوره بعجزه فى اللغة الفصحى قراءة وكتابة!

وهنا قد يسأل القارئ: وكيف كان يذيع إذن الكلمات التى وجهها إلى الشعب بالراديو فى مناسبات مختلفة؟ . . .

وأول ما يقال فى الرد على ذلك إن كلماته بالراديو كانت مختصرة ولا تذكر إلى جانب خطب العرش، فقد كانت تملأ عدة صفحات بالحجم الكبير . . .

وكانت كل «كلمة» من الرسائل التى أذاعها تكتب له بخط كبير واضح، ويُشكل له كل حرف من حروفها، وترسم له علامة ظاهرة فى موضع كل وقف فى جملها . . . وكان يتمرن على تلاوتها غير مرة، حتى إذا حلّ موعد تسجيلها للإذاعة، تلاها مرة أخيرة على سعيد لطفى «باشا» فينبهه إلى بعض أخطائه، وكان سيادته يشهد التسجيل فى بادئ الأمر بوصفه مستشاراً للإذاعة، ثم استمر يشهده بعد تركه الإذاعة، لأن فاروق كان يرتاح إلى وجوده معه فى تلك المناسبة . . .

وكان سعيد لطفى يقف أمامه كما يقف رئيس «الأوركستر» أمام جوقته وبوجهه فى أثناء تلاوته بإشارات من يديه كأنه «مايسترو» يدير «أوركستر» ويوجه أفرادها! . . .

وبالرغم من كل هذه التدابير كانت «الكلمة» تسجل مرة ثانية لكثرة الأخطاء التى وردت على لسان فاروق فى المرة الأولى . . . ولم تكن التلاوة الثانية لتخلو من خطأين أو ثلاثة أخطاء، ومع ذلك كانت تعتمد لأنه كان يرفض أن يكررها مرة ثالثة، ولم يكن أحد يلح عليه بتكرارها لثقة الجميع بأنها لن تكون فى المرة الثالثة خيراً منها فى المرة الثانية! . . .

وقد كفّ فى السنوات الأخيرة عن التكلم بالراديو تخلصًا من العناء الذى كان يلاقيه فى تلك الإذاعات! . . .

* * *

وكان يتردد أحيانًا فى سرد بعض الموضوعات إذا كان سيحتاج فى سردها إلى ترديد عبارات أو مقتطفات باللغة الفصحى . . . ويعهد إلى أحد الحاضرين من رجاله فى سردها للمجتمعين نيابة عنه ، كأنه يروم أن يوفر على نفسه مئونة الكلام ، أو كأنه يحتفظ بمجهود الكلام لحين مناقشتها أو التعليق عليها . . .

ومع ضعفه فى اللغة العربية كان إذا عرضت عليه مسودة رسالة أو خطبة أو مقالة ، أشار بتعديل بعض الألفاظ والعبارات . . . وكان لا يجرى بنفسه التعديل الذى يقترحه لعدم معرفته كيفية إجرائه . . . ويكتفى بأن يقول تستبدل هذه العبارة بعبارة أخرى أوضح منها أو أقصر منها أو أقوى منها أو أعم منها . . . أو يُختار لفظ آخر بدلا من هذا اللفظ ، أو كلمة أخرى عوضًا عن هذه الكلمة . . .

وعلى ذكر الرسائل التى كان يذيعها بالراديو . . . فقد كان يفضى إلى كاتبها «برءوس الموضوعات» التى يود أن يتكلم فيها ، ويترك له مهمة صياغتها وإنشائها . . . وكان يطلب أحيانًا من بعض رجاله أن يوافوه بما عندهم من اقتراحات فى شأن الموضوعات التى يستحسنون أن تتناولها رسالته ، فيقتطف منها ما يعجبه ويضيفه إلى «النقط» التى خطرت له . .

* * *

وكان لى يد فى إعداد كثير من تصريحاته خارج دائرة تلك الرسائل . . . ومن طريف ما أذكره عنها ، أنه لما استقبل ممثلى الدول العربية فى مصر فى أثناء حرب فلسطين ؛ ليقول لهم : «إن كل أرض فلسطينية يحتلها بلد عربى ستكون أمانة فى يده إلى أن تعاد إلى أصحابها يوم تحرير فلسطين كلها» طلب منى أن أعد له الكلمة التى يوجهها إليهم . . . وقبل أن يحين موعد المقابلة بقليل ، دعا إليه إبراهيم عبد الهادى «باشا» وكان رئيسًا للديوان الملكى ، وقال له «لقد كتبت الكلمة التى سأقولها لهم ، وذلك تحديدًا للمعانى ، ومنعًا لكل التباس ، فأريد أن تطلع عليها وأن تقول لى رأيك فيها» . . .

فقرأها إبراهيم عبد الهادى ووافق عليها معنًى ومبنًى ، وهنأه بالخاطر الذى أوحى إليه بها . . .

ولما استقبل فاروق زائريه رحب بهم، ثم قال لهم إن رئيس ديوانه سيتلو عليهم كلمة باسمه. . .

وقال لى إبراهيم عبد الهادى بعد انتهاء المقابلة وعودته إلى مكتبه: الكلمة كويسة يا كريم؟. . .

فقلت له: كتبها كويس فعلاً. . .

فنظر إلىّ باسمًا وقال: اسمع بقى. . . كون هو أراد أن يفوتها علىّ، وأنا تظاهرت بأنى صدقت أنه هو اللى كاتبها مش معناه إن حضرتك كمان حتظن إنك فوتها علىّ. . . بقى إذا كان مش عارف يقراها يبقى هو اللى عرف يكتبها؟!!. . .

ولما عقدت الهدنة الأولى فى حرب فلسطين، تقرر أن تعلن فى القاهرة فى احتفال عسكرى كبير يقام فى القلعة الساعة السابعة صباحًا، كما تقرر أن يتلو الفريق محمد حيدر «باشا» ــ وكان وزيرًا للحربية ــ فى هذا الاحتفال «أمر اليوم» من «جلالة الملك القائد الأعلى إلى ضباطه وجنوده». . .

وفى الساعة الثانية صباحًا من ليل هذا الاحتفال ــ أى قبل حلول موعده بخمس ساعات ــ استيقظت على صوت التليفون بجوار سريرى.

وقال لى فاروق إن حيدر أعد الكلمة (أمر اليوم) التى سيتلوها باسمه فى احتفال القلعة ولكنها لم تعجبه!

وطلب منى أن أعد هذه الكلمة فورًا!. . .

ولم أكن قد كتبت «أمر اليوم» فى حياتى. . .

فجلست أكتب الكلمة والناس فى عينىَّ، ولما فرغت منها اتصلت به تليفونيًا، وقرأتها له، فوافق عليها، وأمرنى أن أمليها على حيدر. . .

وخاطبت حيدر. . . ولم أقل له إننى عرفت أنه أعد كلمة، وأنها لم تعجب الملك. . . وإنما قلت له إن الملك اتصل بى من قليل وأمرنى بكتابة «أمر اليوم» لاحتفال القلعة فكتبته وتلوته عليه؛ فأقره وطلب منى إبلاغه إياه. . .

ولما انتهيت من إملائه على حيدر أعاد قراءته علىّ وأبدى لى إعجابه به. . .

وبعد أربع ساعات فتحت الراديو، فإذا معالى الفريق محمد حيدر باشا وزير الدفاع

الوطنى يتلو «أمر اليوم» الموجه من حضرة صاحب الجلالة الملك القائد الأعلى لضباطه وجنوده!!

* * *

وكان فاروق يتكلم من اللغات الأجنبية ثلاثًا: الإنجليزية والفرنسية والإيطالية. . .

وقد تعلم الإيطالية «شيطانى» من أحاديثه مع الإيطاليين الذين كانوا فى خدمته. . . وكان يتكلمها ولا يكتبها!

وتعلم الإنجليزية والفرنسية على بعض المعلمين الإنجليز والفرنسيين. . .

وكانت مربيته ــ وهو ولى عهد ــ إنجليزية، فأتقن هذه اللغة أكثر من سواها. . .

وكان يتكلم الإنجليزية بسهولة واطمئنان، وكان الإنجليز الذين يسمعونه يتكلمها يعجبون بنطقه إعجابهم بما يعرف من أسرارها، ولكن لم أقرأ له كتابة ما بالإنجليزية، ولا أعتقد أن مستوى كتابته بها يقرب من مستوى حديثه. . .

وكان يؤثر قراءة الكتب الإنجليزية على سواها، للسهولة التى كان يجدها فى الإحاطة بما يقرؤه باللغة الإنجليزية.

أما الفرنسية فكان إذا فكر فى تنسيق عباراتها قبل تفوهه بها جاءت سليمة بوجه عام، ولكن كثيراً ما كان يسترسل فيها بلا ترو ولا تأن، فتتعاقب الأخطاء على لسانه. . . ولم يكن يستطيع أن يكتب بها سطراً واحداً خاليًا من الأغلاط. . . ولعل ذلك كان سبب عدم محاولته الكتابة بها قط!

وقد اعتادت كريماته أن يكلمنه دائمًا بالفرنسية ــ وكانت مربيتهن فرنسية ــ وخيل إلىّ فى وقت ما أن فريال تجيدها أكثر منه بمراحل، وأنها كانت تلاحظ الأخطاء التى يرتكبها وهو يحادثها، وأنها كانت تسكت عليها أدبًا واحترامًا. . . وكانت يومئذ فى الثالثة عشرة من عمرها!

ولما كانت علاقاته بأمه لا تزال موصولة، اضطر مرة أن يكتب إليها ردًا على كتب كثيرة بعثت بها إليه من أمريكا، وإذا كانت تراسله بالفرنسية قال إنه يريد أن يكون رده عليها باللغة نفسها، فأعطى «الأفكار» للديوان الملكى وكلفهم أن «يحرروا» له كتابًا على أساسها!. . .

ولعله كان أول كتاب من ملك إلى أمه فى شئون خاصة، كتب بواسطة رجال الديوان الملكى!

وانتظر رجال الديوان أن يعنى هو باستنساخه (تبييضه) على الأقل... فيصل إلى أمه بخطه؛ وإن كان من إنشاء غيره... ولكن خطه بالإفرنجية أيضًا كان يشبه خط التلاميذ المبتدئين، فأمر بأن يتولى أحد رجال الديوان الملكى (تبييضه) بخطه...

ثم أمضاه هو!

كأنه أمر ملكى، أو رسالة ملكية رسمية... لا كتاب خاص من ابن إلى أمه فى أمور لا تمت إلى شئون الدولة بصلة!

ومما هو جدير بالذكر هنا، أنه كان يعلم أن أمه تعرف الإنجليزية، فلو كان يحسن الكتابة بها وفى وسعه أن يكتب إليها كتابًا لا يثير انتقاداتها وانتقادات شقيقتيه الملازمتين لها، لما كلف الديوان الملكى أن يعد له رسالة باللغة الفرنسية!

* * *

وبهذه المناسبة أذكر أن قداسة البابا أهدى إليه صورته الفوتوغرافية وعليها عبارة إهداء لطيفة بخط يده، فقرر أن يقابل الهدية بمثلها وأن يهدى صورته إلى قداسته...

وقيل له إنه لابد أن يكتب على الصورة كلمة إهداء خليقة بالمقام البابوى...

وكان يجب كتابة هذه الكلمة بالفرنسية فلم يكتبها بالفرنسية، وعهد إلى أحد رجال الديوان فى كتابتها... ولكن حتى بعد ما كتبها له لم يجرؤ على «نقلها» على الصورة بخط يده، فتولى الموظف نقلها بالنيابة عنه؛ فجاء خطها مختلفًا اختلافًا تامًا عن خط الإمضاء الملكى!

وأظن أنها كانت المرة الوحيدة التى أهدى فيها صورته وعليها كلمة تحية، فقد كان يهديها دائما بإمضائه وحده... ولو كانت لشقيقاته!

* * *

ولم يدرس التركية، وقيل إن والده لم يقرر تعليمه إياها؛ لأنه لم يشأ أن يثقل عليه منهاج دراسته فى حداثته، ولا أعتقد أن هذا هو السبب الحقيقى، بل يغلب على ظنى أن فؤادًا لم ير ضرورة لتعليم ولى عهده التركية بعدما زالت الروابط القديمة التى كانت تربط مصر بتركيا...

وبذلك كان فاروق أول من جلس على عرش مصر من ذرية محمد على لا يعرف التركية . . .

وفى عهده أبطل رجال القصر الذين هم من أصل تركى التخاطب باللغة التركية فى مكاتبهم . . .

ولم يبد بعد اعتلائه العرش رغبة ما فى تعلمها ولو لمامًا ، فكان لا يعرف منها سوى بعض «شتائمها» المشهورة!

ومع أن بعض أعضاء أسرته كانوا لا يتخاطبون إلا بها فى مجالسهم الخاصة ، كانوا يتجنبون ذلك تجنبًا تامًا فى حضرته تفاديًا لما قد يوجهه إليهم من انتقادات لاذعة . . .

* * *

وتوفى والده ، وتعليمه لايزال ناقصًا من جميع الوجوه ، فتساءل الناس هل سيمضى فيه بعدما أصبح ملكًا؟ فما لبثوا أن علموا أنه أنهى مهمة معلميه وشكرهم . . .

فيمكن أن يقال إذن إن كل ما قيض له أن يتعلمه عن طريق الدرس والمدرسين قد تعلمه قبل بلوغه السادسة عشرة!

وطالما سألت نفسى : هل كان الملك فؤاد يعرف الحقيقة عن سير تعليمه ، أم كانوا يضللونه ويخدعونه فى تقاريرهم عنه؟ . . .

ويلوح لى أنه ارتاب فى صدقها فى أواخر حياته ، وأن مرضه فى السنتين السابقتين لوفاته كان من أسباب عدم تمكنه من ملاحقة هذا الموضوع بنفسه ، إلى جانب انشغاله بمواجهة الأحداث السياسية من جهة ، وتدعيم ثروته الشخصية من جهة أخرى . . .

ومما يدعو إلى الاعتقاد بأن الشك خامره فى صحة تلك التقارير ، أنه لما قرر أن يوفد فاروق إلى إنجلترا ليستكمل تعليمه فيها ، لم يشأ أن يعول على التقارير الرسمية وحدها ، أى على التقارير التى سيرسلها إليه الرائد (أحمد حسنين باشا) وأوعز إلى أحد رجاله بأن يتفق سرًا مع أحد الموظفين الملحقين بحاشية ولى العهد على أن يوافيه بانتظام بتقارير سرية عن كيفية «سير الأمور» ، وعن كل ما يستوقف نظره ويسترعى انتباهه! . . .

وأخفى الملك فؤاد ذلك طبعًا عن فاروق ورائده! . . .

وبينما كانت التقارير الرسمية ترد إلى فؤاد ، مؤكدة أن الأمور تسير على ما يرام طبقًا

لرغبات جلالته وتوجيهاته . . . كانت التقارير السرية التى تصل إليه عن طريق مصدره السرى، تؤكد أن كثيراً من الأمور «لا تسير على ما يرام»، وتكشف عن هذه الأمور أو تشير إليها!

غير أن المرض كان قد أوهن قواه وأضعف همته، ثم أقعده قبل أن يتخذ أى إجراء بشأن ما نمى إليه سراً . . .

ولما توفى فؤاد وعاد فاروق إلى مصر، وفتح خزانة والده فى قصر القبة عثر فيها على مجموعة هذه التقارير السرية كاملة، وكان والده قد احتفظ بها ليرجع إليها . . .

ومما يدل على أن الفرق بين مضمونها ومضمون التقارير الرسمية كان كبيراً، أن فاروق غضب على صاحبها غضباً شديداً استمر حتى نهاية ملكه!

وشمل غضبه الموظف الكبير الذى كان همزة الاتصال بين كاتب التقارير ووالده، ولم يرض عنه إلا بعد سبع سنوات، مع علمه بأنه لم يكن إلا منفذاً لمشيئة الملك الراحل . . .

* * *

وبعدما أصبح فاروق ملكًا أراد أن يستعيض عن الدراسة بالمطالعة، فعكف على القراءة فى مختلف الموضوعات التاريخية والسياسية والعلمية، وكان يقرأ بسهولة ويستوعب قراءته بسهولة . . .

وكانت ذاكرته القوية عونًا كبيراً له على الإفادة من مطالعاته؛ فتوافرت له فى فترة قصيرة معلومات عامة لا بأس بها، خدمته كثيراً فى أحاديثه فى المواقف الرسمية.

ثم أخذ يقلل من القراءة تدريجًا، وخصوصًا بعدما أصيب بداء القمار، حتى كاد يقصر قراءته على التقارير والمجلات محاولاً أن يعوض جانبًا منها بالمعلومات التى كان يسمعها من بعض زواره أو أصدقائه، وهنا أيضًا كانت ذاكرته ذات فائدة كبيرة له، إذ كان يضيف المعلومات الجديدة التى يسمعها إلى معلوماته السابقة فتتسع دائرة معلوماته العامة . . .

ودأب على زيارة الدكتور «دريتون» المدير السابق للمتحف المصرى من وقت إلى آخر، ليحاضره فى تاريخ مصر القديم وآثار مصر الفرعونية، ولكنه لم يستمر فى هذه الزيارات طويلاً!

* * *

ولما باشر سلطته الدستورية كان يشق عليه أحيانًا أن يظهر أمام محدثه أو محدثيه بمظهر من يجهل موضوع الحديث أو بعض نواحيه، فكان يعقب على كلام محدثه بقوله «أنا عارف» أو «أنا كنت عارفًا». . .

ثم توسع فى ذلك فكان إذا رُويت له رواية قال «أنا عارف» أو «كنت أعرفها». . . وإذا نقل إليه خبر قال «أنا عارف. . . أنا عارف!». . . وإذا أنهوا إليه أمرًا من الأمور قال «عارف. . . عارف»، مما بعث بعض أعضاء أسرته على تسميته بالفرنسية «بالرجل الذى يعرف كل شيء»[1]! . . .

وتأصلت فيه هذه العادة على مَرِّ الأيام حتى أضحت جزءًا من طبيعته؛ فكان لا يسمع شيئًا بدون أن يقول إنه كان يعرفه!

وكنت أقول له أحيانًا فى جلساتنا الخاصة «مادمت كنت تعرف يامولانا، فلماذا تركتنى أتكلم وأتعب؟». . . فكان يقول «لكى أقابل بين مختلف الروايات التى وصلت إلىّ»، أو «لكى أعرف كيف سترو ى أنت هذه الحكاية»، أو «لكى أمتحن معلوماتك»، أو «لأن بعض التفاصيل كانت تنقصنى فأحببت أن أعرفها منك». . .

وعرف رجاله هذه العادة فيه وألفوها؛ فكان إذا قال لهم «عارف، عارف» تصرفوا كأنه لم يقل شيئًا أو كأنهم لم يسمعوه يقول شيئًا، ومضوا فى سرد ما شرعوا فى سرده، وكان هو من جهته يستمر فى الإصغاء إليهم بالانتباه تام، بالرغم من قوله «عارف، عارف»، بينما كان فى الحقيقة لا يعرف!

وعدت يومًا من باريس وفى جعبتى قصة حديثة، لم تكن قد عبرت البحر المتوسط بعد ولو عن طريق الأثير. . . فجملتها موضوع حديثى فى مجلس خاص. . . فقاطعنى قائلاً: هذه قصة قديمة. . .

فقلت له مداعبًا: فى هذه الحالة تكون جلالتك أقدر منى حتمًا على رواية تفاصيلها. . .

فقال: لا. . لا. . اروها أنت. . .

فقلت: ولِمَ أزعج جلالتك بتكرار أشياء تعرفها. . .

---

(1) monsieur ie sais tout

فقال: إن الآخرين لا يعرفونها. . .

فقلت: سأرويها لهم فى فرصة أخرى. . .

فلم يقبل التأجيل، وألح علىّ، وكان فى أثناء كلامى منتبها لسماع جميع التفاصيل. . . التى كان «يعرفها»!!

* * *

ولما زار بعض بلدان أوروبا زيارة غير رسمية فى صيف سنة ١٩٥٠، ثم فى صيف سنة ١٩٥١ رجونا أن ينتهز تلك الفرصة؛ ليعزز معلوماته بزيارة بعض المتاحف والمعارض والمؤسسات والمنشآت فأبى الإصغاء إلى هذا الكلام، وقال إنه متعب ولم يتمتع بإجازة ما منذ جلوسه على العرش، وإنه إنما يسافر للترويح عن النفس. . . فكان يمضى معظم وقته فى أندية القمار وأماكن اللهو بعدما أصبح القمار شغله الشاغل، ولم يفد نفسه بزيارة نافعة واحدة فى خلال تينك الرحلتين!

وبعدما كانت رحلاته الصحراوية فى صحراء مصر، ورحلاته البحرية فى البحر الأحمر تفيده علميّا وصحيّا، انقطع عنها منذ أمسى القمار تسليته الوحيدة، ورياضته الوحيدة، وعمله الوحيد تقريبًا. . .

* * *

وحاولنا فى وقت ما أن نزيده اهتمامًا بالسينما، وأن نحمله على دعوة أخصائه إلى مشاهدة السينما فى ضيافته بالقصر مرة فى الأسبوع على الأقل، ما دام عنده الفنيون اللازمون لذلك وجميع المعدات اللازمة. . . وكنا نبغى من ذلك أمرين، الأول أن تفيده الأفلام العلمية والتاريخية والإخبارية فى تعزيز معارفه ومعلوماته، والأمر الثانى أن يقلل من الخروج من القصر ليلاً. . .

فنظم لنا حفلتين من هذا القبيل، أو ثلاثًا، ثم عدل عنها!

وكان لا يشاهد السينما بعد ذلك إلا عرضًا. . . وبكيفية لا يفيد منها مطلقًا. . .

فقد كانوا ينظمون كل أسبوع حفلة سينمائية لبناته. . . فكان ينضم إليهن بين الحين والحين، ويتفرج على الشريط الذى أختير لعرضه على بنات فى أعمارهن. . .

وآخر مرة شاهد فيها شريطًا سينمائيّا فى مصر كانت فى قصر القبة. . . وكانت ناريمان

وبعض قريباتها يشهدن فى ذلك اليوم شريطًا جديدًا فى قاعة السينما ، فدخل عليهن مع صديق[1] له . وبعدما صرفهن ، أمر بوقف الشريط الذى كان يعرض عليهن ، واستبداله بشريط «الميكى ماوس» ، ولما انتهى عرضه نهضا وانصرفا[1] . . .

وكان حبه للتمثيل مثل حبه للسينما . . . فلم يحضر فى خلال السنوات العشر التى لازمته فيها سوى تمثيل عدد يسير من الروايات العربية والإفرنجية .

وكانت التقاليد تضطره إلى افتتاح موسم «الأوپرا» رسميا ، فكان يذهب إليها متبرمًا متأففًا . . . فإذا استطاع الإفلات من هذا «الواجب» كان أول المغتبطين بذلك!

أو كان يحضرها بقصد أن يتيسر له أن يقول إنه سمع فلانا المغنى الذى يتحدث عنه الجمهور أو فلانة المغنية التى يردد الناس اسمها!

وفى السنوات الأخيرة لم يكتف بعدم التردد على «الأوپرا» إلا فى القليل النادر ، بل كان عند ذهابه إليها لا يمكث فيها حتى نهاية التمثيل . . . كان يشاهد فصلين من الفصول الثلاثة أو الأربعة ، ثم ينهض منصرفًا بحجة تعبه أو كثرة عمله! . . . ولكنه كان فى الحقيقة ينصرف مبكرًا ليكمل سهرته حول موائد القمار ، أو فى أحد الأندية الليلية بعد تغيير ملابسه فى القصر!

وكانت الموسيقى الإفرنجية «الخفيفة» أو موسيقى الملاهى والمراقص هى وحدها التى تلذ له سواء فى الراديو أو فى الأماكن العامة . . .

وكان إذا جلس فى مكان عام وعزفت الموسيقى بعض الألحان «الكلاسيك» الإفرنجية التى تعزف فى ساعات الأكل عادة ، نادى كبير الخدم وقال له «هل تريد منا الموسيقى أن ننام»؟ فلا تكاد الرسالة «الملكية» تبلغ رئيس «الأوركستر» حتى يستبدها فورًا بألحان مرحة وصاخبة!

ولا أذكر أنه حضر فى السنوات الست عشرة أو السبع عشرة التى دامها ملكه أكثر من حفلتين موسيقيتين من الحفلات التى يطلقون عليها بالإفرنجية اسم «كونسير» . . .

وقد تعلم البيانو فى حداثته ، ولكن يظهر أنه تعلمه «تسديدًا لخانة» فى منهاج دراسته . . . لا أكثر! . . . وقد رأيته جالسًا إلى البيانو ثلاث مرات أو أربعًا فى فترات غير متقاربة ، وفى مناسبات غير متشابهة ، وفى كل مرة سمعته «يضرب» اللحن نفسه!

---

(١) كان إلياس أندراوس «باشا» مستشاره الاقتصادي ، وهو الذي قص عليّ هذه القصة فى الغد .

وفى كل مرة لم يكمله! . .

أما الموسيقى العربية والغناء العربى، فكان لا يميل إليهما ولا يعنى بسماعهما . . .

ولم يكن يحب سوى بعض «الطقاطيق» العربية، إما على سبيل التسلية أو لأنها كانت تحتوى على تحية له فى الحفلات التى كان يشهدها . . .

ولما ذهب مرة إلى النادى الأهلى، ليسمع أم كلثوم فى حفلة من حفلاتها ذهب إليه فى الحقيقة لمأرب سياسى، وليس لسماع كبيرة مطربات الشرق . . .

فقد كانت وزارة الوفد[1] متربعة يومئذ فى دست الأحكام، وقد ذهبت فى مناوأتها لفاروق إلى منع إذاعة القرآن الكريم فى قصر عابدين فى أثناء شهر رمضان . . . ففكر أحمد حسنين «باشا» ــ وكان رئيسًا للديوان الملكى إذ ذاك ــ مع بعض أصدقائه فى مناورة يغيظون بها الوزارة، وهى أن يذهب فاروق إلى النادى الأهلى، بينما أم كلثوم تغنى والإذاعة «مفتوحة» فيردد الراديو صدى أصوات التصفيق والهتافات التى سيقابل بها . . . فيسمعها الناس فى كل مكان! . . .

وحدث ذلك فعلاً . . .

وفى تلك الليلة أنعم فاروق على أم كلثوم بنشان الكمال من الطبقة الثالثة . . .

وبعد أربع سنوات من ذلك التاريخ، وقع نظره فى إحدى المجلات على صورة تمثل أم كلثوم جالسة فى فندق «سان إستفانو» إلى مائدة واحدة مع السيدة زينب الوكيل، فغضب لمجالستها حرم مصطفى النحاس «باشا» عدوه السياسى فى ذلك الحين!

وجلب بواسطة بوليسه الخاص الصورة الفوتوغرافية الأصلية للصورة المنشورة فى المجلة، وأرسلها إلىّ لأطلع عليها «أم كلثوم» وأعاتبها على ذلك، فلم أفعل . . .

وحاولت أن أقنعه بأن «أم كلثوم» ليست موظفة فى القصر، فتقاطع من يقاطعه القصر، فأبى أن يقتنع بهذا الرأى ولم يرض عنها بعد ذلك! . . .

* * *

وكان يعتقد أن صوته جميل وأن له «سحبة» لا يدركها كثيرون . . . وأنه يحسن الغناء!

(١) وهى الوزارة التى تألفت فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .

ولم يكن صوته جميلاً، ولم يكن له «السحبة» التى أراد أن تكون له، ولم يكن يحسن الغناء، بل لم يكن له أقل إلمام بأصول الغناء وقواعده. . .

قال لى مرة بعدما «صاحب» أنشودة كانت تذاع بالراديو: «هل تعرف يا كريم أنه لو لم أكن ملكًا لأمكن أن أكون مغنيًا! . . .».

فقلت له على الفور: لأ معلهش يا مولانا. . . خليك مَلك أحسن!

وكان قبل ذلك بمدة قد قال لى: لو لم أكن ملكًا لاستطعت أن أكون ميكانيكيًا! . . .

وأراد فى تلك الليلة ــ ليلة أن قال لى إنه لو لم يكن ملكًا لأمكن أن يكون مغنيًا ــ أن يعاقبنى على وقاحتى؛ فأيقظنى من نومى بالتليفون؛ ليقول لى: إنى أسمع موسيقى جميلة من راديو بوخارست؛ فأحببت ألا أحرمك منها فاسمعها. . .

وأدنى تليفونه من الراديو الذى كان بالقرب من سريره. . .

ويظهر أننى بعدما استمعت للموسيقى قليلاً عدت إلى نومى بدون أن أتعمد ذلك. . . والتليفون لايزال مفتوحًا بجوار سريرى!

فلما كلمنى؛ ليسألنى رأيى فى الموسيقى التى أسمعها لم يتلق ردًا منى، فكرر محاولته غير مرة، ولكن بدون جدوى!

ولما استيقظت وجدت التليفون لايزال «مفتوحًا»؛ فأدركت ما حدث! . . .

ودعانى يومًا إلى موافاته «بسرعة» فى الجناح الخاص به فى قصر القبة فذهبت إليه وأنا أسأل نفسى عن سر هذه الدعوة العاجلة. . .

وبعدما جلست فى الصالون بضع دقائق، دخل علىّ وهو يعزف على الآلة الموسيقية المسماة «أكورديون»، وكانت من الحجم الكبير؛ فعلقها فى رقبته بحمالة من الجلد مراعاة لحجمها ليتسنى له تحريك يديه بسهولة. . .

واستمر يعزف دقيقتين، ثم قال: ما رأيك؟

فقلت: لم أكن أعلم أن جلالتك تعرف العزف على «الأكورديون». . .

فقال: من زمان طويل. . . ولكنى أهملته فعدت إليه فى هذين اليومين. . .

ولم يكن ذلك صحيحًا. . . فقد كان «الأكورديون» نزوة جديدة!

ولكنها لم تستمر سوى أيام، ولم تستمر كل يوم أكثر من دقائق . . .

ثم اختفى «الأكورديون» ولم أره بعد ذلك!

وحل «النفير» محله . . .

وكان «نفيراً» (بوقًا) كالذى ينفخ فيه الجنود فى ثكناتهم ومعسكراتهم . . .

وأخذ يطلب من جميع أخصائه وأصدقائه أن يجرب كل منهم «نفسه» . . .

وطبعًا كان هو دائمًا أقوى الحاضرين «نفسًا»! . . . أو «نفخًا»!

ثم اختفى «النفير» كما اختفى «الأكورديون» من قبل . . .

واكتفى بالغناء والتصفير!

* * *

ولم يكن ذوقه فى الفنون الجميلة ينم على ثقافة عالية أو روح فنية . . .

وكان ذلك يتجلى فى التحف والطرف التى كان يشتريها، وفى كيفية تأثيثه لبيوته الخصوصية والجناح الخاص به فى القصور الرسمية.

وأخبرنى فى إحدى المناسبات أنه «لما كان طالبًا» كان مولعًا بالرسم، وأنه كان يتقنه، وأن «السلطانة ملك[1] رأت مرة رسمًا بالألوان من صنعه؛ فأعجبت به، فأهداه إليها!

ولم أر هذا الرسم لأقدر نسبة «المجاملة» فى الإعجاب الذى أبدته «السلطانة» تلك به!

بل لم يرنى رسمًا واحداً أو لوحة واحدة من رسمه . . .

ولكنى لاحظت طول مدة وجودى معه أنه لم يكن مغرمًا باقتناء اللوحات المصورة (تابلوهات) ولا أذكر أنه أرانى يومًا لوحة واحدة اشتراها أو فكر فى شرائها . . .

وفى الجناح الخاص به فى قصر القبة كان لا يزين جدران جميع حجره سوى أربع لوحات، وكانت كلها لمناظر إيطالية، وأرجح أنها كانت هناك من عهد والده . . .

وكانت لوحة منها تزين أحد جدران «الصالون» الداخلى، وكان لابد لفاروق أن يجتاز هذا الصالون كلما اتجه إلى حجرة نومه . . .

---

(١) أرملة السلطان حسين كامل عم فاروق.

وفى كل مرة كان من المحتم أن تقع عيناه على تلك اللوحة؛ لأنها كانت على الجدار المتصل بالباب الذى يؤدى إلى حجرة النوم . . .

وكانت اللوحة تمثل قصراً وحديقة ورجلاً بلحية قصيرة . . .

أما الرجل؛ فهو الخديو إسماعيل . . .

وقد وقف فى حديقة القصر متنزهًا . . .

ولم يكن اسم القصر «عابدين» . . .

بل كان قصر «لافافوريتا» فى نابولى!

القصر الذى آواه فى منفاه!

وكان فاروق يرى هذه اللوحة كل يوم . . .

وكان يراها كل يوم عدة مرات . . .

ولكنه لم يتأمل فيها مرة واحدة!

الباب الثالث

- أصدقاؤه
- شعوره بالحرمان
- تقتيره وتبذيره
- مساهمته في ترويج الإشاعات
- حفلاته الخاصة

أصدقاؤه

لم يلعب فى حداثته إلا مع شقيقاته فوزية وفائزة وفائقة، ومع خدمه . . .

ولما جاوز سن الحداثة لم يلعب إلا مع خدمه وحدهم . . .

وظل لا يجد سوى خدمه، ليلهو ويلعب حتى بلغ الخامسة عشرة ! . . .

أى حتى سفره إلى إنجلترا !

وفى إنجلترا، وفى إنجلترا فقط، عرف أقرانا من عمره، واختلط بأقران فى مثل سنه . . .

ومع أولئك الأقران، بدأ يتعلم كيف تكون الصداقة، وكيف تكون المعاشرة، وكيف تكون المداعبة بين الأنداد والإخوان . . .

غير أن إقامته فى إنجلترا لم تدم أكثر من أشهر، فاعتلى العرش وهو لا يعلم عن الصداقة إلا النزر اليسير، واليسير جدا، ولا يعرف عن المداعبة إلا ما رسخ فى ذهنه من مزاحه مع خدمه !

ولا أدرى ماذا كانت فى الحقيقة البواعث التى بعثت والده على تنشئته فى جو من العزلة التامة، مع أنه كان من المتيسر أن يختار له أولادا فى سنه؛ ليتعلم وإياهم، أو على الأقل ليشاركوه فى الرياضة واللعب؛ فيألف من نعومة أظفاره شيئا اسمه الصداقة، ويألف كيف تكون المعاشرة وكيف تكون المداعبة فى غير محيط القائمين على خدمته . .

وليس من شك فى أن حرمانه من هذا كله كان له تأثيره الجلىّ فى حياته ملكا ورجلا، فلم يعرف الصداقة الحقيقية، وتوهم - وقد عاش فى حداثته بدون أصدقاء - أنه يستطيع أن يمضى فى الحياة بدون أصدقاء، فدفع ثمن وهمه وثمن ذلك النقص فى تربيته . . . غاليًا !

وكان يسمى بعض المقربين إليه «أصدقاء» تمييزًا لهم عن «المعارف» . . . وتدليلا على

أنه يشملهم بعطف خاص. . . باعتبار أنه يراهم أكثر مما يرى غيرهم من معارفه، ويجتمع بهم أكثر مما يجتمع بغيرهم، ويدعوهم إلى مجالسه الخاصة وحفلاته الخاصة أكثر مما يدعو غيرهم، ويزورهم أكثر مما يزور غيرهم، ويداعبهم أكثر مما يداعب غيرهم - فلهذا كله مجتمعا كانوا جديرين بأن يسميهم «أصدقاء» !

أما الصداقة الحقيقية، كما يفهمها الأصدقاء الحقيقيون أو كما يعرفها الناس فى العالم أجمع - فكانت مجهولة منه !

كانت «صداقته» للرجال «كحبه» للنساء!

وكما كان يعتقد أنه «يحب» كذلك كان يعتقد أنه يصادق!

كانت صداقته إذن على الطريقة الفاروقية، أى على الطريقة التى يكيّف هو بها الصداقة ومعنى الصداقة وكيف تكون الصداقة. . .

ولهذا لم يخبر الصداقة الحقيقية، ولم يعرفها لا فى حياته الرسمية ملكًا. . . ولا فى حياته الخصوصية رجلا!

كان فى حياته الخاصة «يستخف ظل» فلان أكثر من فلان، أو «يستلطف» معشر فلان أكثر من معشر فلان، أو تطيب له أحاديث فلان أكثر من أحاديث فلان، أو يشعر بأن فلانا يفيده أكثر من فلان - فيقدمه عليهم فى «صداقته» ! . . . فهى إذن لم تكن صداقة حقيقية قائمة على تقدير للسجايا والمناقب الشخصية، وإنما كانت صداقته قائمة على أساس مقدار ما يفيده من «صديقه» بشكل من الأشكال وبوجه من الوجوه!

وفى هذا ما يفسر لماذا لم يكن له أصدقاء دائمون، أو بعبارة أدق لماذا لم يكن يحتفظ بأصدقاء دائمين، ويفسر كذلك لماذا كان من السهل عليه أن يجافى «صديقا» أو أن يقاطعه لسبب تافه، أو أن يخاصمه ويقصيه عن مجلسه فترة من الزمان دون أن يكون لنقمته عليه سبب جدى. . . فإذا شعر فيما بعد أنه فى حاجة إليه لأمر ما، أو أنه قد يفيد منه بصورة ما - استأنف علاقته به، وإلا أعرض عنه نهائيا!

ولذلك كانت «صداقته» لجميع أصدقائه الخصوصيين خاضعة لتقلبات وتحولات مستمرة كتقلبات الجو وتحولاته أو كتقلبات «البورصة» وتحولاتها. . . فبينما كنت تراه مقبلا على زيد من الناس إقبالا حارا ينم على «الصداقة» التامة والثقة التامة، كنت لا تلبث

أن تسمع أنه قاطعه، ونبذه، وأمر بالكف عن دعوته إلى حفلاته . . . ثم تفاجأ بعد حين بخبر زيارته له فى بيته وتناوله الطعام على مائدته ! . . .

وكان من نتيجة هذه التقلبات والتحولات أن ما من أحد من أصدقائه الخصوصيين وثق يوما بصداقته واطمأن إليها !

* * *

وكان المحيطون به يضعوننى فى رأس قائمة أصدقائه الخصوصيين فى معظم السنوات العشر التى قضيتها بالقرب منه . . .

ولا أذيع جديدا إذا قلت إننى كنت فعلا لفترة طويلة فى طليعة القائمة الأولى لأسماء أصدقائه الخصوصيين، وقد تحدثت عن ذلك بإسهاب فى مستهل هذه المذكرات؛ فرويت كيف نشأت علاقتنا وكيف توثقت على مر الأيام، فإذا كان لى أن أضيف هنا شيئا إلى ذلك؛ فهو أنه مما لاريب فيه أن الألفة التى سادت صلاتنا لم تسد صلاته بكثيرين من أصدقائه الخصوصيين، وأن المنزلة التى بلغتها عنده فى وقت ما لم يبلغها أحد منهم، ومع ذلك لم تسلم علاقاتنا الشخصية[1] من هزات وأزمات ومن تقريب وإبعاد . . . وسأحدث القارئ عن أزمتين منها على سبيل المثال :

كنت قد عرفته منذ أكثر من ثلاث سنوات، وكانت علاقتى به قد توطدت، حين دعانى ذات ليلة إلى العشاء فى نادى السيارات . . . ولما التقيت به فى النادى استقبلنى بفتور وردّ على تحيتى بجفاء، ثم دخلنا قاعة الأكل وجلسنا إلى مائدة صغيرة ومعنا ثالث . . . وما كدنا نشرع فى الأكل حتى انتقد عملا عملته فى اليوم السابق بلهجة لم آلفها منه قبلا فى أحاديثه معى، فقلت له إننى أود أن أعرف الأسباب التى استوجبت استياءه، فاحتد وقال إنها أسباب كثيرة، فقلت إننى مستعد لمناقشتها إذا سمح بذلك، فقال إنه لايسمح، فالتزمت الصمت بعد ذلك ولم أتكلم، فمضى فى تأنيبى تأنيبا شديدا، زاد من وقعه فى نفسى إحساسى أن جميع الجالسين فى القاعة يلاحظونه ويتتبعونه؛ إذ كان يتكلم بصوت مسموع مقرون بإشارات تنم على نوع الحديث ولهجته . .

وكنت قد درست أخلاقه وبلوت طباعه، فقلت فى نفسى إذا سكت على مسلكه نحوى الليلة فسوف يستمرئه ويتمادى فى غلوائه، فلا يقنع فى المرة القادمة بالتقريع

(١) أما علاقتنا الرسمية، أو علاقات العمل، فتكلمت عنها فى الجزء السياسى من مذكراتى .

والتأنيب بل يجاوزهما إلى الازدراء والامتهان، فمن الخير أن أحدد مركزى من أول مرة! . . .

وجاء «السفرجى» باللون الثانى من ألوان الطعام، ولما قدمه لى أشرت إليه بأنى لا أريد منه . . . ولما ابتعد قال لى فاروق بلهجة التأنيب دائما : عندما لا تريد أن تأكل من طبق يمكنك أن تقول للسفرجى كلمة بدلا من أن تصرفه بإشارة . . .

فقلت جادا : حاضر يا أفندم . . .

وعدت إلى صمتى . . .

ثم جاء «السفرجى» باللون الثالث، فقلت له : متشكر مش عاوز . . .

ولم يعلق فاروق على ذلك بشىء . . .

ولزم كلانا الصمت . . .

ولما جىء بالحلوى لم أذقها أيضا . . .

ولاحظت أن استمرارى فى الصمت أغاظه، فأمعنت فيه ولم أخاطبه بكلمة واحدة، وحاول ثالثنا أن يكلمنى؛ فلم يلق منى استعدادا للكلام . . .

وطاف علينا رئيس الخدم بصندوق السيجار فلم آخذ منه . . .

وعندئذ قال لى فاروق بلهجة تكاد تكون طبيعية : أنت فى العادة تدخن السيجار بعد العشاء فلماذا لا تدخن الليلة؟ . . .

وأدركت من هذه العبارة أنه يحاول أن يخفف من وقع كلامه السابق . . .

ومع ذلك قلت له : ليس لى «نفس» للتدخين الليلة . . .

فاحمر وجهه وقال : إنى أشعر ياكريم أن الليلة ستكون بداية فتور بيننا . . .

فقلت له بهدوء تام : إنى خادم جلالتك فى الداخل وفى الخارج . . .

فنهض وهو يقول : أظن أنك «تعبان» وتحب أن تنصرف . . .

فقلت : إنى «تعبان» فعلا يا أفندم . . .

وعدت إلى بيتى وأنا واثق من أن كل علاقة بيننا قد انتهت، وكانت الساعة لم تبلغ العاشرة والنصف بعد . . .

وفى الساعة الثالثة صباحا دقّ جرس التليفون بجوار سريرى، وإذا فاروق يقول لى : بتعمل إيه؟

فقلت : كنت نايم يا أفندم . . .

فقال : إنت عارف إنك كنت سخيف الليلة؟ . . .

فقلت : متشكر يا أفندم . . .

فقال : أنا ماشفتكش أبدا بالسخافة اللى شفتك بها الليلة . . .

فقلت : كمان متشكر يا أفندم . . .

فقال : يعنى الواحد ما يقدرش يقول لك كلمة من غير ما تغضب!

فقلت : بس فيه كلمة وكلمة . . . ولهجة و لهجة . . .

فقال : إيه كمان؟ . . .

فقلت : إنى لا أكره الانتقاد أو اللوم عندما يكون فى موضعه، ولكن الانتقاد شىء والتحقير شىء آخر، واللوم شىء والتهزىء العلنى شىء آخر . . .

فقال : التهزىء العلنى؟

فقلت : أيوى يا أفندم . . . التهزىء العلنى . . . هم اللى كانوا فى النادى طرش وعمى؟ . . . كل واحد شاف الليلة التهزىء اللى حصل لى . . . يبقى بعد كده أقدر أشتغل إزاى؟ !

فقال : خلصت ولا لسه؟

فقلت : لسه كلمة واحدة لو سمحت . . . تذكر جلالتك أنه لما بدأت العمل معك كان فى مقدمة ما رجوته منك أنه فى اليوم اللى تمل فيه منى أو تتضايق فيه من وجودى جنبك، أو ترى من المصلحة إبعادى عنك ـ أن تشير لى إشارة صغيرة وأنا أبتعد شاكرا، ولا موجب مطلقا للتهزىء والتحقير أو للزعل والغضب . . .

فقال : أنا منتظرك بكرة فى القبة الساعة خمسة بعد الظهر . . .

ولما ذهبت إليه فى الغد قابلنى هاشّا باشّا، وما لبث أن اعترف لى بأنه لما كان فى نادى السيارات فى الليلة السابقة لم يكن غاضبًا بسببى وإنما كان متوتر الأعصاب لنزاع نشأ،

قبل حضورى إليه بدقائق، بينه وبين صديقته فلانة وكانت فى النادى فى تلك الساعة. . . فلما وجدنى أمامه «طلّع خُلْقه» فىّ! . . .

ثم دعانى إلى فنجان قهوة فى «شبرد»، ومن «شبرد» ذهبنا إلى «أوبرج الأهرام». . . ومن «أوبرج الأهرام» انتقلنا إلى «حلمية بالاس». . . ومن «حلمية بالاس» توجهنا إلى «الإسكارابيه». . .

وفى كل مكان كان يتعمد أن يظهر عطفه علىّ ومكانتى عنده. . .

ولما انتهت السهرة قبيل الفجر قال لى : أظن أننى عوضتك الليلة عما حدث إمبارح . . . وإن عدد اللى شافوا مظاهرات اليوم أكثر بكثير من اللى شافوا خناقة النادى! . . .

فقلت له : أؤكد لجلالتك أنى تألمت إمبارح لك أكثر مما تألمت لما حدث لى. . . تألمت لك لأنى قلت فى نفسى إن الناس حيقولوا : إذا كان الملك رمى كريم ثابت بهذه السهولة بعد كل اللى عمله كريم ثابت له فهذا ما يشجعش حد على خدمة هذا الملك. . . فأرجو يامولاى إذا أردت فى المستقبل أن تقطع علاقتك بواحد من اللى بتسميهم أصدقاءك أن تقطعها لسبب جِدّىّ، وثق إن هذا لمصلحة جلالتك لا لمصلحتى أو لمصلحة غيرى!

ومن ذلك اليوم. . . إلى آخر يوم اتصلت فيه به. . . لم يعد إلى اللهجة التى خاطبنى بها فى نادى السيارات فى تلك الليلة. . . ولم يكرر مطلقًا عبارة واحدة من العبارات التى استعملها فى حديثه فى تلك المناسبة!

ويقينى أنه لو سلكت يومئذ مسلكا آخر غير الذى سلكته لبعثه ذلك حتما على ازدرائى وامتهانى، ولاسيما أنه كان بارعا فى «مرمطة» من يقبل معاملته على هذا النحو. . . حتى إذا شبع من «مرمطته» قاطعه وأقصاه عنه! . .

وقد سألنى كثيرون غير مرة كيف عمّرت العلاقات بين فاروق وبينى عشر سنوات؟! . .

ومن المحقق أنه كان فى مقدمة أسباب ذلك أننى أشعرته دائما بأننى مستعد لترك خدمته «اليوم قبل غد». . وقد كان من خلقه أن يتمسك بمن لا يظهر تمسكا بعلاقته به!

أما «الأزمة» الثانية التى سأحدث القارئ عنها فكانت أكبر أزمة مرت بها علاقتنا الشخصية. . وقد نشأت بيننا «لأننى أكلت قبله»! . .

وخاصمني يومئذ بسببها شهرا كاملا!

كان ذلك في قصر «المنتزه» بالإسكندرية، وكنت ضيفًا عليه في القصر، وكثيرا ما كان يدعوني في فصل الصيف إلى الإقامة في «المنتزه» بدلا من الإقامة في الفندق. . وقد خصص لي حجرتين كبيرتين، إحداهما للنوم بحمامها، والأخرى للجلوس، في الجهة المقابلة للجناح الخاص به. . ولاحظ في اختيارهما أن تكونا قريبتين من حُجَره الخاصة، وأن تكونا في الوقت نفسه بعيدتين عن الهواء الشديد؛ لأنه كان يعلم أنني كثير الاحتياط من «التيارات» ومن البرد بوجه عام. .

وفي أثناء تلك الإقامات المتكررة في القصر كانت الألفة التي أضفاها على علاقاتنا الشخصية تتجلى بأجلى مظاهرها. . فكان يدخل عليّ «بالروب دي شمبر» ويستلقي على السرير بينما أكون جالسًا على المقعد وأمامي فنجان قهوة ولم أرتد ملابسي بعد، أو يدعوني إلى الجناح الخاص به؛ فإذا استمهلته لأني «غير لابس» أمر بأن أذهب إليه «بالروب دي شمبر» ودعاني إلى الجلوس على كرسي كبير، وأوصاني برفع رجلي اليسرى ومدها على كرسي صغير، إذ كان يعلم أنها تشكو من داء قديم، وأن تركيزها بهذه الكيفية يريحها ويفيدها. وإذا لاحظ أنني لا أدخن سألني هل أريد التدخين؟ فإذا أجبت بالإيجاب، سألني هل أريد فنجان قهوة مع السيجار؟ وكان في بعض الأحيان يرتدي ملابسه بحضوري، أو يسمح لي بارتداء ملابسي وهو جالس في حجرتي. .

وإذا كنت أنوّه بذلك، فإنما أنوّه به لأقدم للقارئ صورة صغيرة سريعة للألفة التي ذكرت أنها كانت قائمة بيننا، وهي صورة لا مندوحة عنها لكي يقدر القارئ الظروف التي حدث فيها الحادث الذي سأرويه، وقد اخترته بالذات لأنه ينبئ بما كان فاروق يضع للصداقة من موازين تتأثروتتأرجح وصلا وقطعًا حسب أهوائه الوقتية ونزعاته الطارئة. .

كانت الساعة العاشرة مساء قد انتصفت حين دخل عليّ فاروق في حجرتي وقال لي إنه سيتركني قليلا لأن عنده «مشوار في البلد» (أي في المدينة). .

ثم قال: وإذا شعرت بشيء من الجوع في أثناء غيابي فاطلب لقمة. .

وتبادر إلى ذهني أنه على «موعد» في مكان ما، وأن هذا ما عناه بقوله «عندي مشوار في البلد» في تلك الساعة من الليل. . ولم أتوقع أن أراه مرة أخرى في الليلة نفسها. . ومع ذلك قتلت ساعتين بالقراءة، ثم شعرت بجوع، فناديت أحد السفرجية وطلبت إليه

أن يجلب لى «لقمة» فجاءنى وزميل له بمائدة صغيرة عليها بعض الأطباق، فجلست إليها وشرعت فى الأكل . .

وبعد دقائق انفلق باب الحجرة وبدا فاروق من خلاله بعباءته الحريرية . . فما كاد يرانى جالسا إلى المائدة وبيدى «ورك» دجاجة حتى قال : «إخس عليك . . إنت بتاكل من غيرى!» . .

ولم يعطنى فرصة للرد عليه بل أغلق الباب وراءه بعنف وعاد إلى الجناح الخاص به!

وكان قد عدل عن «مشواره» لسبب لم أعرفه، وقرر البقاء فى القصر، ولكنه لم يشعرنى بذلك . . وكلفت الشمشرجى «النوبتجى» إبلاغه أن ما حدث ما كان ليحدث لو أخبرنى أنه لم يغادر القصر، وأننى أرجو أن يقبل أسفى واعتذارى . .

ولما لم أتلق ردًا منه، أدركت أن رسالتى لم تنل القبول، وأننى موضع الغضب الملكى!!

وفى الصباح أعددت حقائبى وقلت للشمشرجى «النوبتجى» إننى عائد إلى القاهرة لعمل طرأ علىَّ، وعهدت إليه فى إبلاغ جلالته شكرى وامتنانى، وأننى أكرر له أسفى واعتذارى! . .

وكفَّ فاروق عن الاتصال بى بنفسه، وإن لم يغير شيئا من صلة العمل . . فكان اتصالنا كله يجرى كتابة، ولم يلحظ أحد سوى القائمين على خدمته الخصوصية أن علاقتنا الشخصية مقطوعة! . .

ونزل الإسكندرية فى تلك الأيام جلالة الملك فيصل الثانى ملك العراق، وأقام فى جناح خاص بفندق «سان ستفانو» بالرمل . . وأراد فاروق أن يزوره فى الفندق زيارة غير رسمية، وأن يستصحبنى معه فى هذه الزيارة، أولا لعلاقاتى القديمة بالأسرة الهاشمية، وخصوصًا بالملك فيصل الأول والملك غازى، وثانيا لأنه كان يعلم أننى تشرفت بمعرفة الملك فيصل الثانى منذ حداثته، وثالثا لأنه كان يرتاح إلى وجودى معه فى تلك المناسبات . . فدُعيت إلى الذهاب إلى قصر «المنتزه» فى ساعة معينة؛ لأكون بمعية جلالة الملك فى هذه الزيارة غير الرسمية . .

وكانت هذه أول مرة ألقاه فيها بعد حادث العشاء!

ولما وصلت إلى «المنتزه» لم أدع إلى الجناح الخاص به كالمعتاد، وطلب إلىّ الانتظار فى مكتب الياوران . .

ونزل فاروق وحيانى كما حيا سائر الحاضرين، ثم صعد إلى سيارته الخاصة، وأشار إلىّ أن أجلس بجانبه، واتجه إلى فندق «سان ستفانو» . .

ولم يوجه إلىّ كلمة واحدة طول مدة الطريق، فالتزمت الصمت من جهتى كذلك . .

ولكن لما اجتمع بالملك فيصل الثانى - وكان معه سمو الأمير رعد، نجل سمو الأمير زيد، عم والده - أشركنى غير مرة فى الحديث الذى دار بينهما . . وكان فى كل مرة يوجه إلىّ الكلام باسما، أو يصغى إلى كلامى فى عطف ظاهر، كأنى موضع رضائه التام وليس بيننا أقل فتور أو خلاف!

وانتهت الزيارة، وانطلقت بنا السيارة . . فعاد إلى «تبْويزه» . . وإلى مجافاتى ومخاصمتى . .

ثم قال : إنك ستكون معى فى زيارة أخرى للملك زوغو . .

فقلت : فى الخدمة يا أفندم . .

ولم يقل لى أكثر من ذلك . . ولم أقل له غير ذلك!

وعند الملك زوغو تكرر ما حدث عند الملك فيصل الثانى . .

حتى إذا انتهينا من الزيارة وعدنا إلى السيارة، قطب حاجبيه وأخلد إلى الصمت مرة أخرى . .

ثم سألنى أين أقيم، فأجبت فى فندق «سان ستفانو» فلما أدركنا منعطفا قريبا من الفندق أوقف السيارة وقال : متشكر!

فقلت : العفو يا أفندم . . .

ونزلت من السيارة وحييته برفع يدى إلى رأسى، فردّ لى التحية بدون أن ينظر إلىّ . .

ولم يتصل بى بعد ذلك ثلاثة أسابيع كاملة . .

وفى أحد الأيام سافرت من القاهرة إلى الإسكندرية مع بعض الأصدقاء لنقضى آخر الأسبوع (الويك إند) على شاطئ البحر، وأقمنا فى فندق «مديتيرانيه» . .

وكنت قد أبلغت الشمشرجي«النوبتجى» أننى مسافر إلى الإسكندرية لتمضية يومين فيها . . وكان على جميع كبار رجال القصر أن يفعلوا ذلك كلما أرادوا الانتقال من إحدى العاصمتين إلى الأخرى ولو ليوم واحد . .

وبينما كنت جالسا مع أصدقائى نتغدى ، جاءنى أحد خدم الفندق يقول إن هناك مكالمة تليفونية لى من قصر «المنتزه» . . فنهضت إلى التليفون ؛ فإذا الشمشرجى«النوبتجى» يبلغنى أن «مولانا» يطلب منى أن أوافيه على شاطئ البحر فى «المنتزه» ، وأنهم أرسلوا إلىَّ سيارة لتقلنى إليه . .

وكان من عادتى دائما إذا ذهبت إلى «المنتزه» ـ ولم أكن مقيما فيه ـ أن آخذ معى قميصا على سبيل الاحتياط ، فإذا أحب فاروق أن أصحبه بعد ذلك عند خروجه من القصر وجدت قميصا مكويا ألبسه بدلا من القميص الذى يكون الجلوس على شاطئ البحر قد غيَّر شكله . .

وألفيت فاروق جالسا على شرفة «الكابينة» مع بعض صحبه ، فرحب بى ترحيبا حارّاً كأننا على خير ما نكون صفاء ووفاقا ! وأخذ يكلمنى كأنه يستكمل حديثا بدأناه فى اليوم السابق ! . . ثم سألنى هل تغديت ، فقلت «نصف غداء» ، فقال : «عال . . ستتغدى معنا هنا إذن» ! . .

ولما جلسنا إلى المائدة وشرع الجميع فى الأكل ، لاحظ أننى لم أحذُ حذوهم ، فقال لى : مستنى إيه ؟ . .

فقلت : مستنى بس لغاية ما أتحقق ؟

فقال باسما : تتحقق من إيه ؟ . .

فقلت : من إن جلالتك بدأت الأكل فعلا . . أحسن تبقى أزمة تانية !

فقال : تعملها وكمان تتكلم . .

وغيَّر مجرى الحديث !

وكان هذا كل ما دار بيننا بشأن الأزمة التى مضت ودامت شهرا ! . .

وبعد ما شربنا القهوة سألنى قائلا : هل أحضرت معك القميص التقليدى ؟ . .

فقلت : أحضرته يا أفندم . .

فقال : لما نرجع القصر تبقى تطلع «أوضتك» وتلبسه ، علشان تكون على استعداد للخروج معايا بعد كده . .

ولما عدنا إلى القصر ، ودخلت «غرفتى» فوجئت بمنظر غريب . .

فوجئت بمنظر الملابس التى كانت معى فى الفندق قد نقلت إليها !

وكان أحد رجاله قد أتى بها سراً من الفندق بأمر منه . . ووزعها على أماكنها فى الحجرة التى اعتدت الإقامة فيها ! . .

وبينما كنت مشغولا بتغيير القميص دخل علىّ فاروق وسألنى : هل وجدت كل شىء فى مكانه؟

فقلت : كل شىء فى مكانه يا أفندم . .

وانصرف إلى الجناح الخاص به ، وأرسل إلىّ كوبًا من عصير البرتقال!

وبهذه الكيفية انتهت المقاطعة التى أرادها بنفسه . . ثم أنهاها بنفسه!

ولم تكن الكيفية التى أنهاها بها أقل غرابة من الكيفية التى بدأها بها !

ولكن هكذا كان فاروق!

* * *

ومن العجيب أن فاروق الذى قاطعنى شهرا، أو أكثر من شهر ، لأننى أكلت قبله ومن غيره كان - إلى جانب الألفة التى نوهت بها - يسمح لى فى مجالسه الخاصة «بحرية» طالما أدهشت أخصاءه وأصدقاءه، ولم يدهشهم أكثر منها إلا القبول الحسن الذى كان يتقبلها بها! . .

كان ذلك فى شهر رمضان وقد دعا لفيفًا من صحبه ، رجالا ونساء ، إلى الإفطار معه على ظهر اليخت «فخر البحار» بالإسكندرية . . وكنا أكثر من عشرين شخصا ، وأرهق معظمنا بكثرة أوامره وطلباته . . و«عكنن» على بعضنا كعادته . . فجلسنا إلى المائدة متعبين متبرمين . . ولاحظ أننى أتكلم مع جارى بصوت خافت ، فسألنى قائلا : بتقول إيه يا كريم لفلان بالوشوشة دى؟ . .

فقلت له (وكنت فى الجانب الآخر من المائدة فسمع جميع الحاضرين ردى عليه) :

كنت بأقول له يا أفندم إن اللى لقب مولانا بحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول أخطأ . . وإن اللقب الصحيح لمولانا هو حضرة صاحب الجلالة مقلق الراحات وهادم اللذات فاروق الأول ! . .

قال : كده؟ !

فقلت : كده والله يا أفندم وأظن أن كل واحد من الحاضرين مشترك معى فى تأليف هذا اللقب لو حلّفه مولانا بأن يقول الحق!

فقال : بقى كده . . مقلق الراحات وهادم اللذات . . طيب يا طويل اللسان!

ومن ذلك اليوم كان إذا أصدر إلىّ عدة أوامر دفعة واحدة قال لى : علشان تبقى تقول مقلق الراحات وهادم اللذات ! . .

أو كان إذا أيقظنى بالتليفون الساعة الثالثة صباحا أو الساعة الرابعة ، بادرنى بقوله : مقلق الراحات . . مش كده؟

وكان يبيح لى أحيانا أن أقلده أمام أخصائه وأصدقائه . . ففى إفطار «شم النسيم» فى إحدى السنوات ـ وكان الإفطار فى «رأس الحكمة» ـ أقدمت على ذلك ، وأردت أن أنتهز الفرصة لأنتقد بعض مفارقاته الغريبة ، فقلت : وبينما نكون مشغولين بأزمة وزارية أراه يشير إلى العسكرى الواقف بباب القصر ويقول «إن الفردة الشمال من الجزمة اللى لابسها العسكرى ده أكبر من الفردة اليمين» . إحنا فى إيه والا فى إيه؟ ! . . وإيه اللى جاب الأزمة الوزارية لجزمة العسكرى أو جزمة العسكرى للأزمة الوزارية ! !

وكانت حكاية «جزمة العسكرى» غير صحيحة طبعا وإنما ذكرتها على سبيل التمثيل . .

وظل بعد ذلك مدة طويلة يقول لى من وقت إلى آخر : جزمة العسكرى يا طويل اللسان . . مش كده؟

وقال لى يومئذ إلهامى حسين«باشا» : إنك الوحيد الذى تقول له كل ما تريد قوله وتعرف كيف تقوله له ، وقد سمعت بعضا من أقرب المقربين إليه يتكلمون معه بشىء من الحرية ولكنى لم أسمع أحدا منهم يكلمه بهذه الكيفية ! . .

وعلى ذكر الحذاء والأحذية . . سألنى فاروق يوما عن رأيى فى نوع الأحذية التى يلبسها . . فقلت مشيرا إلى ضخامتها : دى مش جزمة يا أفندم . . دى هويس العياط !

وسألنى لماذا أشبهها «بهويس» العياط؟ . .

فقلت : لأنه صغير وخفيف يا أفندم!

وقال لى يوما آخر : من حسن حظك أننا لسنا فى أيام إسماعيل باشا (جده الخديو إسماعيل) وإلا كنت قطعت رأسك . .

فقلت له : ولكن إسماعيل باشا كان بيهدى «تفاتيش» كبيرة لرجاله كمان . . فاشمعنى مولانا بيفكر بس فى قطع الراس؟ . .

وعرضت عليه أمام بعض صحبه فى إحدى المناسبات أن أبلغ فلانا رضاءه عن محاضرة ألقاها وتهنئته له بها ، فرفض ، فقلت له : إن الناس لا يسمعون سوى أن الملك زعلان من فلان ، وغضبان على فلان ، وعاتب على فلان ، ومبعد فلان . . فيقولون هو الملك ده ما يغلطش أبدا ويقول مرة أنا راضى عن واحد ومبسوط منه ! !

وفى مجلس من مجالسه سمع أحدهم يقول : إن فى الإسكندرية «جزمجيًا» ماهرا ، وإنه من أصل فلسطينى أو لبنانى . . فقال ضاحكا : ما هو نصف اللبنانيين «جزمجية» ونصفهم الآخر «جرنلجية» . . وقد أراد بذلك مداعبتى بوصفى صحفيا ومن أصل لبنانى . .

فقلت له على الفور على مسمع من ضيوفه جميعا : تمام زى الألبانيين يا أفندم . . نصفهم قطاع طرق ونصفهم الآخر ملوك ! ! . .

ولا يخفى أن الأسرة العلوية ألبانية الأصل . .

فقهقه لذلك ضاحكا ، ولما رآه الحاضرون مقهقها ضحكوا بدورهم !

ولموضوع «لبنانى وألبانى» واقعة أخرى شاع أمرها فى حينها فى مجالس ودوائر كثيرة . . .

ففى إحدى الليالى كنا ثمانية عشر فى ضيافته . . وفى مقدمتنا ابن عمته إسماعيل مختار[1] ، وكان إسماعيل مختار يحتسى «الوسكى» أو «الشمبانيا» بنشاط واجتهاد . .

---

(١) نجل الأميرة نعمت مختار أخت الملك فؤاد.

وخطر له فى تلك الليلة أن يلمزنى فى حضرة فاروق، إما من تلقاء نفسه أو بتحريض من أحد معارفه، فلم يهده تفكيره إلى أكثر من أن «يكشف» للملك وللحاضرين أننى لست مصرى الأصل! . . فسألنى فجأة بالفرنسية على مسمع من الجميع قائلا: «ثابت بك[1] . . لبنانى؟ . . أليس كذلك؟» . .

فتظاهرت بأننى لم أسمعه جيدا وأجبته على الفور بقولى: ألبانى؟ . . لا يا سيدى . . بل لبنانى! وكان فاروق أول من أدرك أننى تعمدت هذا اللبس فى السمع لأذكر نجل الأميرة نعمت مختار بأصله الألبانى، فالتفت إليه وقال له: يا إسماعيل إنت مش حمل كريم ثابت . . اسكت أحسن لك!

وفى ذات يوم كنا نبحث فى مجلسه فى أنواع السيجار فقال لى: أنت لا تفهم فى السيجار، أما أنا فأفهم فيه لأنى خبير فى الدخان . . .

فقلت متظاهرا بالجد: طبعا يا أفندم . .

فقال: طبعا ليه؟ . . هل المفروض فىّ أن أكون خبيرا فى الدخان؟ . .

فقلت: طبعا خبير يا أفندم . . بالوراثة[2] على الأقل!

وأعجبه الرد لدرجة أنه أعطانى سيجاره الخاص واشترى لنفسه سيجارًا من المحل الذى كنا فيه!

فمن ذا الذى كان يظن أن فاروق الذى يتقبل منى هذا كله يغضب علىّ ويقاطعنى شهرا كاملا لأننى أكلت قبله . . وعن غير قصد!

ولكن هكذا كان فاروق!

* * *

وكان مزاجه فى حياته الخاصة لا يتغير مهما يكن مقام الأشخاص، أو مهما تكن أعمارهم . . ومن ذلك أنه دعا مرة جماعة من صحبه إلى قضاء يوم فى «تفتيش»(مزارع) إدفينا على مقربة من الإسكندرية . .

---

(١) كنت ما أزال «بك» فى ذلك الحين.

(٢) قيل فى بعض كتب التاريخ إن محمد على مؤسس الأسرة العلوية بدأ حياته العملية عند خاله وكان صاحب دكان لبيع الدخان فى «قوله» مسقط رأسه.

ودعا معهم ثلاثة من أمراء آل عثمان السابقين، وكان أصغرهم قد جاوز الخامسة والخمسين. . وأقل «الديزل» الملكى الضيوف من الإسكندرية إلى إدفينا، ثم من إدفينا إلى الإسكندرية. .

وفى طريق العودة إلى الإسكندرية، وكان الوقت صيفا، شعر فاروق بظمإ، فنهض إلى «ثلاجة» صغيرة مثبتة إلى الجدار بالقرب من «الصالون» وملأ كوبا وشرب منها، ثم دنا منى وغافلنى وسكب على رأسى ما بقى فيها من ماء قليل، فضحك الذين رأوا هذا المنظر طبعا!

وأغضبنى مسلكه فقلت له محتداً: هزار إيه ده. . يبقى اسمه إيه الهزار ده؟. .

ومما زادنى غضبًا أننى تساءلت عما سيقوله الأمراء الأتراك الثلاثة عندما يرونه يعاملنا هذه المعاملة ليضحك وليُضحك غيره. . فضلا عن أننى خفت من تأثير الماء البارد على رأسى ورقبتى، وخصوصًا أن حلقى يلتهب لأقل برد. .

وتوقع بعضهم أنه سيسكبها كلها علىّ عقابا لى على احتجاجى وعلى اللهجة التى كلمته بها. . ولكن لما جاوز مكان جلوسى أدركوا أنه يقصد غيرى. . ولشد ما كانت دهشتهم حينما رأوه يقترب من أكبر الأمراء الثلاثة ويفرغ الكوبة على رأسه!

ونهض الأمير الكبير لا ليبعد يد الملك عنه. . ولا ليدفع عن صلعته ما قد يكون باقيا فى الكوبة من ماء. . بل نهض احتراما، وأخذ يتمتم عبارات الشكر على «الشرف والتشريف» اللذين أولاه إياهما جلالته بهذه المداعبة!. .

والتفت إلىّ فاروق وقال لى بالعربية: «شايف الفرق فى الأدب؟!. .».

وكنت معه فى أسوان فى شتاء أحد الأعوام فى رحلة خاصة دعا إليها بعض أصدقائه وصحبه. . وفى خلال تلك الرحلة كانت مداعبته المستحبة أن يخبئ قطعة من «اللادن» الأمريكى (شوينج جم) فى يده ثم ينقض على الشخص الذى يروم مداعبته ويلصقها بشعر رأسه، فلا يستطيع هذا إزالتها بعد ذلك إلا بالبنزين، أو بقص خصلة الشعر التى التصقت بها. .

ونفذ هذه المداعبة فى غير واحد. . وكنت منهم!

وفى اليوم التالى كررها مرة أخرى مع بعضهم، ثم رأيته يتحفز ليفاجئنى بها من جديد، فاستعددت لمواجهته. . فلما دنا منى حاولت إبعاده عنى، فلم يثنه ذلك عن

عزمه ، وهجم علىّ ، فأمسكته من ذراعيه محاولا تطويقه ، ودفعه إلى الوراء ، فلم أفلح ، وسقطت على الأرض وجذبته معى فى سقوطى . . وخفت فى تلك اللحظة على رجلى «المعطوبة» من ثقل جسمه ، فاستسلمت وأعطيته رأسى وأنا أقول له : اتفضل . . اعمل اللى عاوزه وريحنى!

فقال وهو يلصق «اللادن» على رأسى : علشان الراس الناشفة دى تتعلم . . أنا لم أتعود أن أحدا يقاومنى! . .

وتلك كانت مصيبته!

كانت مصيبته أنه لم يعتد أن يقاومه أحد أو يبادله أحد . . حتى فى المزاح والمداعبة!

فقد شبّ ولما يداعب إلا خدمه!

فلم يقاومه أحد منهم ، ولم يرد له أحد منهم مداعبة بمثلها! . .

وقرب إليه فى وقت ما الوجيه إسماعيل حسن(1) النجل الأكبر «للأمير» عزيز حسن . .

وكان يستصحبه معه فى تنقلاته ، ويدعوه إلى حفلاته ، ويجلسه فى مكان القربى منه ، ويكثر من مداعبته . .

ثم قاطعه فجأة وأقصاه عن مجلسه . . ولم يعد يذكره فى أحاديثه إلا ليذمّه ذمّا شديدًا . .

ومرت الأيام . .

وحل موعد زواجه من ناريمان ، ولهذه المناسبة أمر بإنعامات شتى ، وبينما كنا نعتقد أن قطيعته لإسماعيل حسن قائمة ومستحكمة رأيناه يمضى أمرا ملكيا بتلقيبه بأمير وتلقيب شقيقه بنبيل . . .

وعند عودتى إلى منزلى فى ذلك اليوم التقيت بإسماعيل حسن عند باب العمارة وكان خارجا من عند شقيقه حسن . . وكان يقطن فى إحدى شقق العمارة نفسها .

---

(1) حرّم الملك فؤاد تلقيب إسماعيل حسن بأمير وتلقيب شقيقه حسن حسن بنبيل لأن أمهما كانت إسبانية مسيحية .

وكنت أعرف إسماعيل معرفة جيدة، فلما رأيته قلت له: «مبروك يا صاحب السمو». ظنا منى أنه على علم بقرار الملك طبعا.

فقال: مبروك على إيه؟

فقلت: على لقب أمير.. ألم تعلم بذلك؟

فقال مستغربا: لا.. إنت بتتكلم جد؟

وصحبنى إلى بيتى ليسمع تفاصيل الخبر بعدما وعدنى بكتمانها إلى أن يتلقى إشعارا رسميا من القصر.. فأخبرته بما قرره الملك بمناسبة زواجه..

فقال: مش ممكن. ده مخاصمنى من مدة وبيشتم فىَّ فى كل مكان..

فأكدت له أننى رأيت الأمر ممضيا.. وأنه سيدعى إلى «كتب الكتاب» مع سائر الأمراء والنبلاء... فاغتبط بالنبإ، ثم ضحك وقال: كويس اللى قلت لى علشان نلحق نفصل «ردنجوت» رمادى..

ولا أظن أنه وشقيقه لبسا هذا «الردنجوت» أكثر من مرة واحدة!

* * *

أما أبرز حكاية عندى للتحول السريع الذى كان شعوره يتحوله من النقيض للنقيض، فهى حتما الحكاية التالية:

كان نادى السلاح الملكى مقيمًا مباراة فى السيف والشيش فى فندق «هليوبولس بالاس» بمصر الجديدة..

وكان محمد طاهر «باشا» يرأس الحفلة بوصفه رئيسا للنادى..

ووعد فاروق بحضور هذه الحفلة بصفة غير رسمية..

وفى الموعد المعين استصحبنى معه إليها بسيارته الخاصة.. مع أنى لم أمارس هذه الرياضة إلا بالمشاهدة..

وفى طريقنا من قصر القبة إلى مكان الحفلة جاء ذكر محمد طاهر فى حديثنا، فقال: إنى أحب طاهر، وهو يحبنى ويبذل ما فى وسعه لإرضائى، والواقع أنه يؤدى للبلد

خدمات اجتماعية كثيرة فى ميادين مختلفة . . وأنا أفكر من مدة فى إخراجه من الوضع الشاذ الذى هو فيه بسبب لقبه، بأن أنعم عليه بلقب نبيل، وإن كان نظام ألقاب أعضاء الأسرة لا يجيز ذلك، فما رأيك؟

فقلت له : إن طاهر باشا خير من نبلاء كثيرين، وهو بلا شك يبذل جهدا فى ميدان الخدمة الاجتماعية . . أما كون نظام الأسرة يجيز ذلك أو لا يجيزه فإن جلالتك رأس الأسرة، وأنت الذى تأمر «بالبروتوكول» وبكل نظام يتصل به . ولا أظن أن أحدا سيعترض على هذا العطف على طاهر باشا، ولا سيما أن أمه أميرة وعمة جلالتك . .

ووصلنا إلى الفندق، فخف محمد طاهر إلى استقبال الملك وأدى« التمنى» باحترام عظيم كعادته، فصافحه باسما وسأله عن صحته . .

وجلس فاروق إلى مائدة صغيرة فى صدر المكان، وإلى يمينه كاتب هذه السطور، وإلى يساره طاهر«باشا» . .

وبعد قليل، أشعل فاروق سيجاره، وسمح لى بالتدخين، وقال لطاهرأن يدخن السيجار الذى كان باديًا من جيب سترته، فأخرجه من جيبه ووضعه على المائدة ولم يشعله مبالغة فى الاحترام والإجلال! . .

وبعد لحظة قال له فاروق : ألا تريد أن تشعل سيجارك؟

وتناول الولاعة ليعطيه إياها . . وأدنى طاهر السيجارمن فمه متوهما أن فاروق سيشعله له ثم فطن إلى خطئه فى أقل من ثانية وأنزله بأسرع من لمح البصر وأخذ الولاعة شاكرا . .

ولما انتهت الحفلة باغت فاروق طاهر «باشا» بوقوفه فجأة لينصرف، فوقف فى أثره وسار بمعيته إلى أسفل سلم الفندق، حتى إذا صعد فاروق إلى سيارته أدى له «التمنى» مرة أخرى بالاحترام العظيم الذى أداه به فى المرة الأولى، فرد له التحية برفع يده إلى رأسه ولم يصافحه . .

وما كادت السيارة تتحرك حتى قال : أما رجل قليل الأدب صحيح! . . .

وظننت أنه يعنى شخصا آخر لم يقف باحترام عند مروره به، أو شخصا بَدَرَ منه ما أغضبه بدون أن ألحظ ذلك، فقلت : مين يا أفندم؟

فقال : اللى اسمه محمد طاهر يا سيدى . .

فقلت : عمل إيه يا أفندم؟

فقال: ألم تلاحظ ما عمله لما أردت أن أناوله الولاعة . . ظن المغفل أننى سأشعل له السيجار بنفسى! . .

فقلت : من المحقق أنه لم يتعمد ذلك . . وقد كانت حركته حركة طبيعية تبدو عفوا من كل من اعتاد أن يشعل له الناس سيجاره، ولكنه سرعان ما تنبه لخطئه فأنزل السيجار قبل أن تمد جلالتك يدك بالولاعة . . وكل ذلك لم يدم أكثر من ثانية!

فقال : يبقى أقل ما يقال إنه كان غير متنبه وهو جالس معى . .

فقلت : إن جلالتك تقسو عليه بلومه على أمر لا أظن أنه يستوجب اللوم . .

فقال : طيب وإيه رأيك فيما حدث عند وقوفى للانصراف؟ . .

فقلت : حدث إيه يا أفندم؟

فقال: ألم تلاحظ شيئا؟ . .

فقلت : لا . .

فقال: ألم تلاحظ أنه تباطأ فى الوقوف ولم «يتنتر» وهو يقف . .

فقلت : الواقع يا أفندم أنك نهضت فجأة وعلى حين غفلة وفى لحظة لم يكن طاهر يتوقع فيها وقوفك فما كاد يلمح ذلك حتى وقف حالا . .

ومضيت فى كلامى قائلا : إن الذين اعتادوا الخروج معك يا أفندم فى المناسبات غير الرسمية يعرفون عاداتك، ويعرفون متى ستقف منصرفا من حركات ألفوا رؤيتها، كأن تضع الولاعة فى جيبك وتمسك بعصاك أو «بالجوانتى» (القفاز) فيكون ذلك إيذانًا بقرب الانصراف، فيستعد كل واحد منهم للوقوف بمجرد أن تتحرك جلالتك عن كرسيك . . ولكن طاهر لا يعرف هذه الحركات . . فإذا هو يراك واقفا فجأة بدون أن تقول قبل ذلك شيئا يُستدل منه على أنك اعتزمت الانصراف . . فما كاد يلمحك واقفا حتى وقف بدوره فورا! . .

فقال : يعنى إنت عاوزه ياخد لقب نبيل والسلام!

فقلت : أنا مش عاوز حاجة يا أفندم . . هو ابن عمتك ومش ابن عمتى أنا . . وليس بيننا سوى المجاملات الاجتماعية العادية . . هو بحكم قرابته لجلالتك وأنا بحكم عملى فى القصر ! . .

وانقضت على هذا الحديث سنوات . .

وقامت الثورة . . ورحل فاروق عن مصر . . ولم يقرر منح محمد طاهر لقب نبيل ! . .

هكذا كان فاروق . .

وهكذا كان ميزان تقديره لصحبه وأقاربه !

شعوره بالحرمان

كنت عائدا معه بالسيارة من الفيوم بعد ظهر ذلك اليوم . . .

وكنا قد قضينا أياما على ضفاف بحيرة قارون مع جماعة من أصدقائه بدعوة منه . . .

ولما وصلنا إلى ميدان الجيزة ، أوقف سيارته أمام قهوة اسمها «سان سوسى» !

وظننت لأول وهلة أنه يريد أن يبلغ أمرا للسيارات التى تتبعنا بصحبه . .

ولكنه قال لى : إيه رأيك فى طبق «دندرمة» فى هذه القهوة؟ . .

فقلت له : إننا على بعد دقيقتين من القصر فنجد فيه «دندرمة» عظيمة . .

فقال : ولكن أنا عطشان ونفسى فى واحد «دندرمة» دلوقت!

وأصر على رأيه ، وأوعز إلىّ بأن أنزل إلى القهوة ، وأن أطلب «دندرمة» له وللشلة كلها . . ودخلت القهوة ، واتجهت إلى كبير «الجرسونات» وأبلغته الطلب . .

وكنت حتى تلك اللحظة أحسب أنه سيأكل «الدندرمة» فى السيارة أسوة بالذين لا يرغبون فى دخول القهوة . .

فإذا هو يفاجئنى بوقوفه إلى جانبى . . ولم أكن قد شعرت بقدومه . .

وإذا هو يقول لى : أظن لو جلسنا فى الجنينة يكون أحسن من الأكل فى العربية !

وكان الوقت مبكرا فلم يكن فى الحديقة سوى أربعة أشخاص أو خمسة . .

وبعدما أكلنا «الدندرمة» عدنا إلى السيارة فانطلق بها إلى القصر . .

ترى لماذا فعل هذا فى ذلك اليوم؟

هل لأنه شعر فعلا بظمإ شديد؟

حتما لا ! . . .

ألأنه لم يقدر على الانتظار إلى أن يصل إلى القصر؟

من المحقق لا! . . .

أخوفًا من ألا يجد «دندرمة» فى القصر؟

يقينا لا! . .

ألمنظر فى حديقة القهوة استوقف نظره؟

لا! . . .

إذن لماذا كان تواقا إلى أكل «دندرمة» فى «سان سوسى»، ولماذا آثر الجلوس فى حديقتها؟

السبب بسيط جدا . .

سمع أن كثيرين من الناس يذهبون إلى «سان سوسى» بعد النزهة أو بعد خروجهم من السينما ليأكلوا «دندرمة»، فأحب أن يفعل ما يفعله الناس . . .

لا أكثر! فقد كان دائما تحت تأثير شعور عجيب، وهو أنه «محروم» مما يتمتع به الناس!

وأنه«مقيد» . . . بينما الناس« أحرار» ! . . .

فلماذا لا يكون حرّا مثلهم؟! . .

كان يريد أن يرى ما يرون، وأن يشاهد ما يشاهدون، وأن يتنزه كما يتنزهون، وأن يتصرف كما يتصرفون، وأن يعرف ما يعرفون، وأن يخبر ما يخبرون . .

لدرجة أنه كان يتفق مع صديقة له على أن تنتظره فى شارع ضعيف الإضاءة هادئ الحركة . . فيوافيها بسيارته ويأخذها معه!

فهل كان يفعل ذلك لعجز صديقته عن لقائه فى المكان الذى يعينه لها، أو لأنه لم يكن عنده من يصحبها إلى المكان الذى يروم أن يلقاها فيه؟ . .

طبعا لا!

وإنما كان يفعل ذلك لأنه سمع أن بعض الشبان من أصحاب السيارات يلاقون صديقاتهم بتلك الكيفية، فخطر له أن يسلك مسلكهم - ولو لمرات قلائل - فيشعر بأنه «لم يحرم» مما «يتمتع به» غيره!

وقد تعمدت أن أبدأ الحديث عنه بهذين المثالين الصغيرين دون غيرهما، لسبب واحد، وهو أنهما صغيران فعلا فيكونان بصغرهما وتفاهة شأنهما أقوى مغزى وأكثر دلالة فى مقام كهذا. .

وإنى أعزو جانبا كبيرا من هذه العقدة النفسية التى كان يشكو منها إلى أنه لم يعرف ما يسمونه بالفرنسية«شباب الإمارة»، أو بعبارة أخرى، أنه لم يتمتع بشبابه وحريته كأمير، إذ خَلَفَ والده على العرش وهو فى السادسة عشرة من عمره، ولما ير من هذه الدنيا شيئا بعد. .

وعندما أقول لم ير من هذه الدنيا شيئا بعد، أعنى جميع المعانى التى تنطوى عليها هذه العبارة!

ولا جدال فى أن الطريقة التى اتبعت فى تربيته زادت حالته سوءا من هذه الناحية. .

فمن يتصور، أو من يصدق أن «الأمير فاروق ولى العهد» لم يزر الأهرام أول مرة إلا وهو فى الخامسة عشرة من عمره. .

ولولا سفره إلى إنجلترا لكان من المحتمل جدا ألا يزور الأهرام حتى لما بلغ الخامسة عشرة! ولكن الذى حدث هو أنه لما تقرر أن يسافر إلى إنجلترا رُئى أنه لا يليق أن يسافر إليها من غير أن يزور معالم القاهرة مرة واحدة!

وكان ذلك قبيل سفره. . . وبمناسبة سفره. .

ويلوح لى أنهم لم يفكروا فى هذه الزيارة إلا خوفا من أن يسأله أحد زملائه فى إنجلترا عن الأهرام، فيقول له إنه لم يزرها!

أو أن يُسأل عن آثار توت عنخ آمون، فيقول إنه لم يرها لأنه لم يزر المتحف المصرى بعد!

أو أن يُسأل هل شاهد أسدا، أو فيلا، فيقول : لا لأنى لم أزر حديقة الحيوان بعد!

ومع ذلك لم يروا أن هناك ما يدعو إلى أن يشاهد أكثر من الأهرام والمتحف وحديقة الحيوان. .

فكان هذا كل ما رآه «الأمير فاروق» من مصر لما غادرها إلى إنجلترا . . .

وكان هذا كل ما يعرفه «الملك فاروق» عن مصر لما عاد إليها ليعتلى العرش عقب وفاة والده!

وهنا أيضا لا أدرى حقيقةً ماذا كانت البواعث التى بعثت الملك فؤاد على سلوك هذا السبيل فى تربية ولى عهده، وقد كان عاهلا متعلما عرف الدنيا وخبرها . .

فمن قائل إنه كان يخاف على سلامته . . ومن قائل إنه لم يشأ أن يشعر ولى عهده «بمركزه» قبل بلوغه سن معينة، لئلا «تكبر ودانه وتنتفخ بسرعة» كما قال لى يومئذ أحد كبار رجال القصر . .

ومن قائل إنه لم يرد أن يظهر ولى عهده للناس إلا وقد اكتملت رجولته فيتصرف كرجل لا كولد . . وإنى مع ترجيحى للفرض الأخير أعتقد أن الملك فؤاد أهمل هذه الناحية فى تربيته إهماله لسائر نواحيها، ولا مرية أن تأثير ذلك ساهم مساهمة كبيرة فى تكوين العقدة النفسية التى نحن بصددها، ولا سيما أن إقامته فى إنجلترا كانت قصيرة جدا، فلم تعوضه تعويضا يذكر عما حرم منه فى مصر!

وكانت هذه العقدة النفسية فيه تتجلى بأجلى مظاهرها حين كان يتحدث عن «ذكرياته كطالب» فى لندن وباريس . .

فقد كان يسمع الناس يروون الذكريات والحكايات عن أيام التلمذة والمدرسة والجامعة، فيشق عليه ألا تكون عنده هو أيضا ذكريات وحكايات عن حياته كطالب، فيبتكر أحيانا حديثا طويلا عما حدث له، أو عما عمله، فى لندن وباريس «لما كان طالبا» . . مكثراً من ترديد عبارة «لما كنت طالبا»! . .

وكان ينسى أن سامعيه يعلمون ويذكرون أنه لم يقم فى لندن سوى بضعة أشهر، وأنه مرّ إذ ذاك بباريس مرورا!

ومع ذلك فكم من حكاية كان يحكيها عن «لما كنت طالبا» فى إنجلترا، أو عن «شقاوته» فى باريس «لما كنت طالبا» . .

وكان يخيل إلىّ فى بعض الأوقات أنه من كثرة ترديده لتلك «الذكريات» المخترعة، أضحى يعتقد أن حوادثها حدثت له فعلا!

ومن حكاياته التى كان يكررها كل مرة أنه كان «يهرب» من القصر الذى اختير لسكناه فى ضواحى لندن ليمضى السهرة خلسة فى المدينة بدون أن يعلم رائده بذلك . . بل بدون أن يفطن إلى ذلك البوليس الإنجليزى المعين لحراسة القصر!

ثم كان يمضى فى قصته فيقول: وفى نهاية السهرة ـ وكانت تنتهى قبيل الفجر ـ لم أكن أجد بسهولة وسيلة للعودة إلى القصر، فاتفقت مع بائع اللبن الذى كان يجلب لنا اللبن على أن أركب معه فى عربته، وبهذه الطريقة كنت أرجع إلى البيت ! . . .

وكان يفيض فى وصف غرابة منظره وهو جالس بملابس السهرة إلى جانب سائق العربة أو موزع اللبن ببدلته العمالية الزرقاء . . كمن يزيد روايته تفصيلا . . أو بالأحرى توكيدا!

ثم كان يتحين أول مناسبة ليقول إنه يستطيع أن ينام فى أى مكان بدون أن ينزعج فى نومه . . وإن تغيير المكان لا يضايقه فى نومه بتاتًا كما يضايق كثيرين . . حتى إذا أعرب المستمعون لحديثه عن إعجابهم بهذه المقدرة، قال على الفور: هذه عادة اكتسبتها لما كنت طالبا فى الكلية الحربية بإنجلترا . . فقد كنت وأنا «ديدبان» فى الليل أشعر أحيانا بنعاس فأغفو قليلا وأنا واقف على رجلىّ، ومن ذلك الحين أصبحت أنام بسهولة فى كل مكان! . .

وهنا كان المستمعون يكررون له طبعا إعجابهم بذلك، فيستأنف حديثه قائلا: وصدقونى إن ذلك ـ أى النوم واقفا وهو «ديدبان» فى الكلية الحربية ـ لم يكن أمرا سهلا بل كان يجب علىّ أن أكون شديد الحذر فى أثناء غفوتى لئلا يمس وجهى «سونكى» (رمح) البندقية فيجرحه!!

فإذا سمعته يتحدث عن باريس وعن بعض ما اتفق له فيها«لما كنت طالبا» خيل إليك أنه عاش فيها «كطالب» سنوات طويلة زيادة على السنوات التى عاشها فى إنجلترا . . فى حين أنه لم يقم فى إنجلترا سوى أشهر معلومة، ولم يمكث فى باريس سوى أيام معدودة!

كان يسمع عن «المترو» فى باريس . . وعن مغامرات الطلبة والطالبات فى «المترو» فى باريس . . فكان يتحدث عن «مغامراته» فى «مترو» باريس«لما كنت طالبا» كأنه عاش فى باريس عدة سنوات، وكأنه كان يركب «المترو» كل يوم عدة مرات! . .

وكان خياله فى ابتكار تلك الذكريات يستعين أحيانا بنوادر يقرؤها فى المجلات

الأجنبية فيتخذ منها مادة لبعض حكاياته . . وقد سمعته في إحدى المناسبات يروى الحكاية التالية أو «الذكرى» التالية . . قال : لما كنت طالبا فى إنجلترا دعيت يوما إلى أن أكون ضيف الشرف فى حفلة راقصة أقيمت لتعضيد مشروع خيرى ، وكانت الحفلة برئاسة نبيلة عجوز من النبيلات الإنجليزيات ، وكان علىَّ بوصفى ضيف الشرف أن أفتتح الرقص برقصة معها . . وبينما كنت أراقصها قالت لى : إنه من الظريف جدا يا صاحب السمو الملكى أن تراقص امرأة عجوز مثلى . . فقلت لها مداعبا : «لا تفكرى فى ذلك . . أليست هذه الحفلة حفلة خيرية قبل كل شىء» .

وكأنما أراد أن يؤكد صحة حكايته : وبعدما قلت لها هذه العبارة على سبيل المداعبة ندمت عليها ندما شديدا ، إذ خفت أن يصل أمرها إلى والدى فيغضبه . . ولم يطمئن بالى إلا لما انقضى أسبوعان بدون أن أتلقى منه شيئا فى هذا الموضوع ، فأيقنت عندئذ أنه لم يبلغ سمعه ! . . .

* * *

ومن المظاهر الغريبة التى لاحظتها ، فى عقدته النفسية هذه ، أنه كان إذا ارتدى ملابسه العسكرية ليحضر حفلة عند بعض العسكريين الأمريكيين أو البريطانيين ، علق عليها «كوردون» كالذى يعلقه ضباط الياوران . . .

ومن التقاليد المتبعة فى الممالك الأجنبية أن الملك لا يعلق «كوردون» على بدلته العسكرية ، إلا إذا كان وهو ولى عهد قد عمل ياوراً لوالده . .

ولم يكن فاروق ياوراً لوالده فى يوم ما . . ومع ذلك كان يلبس «كوردون» على بدلته العسكرية ! . . «لكى يظنوا أننى كنت ياوراً لوالدى لما كنت وليا للعهد» ، كما قال لى مرة وهو يحدثنى عن تقاليد هذا «الكوردون» ولماذا يعلقه !

حتى فى هذا كان شعوره شعور المحروم ! . . .

* * *

وكان من وقت إلى آخر يردد بلهجة مؤثرة أن والده قال له كذا وكذا فى المذكرات الخصوصية التى تركها له . . أو أوصاه بكيت وكيت فى الوصايا السرية التى خلفها له ! . .

والواقع أن والده لم يزوده بمذكرات خصوصية أو وصايا سرية . . وإنما سمع أن بعض

الملوك ورثوا عن آبائهم أمثال تلك الوصايا والمذكرات، فكان يعنّ له بين آن وآخر أن يجهر بأن والده خلّف له مذكرات خصوصية ووصايا سرية!

وبعد هذه الصورة، التى أرجو أن أكون قد وفقت فى تصويرها، لتلك العقدة النفسية التى استولت على جانب كبير من شعوره وتفكيره - سأروى للقارئ طائفة منوعة من حكاياته المتصلة بها، استيفاء للمثالين اللذين أوردتهما فى مستهل هذا الحديث..

كنا فى مجلس بالإسكندرية، نسمع بعض الحاضرين يتحدثون عن محل «باسترودیس» ويثنون عليه.. وفهم أن الناس يذهبون إليه ليشربوا «كأسا» ويأكلوا «لقمة»..

وبعد يومين، وكان الوقت ليلا، سألنا: أين نأكل «لقمة» الليلة؟..

فذكرنا له أسماء بعض الأماكن التى اعتاد ارتيادها..

فقال: أنا عندى فكرة لم تخطر لأحد منكم.. سنأكل الليلة فى «باسترودیس»!

فقلت له: ولكنك لا تشرب يا مولانا..

فقال: ولكنى آكل!

ولم تكمل «فرحته» فى تلك الليلة لأنه لم يستطع الجلوس إلى إحدى الموائد المنثورة على الرصيف كما يفعل كثيرون!.. واضطر إلى الأكل فى داخل المطعم!

غير أنه شهد بأن اللحم المشوى الذى أكله «لم يذق مثله فى القصر من زمان»!

وسمع مرة أخرى أن الغداء «لطيف» فى نادى «سبورتنج» بالإسكندرية فى أثناء فصل الصيف..

وكان الذين قالوا ذلك لا يسكنون قصرا اسمه «المنتزه»، ولا يتمتعون فى بيوتهم بمناظر طبيعية خلابة كالمناظر التى تحيط «بالمنتزه» من كل جانب، فكان الغداء فى النادى فى وسط بساط سندسى شيئا «لطيفا» فى نظرهم طبعا..

وفى اليوم التالى قال: سنتغدى فى «سبورتنج»!

وكانت قائمة ألوان الطعام غير موفقة فى ذلك اليوم..

ومع هذا قال ونحن نشرب القهوة: إن «القعدة» هنا جميلة فعلا!

مع أنها لم تكن تعادل أحقر ركن من أركان حدائق «المنتزه»! . .

ولم تكن هناك وجوه مليحة . . فأقول إنه أحب الجلسة بسببها! . .

ولكن لماذا يتغدى الناس فى «سبورتنج» ويقولون إن الغداء فيه«لطيف» . . ولا يتغدى هو فى «سبورتنج»! . .

وكان بين «المنتزه» و«سيوف» قهوة بلدى متواضعة يؤدى إليها زقاق صغير . .

وفى ذات يوم سمع من أحد خدمه أن القهوة التى تصنع فى هذا المقهى«لا مثيل لها» . . وأن الناس يؤمونه من «آخر الدنيا» للاستمتاع بقهوته! . .

ولم يكن هو من «شرِّيبة» القهوة أو ذا مزاج خاص فى شرب القهوة . .

ولكن كيف يذهب الناس إلى ذلك المكان ولا يذهب إليه هو ؟!

ولشد ما كانت دهشة صاحب المقهى«وصبيه» حين بصرا بالملك داخلا مقهاهما بعيد ظهر أحد الأيام ، ومعه بعض رجاله وأصدقائه ليشربوا «فنجان قهوة» فى طريق عودتهم إلى القصر!

وكنا قادمين بعد حين من الإسكندرية إلى القاهرة«بالديزل» الملكى . .

وكان «الديزل الملكى» لا يقف فى محطة ما بين العاصمتين . .

ولذلك استغربنا فى ذلك اليوم ـ وكنا فى الصباح ـ أن يقف فجأة فى محطة دمنهور . .

وسمعنا حركة نزول وصعود وأصوات أبواب تفتح وتغلق . .

ثم دخل علينا أحد خدم القصر حاملا صينية عليها طبقان كبيران من الفول المدمس . .

وظننا بعد كل تلك «الدوشة» أن فاروق سيلتهم نصف الفول المدمس الذى جىء به إليه ، ولكنه لم يذق لقمة واحدة منه وقال : «من الأسف أننى لا أشعر باستعداد للأكل فى هذه الساعة» وأمر بتوزيع الفول المدمس كله على رجال الحرس المرافقين له! . .

إذن ماذا؟

لا شىء سوى أنه سمع فى اليوم السابق أن الناس يتمنون المرور بدمنهور والتخلف فيها بعض الوقت ليأكلوا من فول«العاصى» ! . .

فلماذا لا يفعل مثلهم، ولماذا لا يأكل هو أيضا من فول «العاصى» ؟!

ولماذا لا يقف «الديزل» الملكى فى محطة دمنهور خصيصا لهذا الغرض! . .

ولاحظ غير مرة عند مروره مساء بميدان كوبرى الجلاء بالقاهرة أن بعض راكبى السيارات يوقفون سياراتهم فى الميدان ويشترون «عقودا» من «الفل» أو «الياسمين» من باعة جائلين يبيعونها فى ذلك الميدان . . ثم يقدمونها للنساء اللواتى معهم.

فكان يندر بعد ذلك أن يمر بهذا الميدان فى المساء بدون أن يوقف سيارته وينادى أحد أولئك الباعة ويشترى منه بعض «العقود» - لا لشىء سوى أن يشعر بأنه يفعل ما يفعله الناس!

وكثيرا ما كانت تلك «العقود» تذبل و«تموت» فى السيارة لعدم وجود من تهدى إليه ساعة شرائها! . .

وكانت المكتبات الكبيرة فى مصر توافيه تباعا ببيانات عن جميع الكتب والمطبوعات التى تتلقاها بالإنجليزية والعربية، وهذا عدا الكتب التى كان القصر يستوردها من الخارج رأسا . .

ومع ذلك، كان فاروق إذا دخل فندق «شبرد» اتجه إلى أحد جوانب بهوه، ووقف أمام محل صغير لبيع الكتب والمجلات الإنجليزية والفرنسية، واشترى بعض الكتب والمجلات . . لا لأنه يهمه أن يقتنيها، بل لأن بعض الناس يفعلون ذلك! . .

* * *

ولكن بينما كان يلذ له أن يفعل ما يفعله الناس، كان من جهة أخرى يحرص جد الحرص على الظهور بمظهر من لا يتصرف إلا بوحى من رأيه الشخصى، وأنه لا يعمل إلا ما يطيب له عمله!

ومن ذلك أنه كان إذا ذكر أحدهم أمامه اسم محل عام، وارتاب فى أن ذكره لم يأت عفوا، وإنما كان بقصد حضه على زيارته، امتنع عن زيارة هذا المحل بتاتًا، كيلا يظهر أنه كان متأثرا برأى غيره! . .

ولهذا السبب نفسه كان «يتظاهر» أحيانا بأن رأيه يختلف عن رأى الآخرين، وأن تقديره يناقض تقديرهم . .

كان يحضر بانتظام حفلة «الهواة» فى «أوبرج الأهرام»، وكانت هذه الحفلة تقام مرة فى السنة، ويشترك فيها كثيرون من الفنانين الهواة . .

ومن «تقاليد» تلك الحفلات أنه إذا صاح الحاضرون أو عدد كبير منهم باستهجان «نمرة» من «النمر» دعى صاحبها - أو صاحبتها - إلى مغادرة المسرح فورا!

فكان يحدث فى بعض المرات إذا ارتفعت أصوات بطلب إقصاء «نمرة» عن المسرح أن يصفق فاروق تصفيق الاستحسان، أو يبدى حركة تدل على امتعاضه من الأصوات المقاطعة، فيسكت المعارضون وتخفت أصواتهم مجاملة له واحتراما!

ولم يكن يفعل ذلك إلا لكى يظهر استقلاله فى الرأى . . ولو انفرد به!

وكانوا فى بعض الحفلات يعرضون «موديلات» (أزياء) فساتين جديدة . . فكان يمسك بقلمه ويسجل أسماء بعض منها على ورقة بيده . . تماما كما كان بعض الحاضرين يفعلون . . لا لأنه لا يجد من يسجل له ما يبغى تسجيله، بل لكى يتصرف كما يتصرف الناس . . ولأجل ذلك أيضا كان يبتاع بعض الفساتين المعروضة بدون أن يعلم «بالتمام» لماذا يقتنيها . . وكثيرا ما كان يحفظها عنده مدة طويلة ثم يهديها إلى بعض صديقاته تباعا . . وكان بعضها يبقى عنده حتى الموسم التالى فيهديها بعدما تكون «موضتها» قد ولت وأدبرت!

وكان عند عرض تلك «الموديلات» يصفق فى بعض الأحوال «لفساتين» لم تظفر باستحسان كبير من الحاضرين مدفوعا إلى ذلك بالشعور نفسه الذى نوهت به قبلا، وهو رغبته فى إظهار استقلاله فى الرأى، وعدم تأثره بما يقال حوله! . .

* * *

وهنا أصل إلى حكاية من أغرب حكاياته الشخصية . .

فالقارئ يذكر حتما أن فاروق أطلق لحيته فى وقت ما . . .

واختلفت الآراء يومئذ اختلافا كبيرا فى تعليل الباعث له على ذلك . .

ولم يعد للناس فى كثير من المجالس سوى حديث واحد، وهو حديثهم عن اللحية التى أطلقها الملك، وتساؤلهم لماذا أطلقها؟

وذهب مكاتبو الصحف الأجنبية مذاهب شتى فى تفسير سر «اللحية الملكية» . .

فمنهم من قال إنه أطلقها لأنه يطمع فى الخلافة، وينوى أن ينادى بنفسه خليفة على المسلمين! . . وصادفت هذه الرواية رواجا كبيرا فى الصحف الأوربية والأمريكية . . ومالت دوائر ومجالس مصرية كثيرة إلى تصديقها . .

ومنهم من قال إنه أطلقها، وعاهد نفسه على ألا يحلقها إلا بعد خروج النحاس من الحكم! . . ومنهم من قال إنه أطلقها لخلافه مع «فريدة»، وأنه أقسم ألا يحلقها إلا بعد طلاقه منها . . ومنهم من قال إنه أطلقها ليستر «حب الشباب» الذى ملأ وجهه!

ولم يكن من السهل أن يخطر السبب الحقيقى لأحد! . .

لأن السبب الحقيقى كان فى الواقع «أتفه» جدا مما ظن الجميع!

ففى إحدى رحلات فاروق فى الصحراء أغفل حلاقة ذقنه أياما، إراحة لوجهه منها . .

وإذا أحد الذين كانوا معه يقول له : إن مولانا بهذه الذقن (اللحية) يبدو صورة طبق الأصل لإسماعيل باشا!

وكان فاروق شديد الاعتزاز بجده، فأعجبته الملاحظة، ولاسيما أن الخديو إسماعيل كان «زئر نساء» وهو يريد أن يكون «زئر نساء» . . فلماذا لا تكون له لحية مثله؟!

وعاد إلى القاهرة بدون أن يحلق «ذقنه»، وطلب صورة لإسماعيل باشا، وقابل بين وجهه ووجه جده أمام المرآة فألفى الشبه كبيرا فعلا . . فقرر أن يبقى اللحية ليبدو كإسماعيل باشا!

ولما رأى حيرة الصحفيين الأجانب فى تعليلها ازداد حرصا على إبقائها . .

ثم كفّوا عن الكتابة عنها . . فملّ منظرها بعد حين، وأزال الجانب الأكبر منها، وسوّى الجزء الباقى منها على طريقة المرشال «بالبو» حاكم طرابلس الغرب فى عهد موسولينى . .

ولما قرأ فى بعض الصحف الأجنبية، أنه قلد «بالبو» أزال هذا الجزء بدوره!

تلك هى قصة «اللحية الملكية» . . .

* * *

وعلى ذكر جده قال لى يوما إنه استقبل بعد ظهر اليوم السابق ثلاثًا من صديقاته! . .

فقلت له : بعد الظهر؟!

فقال : يعنى بين بعد الظهر والسهرة . .

فقلت : تلاتة حتة واحدة!

فقال: حفيد إسماعيل!!

وكان أحد حلاقيه واقفا خلفه فى تلك اللحظة ، فغمزنى غمزة معناها أن الحكاية كلها مبتكرة . . ولم أكن فى حاجة إلى غمزته!

* * *

وذكّرته فى أحد أحاديثنا بما قاسى بسبب العزلة التى نشأ فيها ، وسألته لماذا لا يختار لبناته صديقات من أعمارهن ليلعبن معهن ، ويتسلين بصحبتهن ، فيتلافى الخطأ الذى صاحب تربيته ، وسألته كذلك لماذا لا تنظم لهن زيارات خاصة لمشاهدة أعلام البلاد؟ فقال : «إن كل شىء سيجىء فى وقته» . .

وبعد أشهر من هذا الحديث اغتيل محمود فهمى النقراشى «باشا» رئيس مجلس الوزراء ، فذهب فاروق إلى بيته بمصر الجديدة ليودع جثمانه ويواسى عائلته ، فأعجب بابنته صفية وابنه هانئ ، وأثنى على ما تجلى له من حسن تربيتهما ، وقال لى«وسأدعوهما قريبا إلى تناول الشاى مع بناتى» . .

ولما أمر بعد أسابيع بتوجيه الدعوة إليهما ، طلب منى أن أكون فى قصر «القبة» عند حضورهما ، فاشتركت معه فى استقبالهما والترحيب بهما ، وسرنى فى تلك المناسبة أن أحيى ذكرى والدهما ببذل كل ما فى وسعى بذله لإراحتهما فى ذلك الجو الغريب . . جو القصر الذى يدخلانه لأول مرة!

واعتادت صفية النقراشى بعد ذلك أن تزور فريال وفوزية مرة فى الأسبوع ، بدعوة منهما ، وتمضى بعد الظهر معهما ، إلا إذا كانت مشغولة بالامتحانات ، وكانت ابنتى تنضم إليهن أحيانا فتلعب مع فوزية ، بينما تلعب صفية مع فريال . .

وقال لى فاروق إنه مسرور بهذه البداية ، وإنه يرجو «أن يزيد العدد» مع الأيام . .

فقلت له : أما وقد عرفنا «ديّتها» فإن شاء الله لا يزيد العدد بسرعة!

فقال : قصدك إيه؟

فقلت: إذا كان مولانا سينتظر لدعوة كل بُنَيَّة أن يُقتل أبوها برصاصة، فأرجو ألا يزيد العدد مطلقا!..

وفى كل شهر كان يقول إنه يفكر فى زيادة العدد!

وغادرت بناته مصر بصحبته والعدد لم يزد قط!

أما فيما يتعلق بمشاهدة أعلام مصر، فقد زارت فريال وفوزية الأهرام والمتحف وحديقة الحيوان!

ثم وقف برنامج الزيارات عند ذلك!

ويظهر أن الذين وضعوه نقلوه حرفيّا عن البرنامج الذى وضع لزياراته هو لما كان وليّا للعهد!

وهكذا لم يشأ فاروق أن يستفيد من أخطاء الماضى!...

تقتيره... وتبذيره!

كان فاروق بطبيعته جعد الأنامل مقبوض الكف . . .

وقد ورث البخل عن أمه . . وكانوا فى القصر يتندرون بحوادث بخلها!

أما الملك فؤاد فكان أميرا فقيرا ، فمن العسير أن يقال هل كان كريما أم بخيلا ، فلما ارتقى العرش وجه عنايته إلى جمع ثروة له ولأولاده ، فلم يكن مبسوط اليد مسماحا كأخيه السلطان حسين . . إلا أنه كان إذا رأى ضرورة للبذل بذل بسخاء .

ومن العجيب أنه بينما كانت يد فاروق مغلولة إلى عنقه فى كثير من الأحوال ، كان يبسطها كل البسط فى أحوال أخرى . . على أنى أبادر فأقول إن تبذيره لم يكن تبذير الكريم ، أو تبذيرا منشأه طبيعة فطرت على الكرم ، وإنما كان تبذيرا مصدره الجهل . . الجهل فى كثير من صوره . . حتى فى معرفة كيف يمكن الإفادة من المال الذى يبذر!

* * *

وساعد على تفاقم بخله صراع خفى كان قائما فى القصر بين أحمد حسنين «باشا» ، رئيس الديوان الملكى ، ومراد محسن «باشا» ، ناظر الخاصة الملكية فى السنوات العشر الأولى من عهده . . .

فقد كان حسنين أدرى الناس ببخل ملكه الشاب ، فأحب أن يعلمه السخاء من البداية ، فيكون أول من يفيد منه . . . وكان حسنين وهو يحدثنى عن ذلك يردد دائما قول الشاعر :

غط بأثواب السخاء فإننى   أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

ومن الجهة الأخرى ، كان مراد محسن يرى فى بخل فاروق الموروث فرصة طيبة للنيل من حسنين بالضرب على هذا الوتر الحساس . . فكلما تقدم حسنين باقتراح للتبرع بمبلغ

كبير من المال لمؤسسة خيرية أو لعمل إنسانى أو لمشروع وطنى، انبرى له مراد محسن وقال للملك: حذار يا مولاى أن تصغى إلى حسنين، فقد أهلكته «الفنجرة»، ولم يجن من سخائه سوى تراكم الديون، فهل يريد باقتراحاته هذه أن تنضب خزانة مولاى، وأن نفلس كما أفلس هو؟!

ثم كان مراد محسن يضيف إلى ذلك قوله: ومن الخطإ أن يتوهم حسنين أن مولانا غنى! . . فنحن نبذل أقصى ما فى الطاقة البشرية لنوازن بين الإيرادات والمصروفات، وربنا ساترها!!

وكان مراد محسن يكرر له هذا القول فى كل مناسبة، فيصادف هوًى فى نفسه، ويجارى استعداده الطبيعى لعدم الجود والعطاء، فيصدقه بلا بحث أو مناقشة . .

وما لبث فاروق أن أصبح يردد فى كل فرصة: إن الناس يتوهمون أننى غنى، فى حين أننى مديون . . وكثيرا ما تعجز إيراداتى عن مواجهة نفقاتى!!

* * *

ولا أنسى يوما دعانى فيه الملك إلى موافاته فى الجناح الخاص به فى قصر القبة، فلما ذهبت إليه وجدت عنده مراد محسن وآخرين وقد جلسوا يلاعبونه «البوكر» . . وكان قد تعلم لعبه حديثا . . فجلست أشاهد لعبهم وأشترك معهم فى الحديث . .

وناديت أحد الحجاب، وطلبت منه سيجاراً، فجلب علبة منه ووضعها على منضدة صغيرة بالقرب منا . . وطالت الجلسة، فأخذت سيجاراً آخر من العلبة، فقال مراد محسن لفاروق باسما: يظهر يا مولاى أننا سنحتاج إلى ميزانية جديدة «للسيجار» ما دام كريم بك بيشرب سيجارين فى نفس واحد! . .

قال ذلك بلهجة المازح، ولكنه رمى فى الحقيقة إلى إشعار فاروق بمدى حرصه الشديد على ماليته . . حتى فى «السيجار»!

فقلت: إن خير مولانا كتير يا مراد باشا ولله الحمد . .

فقال فاروق موجها الكلام إلى مراد محسن: أنت على حق يا مراد فإن هذه المصاريف النثرية بتجمع مبالغ كبيرة فى آخر الأمر!

فقال مراد محسن: تمام يا مولاى . . تمام كده . . وعندنا مثل بيقول «شعرة وشعرة تعمل دقن»! . . .

ومن ذلك اليوم كنت إذا استنفدت ما أحمل من سيجار وطلبت سيجارا من حُجَّاب الجناح الخاص بالملك، جلبوه خلسة وأعطوني إياه خفية، كأنهم يهربون قطعة من الحشيش؛ لأن الملك أخذ يراقب «مقطوعية» السيجار بعد الملاحظة التي أبداها مراد محسن!!

وماذا كانت نتيجة ذلك الصراع أو التنافس بين الرئاسة السياسية في القصر ممثلة في أحمد حسنين، والرئاسة المالية ممثلة في مراد محسن؟

كانت نتيجته أن بخل فاروق وتقتيره انصبًّا على الجود والعطاء الشرعي، ولم يمتدا إلى نزواته الخاصة، حيث كان التبذير الفعلي والإسراف الممقوت!

ففي نزواته الخاصة لم يكن يعرف حسابا، ولا يعلم، ولا يهمه أن يعلم، هل تسمح إيرادته بإنفاق ما ينفقه أم لا تسمح بذلك؟! . . .

وهنا كانت مهمة رجال الخاصة تقتصر على تدبير المال المطلوب لمواجهة نفقاته، أي هنا لم يكن أحد يقول له خفف من إسرافك . . فإن هذه النصيحة لم تكن تُسدى إليه إلا عندما يطلب المال لأي وجه من وجوه العطاء الواجب!

وأعني بنزواته المجوهرات التي كان يشتريها من أوروبا وأمريكا بدون أن يعلم هل تساوي قيمتها الأثمان الباهظة التي كانت تباع له بها!

وبدون أن يعلم ما يكسبه العملاء وأعوان العملاء، والوسطاء وأعوان الوسطاء!

وأعني تلك التحف والطرف التي كان يقتنيها بالطريقة نفسها . . وكان ما يربحه العملاء والوسطاء من ورائه لايقل عما يربحه البائع الأصلي!

وأعني تلك «المجموعات» التي كان يبتاعها بأبهظ الأسعار وهو يجهل قيمتها الحقيقية.

وأعني مشتريات كثيرة لا معنى لها كانت تكلفه مالا طائلا ثم لايفيد منها شيئا ويطرحها جانبا! . . مئات ألوف من الجنيهات أنفقها في هذه السبل دون أن يُعنى بالوقوف على مدى تأثيرها في ماليته! . .

نعم إن الخاصة الملكية كانت تقدم له حسابات ضافية عن الإيرادات والمصروفات، وعما عنده من أسهم ونقدية، وعما تشتري وعما تبيع، وعما عليها من ديون وما لها من زمامات. ولكنه كان لا يفقه من ذلك شيئا، ولا يسعى لأن يفقه منه شيئا!

وكان أبوه يكثر من مقابلة ناظر خاصته ومن مباحثته فى شئونه المالية، أما هو فكان لا يقابله إلا نادرا، اكتفاء بالتقارير والمذكرات . . ولأن كل ما كان يهمه هو أن تسدد الخاصة ما يحيله إليها من فواتير! . .

وأكثر من ذلك أنه كان لا يعرف عن تفاصيل ثروته سوى النزر اليسير، وأكبر اعتقادى أنه كان يجهل ما تشمله ثروته ولو إجمالا! . . لا لأنها كانت ثروة متعددة النواحى فيتعذر عليه الإحاطة بها، بل لأنه لم يحاول ـ قط ـ أن يحيط بها ولو لمامًا!

والخلاصة أن الفوضى التى كانت تتجلى فى طريقته فى العمل، وفى مأكله وملبسه، كانت تتجلى فى شئونه المالية كذلك . . فكنت تراه بخيلا ومبذرا، مسرفا ومقترا . . كل ذلك فى آن واحد!

* * *

وسأحاول الآن أن أصور ما تقدم بسرد بعض الأمثلة . . .

أهدى إلى مرة علبة للسجاير من فضة عليها التاج والحرف الأول من حروف اسمه.

وفى ذات يوم، وكان قد انقضى على هذه الهدية نحو سنتين، سألنى فى خلال حديث تليفونى أين كنت بعد الغداء، فقلت إننى ذهبت إلى محل كذا لأشترى علبة للسجاير من ذهب، فقال: وهل اشتريتها، فقلت: وجدت علبة أعجبتنى ولكنى ما زلت أشاور فكرى . . .

ثم انتقل الحديث إلى موضوع آخر . .

وفى نحو الساعة الثامنة والنصف من مساء اليوم نفسه زارنى فى بيتى ومعه «بوللى»، وقد دخل خلفه حاملا «صرة» كبيرة . .

ولما جلس أومأ إلى «بوللى» أن يفتح الصرة، فرأيت أمامى جميع علب السجاير التى عاينتها فى المحل الذى زرته بعد الظهر . .

وتناول علبة منها وقال لى: أظن أن هذه العلبة التى أعجبتك!

فقلت: هى فعلا يا أفندم . .

فقال: مبروك عليك. وسنتعشى الليلة ومعنا أحمد نجيب «باشا» الجواهرجى، فأعطه إياها لكى يثبت عليها التاج وحرف الفاء . .

وما كدت أنتهى من شكره على هذه المفاجأة اللطيف التى فاجأنى بها حتى قال لى : ولكن لا تنس أن تعيد إلينا العلبة الفضة . . وحسبته مازحا فقلت : ولم لا أحتفظ بها؟ . .

فقال جادا : لا ياسيدى . . علبتين يبقى كتير . . وأنا علىَّ هدايا كتيرة!

ومع ذلك لم آخذ الأمر مأخذ الجد لغرابته، وقلت له مداعبا : إن الموضوع يحتاج إلى تحكيم . . ولما انضم إلينا أحمد نجيب، قلت له : إنى أود أن أحتكم إليك . .

وقصصت عليه ما دار بين فاروق وبينى، فقال : إن مولانا يمزح حتما ويريد أن يداعبك . . فهل من المعقول أن يسترد منك العلبة الأولى . . إزاى تصدق الحكاية دى . . إن خير مولانا كتير ولله الحمد! . .

وسمع فاروق كل كلمة قالها أحمد نجيب . . فسكت ولم يعقب على كلامه . .

وفى الساعة التاسعة من صباح الغد هبط علىَّ «بوللى» فى منزلى، وطلب منى أن أسلمه علبة السجاير الأولى «بأمر من مولانا»! . .

وتسلمها فعلا!!

ولربما كانت حكاية الجبنة «روكفور» ألطف ذكرياتى عن مفارقاته العجيبة فى التقتير والإسراف . . ففى سنى الحرب العظمى انقطعت عن محال البقالة فى مصر الأصناف الأصلية لبعض أنواع الجبنة الأجنبية، ومنها الجبنة الفرنسية المسماة«روكفور»، فلما زالت الموانع واستؤنف استيراد هذه الجبنة كان من الطبيعى أن يكون قصر الملك أول من يفوز بنصيب وافر من الرسالة الأولى . .

وكنت عنده لما قدموها له أول مرة . . وكان قد طلب«تصبيرة» فى نحو الساعة السادسة مساء ـ ولم يكن قد تغدى ـ فجاءوا إليه بمائدة صغيرة عليها بعض الأطباق وبينها طبق يحتوى على «روكفور» . .

وأقبل على التهام الجبنة المذكورة بشغف، ثم أدنى طبقها منه ليباعد بينى وبينها، وهو ينظر إلىَّ «من تحت لتحت» ليعرف هل لمحت حركته . .

وانتهينا من التصبيرة من غير أن يذكر لى شيئا عن«الروكفور». ومن غير أن يدعونى إلى الأكل منها! وتظاهرت أنا من جهتى بأننى لم أر شيئا اسمه «روكفور»، ولا أعرف شيئا اسمه «روكفور» ! . .

ولا أدرى هل أراد بعد ذلك أن يصلح مسلكه أو أن سكوتى على ما حدث ضايقه فشاء تدارك الأمر . . لا أدرى، وإن كنت أميل إلى ترجيح الاحتمال الثانى . . وعلى كل حال لما ذهبت إليه فى الغد طلب تصبيرة كما فعل فى اليوم السابق . . ولما جلسنا إلى المائدة، ابتدرنى بقوله: لقد تلقينا «روكفور» من أول رسالة وصلت إلى مصر بعد الحرب فهل تحب أن تذوقها؟

فقلت له : ألف شكر يا مولانا . . وقد رأيتها أمس . . ولكنها الجبنة الوحيدة التى لا أذوقها لأنى لا أحبها!

فاحمر وجهه، وبعد ما سكت لحظة لم يجد فى خلالها ما يقوله، وجه الحديث توجيها آخر . . والغريب أنه بعدما أكل وشرب فى تصبيرة اليوم السابق، أى فى التصبيرة التى أبعد فيها طبق «الروكفور» توفيرا له، تصفَّح «كاتالوج» جاءه من أمريكا عن تحف ونقود قديمة يراد بيعها، فأشَّر على طائفة منها آمرا بشرائها، وكان ثمنها ثلاثين ألفًا من الجنيهات، ولم يستغرق اختيارها أكثر من بضع دقائق!

ومن نوادره التى كان بعض أخصائه يتسلون بترديدها فيما بينهم . . أنه كان داعيا بعض أصدقائه إلى العشاء معه فى استراحته البحرية القريبة من قصر رأس التين . . فخطر له أن يأكل أرزا إلى جانب الألوان التى كان العشاء يتألف منها، فنادى أحد خدمه وقال له«كلمهم فى المطبخ علشان يبعتوا شوية رز . . علشانى أنا وحدى بس»! . .

وفى عزومة خصوصية أخرى طلب زجاجة من عصير معين، فأخطأ الخادم وجلبها من عصير آخر، فعنَّفه على خطئه وأعادها إليه، وأمره بأن يجلب له زجاجة من العصير الذى ذكر له اسمه . . وبينما كان الخادم عائدا إلى المطبخ ناداه . . وأشار إليه بيديه إشارة معناها : أعد قفل الزجاجة التى معك!

ونوادره من هذا القبيل كثيرة ولا حصر لها . . وقد يكون أكثرها عجبا التصرف الذى تصرفه فى الفترة التى قضاها فى دار خطيبته«ناريمان» قبل زواجه منها ليشرف على إصلاح الدار ـ فقد كان طعام إفطاره وإفطار خطيبته وغدائه وغدائها وعشائه وعشائها يأتى يوميّا من القصر، فلم يأمر طول مدة إقامته فى دارها بإرسال جانب من الطعام إلى والدتها وجدتها، مع أنهما كانتا تقيمان فى الدار نفسها، فظل مطبخهما يعد لهما طعامهما كالمعتاد كأن المطابخ الملكية ـ التى كان فاروق ينفق عليها أكثر من مائة ألف جنيه ـ كانت غير قادرة على استضافة سيدتين، إحداهما والدة «الخطيبة الملكية» والأخرى جدتها!

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل كانت بقايا الوجبات الثلاث تجمع وتعاد فى أوانيها إلى القصر، ولا يأكل منها أحد من سكان الدار!

* * *

ولما سافر إلى أوروبا فى صيف سنتى ١٩٥٠، ١٩٥١ اختار لسكناه أفخم الفنادق فى كل مكان نزله.. وكان من الطبيعى أن يفعل ذلك.

وفى كل فندق كان يستأجر عددا كبيرا من الحجر. له ولضيوفه ولرجال حاشيته من كبيرهم إلى صغيرهم.

كان جميع رجال الحاشية يسكنون الفندق الذى يختاره لنفسه، بمن فيهم الشمشرجية، والحلاقين، والمصور الخاص، والموظف المختص بإصلاح الراديو، والموظف الأمين على مجموعاته الخاصة، والسفرجية الخصوصيين، والمكوجية الخصوصيين، و«الكلفوات»، وسائقى السيارات التى أخذها معه من مصر.. إلخ...

وهنا سأتحدث عما رأيت بنفسى فى «دوفيل» حيث كنت ضيفا عليه فى الأسبوعين اللذين قضاهما فيها..

كان رجال الحاشية.. أولئك الذين ذكرتهم جميعا.. يقيمون معه فى فندق «جولف».. وهو من أغلى الفنادق فى أوروبا.. فإذا أزفت مواعيد الوجبات الثلاث طلبوا ما يحلو لهم طلبه من أفخر المشروبات وأشهى المأكولات بلا حساب ولا رقيب.. فكان حسابه فى الفندق وحده يبلغ عدة مئات من الجنيهات فى اليوم الواحد!

وجرى هذا فى كل مكان ذهب إليه بعد رحيله عن «دوفيل»...

والآن أصل إلى غرضى من سرد كل التفاصيل المتقدمة.. ففى أحد الأيام استصحبنى معه بسيارته لجولة فى مدينة «دوفيل».. وكان بصحبته كذلك إلهامى حسين «باشا».. وفى خلال الجولة قال لإلهامى حسين بالفرنسية: إلهامى.. أريد منك خدمة، وهى أن توصى غدا على «سَبَت» كبير من الورد الجميل، وترسله باسمى إلى زوجة أغا خان، ردّا منى لتحيتهما، وبمناسبة وجودهما فى فندق واحد معنا..

فقال إلهامى: أمرك يا صاحب الجلالة..

ثم التفت فاروق إلىّ وقال لى بصوت خافت: علشان «يكع» هو ثمن الورد!

وهكذا كان سروره كبيرا بأن يوفر على نفسه مشترى طاقة من الورد لا يزيد ثمنها على عشرين جنيها . . في الوقت الذى كان ينفق كل يوم مئات من الجنيهات على سكن خدمه وطعامهم فى فندق «جولف» !

وفى مساء اليوم الثانى ليوم وصوله إلى «دوفيل» دعا ضيوفه إلى العشاء فى مطعم «سيروز» الشهير، وشملت الدعوة بعض الذين صادفهم فى دوفيل من معارفه، ومنهم محمد سلطان«باشا» وقرينته . . وقبيل انتهاء العشاء . قال لمحمد سلطان : محمد . . إحنا الليلة فى ضيافتك وستدفع أنت نفقات هذه العزومة!

ولن أنسى علامات الدهشة التى ارتسمت على وجه كبير الخدم لما ناداه محمد سلطان وأسرّ إليه أن يقدم «الحساب» له هو ! . .

وفى مأدبة الغداء التى دعاه إليها أحمد نجيب الجواهرجى فى أحد المطاعم الكبيرة، لم يكتف فاروق «بالشمبانيا» التى احتساها الضيوف - وكانوا ثلاثين - بل أمر بإرسال«بضع زجاجات» إلى سائقى السيارات . . كما أمر بأن يوزع عليهم «سيجار» كالذى قدم له وللضيوف! . . وكل ذلك لأن أحمد نجيب هو الذى سيدفع «الحساب»!

ومن طريف ما أذكره عن تلك المأدبة أنه لما توجه أحمد نجيب فى الغد إلى المطعم الذى أقيمت فيه ليسدد ما عليه، قال له مديره إنه«جامله» فى تقدير نفقات الغداء . . ثم قدم له «الحساب» فإذا مجموعه يبلغ ثلاثمائة وسبعين جنيها . . منها خمسة وثلاثون جنيها قال صاحب المطعم فى تبريرها إنها ثمن «البيسلة» التى قدمت إلى جانب طبق اللحم!!!

وهكذا ظن فاروق أنه كسب كسبا كثيرا بتوفير ثمن وجبتين . . أو ثلاث وجبات . . له ولضيوفه . . بينما كانت الألوف من الجنيهات تنساب من جيبه . . من حيث يدرى . . ومن حيث لا يدرى!

وراجت إشاعات كثيرة فى مصر وفى الخارج بأن فاروق كان يتملص من دفع ديونه حينما كان يقامر فى نادى السيارات ويخسر . . والحقيقة هى أنه كان يسدد جميع خساراته مهما بلغت . . .

ولكنه كان يفعل شيئا آخر . . كان يخسر ثلاثة آلاف جنيه مثلا أو خمسة آلاف أو عشرة آلاف(ويسددها كلها بعد ذلك بدون بحث أو مناقشة) ثم يلمح أن جاره ربح فى «دور» (كو) من الأدوار خمسمائة جنيه مثلا أو سبعمائة جنيه، فيقول له متظاهرا بالمزاح : «هات مائة مما كسبت» أو مائتين . . .

فلا يسع الجار إلا أن يقول له : «تفضل جلالتك» . . فيأخذ منه «فيشة» بمائة جنيه ، أو «فيشتين» بمائتي جنيه . . أو خمس «فيشات» بخمسمائة جنيه إذا كان ربح جاره «يسوغ» هذه النسبة . .

وكان فرحه بالمائة أو المائتين أو المئات الخمس ينسيه الآلاف التي خسرها قبل ذلك بلحظات ! . . أو إذا كان أحد أصدقائه من اللاعبين ، وربح مبلغا كبيرا قال له ضاحكا : «ألم أكن شريكك؟» واستولى فى فرح وغبطة على نصف المبلغ الذى ربحه«شريكه» !

وإنى أعلم علم اليقين أن نسبة خسارته فى القمار فى السنوات السابقة لتنازله عن العرش كانت بمعدل مائة ألف جنيه سنويا ! . . . ولا يدخل فى حساب هذه الخسارة ما أنفقه على الموائد الخضراء فى أوروبا فى رحلتى ١٩٥٠ و١٩٥١ . . . !

* * *

وكان لخسائره الضخمة فى القمار تأثير كبير فى انحرافه ماليا عن جادة الاستقامة والنزاهة ، فأخذ يستولى لجيبه الخاص على الأموال التى كانت تصل إليه لينفقها على البر والإحسان والمشروعات الاجتماعية . وشعر بعض ذوى المصالح بهذا الضعف فيه ، فكانوا يوصلون إليه ما يسمونه «تبرعات لأعمال خيرية وإنسانية» ليستروا بهذا الوصف ظاهر تصرفه وتصرفهم ، وهم فى الحقيقة يعلمون أنه يأخذ تلك التبرعات لنفسه . . . وكان يأخذها ليواجه بها النفقات الاستثنائية التى لايريد أن يلقى عبئها على ميزانيته الخاصة ، ولاسيما بعدما ناءت هذه الميزانية بإسرافه وتبذيره ، وبعدما شرع فى تهريب جانب من أمواله إلى الخارج ! . . .

ولذلك يمكن أن يقال إنه من اليوم الذى عرف فيه فاروق القمار أخذ الشيطان يزين له طريق الضلال لتدبير المال الذى يحتاج إليه ، فكانت تلك الفضائح المالية التى تكشفت للناس بعد عزله عن العرش . . .

ولو أحصى باحث ما أدخله فاروق فى جيبه من مال ليس له حق فيه ، لتبين له أنه كان فى استطاعته الاستغناء عنه لو كان انصرف عن القمار والتزم القصد والاعتدال فى إدارة أمواله الخاصة من نفقات ومصروفات كانت تذهب جفاء فى غير محلها . . وتشجع كثيرين على العبث بها !

ولكنه سلك أكثر الطرق سهولة، غير ناظر إلى أنها أسوؤها عاقبة، ودفعه إلى سلوكها داء ظهرت عليه أعراضه منذ حداثته، فقد كان لا يتردد فى «مد يده» إلى أشياء ليست له ويأخذها لنفسه إما جهرا أو سرّا!!!

ومما يدل على أن تلك الظاهرة كانت داءً كامنا فيه، أنه كان يستولى على أشياء ليس فى حاجة إليها، بل كان عنده من أمثالها ما لا عدّ له!

وكان من المعروف عنه أنه إذا زار بيتا له بصاحبه صلة، وحسنت فى نظره تحفة من طرفه، أو قطعة من أثاثه، لم يتردد فى «الاستيلاء» عليها. . وكانت وسائله فى ذلك تختلف باختلاف مدى علاقته بصاحب البيت. . فإذا استطاع أن يقول إن هذه التحفة جميلة، وأن يسمع صاحبها يرد عليه بقوله إنها تحت أمر مولانا، أخذها وسكت. . وإذا كانت العلاقة لا تسمح بذلك عرض أن يشتريها أو أن يعوضها بتحفة أخرى يترك لصاحب البيت أن ينتقيها على هواه من المحل الذى يختاره. . . وتكون النتيجة واحدة فى الحالتين!

أذكر أنه لما زارنى أول مرة استلفتت نظره مائدة كانت فى وسط الصالون الكبير، فقال لى: إنى أجمع الموائد التى هى من هذا الطراز لأنها من عهد إسماعيل باشا (الخديو إسماعيل جده). .

وكنت حديث العهد بمعرفته فلم يسعنى إلا أن أقول له: إنها تحت أمر مولانا!

ثم أعجبته زهرية من صنع مصنع «جاليه» الشهير فى فرنسا، وكان بهى الدين بركات «باشا» قد أهداها إلى يوم زواجى، ولا يزيد ثمنها على ثلاثين جنيهًا. . فقال لى: أنا أجمع كل ما أجده من صنع «جاليه»، ولا أظن أن عندى زهرية منه بهذا الشكل. . .

وفى هذه المرة أيضا قلت له: تفضل. . .

وبعد مدة أراد أن يأخذ لوحتين تمثلان معركتين حربيتين بحجة أن متحفه الحربى أولى بهما!. . . وكانت علاقتى به قد توثقت فأمكننى أن أتملص من تحقيق هذه الرغبة بالتسويف مرة تلو المرة. . إلى أن نسيهما!

ولا جدال فى أن ما عمله فى بيت خطيبته «ناريمان» كان أعجب وأدهى من كل ما سمعته عنه فى هذا المضمار. . فإنه لما زاره أول مرة استوقفت نظره تحفة معلقة فى مدخل الدار صنعت من الزجاج الملون على هيئة سفينة شراعية، فقال لوالد ناريمان: إن هذه

النجفة جميلة وأحب أن تكون عندى فأرسلها إلىّ غدا، واذهب أنت إلى محل كذا واختر لك شيئا مكانها على حسابى!

ولم تكن هذه التصرفات إلا مظهرا لداء أصيل يتمثل فى حالة نفسية طاغية تملك عليه إرادته كلما تحركت أعراضها . . وتزداد عنفا واشتهاءً إذا اكتشف أن الشيء الذى تفتحت له شهيته ذو قيمة معنوية أو عاطفية عند صاحبه!

أقام ذات ليلة مأدبة عشاء خاصة فى «أوبرج الأهرام»، كان بين المدعوين إليها رجل من رجال الأعمال الأمريكيين يدعى المستر ريدكر، وفى خلال العشاء أخرج ريدكر من جيبه علبة جميلة للسجائر مصنوعة من الذهب وولاعة من نوعها وطرازها، ولما أبدى له بعض الحاضرين إعجابهم بهما قال إنهما هدية من زوجته، وإنهما ذات قيمة عاطفية خاصة عنده لأنهما آخر هدية أهدتها إليه زوجته قبل احتراقها فى حادث حدث لطائرة كانت من ركابها . . . وانتهت السهرة، وبينما كان ريدكر فى طريق العودة إلى الفندق بصحبة بعض المدعوين تفقد ولاعته فلم يجدها، فظن أنه تركها فى مكان العشاء، فعاد إليه مسرعا مع صحبه، ولكن جميع الجهود التى بذلوها فى سبيل العثور عليها ذهبت سدى!

ولم يخطر لأحد منا فى تلك الليلة أن الولاعة اختفت لأنها اختطفت وسرقت، بل رجحنا أنها سقطت من صاحبها فالتقطها أحد رواد المحل وخبأها، أو أنه نساها على المائدة فعثر عليها أحد الخدم فاحتفظ بها . .

وحتى لو قيل لى ساعتئذ إنها «اختطفت» لما اتجهت شبهتى إلى فاروق، بل لما كان من المعقول أن تتجه إليه شبهتى . . وكنت لا أعرف فيه هذا الداء بعد . . ولم أعرفه إلا بعد ذلك بزمان طويل!

وقالت قرينة سكرتير سابق بالسفارة الإسبانية - وكان اسمها مدام ماريا بيلار - لأصدقائها يوما إنها لاتريد أن ترى «وجه» الأمير إسماعيل حسن، وأنها إذا التقت به فلن تحييه أو تكلمه! . .

فسألوها عن السبب . .

فقالت: لأنه بعد آخر جلسة جلستها أنا وزوجى مع الملك وإسماعيل حسن لم يجد زوجى علبة سجايره، وكنت قد أهديتها إليه يوم زواجنا . . وقد قرأ الملك نفسه عبارة الإهداء منقوشة على العلبة من داخلها! . . .

ولما لم يكن من المعقول فى نظرها أن يكون فاروق هو الذى«مد يده» إلى العلبة، كان من الطبيعى أن تتهم إسماعيل حسن، ولا سيما أنه كان معروفا أنه أمير رقيق الحال . . ولم يخطر لها لحظة واحدة أن سارق العلبة هو الملك!

وفى يوم آخر كان «يلعب» فى نادى السيارات . . وكانت «تلعب» بالقرب منه سيدة مصرية أخرجت من حقيبة يدها ولاعة جديدة من ذهب قالت إن زوجها اشتراها لها بمائة وخمسين جنيها تحقيقا لوعد قديم . . .

وبعد قليل بحثت السيدة عن ولاعتها فلم تجدها!

وكانت حوادث«اختفاء» الولاعات فى نادى السيارات قد تعددت وذاع أمرها، وأخذت الشبهات تحوم حول فاروق، فتشجعت تلك السيدة وقالت: مولاى . . . إن هذه الولاعة عزيزة علىّ فأرجو ألا أحرم منها.

فقال لها : ابحثى عنها!

فقالت: أتوسل إليك يا مولاى أن تعيدها إلىّ . .

فتصنع الامتعاض والاستياء، وقال لها: إنى آسف لأن أسمعك تتكلمين بهذه اللهجة . . إننا ياسيدتى لسنا فى حاجة إلى ولاعتك . . وإذا كان ثمنها هو الذى يحز فى نفسك فتفضلى . .

وألقى إليها«بفيشتين» قيمتهما مائة وخمسون جنيها . .

فارتبكت، وأعادت «الفيشتين» وهى تقول: عفوا يا مولاى . . أستغفر الله . . إنى لم أقصد . . أستغفر الله . . فقد ظننت أنه ربما أردت جلالتك المداعبة فخبأت الولاعة . .

وقبل فاروق اعتذارها! . . واحتفظ بالولاعة . . وبالنقود!

* * *

أما أبشع حكاياته من هذا القبيل، فهى حتما حكايته مع شقيقته فوزية لما جاءت إلى مصر من إيران فى رحلة طلاقها من جلالة الشاه . . فقد استقبلها فى مطار الإسكندرية، وصحبها إلى قصر«أنطونيادس» حيث نزلت مع حاشيتها، وكانت لا تزال تلقب بجلالة إمبراطورة إيران . .

وأمر بعض خدمه بأن يراقبوا وصول حقائب الإمبراطورة إلى القصر، وأن يجمعوها عند وصولها في حجرة عينها لهم . .

وبينما كانت فوزية مشغولة بالحديث مع شقيقتها فائزة وتستريح من رحلتها المتعبة، كان فاروق مشغولا بفتح حقائبها والاستيلاء على ما طاب له أخذه من محتوياتها . . ولما تعذر عليه فتح بعضها بما عنده من مفاتيح لم يتردد في كسر أقفالها!

ورأت فوزية ما أصاب حقائبها . . وقبل أن تستفسر عن علة ذلك، دخل عليها خادم قديم من خدم القصر كانت تعرفه منذ حداثتها وأفضى إليها همسا «بأن مولانا هو الذى فعل ذلك!» . . فلم تفتح فمها خجلا وإبقاء على علاقته بها! . . وقالت فيما بعد لصديقة لها : إن الذى آلمها أكثر من هذا العمل هو أنها ما لبثت أن رأت بعض صديقات فاروق يلبسن «بعض» ما انتزعه من حقائبها! . . .

* * *

ومن الذكريات التى تحضرنى بهذه المناسبة أن سيدة ذات جاه كانت في وقت ما خليلة لفاروق، وكانت «تنكر» هذه العلاقة بعبارة فاترة ضعيفة، و«تعلنها» بكل طريقة ووسيلة . . .

وقرر فاروق في يوم عيد ميلادها أن يهدى إليها هدية تشعرها بأن مهامه ومشاغله لم تنسه تاريخ عيدها، فنهض إلى الصندوق الذى كان يحفظ فيه «الأسلاب» واختار لها علبة «للبودرة» مصنوعة من الذهب ومحلاة بنقشة صغيرة من الحجارة الكريمة، وأرسلها إليها . .

ولما تلقت الخليلة هديته رقص لها قلبها طربا، ولم يكن اعتزازها بها لقيمتها المادية . . فقد كانت ذات ثراء، وكان في خزائنها عدة علب أغلى من هذه العلبة وأجمل منها، وكانت هى من جهتها قد أهدت إليه هدايا نفيسة كثيرة، في مناسبات شتى، ومنها سلسلة ذهبية تتدلى منها مربعات من ذهب نقش على كل مربع منها حرف من حروف اسمه بالإفرنجية، وتنتهى بقرص كبير من ذهب نقش عليه تاريخ لقائهما الغرامى الأول داخل إطار من ماس . . إذن لم تعتز بهديته إليها لقيمتها المادية، وإنما اعتزت بها لأنها «قالت» إنه دائم التفكير فيها، بدليل أنه تذكر تاريخ عيد ميلادها فبعث بها إليها لتؤكد لها ذلك! . .

ولكن ما كادت تلقى نظرة فاحصة على النقشة التى حلى بها غطاء العلبة حتى ارتعشت أناملها واصطبغ وجهها بصبغة الوجوم! . .

ولم تشأ أن تصدق عينيها . . فعادت وأمعنت النظر فى الحرفين اللذين تفنن الصائغ فى نقشهما وزخرفتهما بحيث يبدوان للناظر إليهما أنهما حلية عادية . . فعرفت الاسمين اللذين كانا يرمزان إليهما، وكانت علاقات فاروق بصاحبتهما تريبها، بالرغم من تأكيداته لها بأنه ليس بينهما ما يسوغ شكوكها!

وتبادر إلى ذهنها أن العلبة صنعت لصاحبة الحرفين المنقوشين عليها، وأن الأمر التبس على فاروق فأرسلها إليها خطأ، فأهمها التفكير فى ذلك وأحزنها وقضى على بهجة عيدها، ثم تناولت التليفون وأسرّت همها ولوعتها إلى صديقة تأتمنها على أسرار قلبها بصوت تخنقه العبرات، فأنصتت إليها الصديقة بعناية، ثم هدأت روعها وطيبت خاطرها، وقالت لها إنه مادام الملك يحبها هى ويفكر فيها هى فماذا يهمها المنقوش على العلبة، وقد أرسلها إليها ولم يرسلها إلى الأخرى! . .

وكانت الصديقة على صلة بفاروق وتنقل إليه جميع أخبار الخليلة ذات الجاه، فأخبرته تليفونيا بما سمعته منها، فطلب إليها أن تتصل بها، وأن تقول لها إنها فكرت فى حكايتها، وإن تفكيرها أنبت فى ذهنها احتمالا تظن أنه يفسر الموضوع تفسيرا صحيحا وهو أنه - أى فاروق - صنع هذه العلبة لصاحبة الاسمين اللذين يرمز الحرفان إليهما قبل «أن يقع فى حبها هى» - أى فى حب السيدة ذات الجاه - فلما هام بها حبا وانصرف عن الأخرى لم يعطها العلبة التى كانت مصنوعة باسمها!

واتصلت الصديقة بالسيدة ذات الجاه وألقت إليها ما هداها إليه تفكيرها . . وإذ وجدت الخليلة فى هذا التفسير إراحة لقلبها، وحلا ينقذ كرامة شعورها قالت : «وأنا أيضا أعتقد ذلك» وشكرتها من كل قلبها على إخلاصها ووفائها!

أما الحقيقة فى موضوع هذه العلبة، فهى أنها كانت فى الأصل ملكًا لصاحبة الاسمين اللذين نقش حرفاهما الأولان على غطائها، وفى ذات ليلة ألقى فاروق نظرة على محتويات حقيبة يدها، كالنظرة التى ألقاها على محتويات حقائب شقيقته، واستخرج منها علبة «البودرة» فى لحظة كانت صاحبتها غائبة عنها، واحتفظ بها فى صندوق «الأسلاب» المعدة للإهداء، إلى أن آلت إلى السيدة ذات الجاه يوم قرر أن يهدى إليها هدية جميلة تشعرها بأنه يحبها ويفكر فيها، وأن مهامه ومشاغله لم تنسه تاريخ عيد ميلادها! ولعل السيدة ذات الجاه فطنت إلى الحقيقة فى أمر العلبة المذكورة فى أول مرة «ألقى فاروق نظرة» على أشياء لها ثم اكتشفت أنه خفف عنها حمل بعضها!

* * *

وكان أصحاب بعض البيوت التى يتردد عليها على بينة من «مرضه» ، فكانوا إذا علموا بمقدمه أسرعوا إلى كل خزانة تحتوى على«ماخف حمله وغلا ثمنه» وأحكموا قفلها ، وأخفوا مفاتيحها! . . وكان بعضهم إذا أخبر بزيارته مقدما عمد إلى تخبئة بعض التحف والطرف «المهددة بالخطر» خشية أن يحرجهم بقوله إنه يستحليها ، وإنه مستعد لأن يعوضهم عنها بما يعادل قيمتها أو يجاوزها!!

ومن طريف ما أذكره أن إلياس أندراوس(باشا) اشترى يوما «للصالون» الكبير فى داره بالإسكندرية مكتبا صغيرا من المكاتب التى يسمونها بالفرنسية «سكرتير» عثر عليه فى باريس، وكان تحفة فنية رائعة فى دقة صنعه وجمال زخرفته . . .

وخاف أندراوس أن يشمل فاروق هذا المكتب«بنظرة»تنقله من بيته إلى القصر الملكى . . ولما لم يكن فى استطاعته أن يخبئه فى داخل خزانة ، أو أن يحجبه عن الأنظار خلف ستارة ، قرر أن تكون الحيلة سبيله الوحيد إلى الاحتفاظ بتحفته فى «الملمات»!

وفعلا ما كاد فاروق يرى المكتب حتى قال : هذه قطعة عظيمة حقيقة ، فمن أين اشتريتها يا أندراوس؟ فقال أندراوس : من الأسف يا مولاى إننى لا أستطيع شراءها . . وكم وددت لو كانت لى فتزين هذا «الصالون»!

فسأله فى لهفة قائلا : لمن هى إذن؟

فقال : لمدير إنجليزى من مديرى شركتنا سافر بالإجازة ، وقد خاف أن تصاب بسوء فى أثناء غيابه فتركها «أمانة» عندى! . .

فقال فاروق : خسارة صحيح . . فإنها قطعة جميلة فعلا! . . . على كل حال إذا أراد أن يبيعها يوما فلا تتردد فى شرائها!

فقال أندراوس : بكل تأكيد يا أفندم!

وهكذا أنقذ أندراوس تحفته بمنحها الجنسية الإنجليزية!

* * *

ولما عرفت هذا الداء فى فاروق ، اهتممت بأن أعرف هل هو داء جديد أم قديم؟ فاستبان لى من تحرياتى أنه داء قديم ، وأن أعراضه ظهرت عليه منذ حداثته ، ثم تحولت وتفاقمت على مر الأيام . .

وقد ذكرت فى فصل سابق أن والده فرض عليه وهو صبى نظاما شديدا فى المعيشة حتى لا يزيد وزنه على الرقم الذى عينه له . .

وأقول هنا إنه بسبب هذا النظام كان يشعر بالجوع فى معظم الأوقات ، فيعمد إلى «سرقة» الطعام الذى كانوا يضعونه للقطة !

ولاحظوا مع الوقت أن جسمه يزداد وزنا ، فأمر والده بمراقبته مراقبة دقيقة ، فاكتشفوا سرّ استيلائه على طعام القطة ! . . .

واستشاط والده غضبا فى ذلك اليوم وأدبه بنفسه . . .

* * *

ونما فاروق ، ونما فيه هذا الداء ، داء «مد اليد» إلى أشياء ليست له ! . . . وأظن أن الأمثلة والشواهد التى أوردتها فى هذا الفصل تكفى للتدليل على أن ذلك العبث كان «مرضا» قبل أن يكون أى شىء آخر ! . . .

وثمة دليل آخر على أنه كان «مرضا» أن فاروق كان يعلم أن المحيطين به يعرفون أمره ، ومع ذلك لم يقلع عنه ولم يستح منه !

ويبدو من الحادث التالى أن أمه حاولت أن تحرره منه فلم تفلح . . . فمن المعلوم أنه لما خَلَف فاروق والده على العرش لم يكن قد بلغ سن الرشد بعد ، فسافر إلى أوروبا مع أمه وشقيقاته وبعض رجال حاشيته ، وفى مقدمتهم أحمد حسنين «باشا» ريثما يحل موعد حلفه اليمين الدستورية . . . وفى باريس صحب أمه يوما فى زيارتها «للأميرة» شويكار . .

وبينما كانت السيدتان منهمكتين بحديثهما كان فاروق منهمكا بفتح خزانة (دولاب) وأخذ ما يعجبه من الأشياء التى كانت فيها ! . .

وحانت من أمه التفاته ، فلمحته مشغولا بهذه «العملية» فنهرته قائلة : فاروق ! ماذا تصنع ؟ ؟ . . فتدخلت شويكار قائلة : دعيه يأخذ ما يريد أخذه . .

فقالت أمه حانقة : إنه يفعل ذلك دائمًا[1] ! . . .

---

(١) وكان الحديث يدور بالفرنسية . . والعبارة الأصلية التى قالتها أمه هى : Il fait toujours ça وقد قص علىّ هذه القصة إلهامى حسين «باشا» زوج شويكار فى ذلك الحين .

وفى المعنى الذى انطوت عليه هذه العبارة الوجيزة ما يغنى عن كل إفاضة ! . . .

* * *

ولما اندلعت نار الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ ، اعتقلت السلطات المصرية الألمان المقيمين فى مصر أو رحلتهم عنها . . وأغلقت أبواب بيوتهم وختمتها بالشمع الأحمر .

وفى مساء أحد الأيام طاف فاروق بتلك البيوت ومعه بعض رجاله ، وكسر أختام أبوابها وجمع من داخلها ما أراد جمعه وحمله إلى قصره !

وكان على ماهر «باشا» رئيسا للحكومة يومئذ ، فتجاهل تصرفه مع ما فيه من مجافاة للقانون ومساس بكرامة العرش والبلاد ، ولم يوجه نظره إلى ذلك .

وحذا رائده ورئيس ديوانه حذو رئيس الحكومة . .

وكان اسم الرائد ورئيس الديوان أحمد حسنين «باشا» .

مساهمته فى ترويج الإشاعات!...

رأينا فى فصل سابق كيف كان للمظاهر التى أحاط بها فاروق نفسه فى الأماكن العامة النصيب الأوفر فى تكوين السمعة التى أصبحت له فى البلاد، وفى نشوء الإشاعات التى كانت تشاع عنه وتزخر بها الأندية والمجتمعات. .

وسنرى فى هذا الفصل كيف كان فاروق يساهم بنصيب كبير فى ترويج تلك الإشاعات وما يتفرع عليها من قصص وحكايات، كأن فاروق الرجل كان متآمرا مع ناشريها ومروجيها على مناوأة فاروق الملك!

لنأخذ مثلا، موضوع جلوسه فى «البار» فى معظم الليالى التى كان يتعشى فيها فى نادى «الإسكارابيه» الليلى. . فلماذا كان يختار «البار» مكانا للعشاء بدلا من أن يتعشى فى القاعة العامة حيث الموسيقى وحيث الرقص وحيث «العرض». . وحيث يتعشى جميع رواد المحل؟ . . وكيف كان يسع الذين يرونه جالسا فى البار ساعتين، وثلاث ساعات، وأحيانا أكثر، أن يصدقوا أنه «لا يشرب» وهو محاط بالكئوس من كل جانب! . . .

أما هو فكان يقول إنه يجلس فى حجرة «البار» ليكون «على راحته» فى جلسته، فالناس أقل، والأنظار المصوبة إليه أقل، والضوضاء أقل. . حتى إذا حان موعد «العرض» انتقل إلى القاعة العامة فشاهده ثم عاد إلى «البار». .

وفى «البار». . وفى «البار» وحده. . كان يجالس من يستحلى من «أرتستات» المحل، كأن البار بقعة قفراء فى وسط الصحراء! . .

وإذ كان لابد «للأرتستات» من خمر، وإذ كان لابد للخمر من كئوس، فإن جميع الدلائل والقرائن كانت تدل على أنه يلهو و«يسكر» معهن! . .

وكان زوار مصر يعلمون أنه يتردد فى السهرة على أماكن عامة معينة، فكان كثيرون منهم يذهبون إليها ليروه عن كثب، فإذا قصدوا إلى «الإسكارابيه» مثلا، وعثروا عليه،

قيل لهم همسا إنه فى «البار» . . فيدخلونه متظاهرين «بشرب كأس» ثم يغادرونه وقد ارتسمت فى أذهانهم صورة لا تمحى . . إطارها أن كل ما يقال عن أن الملك «لا يشرب» كذب فى كذب ! . . بل هو يشرب، ويشرب علنا، ويشرب وهو جالس يغازل «الأرتستات» ساعات برمتها !

وحاولنا كثيرا أن نقنعه بالعدول عن الجلوس فى «البار» ، كما حاولنا من قبل أن نثنيه عن الجلوس خلف «الستائر» فى «أوبرج الأهرام» منعا للقيل والقال، فباءت جميع محاولاتنا بالفشل ! . . ألم أقل لك إن فاروق الرجل كان متآمرا على فاروق الملك مع ناشرى القصص والإشاعات عنه ومروجيها؟! . . .

* * *

ومن المحقق أن عينيه كانتا تتعبان من وهج الشمس والضوء القوى، وتستريحان خلف النظارات السوداء، فكان يضعها عليهما كلما استُهدفتا لنور وضّاء أو مسّهما تعب . . .

ثم أصبح لا يظهر فى المجتمعات بدونها من يوم أن قيل إن إحدى عينيه من زجاج !

فقد أشيع فى وقت ما أنه كان مختليًا بامرأة متزوجة فى بيتها لما عاد إليه زوجها على حين غفلة وفاجأهما معا، فأطلق رصاصة على فاروق فأصابته فى عينه اليسرى !

ومضت الإشاعة تقول : وكان فلان الياور بصحبة فاروق، فشهر مسدسه بدوره وأطلقه على الزوج الثائر فأرداه قتيلا !

واختار أصحاب هذه الإشاعة لإطلاقها فى الجو يوما انتحر فيه شاب لا يمت إلى فاروق بصلة . . فقيل إنه لم ينتحر، وإنه هو الزوج الذى اعتدى على فاروق فلقى حتفه على يد ياوره ! . .

ومن ذلك اليوم اعتقد عدد كبير من الناس أن فاروق اضطر إلى تركيب عين صناعية بدلا من العين التى طيرتها الرصاصة !

والقصة كلها لا أساس لها من الصحة . . فلا خلوة، ولا مداهمة، ولا رصاصة فقأت عين فاروق، ولا مسدس أطلق على الزوج وأصاب منه مقتلا . . وإنما كانت قصة من نسج الخيال، ابتكرها خصوم فاروق فى وقت امتلأت فيه البلاد بالروايات والحكايات عن مسلكه الشخصى، فلقيت من صدَّقها فى كل بيت وفى كل مجلس . .

ووصلت أخبار هذه القصة إلى فاروق، وعرف أنها انتشرت انتشارا كبيرا، وأخذ يلاحظ أنه إذا دخل مكانا عاما حدّق فيه الحاضرون ليروا تأثير العين الصناعية فى ملامح وجهه! . . فماذا صنع؟

كان قبلا يضع النظارة السوداء على عينيه «بعض» الوقت، فصار من ذلك اليوم يضعها عليهما «كل» الوقت، ولا ينزعها عنهما أبدا. . بل كثيرا ما كان يستبدلها بنظارة أشد منها سوادا، فتزداد الإشاعة فى أذهان الناس رسوخا!

ولم يعد يريح نفسه من النظارة السوداء حتى فى أثناء تصويره فى الاحتفالات والمناسبات الرسمية، بالرغم من «الإشارة الخفية» التى كان مصوره الخاص يبديها له ليذكره بنزع النظارة، فيتظاهر بأنه لم ير الإشارة ويصر على الاحتفاظ بها، فتظهر فى صوره بقعة سوداء كبيرة يزيد منظرها من كلام الناس وتعليقاتهم! . . .

وكم من مرة قلت له وقال له غيرى، إن بقاء النظارة السوداء على عينيه عند تصويره يشوه مظهره فى صوره. . عدا أنه يساعد مروجى الإشاعة على الإمعان فى تأكيدها، فكان يقول إن الأيام كفيلة بإظهار كذبهم!

غير أن قوله هذا لم يكن يفصح عن الباعث الحقيقى له على العناد!

ولم يكن الباعث الحقيقى عليه سوى رغبته فى «مفاجأة» النساء اللواتى يلقاهن بأن إحدى عينيه ليست من زجاج!

فقد كان إذا جلس مع امرأة «جديدة» لأول مرة، ولاحظ أنها تتفرس فى وجهه لتعرف هل إحدى عينيه صناعية كما يقال أم لا، تركها كذلك نحو نصف ساعة، ثم أخرج منديله من جيبه ونزع نظارته كمن يريد تنظيفها. . وفى تلك اللحظة كان يتطلع إلى المرأة الجالسة معه ويقول لها مداعبا: «إنهما طبيعيتان كما ترين. . فإن التى من زجاج تركتها فى البيت!». . .

ثم يتبع ذلك بضحكة عالية. .

ففى سبيل هذه المداعبة، أو «المفاجأة» كما كان يسميها، رفض باستمرار أن يدحض الإشاعة التى لصقت به. . بل على العكس عمل على تأكيدها!

* * *

وبينما كانت جميع «المظاهر» تدل على أن الأحاديث التى تدور بينه وين«الأرتستات» طافحة بالنكات النابية والحكايات التى تخدش الآذان، كانت تلك الأحاديث فى الحقيقة لا تجاوز المألوف من النكات العادية والحكايات المسلية مما تجوز روايته فى كل مجلس. . .

وأغرب من ذلك أنه بينما كانت «مظاهر» جلساته تنم على الاستهتار كان من جهته يعلق شأنا كبيرا على أمور لا قيمة لها إذا قوبل بينها وبين تلك المظاهر. . ومن ذلك أنه كان إذا شاهد سيدة من السيدات اللواتى معه تخرج«البودرييه» (علبة البودرة) من حقيبة يدها لتلقى نظرة على حالة وجهها، قال لها على الفور: هذه أمور تعمل عادة فى «التواليت» ياسيدتى. .

ومن ذلك أيضا أنه إذا نهضت سيدة منهن لتذهب إلى «التواليت» استهجن أن تذهب إليه وحدها وأمر بأن تصحبها سيدة أخرى من الحاضرات. .

ولكنه لم ير غضاضة مثلا فى أن يستصحب معه إحدى شقيقاته«وآنى بيريه» إلى نادى السيارات وأن يجلسهما إلى مائدة واحدة وأن يجلس هو بينهما!

ألم أقل لك إن فاروق الرجل كان متآمرا مع ناشرى الإشاعات ومروجيها على فاروق الملك! . . .

ومن المدهش أنه بينما كان لا يعبأ بما يقوله الناس عن تصرفاته فى المجتمعات العامة، كان يحرص - عندما يكون وحده - على ألا يختلى بامرأة فى قصر من القصور الرسمية، كعابدين والقبة ورأس التين. . فإن عدد خليلاته اللواتى دخلن هذه القصور يسير جدا. . أما معظمهن فكان يلقاهن فى قصر «الطاهرة» أو فى «ركن فاروق»أو فى «أنشاص» ولايدخلهن قصور الدولة!!

* * *

وقيل عنه إنه كان يدخن الحشيش أحيانا. . . وقيل ذلك نقلا عن أناس كانوا ضيوفه فى بعض رحلات الصيد التى كان يدعوهم إليها. .

والحقيقة هى أنه لم يكن يدخن «الحشيش». . . غير أن هذا لا يعنى أن الضيوف الذين رووا أنهم شموا رائحة «الحشيش» وهم فى ضيافته كانوا غير صادقين فى روايتهم! . .

فقد كان فاروق نفسه لا يدخن«الحشيش». . ولم يكن أحد من أخصائه يدخنه فى

حضرته أو فى غير حضرته . . وإنما بعض خدمه الخصوصيين كانوا ينتهزون فرصة وجودهم معه فى تلك الرحلات ويدخنون «الحشيش» فى إحدى الخيام . .

وكان الهواء يحمل رائحته إلى مجلسه فى بعض الأحيان ، فيعلم أنهم يحششون ، فيهز رأسه ويقول ضاحكا : «أما أولاد كلب صحيح!» . . ولا يفكر فيما سيقول الضيوف والحرس وسائر الموجودين ، ولا يخطر له أنهم لم يصدقوا أن بعض الخدم «يحششون» وأن سيدهم «لا يحشش» ! . .

ألم أقل لك إن فاروق الرجل كان متآمرا على فاروق الملك ! . .

وعلى ذكر فاروق وخدمه . . فقد كان كثير الاختلاط بهم فى ساعات سروره وانشراحه ورضائه ، يمازحهم ويداعبهم ويلاعبهم ويسمح لبعض منهم بالتبسط معه فى الحديث على منوال لا يتوقعه أحد منه . . وكان أحدهم ـ وكان معروفا بحبه للحشيش ـ يوافيه بأحدث النكات الرائجة فى البلاد ، ويعلق على ما يقال أمامه بتعليقات يغرق ـ أى فاروق ـ فى الضحك عندما يسمعها منه ، ولو تناوله بعضها بخفة ولباقة . .

وكان إذا أقام حفلات خاصة سمح لهم بشهودها عن قرب ، ولا يبدى تأففًا من ذلك . . وقد رأيت حلاقه « بترو» غير مرة مشتركا فى الرقص فى بعض تلك الحفلات على مرأى منه ، ومن ناريمان ، ومن الأميرات شقيقاته !

* * *

وكنا فى سنى الحرب العظمى إذا صحبناه إلى الأماكن العامة خشينا دائما أن يخطىء بعض الضباط الأجانب ـ وخصوصا من الأمريكيين ـ تقدير الأوضاع ، فقد كان بعضهم عندما يرون المظاهر التى يحيط بها الملك نفسه يتوهمون أنه يجوز لهم ، والحالة هذه أن يتصرفوا نحوه بشىء من الحرية ، كأن يتقدم أحدهم من مائدته ويوجه إليه الكلام رأسا ، فلا يرد عليه ، ويترك لبعض رجاله مهمة إبعاده عنه «بذوق» ، وإفهامه أنه لا يليق إزعاج الملك بهذه الكيفية . . أو كأن «يهجم» أحدهم على مائدته ويستأذنه فى دعوة إحدى السيدات اللواتى معه إلى الرقص ، فيأخذه أحد رجاله من يده ويبعده عنه ، وهو يشرح له عدم جواز التعرض للسيدات الجالسات إلى مائدة الملك !

وكان معظم أولئك الضباط يقابلون ذلك بهدوء ولكن بعضهم كان يبدى «دهشته لهذه المعاملة لأنه رأى الملك فى اليوم السابق يرقص مع صديقته فى نادى العسكريين

الأمريكيين فى وسط الجنود وضباط الصف دون أن يرى فى ذلك غضاضة على نفسه كملك»! . .

وفى إحدى الليالى كان أحد رجال السفارة الأمريكية المدنيين يقضى السهرة فى «أوبرج الأهرام» ولم يكن يعرف فاروق، أو عادات فاروق وأطواره فى الأماكن العامة، فخدعته المظاهر التى تسود المائدة الملكية، فتقدم نحوها مستأذنا فى مراقصة أميرة كانت جالسة مع الملك، فاعتذرت إليه وعاد الرجل إلى مكانه بأدب. . فنادى فاروق مدير المحل وكلفه الاستعلام عن اسم هذا الأمريكى، فوافاه به بعد قليل وأضاف إليه من سكرتيرى السفارة الأمريكية، وللحال انقلب فاروق إلى رجل آخر، وقال: إنى أفهم أن يقع رجل لا يعرف البروتوكول فى خطإ كهذا، أما أن يقع فيه رجل من السلك السياسى فأمر غير جائز مطلقا!

وفى الغد زار أحد رجال القصر سفير أمريكا، وقص عليه ما حدث، وأبلغه رغبة الملك الشخصية فى نقل هذا السكرتير من مصر!

وكذلك بدلا من أن يمر هذا الحادث بهدوء، أو بلفت نظر السكرتير فيعتذر - بدلا من أن يحدث ذلك - عمد فاروق إلى طلب نقله من مصر، فذاع الحادث فى جميع الدوائر الدبلوماسية الأجنبية وفى جميع الأوساط الأمريكية، وكان ذيوعه فرصة لتبادل التعليقات على حياة الملك الليلية ومسلكه فيها!

وتكرر هذا الحادث فى حفلة خاصة أقامها الكولونيل دريجى فى منزله وحضرها فاروق. . وكان يحضر كثيرا من تلك الحفلات عنده وعند غيره من العسكريين الأمريكيين. .

وكان بين الحاضرين سكرتير بالسفارة الأمريكية، استرعى نظره تبسط فاروق فى الحديث مع بعض الحاضرين والحاضرات، وما يتخلل حديثه من قهقهة. . فظن أنه يستطيع مخاطبته ما دامت جميع «المظاهر» تدل على جواز ذلك، فاقترب منه وحياه وقال له إن السفارة تفتتح بعد يومين أبواب مكتبة عامة، وأنه يسعده أن يشرف جلالته حفلة افتتاحها! . .

ولم يجبه فاروق بكلمة واحدة. . وناداني وقال لى بالعربية: هذا الرجل «شارب» شوية وقد كلمنى بدون أن يكون قد «قُدِّم إلىّ» قبلا، فأبعده عنى!

وظل الرجل قابعًا فى مكانه، ولعله ظن أن فاروق يسألنى عن مواعيده وارتباطاته فى الأيام التالية ليرد عليه بالقبول أو بالرفض. . ولما كنت لا أعرفه لم أستحسن أن أدنو منه وأشده من ذراعه، وآثرت أن أبحث عن صاحب الدار لأكلفه تأدية المهمة. . وتبادر إلى ذهن فاروق أننى لم أفهم أى رجل يعنى؛ فقال لى: «إنت رايح فين؟. . . أنا باقصد الرجل الواقف على يمينى» . . فقلت له: أنا فاهم يا أفندم ولكنى لا أعرفه وأفضل أن يكون صاحب البيت هو اللى يبعده!. .

وبعد دقيقتين «سحبه» الكولونيل دريجى من ذراعه وأبعده كأنه سيفضى إليه بكلمة على انفراد. . وعاد فاروق فنادانى وقال لى: لازم تشوف بكره إيه اللى يعمل مع الرجل ده. .

وفى الغد رأيت أن أعالج «الحادث» بما يسدل الستار عليه ويرضى فاروق فى آن واحد. . فاتصلت تليفونيا بصديق لى فى السفارة الأمريكية، ورويت له الحكاية بحذافيرها كأنى أفعل ذلك من تلقاء نفسى، ثم قلت له إننى أرى أنه يحسن قبل أن يصل أمرها إلى السفير أن يكتب إلى ذلك السكرتير كتاباً شخصيّا يقول لى فيه إنه بعد انتهاء حفلة أمس فطن إلى أنه كان غير موفق فى تصرفه، وأنه يأسف على ذلك جد الأسف، ويرجو منى أن أرفع اعتذاره إلى الملك مقرونًا باحترامه وإجلاله. .

ولما تسلمت الكتاب خاطبت فاروق بالتليفون وقلت له إنه قبل أن أخطو أى خطوة فى هذا الموضوع تلقيت كتاب اعتذار رقيق من الدبلوماسى الأمريكى لأرفعه إليه، فوفر علينا مئونة كل سعى. . . فقال على الفور: يظهر أن «درس» المرة السابقة قد نفع، فبادر هذا الرجل إلى الاعتذار خشية أن أطلب نقله من مصر كما فعلت مع الآخر!

ولما كان فاروق فى «دوفيل» فى صيف سنة ١٩٥٠ كان المترددون على «البارات» الكبيرة يشاهدون امرأة إسبانية من بنات الهوى تنظر إلى كل رجل نظرة لها معناها ودلالتها، وكان أمرها معروفا فى كل مكان. . ولمحها فاروق فى «الكازينو» تحوم حول المائدة التى كان يجلس إليها، فَلاحَ له من النظرات التى وجهتها إليه أنه غزا قلبا جديدا. . .

وكنت جالسًا فى بهو الفندق قبل ظهر أحد الأيام، فبصرت بهذه الإسبانية تهبط السلم الكبير على مهل فى زهو وخيلاء، ثم تجتاز البهو وتخرج من الفندق. . فالتفت إلىّ أحد صحفيين إنجليزيين كانا جالسين على مقربة منى، وقال لى: هل تعلم من هى هذه المرأة؟

قلت: لا

قال: إنها فلانة (وذكر اسمها كاملاً) . . .

ثم قال: وهل تعلم من أين هى قادمة؟

قلت: لا! . .

قال: لقد مضت ما كان باقيًا من ساعات الليل وهذا الصباح مع الملك! . . .

وكنت فى الحقيقة أجهل ذلك فسكتُّ ولم أقل شيئا . . .

وقال الآخر: لم يكن هناك ما يدعو الملك إلى استقبالها فى غير حجرته العادية . . فإنه فى اللحظة التى عرفنا فيها أنه حجز لنفسه حجرة فى آخر «الطرقة» من الجهة المقابلة للجهة التى تقوم فيها حجرته العادية أدركنا أن فى الأمر سرًّا! . .

ولما اجتمعت بفاروق بعد ذلك قال لى: لقد مضيت هذه الليلة خارج الفندق . . وفى استطاعة القارئ أن يتصور مبلغ الدهشة التى استحوذت عليه حين قلت له: فى الحجرة رقم (١) ومع فلانة . .

فقال: من أين عرفت ذلك؟!

فقلت: من الصحفيين الإنجليز . . .

فقال: إنى لم أستصوب مقابلتها فى حجرتى الأصلية؛ لئلا ترى ما فيها، فتستطيع أن تستشهد بوصفه إن أرادت أن تتكلم، وأن تدعى أنها كانت عندى . . أما الآن فلا دليل عندها على ذلك ! . .

* * *

ويذكرنى حديث «دوفيل» والصحفيين الإنجليزيين بحادث آخر يظهر منه كيف كان فاروق يجلب لنفسه الانتقاد و«كلام الناس» . .

ففى أحد الأيام شاهد حفلة رياضية بحرية فى مدينة «تروفيل» الملاصقة لـ«دوفيل» . . .

وعلم الصحفيون الإنجليز والأمريكيون بوجوده فيها، فهرعوا إليها ليتسقطوا أخباره، ويتتبعوا حركاته . . .

وفيما هو منصرف من مكان الحفلة، والأنظار كلها متجهة إليه، التقط وردة و«شبكها» في قبعته (برنيطته) وهو يقول مشيراً إلى الصحفيين الإنجليز والأمريكيين: «علشان يلاقوا حاجة يكتبوا عنها النهاردة»! . . .

وكان يعلم أنهم بالمرصاد لجميع حركاته وسكناته!

حتى إن مصور «الديلي إكسبرس» لاحظ في إحدى الليالي أن فاروق دخل «كازينو» دوفيل ورباط أحد حذائيه مفكوك، فصور «قدمه» وحدها ليظهر الحذاء «مفكوك» الرباط!

وفي الغد نشرت «الديلي إكسبرس» الصورة. . صورة القدم «فقط» تحت عنوان: هكذا دخل فاروق كازينو دوفيل!

ومن حكاياته التي أثارت كثيراً من القيل والقال في تلك الرحلة، أنه لما نزل في «مرسيليا»، واستقل السيارة ليسافر بها إلى «دوفيل» قال للذين كانوا معه من خدمه، وكانوا سيتبعونه بسيارات أخرى، إنه سيمضي ليلته في مدينة كذا. . . حتى إذا تأخرت سيارة من سياراتهم لسبب ما، عرف ركابها أين يجدونه في نهاية المرحلة الأولى من مراحل السفر. .

وفعلا أصيبت السيارة التي كانت تسير في المؤخرة بعطب فاضطر سائقها إلى إصلاحها في أول «جاراج» صادفه في طريقه، ثم استأنف سيره بها، ولما وصل بركابها إلى المدينة التي قال لهم فاروق إنه سينام فيها، لم يجدوا له أثراً. .

وكان فاروق لما بلغ تلك المدينة قد قرر أن يواصل سفره إلى المدينة التي تليها، ولم يهتم بمصير السيارات المتخلفة. . ولما لم يعثر عليه ركابها رجحوا أنه تابع السير إلى «دوفيل» رأسا، فقرروا ألا يضيعوا الوقت بالبحث والسؤال في المدن التي يمرون بها، وأن يتجهوا إلى «دوفيل» مباشرة، وكانوا لا يزالون على مسافة ستمائة كيلومتر منها، فوصلوا إليها عند الظهر وقد أنهكهم التعب! . .

وكان أولهم الشمشرجي النوبتجي، والثاني الحلاق الخاص، والثالث سائق السيارة، وكان معهم الحقيبة التي تحتوي على جميع المعدات اللازمة للحلاقة. . وكذلك ملابس «الغيار» الذي قد يحتاج إليه الملك في خلال السفر! . .

وقضى فاروق ليلته في فندق «ليبيه» (السيف) بمدينة «أوكسير»، ولما أصبح سأل عن السيارة المتخلفة، فلم يستطع أحد أن يفيده عنها شيئا، فسأل كيف سيمكنه أن يحلق ذقنه

ومعدات الحلاقة كلها فيها . . وكذلك الحلاق نفسه! . . وهو لن يقبل أن يحلق له ذقنه حلاق غريب ، أو أن يستعمل لحلاقتها معدات غير معداته . . فاقترح عليه«بوللى» أن يحلقها له بآلته الخاصة (سيفتى ريزور) ، فرفض ، فعرض عليه أن يشترى آلة جديدة من المدينة التى هم فيها ويحلق له بها ، فأبى أيضا . .

وبينما كانا يفكران فى حل لهذا الإشكال دخل عليهما من أخبرهما أن السيارة المتخلفة بلغت «دوفيل» بالشمشرجى «النوبتجى» والحلاق « النوبتجى» !

وفى الحال أوعز فاروق إلى «بوللى» بأن يسأل هل الطائرة الملكية الخاصة موجودة فى «دوفيل» . . وكان قد أمر بأن تسبقه إليها بالبريد الذى تحمله من مصر . .

وجاء الرد بعد قليل بأنها موجودة فيها من اليوم السابق . .

وعندئذ أصدر فاروق أمره بأن تقل الطائرة الملكية الشمشرجى والحلاق من «دوفيل» إلى أقرب مطار لمدينة«أوكسير» . . و أن تنتظرهما فى المطار سيارة من قافلتهم لتقلهما بدورها إلى «أوكسير»! . .

وكان للأمر«ملحق» . . وهو أن يجلب الشمشرجى والحلاق معهما جميع الأمتعة التى كانت فى عهدتهما تذنيبا لهما . . ولأنه فى حاجة إلى تغيير قميصه . .

ونفذ الأمر طبعا!

وظل فاروق ملازما فندق«أوكسير» إلى أن تلقى حوائجه من «دوفيل» بالطائرة!

وكان المفهوم قبلا أنه سيصل إلى «دوفيل» بعد الغداء . . فلم يبلغها إلا بعد الساعة التاسعة ليلا!

وعجز رجاله عن تبرير هذا التأخير للصحفيين وغير الصحفيين . . فقالوا إن فترات الاستراحة طالت فى بعض الجهات التى اجتازها الرَّكْب الملكى! . . ولم يكن فى وسعهم أن يقصُّوا قصة إشكال حلاقة الذقن . . أو القميص الذى كان فى حاجة إلى تغيير!

* * *

وسمعت فى الإسكندرية فى صيف إحدى السنوات رواية غريبة تتحدث بها بعض المجالس ، وهى أن فاروق يكثر من التردد على الاستراحة البحرية التى له بجوار قصر رأس التين ، لقربها من عوامة جماعة من الأجانب يحب الاختلاط بنسائهم . .

ثم ترامى إلىّ أن علاقاته بتلك «العوامة» أضحت حديث الميناء كله، ولاسيما رجال الوحدات البحرية المصرية وغيرهم.. وأنه يقضى ساعات طويلة مع أصحابها.. وأن عدد نسائها لايقل عن خمس أو ست.. وأنه عندما لا يذهب هو إليهن يرسل فى دعوتهن إليه، فيوافينه فى استراحته.. وأنه كثيرا ما ينزل إلى الماء معهن أو يتنزه فى زورقه البخارى بصحبتهن.. وهم جميعا بملابس الاستحمام.. وعلى مرأى من الخاص والعام!..

فأخذت أرقب الفرصة التى تمكننى من استجلاء الأمر بنفسى..

وفى يوم كنت عنده فى تلك الاستراحة قال لى: هل تعرف جماعة كذا؟

وذكر اسم تلك العائلة الأجنبية..

فقلت: لا، ولكنى أسمع عنهم.. وبدلا من أن يسألنى ماذا تسمع عنهم قال: يجب أن تراهم.. إنهم حقيقة يؤلفون عائلة مدهشة!

واتجهنا إلى عوامتهم بزورقه البخارى.. ولما قدمنى لأصحابها ذهلت..

وكان ذهولى يزداد كلما قدمنى لفرد جديد من أفراد العائلة..

فالرجل تاجر «على قد حاله»، وزوجته سيدة فاضلة وأم أولاد، وليس فى هيئتها أو فى حركاتها أو فى حديثها أى مظاهر من المظاهر التى توحى بالريبة، بل كانت كلها مظاهر امرأة لا تعرف سوى خدمة بيتها والتوفر على العناية بزوجها وأولادها.. ولهما ابنتان لا يزيد عمر أكبرهما على الثانية عشرة، وولدان أحدهما فى السادسة والآخر لم يجاوز الثانية!

وكانت للسيدة شقيقة متزوجة كذلك.. وتشبهها خلقا وأخلاقا.. ولها ثلاثة أولاد تتفاوت أعمارهم بين الثالثة والعاشرة!

كانت العوامة أشبه «بروضة أطفال» صغيرة منها بأى شىء آخر.. لا يسير المرء فيها خطوة بدون أن «يصطدم» بطفل منهم!

ولذلك ذهلت.. وأى ذهول.. لما رأت عيناى هذه الصورة، وأخذ ذهنى يقابل بينها وبين الصورة التى رسمتها الإشاعات والروايات فى مخيلتى!

وأيدت لى الأيام بعد ذلك الفكرة التى كونتها فى نفسى عن تلك العائلة من أول مقابلة . .

وعرفت «سر» عطف فاروق عليها . . والباعث له على الاختلاط بأفرادها!

فقد كانت العائلة بأسرها عائلة «سباحين» ماهرين . . حتى الطفل الذى لم يتجاوز السنتين كانوا يطوقونه بطوق من الكاوتشوك و«يرمونه» فى البحر ليألفه من نعومة أظفاره . . وكان الطفل يبتسم لذلك إظهاراً لسروره وفرحه . .

وكانت الفتاة الصغيرة التى ماتزال فى الثامنة تقود زورق العائلة البخارى بمهارة أبيها وأمها . .

وكانوا جميعا ، كبارا وصغارا ، يحذقون صيد السمك على اختلاف ضروبه . .

وكانت «ست البيت» خبيرة فى تنظيف أصناف السمك وطهوها . .

وقد تكلمت فى فصل سابق عن الولع الذى و لعه فاروق بالصيد تحت الماء . . وكيف كان يمضى أياما متوالية فى استراحته البحرية لهذا الغرض!

ولم يعد له شاغل فى النهار سوى هذه النزوة الجديدة . . نزوة السمك . . وصيد السمك ، وتنظيف السمك ، وحفظ السمك . . وطبخ السمك!

وأصبحت سيدة العوامة معلمته فى كيفية تنظيف السمك . . وفى كيفية حفظه وطهوه!

ولم يعد يبتهج بشىء ابتهاجه بالتردد على مطبخ الاستراحة ليراقب عملية تنظيف السمك الذى اصطاده واصطاده رجاله . . ثم ليتتبع طرق طهوه . . حتى إذا تمَّ إعداد «الطبق» الأول حمله بنفسه وأسرع به إلى حجرة الأكل وعكف على التهامه بشهية واغتباط عظيمين ، كأنه لم يذق سمكا فى حياته!

وفى سبيل تلك النزوة جلب لنفسه ولأصحاب العوامة جميع تلك الشائعات والشبهات!

ولما بلغت سمعه لم يكترث لها كعادته!

ولم يكن يدعو أفراد تلك العائلة إلى التنزه بزورقه البخارى ، لأنهم كانوا يتنزهون بزورقهم الخاص . . وإنما كان يدعو بعض النساء من ضيوفه أو بعض «الكلفوات» ،

وكلهن مثله بملابس الاستحمام أو بملابس «البلاج»، فكان الناس يخلطون بينهن وبين سكان العوامة!

وكثيرا ما كان زورقه البخارى يمر بالسفن الراسية فى تلك المنطقة فيشاهده رجالها محاطا بالنساء من كل لون ومن كل شكل، فتكثر ابتساماتهم وتتناثر تعليقاتهم . .

ولم يشأ قط أن يذكر أنه ليس فى «الريفيرا» وأن لكل بلاد عاداتها وتقاليدها، وأنه لا يجوز له كملك أن يقدم على ما قد يقدم عليه العاديون من الناس، وإلا انتقص مسلكه من هيبة الملك وأساء إليه كملك!

ولكن ألم يكن فاروق الرجل متآمرًا على فاروق الملك؟! . .

وبينما كان فاروق يساهم بمظاهره وتصرفاته «العلنية» فى ترويج الإشاعات التى تُنشر عنه، ولا يقيم لها وزنا، ولا يقدر لها عاقبة، ولا يحاول أن يخفف من غلوائها . . كان يخصص جانبا من الوقت الذى يمضيه مع بعض خليلاته غير المسلمات لحضهن على اتخاذ الإسلام دينا لهن! . .

وأعرف اثنتين منهن نزلتا على رغبته فاعتنقتا الإسلام . . أو على الأقل قالتا له إنهما اعتنقتاه! . .

وفرض على إحداهن أن تصوم شهر رمضان!

وقد رأينا فى الفصل الذى أفردته لمأكله أنه كان يندر أن يتغدى قبل الساعة الرابعة أو الخامسة . . فلم يكن من الصعب عليه إذن فى شهر رمضان أن ينتظر غروب الشمس ليفطر . . ومع ذلك كان إذا عطش فى خلال النهار روى ظمأه بما ألف شربه من سوائل!

ولما صامت خليلته شهر رمضان امتثالا لطلبه سُرَّ لذلك سرورا عظيما، وأذاع الأمر بين أخصائه فرحا جذلا . .

وأراد، وكان الوقت صيفا، أن تقيم تلك الخليلة فى الإسكندرية لتكون على مقربة منه فى أثناء وجوده فيها، فاستأجر لها جانبا من «ڤيلا» صغيرة كانت ملحقة بفندق «سمر بالاس» بالرمل وملاصقة له . .

ولم يكن فى وسعه أن يختار . . «ليكثر الكلام» . . خيرا من تلك الڤيلا الملحقة بذلك الفندق! . .

فقد كان كل من يقيم في الفندق أو يدخله، ولو لشرب فنجان قهوة على شرفته، يعلم أن خليلة الملك تقطن فى «الفيلا» الملاصقة له!

وكان كل من يمر أمام الفندق يجد من يقول له: وهذه هى «الفيلا» التى استأجرها الملك لخليلته!

وذلك بينما كان فاروق يقول لخدمه وأتباعه: لابد أن «سفرجية» الفندق يحترمونها احتراما خاصا منذ ما عرفوا أنها تصوم رمضان!

حفلاته الخاصة

إذا كان القارئ قد دهش لما قلت له إن فاروق لم يكن«زئر نساء»، فأكبر ظنى أن دهشته ستزداد عندما سأقول له هنا إن فاروق لم يعرف «الليالى الحمراء» فى حفلاته الخاصة، يستوى فى ذلك ما كان يقيمه هو منها فى قصوره الخصوصية أو ما كان يقام له منها فى دور بعض أخصائه وأصدقائه . .

فقد كان الذين يرون «مظاهر» جلساته فى الأماكن العامة، وخصوصا عندما يكون مجالسا «الأرتستات» يتساءلون عما يعمله فى حفلاته الخاصة عندما يكون بعيدا عن أنظار الناس، ويتخذون من تلك «المظاهر» مقياسًا لما يجرى داخل القصور والدور! . .

* * *

وقيل إن حفلات فاروق الخاصة كانت نوعين: حفلات خاصة، كان لا يدعو إليها سوى «أخص أخصائه» . . وحفلات خاصة، كان يدعو إليها جمهورا من أخصائه وأصدقائه رجالا ونساء . .

أما الحفلات الخاصة التى كانت تقتصر على أخص أخصائه فهى التى كان - حسب قول بعض الإشاعات والروايات - يستدعى إليها بعض «الأرتستات» الأجنبيات، أو بعض بنات الهوى، فيعاقر الحاضرون الخمر مجتمعين، ويقارفون الموبقات مجتمعين، على غرار تلك الاجتماعات المشتركة التى يسمونها بالفرنسية«بارتوز»، وتجمع بين عدة نساء ورجال فى آن واحد، وتحت سقف واحد، ويطلق فيها العنان لجميع الشهوات، دون مبالاة بقيود المجتمع والآداب العامة . .

تلك هى الحفلات أو الاجتماعات التى كان بعضهم يؤكد أن فاروق مولع بها ويكثرمنها، وأنها «لياليه الحمراء» المفضلة عنده على سائر الليالى، فيظل وصحبه عاكفين على ارتكاب الإثم وإتيان المنكر حتى مطلع النهار!

غيـر أننى ـ وقد كنت وثيق الصلة بفـاروق ، أرقب أحواله وأعرف مـا خفى منهـا ومـا استـتـر ـ أسـتطيع أن أؤكـد أن حـيـاته الخـصـوصـيـة خـلت من هذا النوع من الحـفـلات والاجتماعات ، وأن الفضل الأول فى انتشار تلك الأساطير إنما يرجع إلى «المظاهر» التى أحاط بها نفسه ، وإلى بعض تصرفاته العلنية فى المنتديات والأندية الليلية ! . .

ولا أعزو انتفاء «الليالى الحمراء» فى حياة فاروق الخصوصية إلى الفضيلة ، فلو أنه أراد إقامتها لما أحجم عن ذلك مراعاة للفضيلة وحرصا عليها !

ولكنه كان لا يحتسى الخمر ، والشراب أساس «الليالى الحمراء» . . وكان من جهة أخرى يشكو من العلة التى أشرت إليها فى حديثى عن علاقاته بالنساء ، وليس من طبيعة من تكون تلك حالته أن يدعو إلى تلك الحلقات المشتركة أو أن يقبل على الاشتراك فيها .

* * *

ولا مرية أنه كان لحفلات فاروق الخاصة طابع خاص . .

غير أنه كان يختلف اختلافا تاما عما استقر فى أذهان الناس !

كـان هذا الطابع فى جـوها . . فى جـوها الفـاتر أحـيـانا . . و«البـارد» فى مـعظم الأحيـان ! . . فى جوها الذى كان يبعث على الضجر والسأمة . . فى جوها الذى كان يجعل الضيوف يتساءلون بإلحاح متى ينصرفون ، فإذا أذن لهم بالانصراف أسرعوا إلى الاستعداد له كـالتلاميذ الذين ينتظرون دق جـرس الانصـراف بفـارغ صبـر فى مدارسهم ! . .

* * *

وبعد هذه الصورة السريعة سأوافى القارئ بالتفاصيل ، بادئا بالطريقة التى كانت متبعة فى الدعوة إلى حفلات فاروق الخاصة .

كان «بوللى» هو المسئول عن تنظيمها وعن جميع لوازمها وشئونها ، من ساعة توجيه الدعوة إليها إلى ساعة انصراف المدعوين منها بعد انتهائها !

فإذا قال له إنه قرر إقامة حفلة خاصة ، سأله عن المكان الذى يروم إقامتها فيه ، لأنه كان لكل مكان الاستعدادات والترتيبات الخاصة به ، فما كان منها يناسب قصر «الطاهرة» مثلا كان لا يصلح «لأنشاص» مثلا ، وما كان يلائم منها «ركن فاروق» مثلا كان لا ينفع إذا كانت الحفلة على ظهر أحد يخوته . .

وكان عند «بوللى» على الدوام قائمة بأسماء الذين اعتاد الملك أن يدعوهم إلى حفلاته الخاصة، من أقاربه وأخصائه وأصدقائه رجالا ونساء . . فيعرضها عليه . . فيعيدها إليه وقد شطب منها أسماء الذين لا يبغى دعوتهم، وأضاف إليها اسمًا جديدا أو اسمين . .

وكان«بوللى» يرفع إليه هذه القائمة كل مرة لأنه كان يعلم أن سيده لا يستقر على قرار، وأن حالة بعض الأسماء عنده كانت كالأسهم فى «البورصة» ترتفع يوما وتهبط آخر، فمنعا لكل لبس أو خطإ، ودفعا لكل مسئولية أو لوم؛ كان «بوللى» يطبع القائمة مقدما، ويحرص على تلقى التعليمات بشأنها كتابةً!

وبمجرد أن كانت القائمة تعود إلى«بوللى» كان يتصل بالمدعوين تليفونيا ويبلغهم الدعوة إلى الحفلة، مع تعيين مكانها وتاريخها وساعتها، ونوع الملابس المطلوب لبسها فيها . .

وفى معظم الأحيان كان «بوللى» يفعل ذلك قبل موعد الحفلة بيوم أو يومين على الأكثر لتردد فاروق فى تعيين تاريخها نهائيا حتى آخر وقت . . وكانت هذه المهلة القصيرة تسبب للمدعوات انزعاجا فى أحوال كثيرة بسبب ملابسهن، كما أنها كانت تربك كثيرين من المدعوين لارتباطهم بمواعيد سابقة فيضطرون إلى إلغائها فجأة!

* * *

وكان جو الحفلة يبدأ حسب المزاج الذى يبدو به فاروق عند وصوله إليها، فإذا كان منشرحا بدأت فى جو انشراح، وإذا كان مرحا سادها المرح، وإذا كان واجما خيّم عليها الوجوم!

وكان الانشراح والمرح مهددين بالخطر فى كل وقت من ناحية فاروق، إذ كان بارعا فى «العكننة» على نفسه وعلى من تقع عليه القرعة من الحاضرين، وكانت «عكننة» واحد منهم كافية لتعكير جو الحفلة كله! . .

وبعد ابتداء الحفلة بقليل كان المدعوون والمدعوات يُدعون إلى الجلوس فى البهو الكبير لمشاهدة «العرض»، فيجلسون كالأصنام على الكراسى و«الفوتيلات» التى نثرت فى جوانب البهو، ثم يبدأ «العرض» وكانوا يختارون له بعض المغنيات والراقصات من«النمر» التى تعجب فاروق فى الأماكن العامة التى يرتادها، فإذا ضحك شاطره جميع

الحاضرين ضحكه، وإذا لم يضحك أمسك الجميع عن الضحك، وإذا صفق لإحدى «الأرتستات» طويلا صفقوا طويلا، وإذا قال «براڤو» قالوا جميعا«براڤو»، وإذا أتوا «بأرتست» لم يرها قبلا وحكم عليها بأنها «ثقيلة» تظاهروا جميعا بأنهم لم يعرفوا «أثقل» منها! . . .

وكان يندر ألا يحتوى «العرض» على رقص شرقى، وكان فاروق يعرف أغلب الراقصات اللواتى يرقصن، فيقابل الراقصة بالابتسام ويقول لها من وقت إلى آخر«انزلى» لكى تهوى على الأرض بقوة، وكانت هذه الحركة تعجبه كثيرا فى الرقص الشرقى، ثم يدعوها إلى مداعبة أكثر الحاضرين بدانة، فتدنو من هذا المدعو وتتمايل أمامه متظاهرة بأنها سترتمى فى أحضانه، أو تمر بيدها على صلعته، فيضحك فاروق ويضحك ضيوفه. . وهذا أقصى ما كان يجرى فى تلك الحفلات!

* * *

وبعد نهاية العرض تعزف الموسيقى داعية الحاضرين إلى الرقص، وكان فاروق يشترك أحيانا فى رقصة أو رقصتين، وإذا لم يرقص ترك حلبة الرقص لمدعويه وانزوى فى أحد جوانب المكان مع إحدى «الأرتستات» الموجودات، أو مع بعض منهن، وانشغل معهن بحديث طويل تكثر فيه القهقهة على مرأى من ضيوفه وعلى مسمع منهم. .

وفى تلك الأثناء، تكون الموسيقى منهمكة بالعزف لنفسها. . لخلو حلبة الرقص من الراقصين والراقصات. . بسبب عدم تحمس أحد منهم للرقص. . للجو البارد الذى يسود الحفلة. . ولعدم وجود راقصين يحسنون الرقص أو يشعرون بنشاط للرقص!

ومن تلك الساعة يبدأ ضجر الضيوف، ويبدأ التثاؤب. .

ثم يشعر الجميع بالجوع ويتساءلون همسا متى يُدعون إلى الأكل. . لأنه كان لابد من انتظار أمر الملك. .

وكان فاروق لا يصدر أمره بفتح«البوفيه» إلا إذا شعر هو بأنه جائع، فكان على الجميع أن «يضبطوا» شهيتهم على شهيته. . وأن ينتظروا. . متذرعين بالصبر ومتظاهرين بالسرور والحبور!

وأخيرًا، كان يشفق عليهم ويأمر بفتح أبواب قاعة الأكل. . .

* * *

وبعد انتهاء العشاء كانت موسيقى الرقص تستأنف عزفها . .

ولكن لا حياة لمن تنادى!

ويتمنى الجميع ساعتئذ أن يقال لهم : أنتم أحرار فانصرفوا . .

غير أن فاروق كان لا يشعر بالنعاس إلا فى الهزيع الأخير من الليل . .

فلا سماح إذن بالانصراف !

ويعود هو إلى حديثه مع الضيفة التى يخصها بعنايته فى هذه الليلة ، أو مع «الأرتستات» اللواتى كان يحادثهن قبل العشاء ، ويدعو واحدا أو اثنين من أخصائه إلى الانضمام إلى حلقته . .

بينما يكون سائر المدعوين باذلين الجهود فى مقاومة ضجرهم ، وإخفاء تثاؤبهم ، والتغلب على نعاسهم!

ولايلبث النعاس أن يغشى أفراد «الأوركسترا» بدورهم ، فتفتر الموسيقى ، ويزداد الجو «برودة» وصقيعا ! . .

ويقول أحد الحاضرين : أنا عندى غدا عمل مهم فى ساعة مبكرة . .

أو : إنى أشعر بتعب شديد وسأستأذن بالانصراف . .

وينهض ، ويتجه إلى فاروق ، ويخافته بما يريد قوله ، فإذا أذن له بالانصراف أمره بالبقاء فترة أخرى على أن «ينسحب» بعد ذلك فى هدوء ومن غير أن يلفت إليه الأنظار ، حتى لا يحث الآخرين على الاقتداء به . .

فإذا لمحه الحاضرون منصرفا ودّعوه بنظرات الحسد!

الحسد . . لأنه منصرف . . بينما هم باقون!

ويقولون فيما بينهم : ليتنا كنا منصرفين معه! . . .

ويحاول آخر بعد قليل أن يحذو حذوه ، فلا يكاد فاروق مقبلا نحوه حتى يقول له : ارجع مكانك . . مفيش مرواح قبل الساعة كذا . .

ويسمع الجميع هذا الأمر واجمين . .

ولا يتحرك أحد من مكانه . . فى انتظار ساعة الخلاص والفرج!

ويسود الجو سكون تام . . حتى النساء يصمتن!

وينظر كل واحد إلى ساعته خلسة . .

ولا يخفى على فاروق شيء من هذا كله!

ولكنه لا يبالى بما هم عليه مادام هو منشرحًا فى جلسته، مرتاحا إلى أحاديثه . .

كأنه دعاهم ليرهقهم ويعاقبهم!

ويزداد جو المكان «برودة» . . ويزداد الحاضرون نعاسا!

وفجأة يقول فاروق: والآن انصراف . . .

وبحركة واحدة ينهضون جميعا!

ويتزاحمون حول جلالته شاكرين له عطفه ودعوته الكريمة، ومرددين ما يقوله أولهم عن جمال الحفلة ورونقها!

ثم يهرعون إلى سياراتهم بسرعة البرق . .

ويقول بعض منهم: ياخسارة اللبس والتعب!

ويقول آخرون: يا خسارة الفلوس اللى انصرفت على الحفلة!

ويقول فريق ثالث: الحمد لله على أنه ليست هناك حفلة أخرى قريبا!

ذلك كان «جَوّ» الحفلات الخاصة التى كان فاروق يقيمها!!

ولم يكن عددها يجاوز أربعا أو خمسا فى السنة . . .

* * *

ولم تكن الحفلات الخاصة التى تقام له فى دور بعض أصدقائه لتختلف كثيرا عن الحفلات الخاصة التى كان يقيمها فى قصوره الخصوصية، ولم يكن عددها ليزيد كذلك على ثلاث أو أربع طول السنة، وكان فاروق يراجع بنفسه قائمة أسماء الذين يراد دعوتهم إليها ويجرى فيها التعديلات التى تخطر له بشأنها . .

على أن هذه الحفلات كانت عادة أكثر «حياة» وبهجة من حفلاته، لما كان أصحابها

يبذلون من جهد فى هذا السبيل، وللحرية التى كان المدعوون يتمتعون بها «نسبيا» وإن قيدوا بقيود لابد منها؛ كأن لا يُشرع فى الرقص إلا إذا رقص هو أو سمح به دون أن يشترك فيه، وكأن لا يذوق أحد طعاما علنا إلا عندما يشرف هو المائدة أو «البوفيه» (المقصف).

وفى الحفلات الخاصة التى كانت تقام عند أصدقائه كان يبدو أكثر تساهلا إن أراد بعض المدعوين الانصراف قبله، بشرط أن ينصرفوا بدون أن يراهم، أما الذين كانت صلتهم به وثيقة فكان عليهم أن يستأذنوا بالانصراف، فيعارضهم أحيانا ويوافقهم أخرى، حسب حالة مزاجه فى تلك اللحظة . . .

* * *

ولما وقع فى أسر القمار فى السنوات الأخيرة لحكمه، كانت الحفلات الخاصة التى يقيمها أو التى تقام له تنتهى حول الموائد الخضراء، فلا يمكث فيها من المدعوين إلا الراغبون فى اللعب من تلقاء أنفسهم، أو المضطرون إلى ذلك بأمر منه . . فيعكف على اللعب حتى الفجر!

وكان يطيب له أحيانا مدّ جلسته، وتناول الإفطار فى المكان نفسه، فلا ينصرف قبل الساعة التاسعة صباحا أو العاشرة، بين دهشة الجيران واستغرابهم!

وكان له فى حفلاته الخاصة وجلساته الخصوصية مداعبات معينة لا تتغير على مر الأيام، والوصف الوحيد اللائق بها تؤديه كلمة واحدة، وهى كلمة «صبيانية»، فقد كانت كلها «مداعبات صبيانية» لا أكثر . .

كان يمد رجله بينما يكون أحدهم مارًا أمامه بقصد أن يعثره، فإذا فعل قهقه ضاحكا مغتبطا بنجاح حركته . . وكان بعضهم يعرفون عنه ذلك ويتوقعون دائما هذه المداعبة، فإذا أقدم عليها تظاهروا بأنهم «تكعبلوا» فعلا وكادوا يهوون على الأرض . . فتتعالى قهقهته دلالة على فرحه ومرحه! . .

أو كان يتسلى بتركيز عود من الكبريت على علبته ثم يطلقه مشتعلا فى اتجاه الشخص الذى يروم مداعبته، «فيقفز» هذا من مكانه مهرولا . وكلما ازداد مظهره فزعا وانزعاجا ازداد فاروق اغتباطا وإمعانا فى مداعبته! . .

وولع فى وقت ما بمس المرأة التى يداعبها بسيجاره، إما فى ذراعها أو فى صدرها . . ومن حسن الحظ أن ولعه بهذا «الهزار» كان قصير الأمد ثم أقلع عنه! . .

أو كأن يزين عروة سترته بوردة صناعية تخفى إناء صغيرا يحتوى على ماء ويتصل بجيب السترة بحبل قصير، فإذا دنا منه أحد ليبدى له إعجابه بالوردة، أطلق الماء فى وجهه بتحريك الحبل من جيبه! . .

أو كأن يشهر «مسدسًا» يشبه بشكله المسدسات العادية وهو فى الحقيقة «لعبة» امتلأت ماء «فيرش» به وجوه الذين يحب أن يمازحهم! . .

أو كأن يقذف بعضهم بما بقى فى كوبته من ماء بعد شربه منها! . .

أو كأن يتظاهر بأن فى يده «صرصارًا» وأنه سيضعه على رقبة إحدى السيدات . . فيسرعن جميعا إلى الابتعاد عنه وهن يبالغن طبعا فى إبداء اضطرابهن وخوفهن . . وهو من جهته غارق فى الضحك والقهقهة لمنظرهن! . .

تلك كانت أشهر مداعباته!

وكان يضع على الأرض عند مدخل «الصالون» فى الجناح الخاص به فى قصر القبة حية صناعية كبيرة، حتى إذا تعثر بها زائر وظهر عليه أمارات الانزعاج والارتباك، انبسطت أسارير وجهه ورددت جوانب الحجرة صدى قهقهته! . . .

ومن المداعبات التى عرفت عنه أنه كان يأمر بجلب علبة خاوية من علب «الكرتون» الكبيرة التى يضع فيها محل «جروبى» الكعك الكبير (التورتة)، ويملؤها ضفادع ويرسلها مع رسول خاص إلى الصديق الذى يريد مداعبته على أنها هدية منه إليه . . حتى إذا فتحها بدون أن يفطن إلى سرّها قفزت منها الضفادع وانتشرت فى أرجاء البيت! . . .

* * *

وقد يسألنى القارئ: وكيف كانت حفلات فاروق الخاصة بعد زواجه من ناريمان؟ وأبادر فأقول : إنها ظلت كما كانت دون أقل تغيير أو تبديل!

ومن ذلك أنه بمناسبة عيد الميلاد الملكى فى ١١ فبراير سنة ١٩٥٢ دعا فاروق وناريمان نحو ثلاثين شخصا من أقاربهما وأخصائهما إلى مأدبة غداء فى اليخت الملكى «قاصد خير» - وكان راسيًا فى الجزيرة فى الجهة المقابلة لفندق «سميراميس» - وكان فى مقدمة المدعوين الأميرات الشقيقات الثلاثة : فوزية وفائزة وفائقة، وأزواجهن . . .

وكان قد قيل للمدعوين إنهم مدعوون بعد ذلك إلى شرب الشاى فى قصر «الطاهرة»، ثم إلى العشاء فى القصر نفسه . .

ولكن بدلا من أن يبدأ الغداء الساعة الواحدة أو الساعة الواحدة والنصف، لم يأمر به فاروق إلا قبل الساعة الثالثة بقليل! ولما انتهت المأدبة لم يسمح فاروق للمدعوين بالانصراف إلا فى الساعة الخامسة، فلم يكن من المعقول أن يذهبوا إلى قصر الطاهرة رأسًا لتناول الشاى . . فوافق جلالته على أن يقصدوا إلى منازلهم ويغيروا ملابسهم، على أن يكونوا فى قصر «الطاهرة» فى السابعة تماما!

* * *

وفى الساعة السابعة والنصف كنا جميعا مجتمعين فى قصر «الطاهرة» ماعدا فاروق وناريمان!

وقيل إنهما سيحضران فى الساعة الثامنة . . . ولكنهما لم يحضرا!

وانتصفت الساعة التاسعة ولما يحضرا بعد!

ودقت الساعة الكبيرة تسع دقات . . ولم يظهر ما يؤذن بقرب حضورهما!

وأخيرا أقبلا فى الساعة التاسعة والنصف!

وكان الضجر قد استولى على المدعوين فى أثناء تينك الساعتين، زيادة على التعب الذى كانوا يشعرون به بعد اليوم الذى أمضوه على ظهر اليخت، وقد خفّوا إلى قصر «الطاهرة» من غير أن يستريحوا دقيقة واحدة؛ احتراما منهم للموعد الذى عيِّن لهم!

وما كاد فاروق وناريمان يفرغان من مصافحة الحاضرين ويستريحان قليلا حتى أمر فاروق بفتح أبواب قاعة الأكل . . .

وتوهم المدعوون أنهم سيتعشون، فاغتبطوا، لا لأنهم كانوا يشعرون بجوع، بل لأنهم ظنوا أن ذلك دليل على أن السهرة لن تطول بعد العشاء . . .

فإذا «فرحتهم» لا تدوم أكثر من دقيقتين! . . .

لأنه لما دخلوا قاعة الأكل استبان لهم أنهم سيتناولون الشاى!!

الشاى المؤجل من الساعة الخامسة! . . .

وبعد الشاى عاد فاروق وناريمان إلى البهو الكبير وتصدراه، وانتشر المدعوون حولهما من الجانبين. . .

وساد جو الحفلة «البرودة» التقليدية. . .

وأحس فاروق بذلك فأمر بأن يبدأ العرض فورا!

ولما جاء دور الرقص الشرقى قال للراقصة كعادته «انزلى»

ثم قال لها : «داعبى فلانا»! . . .

وضحك، فانطلقت ضحكة من هنا، وضحكة من هناك. . .

وانتهى العرض، وأخذت «الأوركسترا» تعزف ألحانا للرقص. . .

ونهض فاروق فراقص ناريمان، ثم راقص سيدة من المدعوات مرة، وجلس . . .

ورقصت ناريمان مرة أخرى مع إلهامى حسين«باشا» . . .

ورقص بعض الحاضرين مرة أو مرتين. . .

ثم لم يتحرك أحد، فكانت الموسيقى تعزف للجدران!

ولاحظ فاروق التعب البادى على وجوه معظم الحاضرين، فنظر إلى ساعته. .

وتبادر إلى الأذهان أنه سيقول: انصراف! . . .

فإذا هو يقول: والآن العشاء !

ودخلنا قاعة الأكل، فكان هو وحده الذى أكل فعلا!

أما أغلب المدعوين فتظاهروا بأنهم يأكلون! . . .

وقطع فاروق «كعكة العيد» . . . ونفخ فى الشمع . . . وصفق الحاضرون. . وشرع أحدهم فى إنشاد الأنشودة الشائعة عند الإنجليز فى هذه المناسبة، ومطلعها«هابى برثداى» (أى عيد ميلاد سعيد) فلم يرتفع سوى صوتين أو ثلاثة بالغناء معه، فقد كان الآخرون شبيهين «بالمسطولين» ! . . .

وعاد فاروق وناريمان إلى مكانهما فى صدر البهو الكبير . . .

ولم يتبعهما سوى بعض المدعوين. . .

أما الآخرون فاحتشدوا فى الحجرة الصغيرة التى بين قاعة الأكل والبهو الكبير، وظلوا واقفين كأنهم أرادوا أن يفهموا فاروق أنهم يلتمسون الانصراف ليأووا إلى فراشهم!

وحاولت الموسيقى أن تحيى الجو . . وأن تنقذ الموقف . .

وعزفت أدوار الرقص الواحد تلو الآخر . . فلم تظهر على الحلبة قدم واحدة!

والتفت فاروق إلى المحتشدين فى الحجرة الصغيرة وسألهم عما بهم؟ . . .

فقال أحدهم مجازفا: نعسانين يا مولانا وتعبانين! . . .

فتظاهر فاروق بأنه لم يسمع . . .

واستمر ينصت إلى الموسيقى نحو ربع ساعة، ثم أيقن ألا فائدة من العناد، فالجالسون حوله لا يتكلمون ولا يتحركون، والمحتشدون فى الحجرة الصغيرة لا يتكلمون ولا يتحركون، والموسيقى تعزف بلا جدوى، فلا أحد يرقص ولا أحد يتحرك . . . فنهض، ونهضت ناريمان فى إثره!

وكان نهوضهما إيذانا بانتهاء الحفلة . . الباهرة!

* * *

ودعيت «المجموعة» نفسها بعد شهرين إلى قضاء يوم «شم النسيم» على اليخت الملكى «محروسة» بالإسكندرية . . .

وقيل للمدعوين إن فى استطاعتهم أن يقضوا ليلة العيد فى اليخت، إن أحبوا ذلك . . أو أن يحضروا إليه فى الصباح رأسا . . «فالمهم» هو أن يكون الجميع على ظهر اليخت فى «ساعة مبكرة» لأجل الإفطار التقليدى . . بالفسيخ والفول والبصل! . .

وتضاربت الآراء فى تفسير المقصود بساعة مبكرة، فقال بعضهم إنها السابعة، وقال فريق آخر إنها الثامنة، وقال فريق ثالث إنها التاسعة . .

ولاعتقادى أننى «ذو خبرة» أكثر من غيرى فى مواعيد هذا النوع من الدعوات وصلت إلى اليخت مع زوجتى فى الساعة التاسعة والنصف، وكنا قد آثرنا المبيت فى الفندق، فألفينا المدعوين جميعا متراصين على ظهر اليخت، وأنظارهم متجهة إلى الباب الذى سيدخل منه الملك والملكة . .

ولامنا بعض منهم على تأخيرنا!

وكان الخدم قد مدّوا مائدة طويلة حوت جميع «لوازم» إفطار شم النسيم، بالإضافة إلى طعام الإفطار الاعتيادى، ووقفوا إلى جانبها ينتظرون تشريف صاحبى الجلالة أسوة بالضيوف . . .

وأزفت الساعة العاشرة ولما يظهر الملك! ولا الملكة طبعا . . .

وشعر المدعوون بالجوع . . فأخذوا يسرحون الطرف فى المائدة «ليصبروا» أنفسهم بمنظر ما عليها من مشهيات . . .

ودقت الساعة الحادية عشرة . . . ولا أثر للملك . . ولا للملكة!

وعندئذ ابتدأ «الخطف» . . هذا يخطف «هلالا» (كرواسان) . . وذاك يخطف قطعة من الكعك . . وثالث يخطف بيضة مسلوقة . . ورابع يخطف قطعة من الجبنة . . وتجلد بعضهم فلم يحذوا حذو الخاطفين . . وكان كل واحد من هؤلاء «يهرب» بما خطفه ويتوارى عن الأنظار لئلا يفاجئه فاروق والطعام فى فمه! . . .

وحلّ الظهر . . والإفطار ينتظر . . والمدعوون ينتظرون . . والخدم ينتظرون! . .

وأخيرا . . .

وفى نحو الساعة الواحدة بعد الظهر . . أقبل فاروق بملابس «سبور» وحيًّا الحاضرين تحية إجمالية بقوله: كل عام وأنتم بخير . . أنا متأسف للتأخير ولكن الواقع أننى نمت أكثر مما كنت أنتظر! . .

والتفت إلى المائدة وقال: وأظن أن وقت الفطور قد فات وأنه يحسن أن نجعل الفطور والغداء «مع بعض» ! . . .

فقال الجميع طبعا: هذه أحسن فكرة يا مولانا! . .

فقال للخدم: شيلوا كل الأكل اللى ما ينفعش مع الغدا وخللوا اللى ينفع معاه . .

وبادر الخدم إلى تنفيذ الأمر . . .

وكان هناك برميل كبير مملوء «بيرة» وله حنفية صغيرة، وقد جىء به خصيصا لهذه المناسبة فأمر فاروق بكوبة لكل من يريد أن يشرب منها . .

وهكذا شرب أغلبهم «البيرة» على «الريق» !

وبعد الساعة الواحدة بقليل أقبلت «ناريمان» فتكررت التحيات . . .

و«عكنن» فاروق على شقيقته فائزة بأن قال لها إن الملابس«السبور» التى تلبسها «مش حلوة» . .

فقالت له باسمة : إنها من «كابرى» ! . . .

فقال لها : «برضه مش حلوة» !

وفى الساعة الثانية سأل فاروق ضيوفه هل هم مستعدون للغداء ؟! . .

وخشوا هذه المرة أن «يلضم» الغداء مع الشاى ، فأجابوا على الفور قائلين : مستعدين يا أفندم ! . . .

وأمر بالغداء ، وفى الساعة الثانية والنصف جلس الجميع إلى المائدة . . .

وكان بعضهم لم يذق طعاما من الليلة السابقة !

* * *

وبعد الغداء دعا فاروق بعض ضيوفه إلى «برتيتة» صغيرة وجلس يلعب معهم . .

ونظم آخرون «طاولتين» بالقرب من «طاولته» . . .

واستمرت «البرتيتة» الصغيرة نحو ست ساعات متواصلة !

ولم يفك فاروق أسر الذين كانوا يلعبون معه إلا فى الساعة التاسعة ! . .

وظن بعضهم أنه سيستريح قليلا استعدادا للعشاء . . .

فإذا هم يسمعونه يقول : سأذهب بعد قليل إلى نادى السيارات ومعى «ناريمان» ، فمن يشاء المجىء معنا فليتفضل ، ومن يشاء العشاء هنا فى اليخت فله ذلك ، ولكن فلان وفلان وفلان وفلانة وفلانة يجب أن يذهبوا إلى النادى معنا !

ولم يشملنى الأمر رأفة بصحتى ولأننى لم أكن يومئذ موضع «الرضاء التام» ، فعدت وزوجتى إلى الفندق . . .

وذهب فاروق وناريمان إلى نادى السيارات فى «سيدى بشر» ، فبلغاه بعد الساعة الحادية عشرة ومعهما الذين اضطروا إلى مرافقتهما «بالأمر» فتعشوا هناك !

وترك صاحبا الجلالة سائر ضيوفهما يتعشون فى اليخت وحدهم ! !

الباب الرابع

- الطاغية
- القمار
- فى حياته الرسمية
- مغامراته النسائية

الطـاغيـة

لم يكن فاروق طاغية كما قيل عنه!

ومن المؤكد أن الذين لقبوه بطاغية لم يعرفوه على حقيقته . .

وإلا ما سموه طاغية!

ولكنهم بنوا حكمـهم على بعض «المظاهر» وعلى بعض الإشـاعـات والروايات، فوصفوه بالطاغية . . .

وكانوا قد وصفوه قبلا بأنه «زئر نساء»!

في حين أن طبيعته وأخلاقه وتصرفاته كانت بعيدة، وبعيدة جدا، عن طبيعة الطغاة وأخلاقهم وتصرفاتهم . .

كان ذا شذوذ، وذا نزعات، وذا نزوات . .

وكان غريب الأطوار، والحركات، والتصرفات . .

وكان عنيدا، وكان عناده يولد أحيانا مشكلات . .

وكان مستهترا، ولكن ليس كاستهتار الطغاة . .

وكان يظلم في بعض الأوقات، ولكن ظلمه لم يكن من نوع ظلم الطغاة . . .

وكان مستبدا برأيه في كثير من المناسبات، ولكن شتان بينه وبين استبداد الطغاة . .

فقد كان في الحقيقة «أضعف» جدا من أن يكون طاغية!

كان في الحقيقة «يخاف» ! . .

وكان «خوفه» يبلغ في بعض الظروف درجة «الجبن» !

كان «يحسب حساب» الخطر إذا لمح خطرا حقيقيا!

وكان «ينكمش» ويتوارى ويتقهقر إذا تبين له أن الظروف المعاكسة جدية . . ويرضى الهزيمة والهوان بسهولة وبساطة!

فرجل هذه طبيعته، وهذه أخلاقه، وهذه أحواله، هل يلقب بطاغية؟!

إذن من أين جاء هذا الوصف، وكيف نشأت هذه السمعة؟ . . .

وهنا يبدو لى أن القارئ سيضيف دهشة جديدة إلى «دهشاته» السابقة متى قلت له إن فاروق نفسه هو الذى وضع الأساس الذى قام عليه صيته بأنه طاغية! . .

ولم يضعه بأعماله وأفعاله . .

وإنما وضعه «بلسانه» . . وببعض «المظاهر»!

كان يجلس فى جماعة من صحبه، ويتجاذب معهم أطراف الحديث فى شئون شتى، حتى إذا دار الحديث على موضوع نسائى التفت إلى أحد رجاله وقال له - كأنه يخاطبه وحده، أو كأنهما جالسان وحدهما: هل تذكر فلانة(ويذكر اسما خياليا).

ويبتسم الرجل تأدبا وطاعة . . .

ويفسر الحاضرون ابتسامته بأنها تزكية وتأييد . .

ويمضى فاروق فى كلامه إليه فيقول: أظن أنها، حيث هى الآن، قد صمتت إلى الأبد! . .

ويسكت الرجل مكتفيا بهزات من رأسه لا يملك غيرها . . وهنا أيضا يفسرها الجالسون بأنها موافقة وتوكيد . . ويستخرجون من الأقوال التى سمعوها والحركات التى شاهدوها أن فاروق يتكلم عن امرأة كانت على علاقة به، ولم تكتم سرها؛ فقتلها تخلصا منها، أو على الأقل سجنها ليستريح من شر لسانها!

فى حين أن القصة كلها من صنع الخيال ووحى اللحظة! . . .

وكان فاروق يخترع هذه الأقاصيص ويبتكرها عندما يبلغه أن خليلة سابقة تطلق لسانها فى حقه، فينشر هذه الخرافة لتصل إلى سمعها بدورها لعلها تفزعها فتمسك عن الكلام!

أو كان يقول مخاطبا جاره، كأنهما وحدهما ولكن بصوت يسمعه سائر الجالسين معهما: هل تذكر ماذا كان مصير فلانة؟ . .

ويذكر اسما آخر . . لا أصل له

ويفسر الحاضرون ابتسامته بأنه تذكَّر الحادث الذى يشير إليه فاروق!

ويستأنف فاروق حديثه فيقول: حقيقة أن البئر القريبة من قصر «المنتزه» قد خدمتنا خدمة عظيمة!

فيتسلط على أذهان السامعين أن عند الملك بئرا خفية يلقى فى أعماقها بعض النساء اللواتى لا يروقه مسلكهن!

وكان الذين يعرفونه معرفة جيدة هم وحدهم الذين يفطنون إلى أنها رواية ملفقة من أساسها . . وأنها ليست سوى أسطورة يأمل أن تبلغ مسامع بعض النساء المترددات، لعلهن يحققن لهن مأربه عندهن!

أما الذين كانوا يسمعون تلك الأقاصيص ويصدقونها، فكانوا يتناقلونها ويذيعونها، فلا تلبث أن تنتشر فى مختلف الأوساط والمجتمعات، مخلفة فى كل مكان أسوأ الأثر وأخطره!

* * *

ولعل القصة التى سأرويها للقارئ فى السطور التالية أصدقُ مثل على ما اتصف به فاروق من تخاذل واستكانة . .

فمن المعروف أنه كان يكره وحيد يسرى «باشا» كرها شديدا . .

وكثيرا ما سمعناه يقول عنه إنه عدوه الشخصى اللدود!

وكانت الملكة السابقة فريدة صديقة حميمة «للأميرة» قدرية حسين قرينة وحيد يسرى وتكثر من التردد عليها فى دارها بالزمالك . .

فلما نشأ الخلاف بين فاروق وفريدة، استمرت فى زيارة قدرية حسين، ضاربة عرض الحائط بكراهيته لوحيد يسرى!

بل خيل إلينا أنها تكثر من زيارتها نكاية فيه وإغاظة له!

وأمر فاروق فى ذلك الحين بإحاطة دار وحيد يسرى بمراقبة دائمة ليعرف أسماء الذين يترددون عليها . . وكان وحيد يسرى قد اتصل بالوفديين . . وكانت الخصومة بين القصر والوفد على أشدها فى ذاك الوقت!

وفى كل يوم كان البوليس يرفع إلى فاروق بيانا بأسماء الذين دخلوا دار وحيد يسرى فى اليوم السابق . . فكان يندر أن ينقضى يومان أو ثلاثة أيام بدون أن يجىء فى هذا البيان أو التقرير أن السيارة رقم كذا دخلت الدار ساعة كذا مساء وانصرفت ساعة كذا! . .

وكان البوليس فيما يتعلق بهذه السيارة بالذات يكتفى بتدوين رقمها بالحبر الأحمر، حتى لا يذكر أنها السيارة الخاصة «لجلالة الملكة» . . وكان فاروق إذا ألقى نظرة سريعة على التقرير ورأى رقما بالحبر الأحمر، أدرك فورا أن المقصود به سيارة زوجته الملكة!

فماذا كان يصنع حينما كان يطلع على تلك التقارير، ويعثر فيها على الرقم المكتوب بالحبر الأحمر؟ . .

ماذا كان يصنع «الطاغية» ؟ . .

كان «يأخذ علما» بمضمون التقرير، ثم يطرحه ويأمر «بحفظه»!

وكنت تراه إثر ذلك عميق الشعور بالألم، يطوى جوانحه على الكمد والمرارة، ولكنه كان أعجز من أن يصنع شيئا! . . .

هذا هو الطاغية!

* * *

ودخل نادى السيارات يوما وسأل صحبه عن الأخبار، فقال أحدهم إنه جاء فى التلغرافات أنهم عثروا على «مارتن بورمان» مساعد هتلر متنكرا بزى راهب فى أحد أديرة إيطاليا . .

فقال جادا : مارتن بورمان . . لقد اجتمعت به سرا بعد الحرب مباشرة!

وكان إلياس أندراوس «باشا» جالسا بجانبه، فقال له مستغربا : مولانا شاف مارتن بورمان؟ فتصنع الدهشة لاستغرابه وقال له : ألم تكن تعلم ذلك يا أندراوس . . كنت أعتقد أن كريم ثابت حدثك عن ذلك، فإنه هو الذى جمعنى به بعد الحرب مباشرة . . ثم اختفى!

وكأنما أراد أن يؤكد له الرواية، فقال: وأنت تعرف أن كريم ثابت قابل هتلر . .

وفى الغد سألنى أندراوس، هل عرفت مارتن بورمان؟

فقلت له: لا . . . فإنى لما قابلت هتلر فى سنة ١٩٣٣ لم أعرف من مساعديه سوى«رودولف هيس» .

فقال: ألم تجتمع بمارتن بورمان بعد الحرب؟

فقلت: طبعا لا . . . ولكن لماذا كل هذا الاهتمام بمارتن بورمان؟

فحدثنى عما دار فى نادى السيارات فى الليلة السابقة . .

فضحكت وقلت له: حتى أنت يا أندراوس بعد كل معرفتك له تنطلى عليك هذه الأساطير! . .

فقال: لما ذكر أنك قابلت هتلر ـ وكنت أعرف أنك قابلته ـ قلت يمكن عرفت مارتن بورمان أيضا، فلما انتهت الحرب جاءك باعتبارك متصلا بالملك . . .

فقلت: إذا كانت المخابرات الإنجليزية والأمريكية والفرنسية والإيطالية لا تعرف مقر مارتن بورمان، ولم تهتد إليه بعد، فهل يعقل أن أكون أنا قد اجتمعت به بعد الحرب، وأن أكون قد أوصلته إلى الملك؟!

فقال: ولكن كيف يقول مثل هذا الكلام أمام جماعة من الناس . . لنفرض هذا الكلام وصل إلى الإنجليز والأمريكان . .

فقلت: سيضحكون له! . .

وفى مرة أخرى، وفى نادى السيارات أيضا، سمع أحدهم يروى خبرا قرأه فى الصحف، وكان عن اختفاء معلم فى حلوان . .

فأطرق لحظة، ثم قال كأنه يخاطب نفسه: إنهم «سيتعبون» فى العثور عليه! . .

وبالله ماذا كان يخطر لك لو كنت جالسا فى تلك الجماعة وسمعت الملك يقول هذا الكلام؟! . .

كان أقل ما يخطر لك أنه يعلم كيف اختفى الرجل ويعلم مصيره . . وإلا ما قال إنهم «سيتعبون» فى العثور عليه!

هذا إن لم يخطر لك أن الملك نفسه هو «سبب» اختفائه، وأنه لذلك واثق من أنهم لن يعثروا عليه!

ولا يمكن، بحال ما، أن يخطر لك أن الملك الذى صدرت عنه تلك العبارة لم يكن يعرف عن هذا الخبر شيئا حتى دخوله النادى وسماع حديث صحبه عنه! . .

ولماذا كان يفعل ذلك؟ . . كان يفعله ليقال عنه إنه «يعرف كيف يتخلص من الذين يضايقونه»!

وكانت الألسن تتناقل أقواله طبعا!

فإذا نشرت الصحف بعد أيام أنهم عثروا على جثة الرجل، وأن التحقيق أثبت أنه مات منتحرا، لم يجرؤ أحد طبعا على سؤال الملك فى ذلك عند قدومه إلى النادى . . ولم يعن أحد من صحبه بالتعليق على العثور وعلى ما أظهره التحقيق والكشف الطبى! . . وبذلك يظل شىء واحد عالقا بالأذهان، وهو ماقاله فاروق بلسانه: « سيتعبون» فى العثور عليه!

* * *

وكان فاروق فى نادى السيارات لما نقلوا إليه نبأ الاعتداء على الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين . . فعلق عليه بقوله: إن هذا مصير «كل رأس يرتفع أكثر من اللزوم»! . . .

وقد اعترف لى فيما بعد أنه كان لا يعلم شيئا عن الاعتداء حتى تلك اللحظة!

فلا هو كان يعلم أن فى نية بعضهم الاعتداء على الشيخ حسن البنا . .

ولا هو كان يعلم أن اعتداءً ما سيقع فى تلك الليلة . .

ولكن لما أبلغوه النبأ رأى بعقليته - التى وصفتها - أن «يستغله» أمام الجالسين معه «ليزدادوا تقديرا لقوته»! . . كما رأى أن «يستغل» الخبر الخاص «بمارتن بورمان» ليظهر لهم أنه يعرف ما لا تعرفه المخابرات الإنجليزية والأمريكية!

ومن هنا نشأت فكرة أنه كان مشتركا فى الاعتداء الذى ذهب الشيخ حسن البنا ضحيته، أو أنه كان على الأقل عالما به مقدما!

ومما عزز هذه الفكرة أنه اتصل ساعتئذ ببعض أصدقائه تلفونيا، وردد لهم النبأ فرحا، كما قال غير واحد منهم!

وكانت هذه عادته دائما إذا نمى إليه خبر مهم وخطير . . كان يهرع إلى التليفون ليكون «أول» من ينبىء به أخصاءه ، كأنه يروم أن يقول لهم : لا تظنوا أننى ألهو ، فأنا أول من علم ما أخبركم به ! . .

وكان من الطبيعى أن يكون من أوائل الذين يعلمون . . فقد كان عند البوليس الخاص أمر منه بأن يبلغوه فورا نبأ كل حادث مهم أو خطير ، وكان المسئولون فى وزارة الداخلية على اتصال دائم بالبوليس الخاص فى هذا الصدد . .

* * *

وقيل إنه كان طاغية لأنه كان يتحكم فى مصير الوزارات !

والحقيقة ، أنه لم يكن يتحكم فى الوزارات لأنه طاغية ، بل لأن الوزارات والأحزاب والبرلمانات كانت تقبل هذا التحكم ، وتذعن له ، وتسكت عليه ! . . .

وقيل إنه كان طاغية لأنه كان يفرض مشيئته على الحكومة فى شئون كثيرة . .

والحقيقة أنه لم يكن يفرض عليها مشيئة لأنه طاغية ، بل لأنه كان يأنس منها استعدادا للخضوع والخنوع ، ولأن التجارب علمته وأثبتت له أنه يستطيع أن يفرض عليها مشيئته !

وقيل إنه كان طاغية لأنه كان يتدخل فى التعيينات والترقيات والتنقلات الحكومية . . .

والحقيقة أنه لم يكن يتدخل فيها لأنه طاغية ، بل لأن الوزارات رضيت بهذا التدخل وسلمت به منذ عهد والده ، فأصبح تقليدا !

وقيل إنه كان طاغية لأنه ضمَّ إلى الخاصة الملكية «تفاتيش» كانت تتبع وزارة الأوقاف . .

والحقيقة أن تلك «التفاتيش» لم تضم إلى الخاصة الملكية أو إلى الأوقاف الملكية لأنه كان طاغية ، بل ضمت إليها لأنه قيل له : اطلب ذلك يكن لك ما تريد ! . . فلما جرّب وطلب كان له ما أراد ، فاستمرأ الحال وطلب مرة أخرى !

وقيل إنه كان طاغية لأنه كان «يطرد» الوزارات ويقيلها حسب هواه . . .

والحقيقة أنه لم يكن يطرد الوزارات ولم يكن يقيلها لأنه طاغية ، بل كان يطردها ويقيلها لأنها كانت تقبل الطرد والإقالة ، ولأن الوزارة الجديدة كانت تقف بالباب

والوزارة المطرودة لم تخرج من الباب بعد، ولأنه لم يقم فى البلاد حزب واحد يقول له: أريد أن أعرف لماذا طردت الوزارة السابقة قبل أن أقبل أنا تولى الحكم! . . .

لم يكن يطرد الوزارات ويقيلها لأنه كان طاغية، بل لأنه كان يعلم أنه سيجد حتما الوزارة الجديدة التى تقبل الحكم، وتسعى إليه، وتكيل له عبارات الحمد والثناء، وآيات التمجيد والإطراء!

لم يكن يطرد الوزارات ويقيلها لأنه طاغية، بل لأنه كان واثقا من أنه إذا دعا غداً الوزارة التى طردها اليوم، هرعت إلى تلبية دعوته وهرولت!

لم يكن فاروق طاغية. . ولكن إزاء هذا الضعف والتهافت على كراسى الحكم من جانب الأحزاب، استشعر فاروق القوة والجبروت. . وظهر بمظهر الطاغية!

وكانت الوزارات التى تتولى الحكم تستخذى، وتنفخ فى ضعفه بتهالكها، فإذا ضعفه ينقلب قوة. . وشموخا. . وتدخلا فى كل كبيرة وصغيرة. . ومن هنا كان الطغيان!

وأستطيع أن أؤكد وأنا مستريح الضمير أنه لو أظهرت أى حكومة شيئا من القوة والصمود فى وجهه لكان تراجعه أمرا محققا. . فقد كان الخوف والوجل جزءا من طبيعته. . ولكنه لم يجد الحكومة التى تعانده وتقاومه، وتصمد له وتعامله هذه المعاملة!

وقد أوردت فى مذكراتى السياسية طائفة من الأمثلة الصارخة التى تؤيد ما ذهبت إليه فى الفقرات المتقدمة، وحسبى هنا أن أستعير منها مثالا واحدا، فأشير إلى ما حدث يوم جاء إسماعيل صدقى «باشا» بمشروع «صدقى بيفن» لمعاهدة تعقد بين البلدين بدلا من معاهدة ١٩٣٦ . . فقد ارتاح فاروق إلى هذا المشروع، وأعرب عن استعداده لقبوله، ولكن ما كادت اللجنة القومية ترفضه وما كاد يحس أن فى البلاد موجة قوية (ضد المشروع) وأن هذه الموجة حقيقية، حتى تخلى عن المشروع وترك الوزارة وشأنها. . وقال إنه ملك دستورى!!

ومكث يومئذ أسبوعا لا يخرج من القصر لأن الجو فى العاصمة كان «مكهربا»، ولأنه شعر بأنه «مكهرب» فعلا!

* * *

بل إن فاروق الطاغية لم يكن يعرف كيف يشتم . . .

كـان يعرف بعض الألفاظ العـادية من السبـاب . . يرددها ولا يعـرف سواها ، وكـان يختص بها بعض خدمه الخصوصيين ، أو بعض الأشخاص فى أحاديثه عنهم «غيابيا» . . . أقول غيابيا ، لأنه كان إذا شاء مؤاخذة أحد رجال القصر أو لومه أو تأنيبه ، عمد فى معظم الأحـوال إلى تنفيـذ ذلك «بالواسطة» ، ليـخلص هو من «حـرج» المواجـهـة الشخصية ! . . .

صحيح أنه كان يلمز أحيانا بعض الجالسين فى حضرته من رجال الحكومة والقصر ، ولكنه لم يكن يفعل ذلك لأنه «طاغية» ، بل ليزيدهم خنوعا ما داموا قد قبلوا الخنوع ، وما دامت سوابقه معهم قد نجحت ولم يكن لها عواقب !

ولم أسمع قط أن فاروق «الطاغية» ضرب أحدا . . .

فقد كان معروفا عن الخديو عباس حلمى الثانى مثلا أنه كان يضرب بعض رجاله . . وقرأت فى مذكرات أحمد شفيق «باشا» ـ وكان رئيسا لديوانه ـ أنه ضرب مرة أحد موظفى قصر القبة بالكرباج فى حديقة القصر . . فى اليوم الأول لشهر رمضان المبارك !

ولكنى لم أسمع ـ ولم أر ـ أن يد فاروق تطاولت يوما على أحد بالضرب ، سواء فى داخل القصر أو فى خارجه !

كان يضرب «طربوشا» ليلقيه على الأرض مداعبة لصاحبه !

ولا أعتقد أن هذا النوع من الضرب من خصائص الطغاة أو كان يؤهله لأن يلقب بطاغية !

* * *

وقيل إنه كان يقتل القطط والكلاب . . .

وهذا صحيح !

وظل حتى نزوله عن العرش ورحيله عن مصر مقيما على هذا الشذوذ الذى تجلى فيه منذ حداثته ! وقد لاحظت أنه لم يكن يقدم على ذلك بصورة مستديمة . . مما يدل على أن هذا الشذوذ كان لا «يتحرك» إلا فى حالات عصبية معينة عجزت عن تحديدها أو تعيين أسبابها . .

وكان يعلم أنه يرتكب فعلا قبيحا ومستهجنا، فكان لا يقترفه إلا عندما يكون بعيدا عن أنظار الناس! . . وقد شاهدت حديقة «حلمية بالاس» مقتل قطط كثيرة بيده . .

ومن المعلوم للمترددين على «حلمية بالاس» أن القطط تكثر فى حديقتها، فكان فاروق إذا جلس فى مكان قريب من الناس واقتربت منه قطة، لاطفها وداعبها وربت على رأسها فى رفق وحنو . . .

وإذا جلس فى مكان منعزل بالحديقة، بعيدا عن أنظار الناس، ودنت منه القطة نفسها، أو غيرها، أمسكها من رجليها بطريقة خاصة وأدارها فى الجو عدة مرات حتى تدوخ، ثم ضرب بها أقرب شجرة إليه . . فإما أن تقتل وإما أن تصاب برضوض وكسور . .

ولما اكتشفنا فيه هذا الشذوذ، ورأينا أن الكلام معه بشأنه لا ينفع، أخذنا نعالج الموضوع بطريقة أخرى . . كنا نراقب القطط، فإذا لمحنا قطا ساعيا إلى مائدتنا أبعدناه عنها بجميع الوسائل، لنكفل له السلامة ولنتجنب منظرا من أبشع المناظر!

أما الكلاب فكان لا يقتلها إلا فى وضع معين . .

كان إذا أبصر كلبا نائما فى وسط الطريق، أو على جانب من الطريق، تعمد أن يداهمه بسيارته، وأن يسير بها على جثته . . غير مكترث لصياح الراكبين معه فى السيارة!

وقد حاولت غير مرة أن أجد تفسيرا لهذا الشذوذ فلم أوفق، وكذلك عجزت عن معرفة متى نشأت عنده هذه العادة أو الخصلة القبيحة!

ومن الغريب أنه كان يحتفظ على الدوام بقطتين صغيرتين فى شرفة الجناح الخاص به فى قصر القبة . . فإذا انتقل إلى قصر المنتزه فى فصل الصيف، أخذهما معه وأسكنهما الجناح الخاص به كذلك!

وكان يكثر من ملاعبتهما ومداعبتهما فى لين ورقة وحنان، ولا يمسهما بسوء!

وكنت جالسا يوما فى شرفة قصر القبة، فقفزت إحدى القطتين إلى المقعد الذى جلست عليه، ثم قفزت مرة أخرى واستقرت على ساقى «المعطوبة»، فخفت عليها من مخالبها بعدما غرستها فى ملابسى . . وأنزلتها إلى الأرض بسرعة .

والتفت إلىّ فاروق وقال لى : هل تضايقت منها جدا حتى تعاملها هذه المعاملة؟! . . .

فقلت له : سبحان الله يا أفندم. . بقى اللى عملته أنا «حرام» . . واللى بتعمله جلالتك حلال!

فقال: القطتين دول عايشين فى حماى! . .

فقلت باسما: ومشمولتين «بالرعاية السامية».

فقال : تمام كده!

فقلت : سبحان الله . .

ولم يعجبه كلامى فى ذلك اليوم! . .

لم يعجبه ألا أفهم أنه كان لهاتين القطتين« مركز خاص»!!

فإذا كان ذلك يسمى طغيانا، فقد كان فاروق طاغية! . .

ولكنه على ما أعتقد كان أقرب إلى الشذوذ فى التفكير والانحراف فى الضمير. . منه إلى الطغيان! . .

القمـــــار

امرأة حرضت فاروق على التردد على نادى السيارات لتتباهى أمام صديقاتها بأنه يهواها . . فكانت النتيجة بعد مدة قصيرة ، أن نبذ العشيقة . . وعشق النادى!

وامرأة أخرى علمته «البوكر» لتستهويه ، ولتكون دائما فى صحبته ، فاستهواه مجلس البوكر وأعرض عن المرأة!

وكان قبل ذلك لا يعرف سوى لعبة «السبعة والنصف» وما إليها من ضروب التسلية الشائعة فى كثير من البيوت ، وكان لا يلعبها إلا مع بعض أخصائه وأصدقائه ، ومع بعض خدمه الخصوصيين ، إما فى رحلاته ، أو عند سفره بقطاره بين القاهرة والإسكندرية . . وكان يلعبها لفترات قصيرة ، وبمبالغ صغيرة ، فلا تتجاوز الخسارة جنيهين ، أو ثلاثة جنيهات فى الجلسة مهما طالت . . فإذا كان فى القاهرة أو فى الإسكندرية ، لم يفكر فى اللعب بتاتا إلا إذا ضاقت أمامه سبل التسلية ، ولم يكن ذلك يتفق له إلا نادرا . . .

فلما تعلم «البوكر» وأخذ يتردد على نادى السيارات ليلعبه ، لم ألبث أن لاحظت أن زياراته للنادى تعددت على منوال يستوقف النظر ، وأنه لم يعد يذهب إليه إلا بنية المقامرة ، وأن جميع الدلائل تدل على أنه شغف بالمائدة الخضراء والجلوس إليها!

وقررت يوما أن أخاطبه فى ذلك بصراحة وشجاعة ، فطلبت مقابلته مقابلة خاصة ، فدعانى إلى الجناح الخاص به فى قصر عابدين ، ولما قابلته بادرنى بقوله : يلوح لى أن هناك موضوعا مهما يشغلك فأردت أن تكلمنى فيه الآن ولم تنتظر اجتماعنا فى المساء . .

فقلت له : إن هناك موضوعا مهمّا يشغلنى فعلا يا أفندم ، وهو موضوع «اللعب» وتعلقك به ، وإكثارك من التردد على نادى السيارات لهذا الغرض . . ولا أخفى على جلالتك أننى قلق لسببين ، الأول أننى أخشى أن تتمكن هذه الآفة منك ؛ فلا تستطيع بعد ذلك أن تتحرر منها ، والسبب الثانى أن المجالس أخذت تتحدث عن أنك تذهب إلى النادى بانتظام ، وأنك «تلعب» كل مرة وتمضى ساعات طويلة فى «اللعب»!

فقال: إذا ذهبت إلى الأماكن العامة قالوا إن الملك يمضى لياليه مع النساء و«الأرتستات» فى دور اللهو والأندية الليلية. . فإذا قللت من ارتياد الأماكن العامة واستعضت عنها بنادى السيارات ـ وهو ناد خاص مشمول برعايتى ـ قالوا إننى أكثر من التردد على النادى. فماذا تريدون منى أن أصنع؟ . . . هل تريدون أن أعيش بين أربعة «حيطان» ؟!

فقلت له: إن معالجة شىء لا يكون بتركه لما هو أسوأ منه. . وإذا تعلقت جلالتك بالقمار، ومضيت لياليك حول موائده، فسوف يكون لذلك أسوأ الأثر، لا فى مصر وحدها، بل فى العالم كله. . .

وهذا علاوة على ما يكون له من تأثير ضار فى مولانا نفسه!

فقال: وهل أنت ـ كما تعرفنى ـ تعتقد أن هناك خوفا علىَّ من أن أتعلق بالقمار. . . يظهر أنك لم تعرفنى بعد. . إننى يا صاحبى لا أتعلق بشىء ما تعلقًا يجعلنى أسيرًا له. . وبمجرد أن أشعر أن هناك احتمال خطر علىَّ من ناحيته ـ أنقطع عنه انقطاعًا تامًا. فثق أننى أستطيع أن أنقطع عن القمار فى يوم واحد، كما أستطيع أن أقاطع أية صديقة فى يوم واحد. . اطمئن إذن، واعلم أننى لن أخضع يومًا لأية عادة من العادات!

فقلت له: إننى سعيد بسماع هذا الحديث منه، وإنه لولا ثقتى بقوة إرادته لما خاطبته فى هذا الموضوع، ولكنى رأيت من الواجب علىَّ أن أصارحه، وأنا معتمد على ما يعرفه عن إخلاصى له!

فقال: ولكى أثبت لك أنه ليس فى الوجود عادة أو آفة تستطيع أن تسيطر علىَّ، سأعطيك فى خلال يومين برهانين على ذلك لا برهانًا واحدًا! . .

وفى خلال يومين انقطع عن التردد على نادى السيارات. . وقطع صلاته بصديقة كان له إعجاب خاص بها!

وامتنع عن «اللعب» فى النادى، وفى خارج النادى!

ثم قال لى يوما: والآن ما رأيك؟ . . هل آمنت بأننى لن أكون أسيرًا لآفة أو لامرأة. . لم «أبطل» القمار فقط، بل أنهيت علاقتى بفلانة أيضا. . فلا يستطيع أحد بعد ذلك أن يقول إننى أخضع لعادة ما أيا كانت!

وهنأته بقوة إرادته تهنئة حارة، وبالغت فى إطنابى لها؛ لأشجعه على المضى فى

خطته، وعززت كلامي بالتنويه بما عمله والده، وكان مشهورا بحب«اللعب»، فما كاد يعتلى العرش حتى قاطع جميع أندية «اللعب»، ولم يدخل ناديًا واحدًا منها ولو زائرًا، وكفّ عن المقامرة نهائيًا، وكان إذا أحب من وقت إلى آخر أن يتسلى «ببرتيتة» صغيرة، دعا بعض أخصائه إلى القصر، وقضى معهم ساعتين بقصد «التسلية» والترويح عن النفس.. لا أكثر!

فقال: الحمد لله على أننى ورثت عنه قوة الإرادة!...

ثم سألنى: ألم «تلعب» فى حياتك؟

فقلت: أبدًا يا مولاى.. لا فى شبابى ولا بعد ذلك!

فقال: لا أعنى اللعب الصغير والعائلى، بل أقصد «البوكر» و«البكاراه» وما يماثلهما...

فقلت: لا هذا ولا ذاك.. لم أمسك «الورق» فى حياتى!

فقال: هذا أمر عجيب، إذ يندر أن يخلو مجتمع من اللعب...

فقلت له: لما كنت ولدًا صغيرًا، رأيت عائلة فاضلة وغنية - كنا على صلة بها - تنكب وتنهار بسبب القمار، فنشأت وذكرى ما رأت عيناى من أحوال تلك العائلة مستقرة فى ذهنى، وكان لهذه الذكرى أعظم تأثير فى توجيهى عن هذه الناحية، فعاهدت الله على ألا أجلس إلى مائدة خضراء فى حياتى!

فقال: لو علمت ذلك لنظمت «برتيتة» فى بيتك...

فقلت له: الحمد لله على أنك لم تعلم ذلك، فأنقذتنى من حرج الاعتذار إليك.. إننى يا مولاى أعتقد أن لا شيء يخرب البيوت ويشقيها مثل القمار!

* * *

ولم يمض على هذا الحديث وقت قصير حتى عاد فاروق إلى القمار!

وكأنما أراد أن يبرر مسلكه، فدعانى ذات ليلة إلى موافاته فى نادى السيارات، فلما دخلت عليه ألفيته جالسًا إلى مائدة خضراء يلعب«البوكر».. فقال لى على الفور: قبل أن تستغرب وجودى هنا، اعلم أننى لم أرجع إلى «اللعب»، وإنما أحببت أن «أمرن يدى» يومين.. تنويعًا للتسالى!

وكان هذان «اليومان» بداية المأساة الكبرى! . . .

وإذا كنت قد أرجأت الكلام عن هذه المأساة إلى هذا الفصل من كتابى، فلأنى أعتقد اعتقادًا جازمًا أن القمار كان المعْوَل الذى أنجز به فاروق دكّ عرشه وتقويضه!

* * *

وما كدت أتحقق من أن المسألة ليست مسألة يومين أو تسلية عابرة، وأنه لم يعد ينقضى يوم بدون أن يذهب فيه إلى النادى ليقامر، حتى قررت أن أكرر محاولتى الأولى معه . .

ولكننى فشلت هذه المرة فشلا تامّا!

وكان ردُّه على أول عبارة من حديثى قوله: إننى محروم من كل سعادة فى هذا العالم . . فإذا كنت أجد شيئًا من اللذة فى اللعب، أو إذا كان اللعب ينسينى بعض همومى، فلماذا أحرم نفسى من ذلك؟! . .

ولما أيقنت أن محاولتى الجديدة قد حبطت، وأننى لم أنجح فى كبح جماحه، انتهزت يومًا فرصة مقابلتى لرئيس الوزارة ـ وكان محمود فهمى النقراشى «باشا» ـ وعرضت لهذا الموضوع فى خلال حديثى معه، فقال لى: وأنا كنت أريد أن أتكلم معك فى هذا الشأن . . ففى تردد الملك على نادى السيارات كل ليلة خطر كبير على حياته، ونحن نجد صعوبة عظيمة فى حراسة المكان والسهر على سلامته، وخصوصًا بسبب المبانى الملاصقة للنادى، فإنها تسهل كل محاولة لنسفه إذا فكر بعضهم فى الاعتداء عليه! . . .

فقلت له: إن احتمال الاعتداء عليه ليس كل ما أخشى، أو أكثر ما أخشى . . فإنى خائف من نتيجة اندفاعه فى المقامرة، سواء من حيث تأثيرها فى الرأى العام المصرى والأجنبى، أو من حيث تأثيرها فيه هو على مر الأيام! . .

وكنت أحترم النقراشى وأعرف فيه نزاهة حفظ الأسرار، فأفضيت إليه بما دار بينى وبين فاروق بشأن عودته إلى القمار، فأبدى أسفه على حبوط مسعاى . .

فقلت له عندئذ: إنه يبدو لى أن عليه من ناحيته ـ بوصفه رئيسًا للحكومة ـ واجبًا فى هذا الموضوع نحو الملك والبلاد معًا . . وهو أن يقابل فاروق ويقول له: إن الناس يستنكرون أن يكون ملكهم «مقامرا»، وإن الحكومة ترى فى تردده على نادى السيارات للمقامرة مساسا بهيبة العرش وكرامة البلاد، إلى جانب ما فيه من خطر على سلامته!

وكان من رأيى أيضا أن يغتنم النقراشى هذه الفرصة ؛ فيتكلم مع الملك بحزم ولباقة فى وجوب الحد من حياته الليلية ؛ فيعالج الموضوع كله دفعة واحدة! . . .

وقلت له إننى أعلم أن فاروق يحترمه ويقدره، وأنه سيصغى إليه بعناية واهتمام. . فإذا لم يعمل بنصيحته، كان معنى ذلك أنه مصمم على الاسترسال فى استهتاره إلى النهاية مهما تكن العواقب. . .

وأكدت للنقراشى أننى مستعد لتأييده وشد أزره بكل قواى، بمعنى أنه إذا كاشفنى فاروق بعد ذلك بحديثه معه، صارحته بأن الرأى العام يشاطر رئيس الحكومة رأيه ووجهة نظره!

وبعدما استمع النقراشى لكلامى كله قال لى: أنا معك فى أن مخاطبة الملك فى ذلك من واجبى بوصفى رئيسا للحكومة، ولكن أنا بالذات لا يمكننى أن أتكلم معه فى موضوع القمار.

فقلت له: ولماذا؟

فقال: افرض أنه قال لى «كيف تكلمنى فى ذلك وقد كان رئيسك[1] يلعب ويقامر، فلماذا لم تمنعه» . . إذا قال لى ذلك أفحمنى ووضعنى فى موقف من أحرج المواقف!

فقلت: إن ماهر باشا لم يكن ملكًا! . . وليس فى العالم ملك أو رئيس جمهورية «يقامر»، ويقامر «علنًا» . فلا محل إذن للمقارنة بينه وبين ماهر باشا!

فقال: إنى مع ذلك أشعر بأنى مركزى سيكون ضعيفًا جدًا فى هذا الموضوع . .

فقلت له: لن يكون ضعيفًا؛ لأن فى استطاعة دولتك أن تقول له -إذا اقتضى الأمر- إنه إذا كان ماهر باشا قد أخطأ، وإذا كنت أنت قد أخطأت بالسكوت عليه، فليس معنى ذلك أن يرتكب الملك الخطأ نفسه . .

ولكن النقراشى أبى أن يقتنع بهذا الحديث، وأصر على وجهة نظره وتشبث بها!

فقلت له: وما رأى دولتك فى موضوع سهره فى الأماكن العامة؟ . .

فقال: سأكلمه فى هذه الناحية فى أول فرصة . . .

---

(١) كان النقراشى يشير إلى الدكتور أحمد ماهر باشا منشئ حزب السعديين.

وبعد أيام التمس النقراشى مقابلة الملك . . .

فطلب منى فاروق أن أعرف منه ا لموضوعات التى سيكلمه فيها ، فاتصلت به فى صددها ، فأحاطنى بها . . وبعد المقابلة قال لى فاروق : إن النقراشى لم يخبرك بكل ما كان معتزمًا التكلم معى بشأنه . . فقد تحدث فى أمرين لم يذكرهما لك . . أما الأمر الأول : فهو أنه بلغه أننى ذهبت إلى نادى السيارات بالإسكندرية ، وغنيت أمام «الميكروفون» فى قاعة الموسيقى ، وسألنى هل هذا صحيح ، فقلت له : إن الرواية بلغته محرفة ، فقد ذهبت إلى النادى فعلا ، فى وقت لم يكن فيه أحد من الأعضاء والزوار ، وجربت صوتى أمام «الميكروفون» ، ولم يسمعنى أحد سوى الشخص الذى كان معى ، فقال إنه يسره أن يعلم أن الرواية التى وصلت إليه غير صحيحة ، فقد خشى أن أكون قد غنيت أمام الناس! . . أما الأمر الثانى الذى سألنى عنه ، فهو : هل صحيح أننى أسمح لسيدات مسلمات بشرب الخمر فى مجلسى ، فقلت له : إن هذا غير صحيح ، ولم يحدث أبدا ، فقال : إنه سعيد بسماع ذلك!

وكان فاروق صادقا فى ردّه الأول على النقراشى ، وغير صادق فى رده الثانى عليه . . .

وعقب فاروق على حديث النقراشى معه بقوله : ولا أخفى عليك أننى أعجبت بشجاعة النقراشى وصراحته ، فقد دخل علىّ واستقالته فى يد وهذا الحديث فى اليد الأخرى . . .

وأراد فاروق بهذه العبارة أن يقول إن النقراشى جازف يومئذ بمنصبه ، إذ كان من المحتمل أن يغضب عليه بسبب حديثه ويضطره إلى الاستقالة!

فقلت : لجلالتك أن تعجب حقيقة بشجاعة النقراشى وصراحته ، ولا ريب أن إخلاصه لك هو الذى حمله على السؤال عما سأل عنه . . .

ثم سألته : وهل هذا هو كل ما قاله النقراشى عن حياة جلالتك الخاصة؟ . . .

فقال : لم يسأل سوى هذين السؤالين . . سؤال «ورد غطاه» . . وسؤال آخر «ورد غطاه» . .

ولكن لماذا هذا الاستفهام؟ . . هل كنت تتوقع أن يقول شيئا آخر؟

فقلت : ظننت أنه ربما لمح للسهر أو لنادى السيارات . . .

فقال : لا ، ما جابش سيرة للموضوعات دى . . والنقراشى عاقل ، ويعرف أن حياتى الخاصة ملكى أنا وحدى!

وفى الغد قابلت النقراشى وقلت له : لقد أخفيت علىّ جزءاً من حديثك مع الملك . . .

فقال : خفت أن يتألم إذا علم أن هناك من يعرف أننى سأكلمه فى هذين الأمرين الشخصيين . . ترى ماذا كان وقع حديثى فى نفسه؟

فقلت له : إنه أطرى شجاعته وصراحته وأثنى على إخلاصه . .

ثم سألته : لماذا لم ينتهز الفرصة ليصارح الملك بما يبغى مصارحته به عن حياته الليلية . .

فقال : لأنى لم أشأ أن أسقيه «الجرعة» كلها دفعة واحدة . . وعلى كل حال أظن أنه فهم من سؤالىّ أن حياته الخاصة موضوع كلام وانتقاد!

فقلت : إنه يعلم أن حياته الخاصة موضوع كلام وانتقاد ، ولا يبالى بذلك! . . . ويؤسفنى أن أقول لك إنه لم يفهم من السؤالين أكثر من أن دولتك سمعت روايتين ؛ فأحببت أن تعرف الحقيقة فيهما ، فذكرها لك وانتهى الأمر عند هذا الحد!

فقال : سأنتهز - إن شاء الله - فرصة أخرى وأعود إلى الكلام معه فى هذا الموضوع . .

فقلت : وأرجو أن يكون كلامك معه بحزم ، ليشعر بخطورة الموقف ، فإنه عندما يشعر بذلك يغيّر مسلكه من تلقاء نفسه . .

واغتيل النقراشى ولما يخاطب فاروق فى الموضوع مرة أخرى!

مع أنه مكث فى الحكم ثمانية عشر شهراً بعد حديثه الأول معه!

ومع ذلك ، فإن السؤالين اللذين وجههما النقراشى إلى الملك كانا كل ما قاله رئيس وزارة لفاروق فى موضوع حياته الخصوصية فى أثناء السنوات السبع عشرة التى قضاها على العرش!

أو بعبارة أخرى ، إذا استثنينا هذين السؤالين ؛ فإن جميع رؤساء الوزارات التى تعاقبت على الحكم لم يخاطبوا فاروق فى موضوع حياته الخصوصية . . لا تصريحا ولا تلميحا! . .

لم يقل له أحد منهم إن السهر كل ليلة فى الأماكن العامة أمر لا يليق بملك البلاد! . . .

ولم يقل له أحد منهم إن مجالسة «الأرتستات» فى دور اللهو و«الكاباريهات» أمر لا تقبله البلاد لنفسها ولملكها، وإن ارتضاه هو لنفسه! . .

ولم يقل أحد منهم إن جلوسه فى «بار» ناد ليلى كنادى«الإسكارابيه» أمر لا يقبله الرأى العام ولا تقره الحكومة! . . .

ولم يقل له أحد منهم إن البلاد - حكومة وشعبا - تطلب منه ألا يمضى لياليه فى نادى السيارات مقامراً! . .

ولم يقل له أحد منهم إن أخبار ألوف الجنيهات التى يخسرها على المائدة الخضراء تنتشر فى جميع أنحاء البلاد، وأن هذه حالة يجب إنهاؤها ووضع حد لها! . .

لم يقل له أحد منهم كلمة«واحدة» تقرب من ذلك! .

أو كلمة واحدة «تنم» على ذلك . . . أو كلمة واحدة «يشتم» منها ذلك!

وحذا رؤساء الديوان الملكى حذو رؤساء الوزارات، فلم يقدم أحد منهم على مخاطبة فاروق فى موضوع حياته الخصوصية، فتركوه يغشى الأماكن العامة كما يشاء، ويظهر فيها بالمظاهر التى وصفتها فى فصل سابق، ولم يروا أن من الواجب عليهم أن يستلفتوا نظره إلى ما فى ذلك من خطورة عليه، ومن عبث بهيبة العرش وكرامة البلاد . . أو على الأقل أن يتشاوروا مع رؤساء الحكومة فى خير ما يمكن عمله لوقف بعض تصرفاته، والحدّ من بعض نزواته! . . .

ولما علموا بعد ذلك أنه يمضى لياليه حول الموائد الخضراء وأنه أصبح لا يعيش سوى عيشة المقامرين المحترفين، ظلوا مقيمين على تجاهل الموقف ولم يحركوا ساكنًا!

ولزمت البرلمانات الصمت من جانبها . . .

فماذا كان فى وسع أخصائه وحدهم أن يفعلوا، مادام الذين كانت فى أيديهم مقاليد البلاد لم يعملوا شيئًا، مع أنه كان فى استطاعتهم أن يعملوا كثيراً لو تكاتفوا فى هذا السبيل وتآزروا!

وبعد ما كان فاروق يقامر ليلتين فى الأسبوع، صار يقامر ثلاث ليال فى الأسبوع . . ثم جعلها أربعًا، فخمسًا؛ فستًا . . فسبعًا!

ولا يظن القارئ أننى مبالغ عندما أقول إن فاروق كان «يقامر» سبع ليال متواصلة لعدة أسابيع متعاقبة . . فهذا أمر يعرفه جميع أعضاء نادى السيارات! . . .

لدرجة أن بعض الذين اعتادوا «اللعب» معه - وكانوا جميعا من كبار اللاعبين - كانوا يهربون أحيانا من النادى قبل أن «يصطادهم» . . لشدة تعبهم من السهر المستمر حتى الساعة الثالثة أو الرابعة صباحًا . . وفى بعض الأحوال حتى مطلع الفجر!

وكان بعض منهم لا يحضر إلى النادى بتاتًا فى بعض الليالى؛ فرارًا منه والتماسًا للراحة التامة، فإذا لم يجد عددًا كافيًا من اللاعبين بسبب تخلف المتخلفين، أوعز إلى الحاضرين بتعقب الغائبين فى بيوتهم بالتليفون، فيضطرون إلى الحضور ولو كان الليل قد قارب من منتصفه، وفى هذه الحالات كان من المحتم أن تمتد «البرتيتة» إلى الساعة الخامسة أو السادسة صباحًا!

وفى إحدى الليالى - وكان فى الإسكندرية - طاف بعض رجال بوليسه الخاص ببيوت زملائه اللاعبين ليجمعوا «الشلة» اللازمة لتنظيم «برتيتة» . . وتكررت هذه العملية فى الإسكندرية غير مرة؛ لبعد المسافات وصعوبة الاتصال بكثيرين من اللاعبين تليفونيا فى أثناء فصل الصيف . . وكان فاروق عندما يلعب «البوكر» يلعبه مع رفقاء معينين اصطفاهم لهذا الغرض من جميع الأقوام والأجناس، وكانوا جميعًا أقدر منه لعبًا وأقدم عهدًا فى اللعب!

أما إذا أراد لعب «البكاراه» فكان يجلس إلى «طاولتها» العادية فى النادى، وهى طاولة مستطيلة كبيرة لكل عضو أن يجلس إليها بلا قيد ولا شرط . . .

وكثيرًا ما كان يلقى نفسه محاطًا بأناس لا يحبهم، ومع ذلك كان يضطر إلى قبول جلوسهم أمامه وحوله ما دام لكل عضو الحق فى الجلوس حول تلك المائدة مثله!

وكان بعض لاعبى «البكاراه» - ولم يكن من المتيسر له أن يختارهم كما كان يختار رفقاءه فى «برتيتة» البوكر؛ لأن «طاولة» البكاراه كانت مشاعًا بين الجميع كما تقدم - يخاطبونه أحيانا بحرية ما كانوا ليجرءوا على جزء يسير منها لو قابلوه فى أى مكان آخر، هذا إن أتيح لهم الاقتراب منه فى مكان آخر، وكان هو يقبل هذه «الحرية» كأن الأمر

لايعنيه، أو كأنه لم يكن في أحوال أخرى يقيم الدنيا ويقعدها لما هو أقل من ذلك بمراحل! . .

وكم من مرة انسحب الجالسون إلى مائدة «البكاراه» الواحد تلو الآخر، إما لتقدم الوقت، أو لارتباطهم بشاغل آخر، أو لاقتناعهم بما كسبوا، أو لعدم رغبتهم في زيادة خسارتهم. . وظل هو جالسًا إلى ألا يوجد حوله سوى شخص أو شخصين فيقول لهما: «ما رأيكما لو واصلنا اللعب وحدنا» ويستمر في هذه الجلسة المزرية بعض الوقت، وليس أمامه سوى لاعب واحد يلاعبه أو لاعبين!

* * *

وبلغ من شدة شغفه بالقمار أن قاطع كل شيء سواه! . . وحتى مجالسة النساء لم تعد تروق له إلا قليلا! . . .

وأمر بمنع السيدات من دخول الحجرة التي يلعب فيها بالنادي كيلا «يشوشرن» عليه، ويلهينه عن الانصراف إلى اللعب بكل مشاعره!

وكانت زوجات بعض اللاعبين معه إذا أحببن مخاطبتهم في أمر ما، وقفن بباب الحجرة وأرسلن في طلبهم ليوفرن على أنفسهن سماع تقريعٍ، هن في غنى عنه!

ولم يكن يدخل تلك الحجرة في أثناء وجوده فيها سوى زملائه في اللعب، وبعض أصدقائه الخصوصيين إذا دعاهم إلى الجلوس معه، فيوجه إليهم كلمة من وقت إلى آخر ولا يحادثهم إلا في فترات الاستراحة والأكل! . .

ولم يعد يتردد على الأندية الليلية إلا نادرًا، إذ أصبح لا يجد فيها لذة تجذبه إليها بعد أن استهوته موائد القمار، وأضافته إلى قائمة أسراها!

ثم كفَّ عن الذهاب إليها إلا في ليال «تغيير البرنامج» إذا قيل له إن في البرنامج الجديد مغنية جديدة أو راقصة جديدة تستحق «الفرجة» !

وحتى في تلك الليالي لم يكن يضحي بالقمار! . . . بل كان يتوجه إلى نادي السيارات أولا، و«يلعب» إلى أن يحين موعد العرض الجديد في المكان العام الذي سيشاهده فيه، فيغادر النادي - إلا إذا كان اللعب في «حموته» - ففي هذه الحالة كان يأمر بالاتصال بمدير المحل الذي سيقصده ليطلبوا منه إرجاء البدء في العرض إلى حين

حضوره، فيرجأ ساعة أو أكثر من ساعة، وسرعان ما يذاع فى جميع أنحاء المكان أن العرض تأخر لأن الملك سيشرفه بحضوره!

وفى ليال كثيرة، كان ينصرف بعد العرض مباشرة كأن وقته لا يسمح له بإطالة جلسته! . . ولكنه كان فى الحقيقة يهرول عائدا إلى نادى السيارات ليستأنف «البرتيتة»! . .

ولم تعد حفلة خاصة لتطيب له إلا إذا كان «اللعب» جزءاً من برنامجها!

وندر أن بارح المائدة الخضراء فى حفلة خاصة قبل الساعة السادسة أو السابعة صباحا! . . هذا إن لم تمتد الجلسة إلى مابعد ذلك . . .

وكان مرة يلعب فى الإسكندرية، وكان مقرراً أن يحضر صلاة العيد فى فجر الغد، فرأى فى آخر السهرة أن مابقى من وقت حتى موعد الصلاة لا يستأهل النوم، فظل عاكفا على اللعب إلى قرب هذا الموعد، فعاد إلى القصر وأبدل ملابسه وخرج لصلاة العيد مباشرة!

* * *

وكان فى بادئ الأمر يذهب إلى نادى السيارات بين الساعة التاسعة والنصف مساءً والعاشرة، ويتظاهر أمام رفقائه فى اللعب بأنه لم يحضر إليه إلا بعدما أنجز عمل اليوم، وأنه قادم من مكتبه رأسًا ليروح عن نفسه قليلا . . وكان لا يبدأ اللعب قبل العاشرة والنصف أو الحادية عشرة! . . . ثم لما استهواه القمار، قدّم موعد حضوره إلى النادى، فكان يصل إليه بين الثامنة والنصف والتاسعة!

ثم لما انغمس فى اللعب عاد؛ فقدم الموعد ساعة أخرى، فكانوا يبصرون به داخلا النادى بين السابعة والنصف والثامنة!

وأخيراً لما غرق فى اللعب لم يعد يطيق الانتظار حتى الساعة الثامنة؛ فكان يهرع إلى النادى الساعة السابعة! وفى أيام كثيرة كانت سيارته تقف أمام باب النادى الساعة السادسة بعد الظهر ولا تغادره إلا بعد عشر ساعات على أقل تقدير! . . .

ولم يكن من السهل أن يجد لاعبين فى تلك الساعة - الساعة السادسة - فكان يلاعب بعض السيدات الحاضرات لعبًا «خفيفا» وبمبالغ صغيرة . . .

أو كان يجلس فى بهو النادى متسليا بمشاهدة الوافدين من أعضائه والمنصرفين. . أو كان يطالع بعض المجلات. . ريثما يصل رفقاء اللعب تباعًا! وكان لا يبالى بالانتظار ساعة أو ساعتين، مادام كان يشعر أنه «يعيش» فى جو النادى، ويستنشق هواءه. . قريبًا من الموائد الخضراء. . وبعيداً عن جو القصر ومحيطه!

وهكذا استولى عليه القمار استيلاءً كاملا، وسيطر عليه سيطرة تامة. . لدرجة أنه كان إذا شعر بجوع فى خلال اللعب طلب أن يجلبوا له عشاءه فى الحجرة التى يلعب فيها؛ كيلا يبعد عن جوها وعن المائدة الخضراء. . فإذا قيل له إن «العشاء جاهز» نهض وخطا خطوتين وجلس إلى مائدة صغيرة لا تتسع لأكثر من اثنين والتهم عشاءه التهاما؛ ليستأنف اللعب «بسرعة»!

* * *

وحاول فاروق أن يزين لى الميسر بكل وسيلة فأخفق. . .

أخفق فى إقناعى باللعب إخفاقى فى إقناعه بعدم اللعب! . .

حاول ذلك بالإغراء؛ فلم ينجح، وحاول بالحيلة؛ فلم يفلح، وأخيراً قطع الأمل؛ فتركنى وشأنى، فكنت الوحيد الذى لا يلعب من أصدقائه الخصوصيين، وكان بيتى الوحيد الذى لم تمد فيه مائدة خضراء طوال مدة خدمتى له! . . .

ولما أدرك أننى لا أتحول عن موقفى، وأن لا فائدة ترجى من الإلحاح علىَّ، قلل من دعوتى إلى الاجتماع به فى نادى السيارات تدريجيا إلا إذا أراد محادثتى فى أمر ما، أو رغب فى معرفة نتيجة مهمة كان عاهداً فيها إلىَّ. . وكنت إذا دخلت عليه فى أثناء انهماكه باللعب حيانى باسما بحركة من رأسه، فأختار أبعد كرسى عن المائدة، وأجلس عليه، إما متحدثا بصوت خافت مع لاعب متفرج أو مطالعًا فى أول مجلة تقع عليها يدى. . فإذا حلت فترة الاستراحة، أو الأكل، أو اتفق اللاعبون على هدنة قصيرة ريثما «يخلص مولانا شغله» ـ جلسنا فى أحد جوانب الحجرة، وعرضت عليه ما عندى، وأفضى هو إلىَّ بما يشاء الإفضاء به، فإذا انتهى من تزويدى بتعليماته، أو بتوجيهاته كما كان يسميها، استأذنته فى الانصراف وعدت إلى بيتى. . .

وقد حاولت أكثر من مرة أن أقصر فترة الانتظار فى النادى، فإذا دخلت عليه شرعت فوراً فى الكلام معه همسًا. . ولكن فى كل مرة كان يقاطعنى بقوله: «أنا مشغول دلوقت. . خللى الكلام لبعدين!».

ولاحظت فى بعض المرات أنه لا يطلبنى لسبب يستحق المواجهة، وإنما بحكم العادة، أو ليظهر للاعبين معه أنه حتى عندما يلعب لا يستريح من العمل، أو من التفكير فى العمل، وأن مساعديه «لايتركونه يستريح من خلقتهم» - على حد قوله - حتى فى أوقات راحته واستجمامه!...

وكان من نتيجة توفره على اللعب وانصرافه إليه أننى لم أعد أسهر معه إلانادراً، فاسترحت من مجهود مضن دام سنوات.. ولم يزد عدد سهراتى معه فى السنتين الأخيرتين على عدد أصابع اليدين، وهى السهرات التى رضى أن يمضيها بعيدا عن المادة الخضراء!

وراجت فى تلك السنوات إشاعات كثيرة عن «طريقته» فى اللعب، وقيل إنه إذا كان خاسراً أكره اللاعبين على مد الجلسة؛ أملا منه بتعويض خسارته أو بعضها!..

والواقع أن اللعب معه لم يكن «لذة».. وإن لم يخل من فائدة!.. لم يكن «لذة» لأنه بينما كان هو يظن أنه «مريح» فى معاملته للذين يلعبون معه، كانوا هم من جهتهم يشعرون طوال مدة لعبهم معه أنهم فى «مدرسة» للأحداث، فإذا عنّ لهم الضحك، ضحكوا بحساب لئلا «ينزعج». وإذا جرى لسانهم بكلمة، قالوها بحساب لئلا «يوبخهم». وإذا تبادلوا الرأى فى أمر ما، خفضوا أصواتهم ما استطاعوا، وخافت بعضهم بعضاً لئلا تضايقه «الشوشرة». وإذا خطرت لهم نكتة، حبسوها فى أفواههم لئلا ينظر إليه شذراً، وخصوصاً إذا كان خاسراً.. وإذا جاعوا انتظروا أن يطلب هو أول «طلب» ليحذوا حذوه.. وإذا جاء من يستدعى أحدهم إلى خارج الحجرة لكلمة عابرة أو لمكالمة تليفونية طارئة، استأذن فى النهوض مضطرباً كأنه تلميذ خائف من معلمه!..

أما إذا ضحك هو، فكان عليهم جميعاً أن يضحكوا.. وكان لا يضحك فى أثناء اللعب إلا لسببين، أولهما معروف، وهو أن يكون رابحاً؛ فتتعالى عندئذ قهقهته، وينطلق لسانه، وتكثر تعليقاته على «الكو» الذى ربحه، فيؤمن الجميع عليها بحماسة وحرارة ليزيدوه انشراحاً واغتباطاً!...

والسبب الثانى الذى كان يبعثه على الضحك فى أثناء اللعب - فكان إذا حلت بأحد اللاعبين خسارة كبيرة وتوالت خسائره بعد ذلك!.. وكان فرحه بخسارة غيره يزداد إذا أصابت صديقاً له، فكلما كان اللاعب «المصاب» أكثر اتصالا به من الآخرين وأقرب إليه

منهم ازداد سروراً لمصابه ولو لم يكن هو الرابح! . . كأنما كان يجد فى خسارة الآخرين عزاءً له فى خسارته!

هذا من حيث «لذة» اللعب معه . . .

أما من حيث «فائدة» اللعب معه، فلا ريب أن بعضهم كان يجنى من اللعب «فائدة» كبيرة تعوضه عن «اللذة» المفقودة. . وقد ذكرت قبلا أن خسارته على المائدة الخضراء كانت تبلغ مائة ألف جنيه فى السنة. . ومن المحقق أنها جاوزت هذا الرقم أحيانًا بعشرين ألفًا أو أكثر! . .

* * *

وكان يقول عن نفسه إنه يقابل الربح والخسارة بشعور واحد ومزاج واحد! . .

أما ما كنا نشاهده نحن فكان لا يطابق ذلك!

كان إذا خسر عكف على اللعب ساكتا ساكنا. . وانقطعت ضحكته واختفت ابتسامته. . فيسود الحجرة الصمت والوجوم. . ويحبس جميع الحاضرين أنفاسهم؛ مجاملة للشعور الملكى، ومراعاة للمزاج السامى. .

فإذا أبدى اعتراضا على تصرف أحد اللاعبين احتد وتمسك بوجهة نظره احترامًا «للأصول والقواعد» كما كان يقول. . فيتظاهر رفقاؤه بأنهم مقتنعون بصحة اعتراضه، وينزلون على وجهة نظره منعًا لتفاقم غضبه! . . غير أنه هو نفسه كان يقترح التحكيم أحيانًا، فإذا أفتى الحكم بما يخالف رأيه رضخ لقراره صاغراً، وتمنى اللاعبون لو جاءت الفتوى لمصلحته لا لمصلحتهم، لعلها كانت تفلح فى تبديد الجو الخانق المخيم على الحجرة!

وحدث فى خلال مناقشة من تلك المناقشات «الفنية» أن خرج إلياس أندراوس «باشا» عن المألوف سهواً وحاجّه بصوت مرتفع، فرمى ما بيده من «ورق» وقال محتداً: «إنى لا ألعب مع ناس لا يعرفون أصول اللعب والمجالس»، ثم دفع المائدة بيديه ونهض غاضبا وهو يقول: «إن المال ليس كل شىء فى هذه الدنيا». . وكان يشير بذلك إلى أندراوس وما هو معروف عن ثرائه!

وكانت «البرتيتة» فى تلك الليلة فى استراحته البحرية بالقرب من قصر رأس التين، وكان الضيوف مدعوين إلى العشاء على مائدته، فلما أزف موعد الأكل ونهضنا إلى

المائدة، جلس أندراوس فى ذيلها باعتباره«مغضوبًا عليه»، ولم يوجه إليه فاروق كلمة واحدة طوال مدة العشاء!

ولما أذن لنا بالانصراف بعد القهوة مباشرة، ودعنا «بالجملة» ولم يصافحنا واحدًا واحدًا كعادته ليتفادى مصافحة أندراوس!

غير أن «مخاصمته» لمستشاره الاقتصادى لم تدم سوى يومين زاره بعدهما فى بيته مسامحًا «بشرط ألا يعود إلى ما بدر منه». . وطلب إليه تنظيم«برتيتة» فى الحال ليكفر عن غلطته!

* * *

وكان اللاعبون يشكون مر الشكوى من تحكمه فى مواعيد إنهاء «البرتيتة»، إذ كان لا ينهيها عادة قبل الهزيع الأخير من الليل، إلا إذا رحم الذين يلعبون معه لتعبهم واضطرار معظمهم إلى النهوض فى الصباح مبكرين. . وكان بعضهم يتجاسر أحيانا ويسأله فى الساعة الثانية عن الموعد الذى يرغب أن يختم فيه «البرتيتة»، فينظر إلى ساعته ثم يقول: «الساعة الثالثة»، مثلا، فإذا حلت الساعة الثالثة، أو الساعة التى عينها، مضى فى اللعب نصف ساعة أخرى ليستمتع بالجلسة أطول مدة ممكنة!

أما فى حالة خسارته، فلم يكن أحد يجرؤ على التحرك، أو السؤال عن موعد الانصراف، إذ كانوا يعلمون مقدمًا أنه سيحكم عليهم باللعب حتى الفجر؛ أملا منه باسترداد خسارته، أو جانب منها على الأقل. ولولا بزوغ الفجر واضطراره إلى الانصراف حياء من الناس، لأجبرهم على البقاء والاستمرار فى اللعب إلى أن يدركه التعب والنعاس!

وفى أيام شم النسيم. . وفى الرحلات التى كان يدعو إليها أصدقاءه. . كان يلعب معظم النهار وطوال الليل بدون أن يكل أو يمل، ولا يبتعد عن المائدة الخضراء و«يعتق» اللاعبين إلا فى أوقات الأكل!. . ولذلك أصبح أحب الرفقاء إليه أكثرهم حبا للمائدة الخضراء!

ومن الذكريات التى مرت بخاطرى وأنا أكتب هذه السطور أنه دعا مرة لفيفا من أصدقائه إلى قضاء ثلاثة أيام فى «رأس الحكمة» وراعى فى اختيار أغلبهم أن يكونوا من

الذين يلعبون، وكان بينهم مصطفى فهمى[1] «باشا»، وقد خسر فى ذلك اليوم ما يقرب من ألفى جنيه. . . وحدث فى صباح الغد أن سقط منه طبق من أطباق الأكل فى أثناء تناوله طعام الإفطار، فنظر إلى أجزائه المبعثرة على الأرض نظرة حيرة وأسف؛ لأنه كان يعلم - كما كنا جميعا نعلم - مقدار الحرص الشديد الذى يحرصه فاروق على كل شىء يخصه، ثم ابتسم وقال مخاطبا الطبق: «معلهش. . أنا دافع امبارح ثمنك مليون مرة!».

* * *

ولم تعد الحفلات الخاصة التى يقيمها، أو التى تقام له، أو التى يدعى إليها، تطيب له إلا إذا مدت فيها الموائد الخضراء ونظمت له «برتيتة» على هواه. . وأصبح الاعتبار الأول فى اختيار المدعوين إلى هذه الحفلات أن يكونوا من الأشخاص الذين يلعبون، رجالا كانوا أو نساء!

وحاول بعض أصدقائه أن يقللوا من ذهابه إلى النادى بدعوته إلى اللعب فى بيوتهم، فلم يفلحوا فى ذلك طويلا لإيثاره اللعب فى النادى على اللعب فى داخل الدور، كأنه لا يتلذذ بالمقامرة إلا إذا جرت فى «جو» قمار ومقامرة فعليين!

وشغف بهواية جديدة، وهى هواية جمع نماذج من مختلف أنواع «الفيش» المتداول فى أشهر أندية القمار! . . .

وأصبح أحب «الطقاطيق» إليه المنافض المزينة برسوم ورق اللعب! وأصبح أحب الولاعات إليه ولاعة من «البلاستيك» فى داخلها «زهر» محلى برسوم «الكوتشينة» !

وأصبح أصدقاؤه إذا أرادوا «تفريحه» أهدوا إليه أنواعًا مبتكرة لا يعرفها من «ورق» اللعب، أو أنواعًا من «الفيش» لا تضمها مجموعته بعد!

وبعد عودته من أوروبا فى سنة ١٩٥١ شجع فكرة إنشاء كازينو كبير للقمار فى مصر الجديدة، وقرر أن يكون من كبار المساهمين فيه، ثم رأى أن الظروف السياسية غير ملائمة؛ فعدل عن الحث على تنفيذ المشروع!

* * *

ولا مرية أن الساعات الطويلة المتواصلة التى كان يمضيها حول موائد القمار - وكانت

---

(١) كبير مهندسى القصور الملكية، وكان فى وقت ما مديرًا عامًا لبلدية الإسكندرية، ثم وزيرًا للأشغال.

تتفاوت كل ليلة بين ست ساعات وعشر - أثرت تأثيراً وخيما فى جهازه العصبى، وزادته هياجًا وقلقًا واضطرابًا، وخصوصًا أن جميع مشاعره كانت تتأثر بسير اللعب ونتيجته . . وكان إذا خسر لم تؤثر فيه خسارة المال بقدر ما كان يؤثر فيه شعوره بأنه خسر، فقد كان يلعب بعقلية أنه «ملك» ولذلك يجب أن يربح، فإذا خسر كان شعوره أنه أصيب فى عزته «كملك»! . . فيضاعف هذا الشعور تأسفه على الخسارة ويزيد من نكده وألمه!

وكان هذا السهر المضنى، مع الانفعالات النفسية التى تصحبه، يجهده وينهكه، فلا يبرح سريره فى الغد - بل قل فى اليوم نفسه - قبل الساعة الثانية أو الثالثة بعد الظهر!

وبعد ما كان فى الماضى يطالع «البوستة» بعناية واهتمام، أضحى يلقى عليها نظرة خاطفة عاجلة، و«يكلفت» التأشيرات والتعليمات حسب مزاجه فى تلك الساعة!

فإذا عرض عليه الشمشرجى «النوبتجى» الرسائل الشفوية والإشارات التليفونية، أصغى إليه متأففًا متبرمًا . . وارتجل ردوده عليها ارتجالا! . .

فإذا خوطب فى غير أعمال «الروتين»، وكان الأمر يحتاج إلى شيء من التروى وحسن التدبير - قال إنه «مشغول» . . ولا وقت عنده «الآن» لبحثه والتفكير فيه . . وأمر بعرضه عليه فى فرصة أخرى!

حتى «بوللى»، وكان يقابله كل يوم منفرداً ليحادثه فى أشغاله الخصوصية، ويتلقى تعليماته بشأنها . . لم يعد يقابله «لضيق وقته وكثرة مشاغله» . . وأصبح يعرض عليه جميع شئونه كتابة! . .

ولم يعد يطيق المذكرات الطويلة، فكان يجمعها ويعطيها لمحمد حسن، فيقرأها بالنيابة عنه، ثم يلخصها له شفويا، فإذا استرسل فى «العرض»، عيل صبره منه وصاح فيه أن يوجز «لأنه مشغول»!

وكفّ عن كل مطالعة . . فكانت الكتب التى يوصى بشرائها تدخل حجرة نومه وتخرج منها بدون أن يتصفح صفحة واحدة من صفحاتها!

وقلّل من عدد الحفلات الرسمية التى يحضرها، وأكثر من إنابة الأمراء عنه فى حضورها، بحجة أنه «مشغول» . . وأنه يبغى «تكريم أعضاء الأسرة» !

وإذا اضطر إلى تعيين يوم لمقابلات لا مفر منها، أمر بأن تعين لهذه المقابلات مواعيد

تعقب عودته من حفلة رسمية . . فيوفر على نفسه مئونة ارتداء الملابس الرسمية مرتين! . .

وكانت «مقابلاته» الرسمية «قليلة» من الأصل، فأضحت«أقل» . . وغدا لايقابل إلا لضرورة قصوى، وتعذر إحالة الراغب فى المقابلة إلى أحد رجال القصر! . . .

وبعد ما كان يجتمع ببعض مساعديه، ويبحث معهم مجريات الأمور، ويصغى إلى آرائهم واقتراحاتهم، باعد بينه وبينهم . . وحلت محل ذلك تعليمات جديدة بأنه «إذا كان عندكم شيء يستحق العرض فاعرضوه بمذكرة»! . . لضيق وقته وتعدد مهامه!

وأصيب «بإكزيما» فى رجليه فأهملها، فنمت واتسعت رقعتها . . «فلم يكن يجد وقتا» لمباشرة العلاج، كما كان يردد فى بعض مجالسه! . . .

وانقطع عن زيارة شقيقاته «لكثرة أعماله وعدم اتساع وقته للزيارات»! . . ولزمت شقيقته الفراش بضعة أشهر فى ظرف معين، فلم يزرها مرة واحدة، ولم يكلمها بالتليفون مرة واحدة، طوال مدة اعتكافها . . لأنه «مشغول دائما»! . . .

وخفت زياراته للأصدقاء الذين كان يزورهم فى بيوتهم حتى كادت تنقطع! ولم تعد له صديقة يحب مجالستها، وقصر علاقاته على بعض«الأرتستات» الأجنبيات من اللواتى يُدعين بإشارة، ويُصرفن بأخرى!

وتفاقمت حالته العصبية، وصار يغضب ويحتد لأهون الأمور وأصغرها!

وانحصر تفكيره فى شيء واحد، وهو متى تأزف ساعة الذهاب إلى نادى السيارات، أو إلى حفلة خاصة سيلعب فيها . . وهل سيلقى جميع اللاعبين الذين يحب أن يلعب معهم . . وهل سيكون اليوم أكثر توفيقًا مما كان فى الأيام الأخيرة . . أم سيظل «النحس» ملازما ورقه؟!

وبكلمة واحدة تحولت حياته كلها إلى حياة «مقامر محترف»! . .

لا يرى من الحياة سوى موائد القمار، ورفقاء القمار . .

ولا تلذ له فى الحياة سوى مجالس القمار، والساعات التى يمضيها مقامرًا!

وفى «دوفيل» تحرم أنظمة «الكازينو» دخول قاعات القمار بعد الساعة التاسعة مساءً إلا «بالسموكنج» أو «الفراك» للرجال، وملابس السهرة للسيدات . .

فكثيرًا، ما كان يغادر المائدة الخضراء بالكازينو الساعة التاسعة إلا ربعًا؛ وهو بالملابس العادية ليعود إليها بعد ساعة واحدة «بالسموكنج» !

وعاد مرة إلى الفندق من الكازينو؛ ليبدل ملابسه فى الساعة التاسعة تماما، ولشد ما كانت دهشة ضابط البوليس الفرنسى المعين لحراسته لما سمع« أن جلالة الملك خرج من حجرته بعد عشر دقائق لابسًا «السموكنج» ليعود إلى «الكازينو» . . ولم يكن هو قد نزع ملابسه بعد!

* * *

وبعد إعلان خطبته على ناريمان رسميا ظنوا فى النادى أنه سيمسك عن التردد عليه، أو يقلل من زياراته له، فلم يمض على الخطبة يومان حتى «ظهر» من جديدا . . وظهر بعد ذلك كل يوم!

فقالوا عندئذ إنه قد يغيّر من عاداته بعد زواجه . . فإذا هو بعد الزواج يثبت للجميع أن المائدة الخضراء أحب إليه من كل عروس ومن كل امرأة!

* * *

وكان على أثر كل خسارة كبيرة فى اللعب يقرر وقفه أيامًا . .

وفى الغد كان يذهب إلى النادى وهو مصمم تصميمًا قاطعًا على تنفيذ «الهدنة» . . ويدخل الحجرة التى يلعب فيها، ويحيّى رفقاءه، ثم يقول لهم إنه على «البرسيم» . . وهى عبارة اعتاد سماعها من الذين إذا خسروا خسارة كبيرة آلمتهم قرروا الانقطاع عن اللعب أياما، فتعلمها منهم!

ويشرع الرفقاء فى اللعب؛ فيجلس هو على كرسى عال ويتسلى بتتبع سير لعبهم . .

غير أن إرادته لم تكن تقوى على احتمال هذا الموقف أكثر من نصف ساعة . . .

ثم كان ما فى المائدة الخضراء من قوة مغناطيسية خفية يجذبه إليها؛ فينهض ويتجه إليها ليجرب حظه من جديد!

ويطلب «فيش» بخمسمائة جنيه، ويقول: إنى لن ألعب بأكثر من هذا المبلغ . . .

فإذا ولّت المئات الخمس طلب خمسًا أخرى . . ولعن «البخت» السيئ الذى ما زال ملازمًا له! . .

فيقول له رفقاؤه : لازم مولانا سعيد جدا فى الحب فى هذه الأيام! . . فيضحك ويقول : أما من ناحية «الحب» فإنى لا أشكو . . «أكثر من الهمّ على القلب» !

وفى تلك الأثناء تكون المئات الخمس الثانية قد «طارت» ولحقت بالأولى! . . .

واعتزم مرتين أو ثلاثا أن يبطل اللعب نهائيا بعد خسائر فادحة هزت أعصابه هزّا . . وفى كل مرة كان مخلصًا فى عزمه، وفى كل مرة كان مخلصا فى محاولته . . ولكنه فشل فى كل مرة وعجز عن تحرير نفسه!

كان القمار قد امتزج بدمه وأصبح جزءًا من حياته!

بل كان قد أصبح «كل» حياته!

وكان من الطبيعى أن يؤثر ذلك فى نشاط ذهنه، وفى استعداده لإعمال الفكر وإجهاده، فأمسى يمل سماع أى حديث جدّى فى السياسة، أو فى الظروف السياسية، ويترك تقدير الاحتمالات وبحثها لحين نشوئها ومواجهتها . . فتعددت الأزمات!

ومن العجيب أن الأزمات التى تعاقبت منذ سنة ١٩٥٠ بوجه خاص لم تفتح عينيه، وأن الأخطار التى أحدقت بعرشه لم تثنه عن الاسترسال فى استهتاره!

ولم يكن تأثير القمار فى جسمه أقل من تأثيره فى ذهنه وأعصابه، فزادت بدانته زيادة مخيفة، وازداد خموله ازديادًا محسوسا!

وجلسنا يومًا نتكلم فيما آلت إليه حالته . . وكنا ثلاثة : عبد اللطيف طلعت «باشا» كبير الأمناء فى ذلك الحين، وعلى رشيد «باشا» الأمين الأول إذ ذاك، وكاتب هذه السطور . . فوصفها كبير الأمناء بكلمة واحدة . قال : لقد أصيب «باللاشعورية» ولا حول ولا قوة إلا بالله!

فى حياته الرسمية!...

جلست يومًا أفكر . . ترى لو كنت رسامًا وأردت أن أرسم «فاروق» فكيف أرسمه، وماهو الرسم الذى يكون أصدق الرسوم فى إبراز معالم شخصيته؟ . . .

وخرجت من تفكيرى بأن لا سبيل إلى ذلك إلا إذا جئت بوعاء وملأته بخليط من الألوان البيضاء والحمراء والسوداء والخضراء والصفراء والزرقاء، ثم غمست الفرشاة فى هذا الوعاء . . فاللون الذى يخرج من هذا الأخلاط يكون أقرب الألوان إلى الحقيقة، وأكثرها ملاءمة للصورة المنشودة!

كان فاروق مركبًا من «شخصيتين» فى إهاب واحد . . وكان لكل شخصية منهما عقليتها، وتفكيرها، وأخلاقها، وطبائعها، وعاداتها، ونزواتها، ومفارقاتها، وتصرفاتها . . وكانت الشخصيتان تتنافران، وتتصادمان، وتدور بينهما المعارك، وكان النصر فى أغلب الأحيان لشخصية النقص والشذوذ على شخصية الاعتدال والكمال!

فأين هو الرسم الذى يستطيع أن يجمع هذا كله فى إطار واحد كما اجتمع فى فاروق فى جسم واحد؟! . . .

* * *

وسأحدث القارئ فى هذا الفصل عن شخصية أخرى فى فاروق . .

وهى شخصيته فى المناسبات الرسمية؛ سواء كانت فى القصر أو خارج القصر . .

ففى تلك المناسبات كان يخرج على الناس بصورة عاقلة واعية هادئة، تختلف اختلافًا بينًا عن الصور التى أسلفت الإشارة إليها فى الفصول السابقة!

كان، فيما عدا جسمه، يبدو شخصا آخر لا صلة له بتاتا بالشخص الذى قرأت عنه ما قرأت فى الصفحات التى مرت . . سواء كان ذلك فى تفكيره أو فى آرائه أو فى أحاديثه، أو فى حركاته، أو فى ضحكته، أو فى تصرفاته!

بل كان يبدو شخصًا آخر حتى فى كيفية مشيته، وطريقة تحيته، ونبرات صوته!

ولو شاهدته فى هذه الصورة وحدها ولم تشاهده فى سائر صوره، لما صدقت أبدًا ما يقال لك عنها من العارفين بها!

كان فى المواقف الرسمية يتجلى رجلا آخر يضفى على ما حوله مهابة ووقاراً، حتى كان يخيل إلى أقرب المتصلين به أنهم يرون أمامهم إنسانًا ليس لهم عهد به من قبلً!

وقد نوهت غير مرة فى الفصول السابقة بما قام بيننا من علاقات وثيقة.. فالبرغم من الألفة التى سادت تلك العلاقات كنت إذا دعيت إلى مقابلته مقابلة رسمية وهممت بالدخول عليه فى مكتبه، ساورنى شعور من هيبة كنت لا أشعر بمثله إذا دخلت عليه فى الجناح الخاص به، أو لقيته فى أى مكان آخر!.. وظل هذا حالى حتى آخر مقابلة رسمية قابلته فيها، وكانت يوم حلف اليمين بمناسبة تعيينى وزيرا..

وهذا الذى كان يخالجنى يخالج سائر الذين كان يتاح لهم أن يقابلوه رسميا من أخصائه وأصدقائه، فكيف بالذين كانوا غرباء عنه من مصريين وأجانب؟!...

وحسبى ذلك دليلا على ما كان بين «شخصيته» الرسمية وشخصياته الأخرى من بون شاسع وفارق عظيم!

* * *

كان فى مقابلاته الرسمية يستقبل زائره واقفًا؛ ليتجنب الوقوف عند دخوله عليه.. وفى اللحظة نفسها التى كان يجلس فيها كان يدعوه إلى الجلوس على كرسى أمامه، وفى أثناء مقابلاته الرسمية كان لا يدخن إلا نادراً.. وكانت تلك المقابلات تستمر أحيانًا ثلاث ساعات متواصلة، وتمتد فى بعض الأيام إلى أربع ساعات.

وفى تلك الساعات الثلاث أو الأربع كان لا يخلع طربوشه عن رأسه إلا ليجفف عرقه بين مقابلة وأخرى، أما فى خلال المقابلة؛ فكان لا يستريح من الطربوش لحظة واحدة.. مع أنه كان يمقت الطربوش ولا يطيقه!

وكذلك لم يكن يسترخى فى جلسته دقيقة واحدة، بل كان دائمًا حريصًا على سمتها ووقارها.. لا فرق بين جلسته فى أول مقابلة وجلسته فى آخر مقابلة.. ولا يحرر نفسه من قيودها إلا بعد انصراف آخر زائر..

وكان صوته فى تلك المقابلات هادئًا رصيناً، وضحكته عادية طبيعية . . وكان يندر أن يقهقه بصوت مرتفع كما كان يفعل فى الأحوال غير الرسمية!

فإذا تحدث أوجز، وتكلم بتؤدة وهو يداعب حبات مسبحة كانت توضع دائما على مكتبه . . وعنى باختيار عباراته وانتقاء ألفاظه، سواء كان متحدثا بالعربية أو بلغة أجنبية . .

وإذا انفعل، كان انفعاله فى حدود الاعتدال، فلايخرج عن طوره ولايفوه بكلام لا يستسيغه المقام . . .

* * *

وكان يستعد لبعض مقابلاته الرسمية استعدادا خاصا، ولاسيما إذا كان الزائر ذا شأن ويقابله للمرة الأولى . . فكان يطلب مذكرة عن حياته وأعماله، وعن كل ما قد يهمه معرفته عنه، وعن هوايته المفضلة فى حياته الخاصة، وضروب الرياضة التى يؤثرها على غيرها . . فإذا وافوه بهذه البيانات عكف على دراستها بعناية، واستغلها أحسن استغلال فى حديثه مع زائره، وكان مضاء ذاكرته يسعفه كثيرا من هذه الناحية . . .

ولامراء أنه كان يتقن «دوره» فى تلك المقابلات إتقانًا عظيما، فإذا حدّث زائره عن أمور تتصل به ـ أى بالزائر ـ بدا حديثه طبيعيّا كأنه كان محيطا بسيرته من زمان طويل، بل كأنه كان مهتما من زمان طويل، لا كأنه لم «يدرسها» إلا فى اليوم السابق نفسه! . . وكان كثيرون من زواره يلقوننى بعد المقابلة، ويعربون لى عن استغرابهم من إحاطة الملك بأمور تتعلق بهم لم يدر فى خلدهم قط أنه يعرفها عنهم! . . .

ومن ذلك أنه استقبل يومًا وزيراً عربيا، كان له شأن فى الثورة التى قامت فى بلاده ضد الاحتلال الفرنسى، فكان من الطبيعى أن يدور الحديث على تلك الثورة . . ولشد ما كان عجب الوزير لما سمع فاروق يذكر بعض «دقائق» الحوادث التى حدثت فيها، وما كان للحكومة الوطنية الوقتية التى تألفت خارج العاصمة من نصيب فى تلك الحوادث!

ولكن «عجبه» تحول إلى «دهشة» حين سأله فاروق قبيل انتهاء المقابلة: هل هو مستمر فى هواية جمع العصى؟! . .

وكان الوزير معروفًا بين أصدقائه بأنه من أكبر هواة اقتناء العصى على اختلاف أشكالها!

* * *

وفى مقابلة أخرى لوزير مفوض أجنبى، وبعد انتهاء الحديث السياسى، ظل فاروق يحول مجرى الكلام إلى أن دار على التدخين. . فذكر الوزير المفوض أنهم بدءوا فى بلاده يصنعون «سيجارا» محليا بدلا من استيراده من الخارج. . .

وهنا فتح فاروق علبة «للسيجار» من فضة، وقال لزائره: هل لك «بسيجار» من هذا النوع؟. .

وذهل الوزير المفوض حين تبين له أنه من «السيجار» المصنوع فى بلاده!

* * *

ولما مرّ المستر «بيفن» وزير الخارجية البريطانية الأسبق بمصر، استقبله فاروق فى قصر القبة فى اليوم الذى استقبل فيه «دوق أدنبرة» ثم دعاهما إلى الغداء معًا. .

وفى نهاية المقابلة قال له: أظن أن عندكم اليوم عيد ميلاد فى العائلة. .

فقال «بيفن»: نعم يا صاحب الجلالة. . عيد ميلاد زوجتى!

فرجا منه أن يبلغها تهانيه وأطيب تمنياته. .

وروى المستر «بيفن» هذه الحكاية بعد ذلك لبعض رجال السفارة البريطانية، وتساءل كيف عرف فاروق يوم عيد ميلاد زوجته؟!

* * *

وأعود فأقول، إنه كان فى تلك المناسبات الرسمية يتقن «دوره» إتقانا تاما، ويفاجىء زائره بما استعد لمفاجأته به كأنه تتمة عادية لحديثه معه، سواء كان ذلك بالطريقة الطبيعية التى كان يستطرد بها إلى ما يريد قوله، أو باللهجة الطبيعية التى كان يلقى بها ما يريد قوله!

وكان الديوان الملكى يرفع إليه كل خمسة عشر يومًا تقريرا عن السياسة الدولية، هذا عدا المذكرات التى كانت ترفع إليه بخلاصة التقارير التى ترد من سفراء مصر ووزرائها المفوضين، وكان يقرؤها بعناية، وكذلك كان يطالع بانتظام نشرات سياسية تطبع فى أمريكا وإنجلترا وتحوى أهم الأسرار الدولية، فكان هذا كله مع ما كان يستخرجه من بعض المجلات الأجنبية يمكنه من أن يواجه باطمئنان مقابلة الساسة الأجانب، سواء كانوا من زوار مصر أو من سفراء الدول الأجنبية ووزرائها المفوضين. .

ومع ذلك كان إذا أحس أنه غير محيط إحاطة كافية ببعض مشكلات الساعة فى السياسة الدولية، طلب مذكرات إضافية عنها ودرسها باهتمام استعداداً لمقابلاته!

وكان يقول أحيانا لأحد رجاله: إن سفير كذا سيقابلنى غداً، ولا أعرف ماذا سيقول لى، فهل لك أن تعد لى بعض «الأسئلة» التى يمكننى أن أسأله إياها فى الموضوعات التى تظن أننا قد نعرض لها..

وكذلك بعض «الردود» على ما تتوقع أن يسألنى عنه!..

وفى كل مرة كان يمثل دوره بمهارة، فإذا أجاب، بدا جوابه كأنه «ابن اللحظة». وإذا سأل، بدا سؤاله كأنه من «وحى المناسبة»!..

أما زواره من كبار المصريين، فكانوا سيخرجون من عنده، وقد أخذتهم الدهشة كل مأخذ من تباين الصورة التى شاهدوها والصورة الماثلة فى أذهانهم عن حياته غير الرسمية!..

وبقدر ما كان دقيقًا فى تصرفاته فى المواقف الرسمية، كان دقيقًا فى محاسبة غيره فى هذه المواقف..

وأذكرهنا على سبيل المثال ما حدث من هذا القبيل للسيد تحسين العسكرى وزير العراق المفوض فى مصر فى وقت ما...

فقد كان صاحب السمو الملكى الأمير عبد الإله[1] - ولى عهد العراق - مزمعًا يومًا على زيارة فاروق فى قصر عابدين، فصحبه السيد تحسين العسكرى إلى القصر بالملابس السوداء الرسمية، لاعتقاده أنه سيشهد المقابلة بوصفه ممثل العراق فى مصر..

وكان الأمير عبد الإله مدعوا بعد ذلك إلى حفلة عند السفير البريطانى، وكان تحسين العسكرى مدعوا إليها أيضا، فوضع فى سيارته سترة عادية؛ حتى إذا خرج من المقابلة الملكية نزع السترة الرسمية واستبدلها بها..

ولما حان موعد المقابلة أمر فاروق بإدخال الأمير عبد الإله، ولم يأمر بإدخال الوزير المفوض، فظن تحسين العسكرى أن فاروق يريد أن يختلى بالأمير وأن المقابلة ستقتصر عليه، وأنه هو لن يتشرف بمقابلة الملك.. فطلب سترته العادية من السيارة وارتداها، كسبا

(١) وكان سموه الملكى يومئذ وصيا على عرش العراق.

للوقت، وأرسل السترة الرسمية إلى السيارة الرسمية بدلا منها . . وبذلك أصبح مستعدا لمرافقة الأمير فوراً إلى السفارة البريطانية وغير مضطر إلى تغيير سترته فى آخر لحظة . .

ولكن ما كاد يرسل سترته الرسمية إلى السيارة حتى جاءه التشريفاتى يدعوه إلى المثول فى حضرة الملك! . . فلم يستطع أن يقول له لينتظرنى الملك ريثما أجلب سترتى الرسمية من السيارة وأرتديها . .

ودخل تحسين العسكرى على فاروق بسترته العادية!

ولم يقل له فاروق شيئا بحضور الأمير . .

وظن رجال التشريفات أن الحادث مرَّ بسلام . .

حتى إذا كان الغد تلقوا أمراً بسؤال وزير العراق المفوض عن الباعث له على مقابلة الملك رسميا بسترة عادية، وهو وزير مفوض مقيم فى مصر وليس زائرا عابرا فيعفى من الملابس الرسمية . .

فقصّ عليهم تحسين العسكرى قصته بالحرف الواحد . .

ولم يقبل فاروق العذر، وطلب أن يحضر الوزير المفوض إلى القصر وأن يعتذر رسميا، ففعل ذلك!

* * *

وكان أحد سفراء أمريكا السابقين يقدم له يومًا أوراق اعتماده بالاحتفال الرسمى المعتاد . . وأخطأ السفير فى تلقيبه عند مخاطبته له، فبدلا من أن يخاطبه بقوله «ياصاحب الجلالة» قال: «يا صاحب السمو» . .

وتسلم منه أوراق اعتماده، وهنأه بمنصبه، وتمنى له التوفيق فى مهمته، ولم يذكر له شيئا عن غلطته . . .

وكانت تقاليد الاحتفالات بتقديم أوراق الاعتماد تقضى بأنه بعدما يتشرف السفير الجديد بمقابلة الملك، يأمر جلالته بإدخال كبار رجال السفارة، فيقدمهم له السفير واحدا واحداً . .

وكان مستشار السفارة أول من تقدم . . فبادره فاروق بعد التحية بقوله: يظهر أنه

فاتك أن تخبر سفيرك الجديد أن رئيس الدولة فى هذه البلاد يلقب بصاحب الجلالة لا بصاحب السمو . . فارتبك الرجل واعتذر فى الحال عن تقصيره! . . .

* * *

وبلغه عقب أحد الأعياد أن رجال بعض السفارات الأجنبية لا يحضرون بأنفسهم إلى القصر فى الأعياد الرسمية لكتابة أسمائهم فى سجلات التشريفات، بل يعهدون فى ذلك إلى واحد منهم فيكتب أسماءهم جميعا بالنيابة عنهم . فأراد ذات مرة أن يعاتب أحد السفراء على ذلك، فقال له متلطفا: «هل كنت سعادتك مريضًا فى الأسبوع الماضى؟». فقال السفير: «لا ياصاحب الجلالة . . هل كنت جلالتك تريد أن تكلفنى بخدمة معينة» . . فقال له: «لما قيل لى إنك لم تكتب اسمك فى سجل التشريفات بمناسبة العيد خشيت أن تكون قد لزمت الفراش وأن يكون قد فاتنى الاستفسار عن صحتك»! . . .

* * *

ولما كان فى «دوفيل» فى صيف سنة ١٩٥٠، حضر مأدبة عشاء تؤدب فى «الكازينو» كل سنة ويضاف إيرادها إلى التبرعات التى تجمعها جريدة فرنسية كبيرة؛ لإعانة الطلبة العاجزين عن دفع المصروفات المدرسية فى فرنسا . . وكان الملك بطرس اليوغوسلافى بين الذين حضروا المأدبة، وقد جلس إلى مائدة أخرى مع ضيوفه .

وفى خلال العشاء سألنى فاروق بالعربية أن ألاحظ هل «الخدمة» على مائدة الملك بطرس «أسرع» أم على مائدته؟ . . ولما أخبرته أن مائدته متقدمة «طبقًا» عن المائدة الأخرى ابتسم ابتسامة الرضى والارتياح! . .

* * *

وكان عند زيارته للمنشآت والمؤسسات، أو عند حضوره الحفلات الرسمية، يجيد تمثيل دوره إجادته له فى مقابلاته الرسمية، سواء كان ذلك بمظهره وأحاديثه أو بحركاته وتصرفاته . . .

وكما كان يستعد لبعض المقابلات الرسمية، كذلك كان يستعد لبعض الزيارات الرسمية . كأن يوفد أحد رجاله إلى المؤسسة التى سيزورها «ليكتشف» له بعض الأمور التى تصلح لأن تكون موضوع «ملاحظات» يبديها عند زيارته للمؤسسة . . وكانت ذاكرته تعى تلك الأمور بسهولة؛ فيذكرها فى خلال الزيارة تباعًا، ويقرنها بالملاحظات المناسبة

لها، مضيفًا إليها ما يلاحظه بنفسه . . وكل ذلك بطريقة عادية طبيعية كأن تلك الملاحظات جميعا كانت من وحى الساعة!

وكان بعض رجاله يعدون له فى بعض المناسبات الكلمة التى يقولها فى نهاية الزيارة للمشرفين على المؤسسة أو المنشأة التى زارها، وكان يوجهها إليهم بكيفية تنم على أنها كلمة ارتجالية أوحت إليه بها مشاهداته فى خلال الزيارة!

ومن لطيف ما حدث لى منه فى هذا الصدد أنه فى اليوم الذى كان مقرراً أن يزور فيه مدينة العمال بالمحلة الكبرى، وبينما كنا مسافرين إليها بالديزل الملكى، اقترحت عليه بعض «التصريحات» التى يقولها فى مناسباتها، ومنها أنه عندما تنتهى جولته يخاطب رجال بنك مصر بقوله: إنه مغتبط كل اغتباط بما شاهد، ويهنئهم بجهودهم، ويرجو أن تقتدى سائر الشركات بهم؛ فتحقق كل شركة لعمالها إصلاحا اجتماعيا بالقدر الذى تسمح لها به مواردها!

فلما انتهت الزيارة وجلس لتناول المرطبات، وجه إليهم هذا الكلام، فتمنى بعض الحاضرين نشر «النطق السامى» ليطلع عليه رجال الأعمال. . فقال لهم إذا كنتم ترون ذلك فلا بأس . .

وطلب أن يدعوا إليه «المستشار الصحفى» ليأمر بنشر كلمته. . ولما رآنى قال لى على مسمع منهم: لقد وجهت الآن إلى رجال هذه الشركة كلمة قلت لهم فيها كيت وكيت، فأحب أن ينشر هذا الكلام فى الجرائد ليقرأه المسئولون عن الشركات الأخرى! . .

فقلت: حاضر يا أفندم . .

فقال: يحسن أن تأخذ قلما وورقة وتكتب الكلمة أمامى . . .

كمن أراد أن يقول: لأطمئن إلى أنك ستردد ما قلته تماما!

فأخرجت قلمًا وورقة وكتبت الكلمة!

ولما صعدنا إلى «الديزل الملكى» وأغلقوا باب القطار، التفت إلىَّ وقال ضاحكا: عملتها فيك؟ . . .

فقلت له: كل شىء كان «تمام» يا أفندم. . ولكنى لم أفهم حكمة «خذ قلما وورقة واكتب»! . .

فقال: لأنك فى وسط مشاغلك قد تنسى كلمة أو عبارة فيجىء التصريح ناقصا!
وأغرق فى الضحك . . .

* * *

وكان يتعمد عند زيارته للمنشآت والمؤسسات إبداء التجلد على التعب والرغبة الملحة فى الاطلاع، وخصوصا إذا لاحظ أن الحاضرين متعبون. فيطيل جولته، ويمد فيها، ويكثر من الوقوف هنا وهناك، ويضاعف عدد الأسئلة لكى يقال بعد الزيارة إن التعب أدركهم جميعا وأما الملك فلا يتعب!

وكانت زيارته لمدرسة الصناعات الميكانيكية التى أنشأتها الأوقاف الملكية فى مصر الجديدة: من آخر زياراته الرسمية . . وقد أرهقت جولته يومئذ رجال الدولة المرافقين له، لدرجة أنهم كانوا يستريحون فى خلالها بالتناوب خفية، وينتهزون تلك الفرصة ليروحوا عن أنفسهم بالتدخين خلسة، أما فهو فلم يسترح دقيقة واحدة، مع أن جسمه كان يتصبب عرقا، إمعانا منه فى إرهاقهم ليتجلى لهم مقدار صبره على تحمل التعب . . وكان يبالغ فى ذلك عند زيارته للمؤسسات الصناعية والميكانيكية؛ فقد ولع بالميكانيكا فى وقت ما، واجتمعت لديه معلومات كثيرة عنها؛ فكان يجد فيها مادة غزيرة للسؤال والمناقشة والملاحظة فى أثناء طوافه بتلك المؤسسات . .

* * *

غير أن مقابلاته الرسمية وزياراته الرسمية كانت تتعبه، كانت تتعب أعصابه أكثر مما تتعب جسمه كأن المجهود الذى كان يبذله فيها كان يرهق عقله وذهنه . . فكان بعد انتهائه منها يشعر دائمًا بحاجة إلى الاستجمام والترفيه عن نفسه، إما بالاستلقاء عل سريره بعض الوقت أو بالخروج من القصر إلى أحد الأماكن العامة، كأنه كان أسيرا فيروم أن يشعر أنه أصبح طليقًا!

ولما كنت أراه فى تلك الأحوال كنت أشبهه بممثل تقمص شخصية ملك على خشبة المسرح لساعتين أو ثلاث ساعات، فإذا فرغ من تمثيل دوره هرع إلى خلع ملابس التمثيل وعاد إلى ملابسه العادية، ونشد الراحة من العناء والمجهود اللذين بذلهما فى تمثيل دوره!

ومن الإنصاف أن يُعترف له بأنه كان من هذه الناحية ممثلا بارعا، وأنه كان عند تمثيله دور الملك يتقنه إتقانا تاما!

وبالاختصار، لم أكن ألحظ عليه فى المناسبات الرسمية أى نزوة من النزوات التى ألفناها منه فى حياته العادية . .

ولكنه كان بمجرد عودته إلى القصر ودخوله الجناح الخاص به، يتحول فى لحظة واحدة إلى شخصية أخرى . . فيغافل أول شخص يلمحه لابسًا الطربوش ويضرب طربوشه بيده فيطيح به! . . ولذلك كان رجاله إذا اختلوا به «بعد المناسبات الرسمية» بادروا فى الحال إلى نزع طرابيشهم قبل أن يجعل منها كرة تتقاذفها الأيدى وغير الأيدى! . . وكذلك كانوا إذا رافقوه فى رحلة «بالديزل» الملكى أسرعوا إلى التخلص من طرابيشهم فى اللحظة التى كانت أبواب القطار تغلق فيها، خوفا مما «لاتحمد عقباه». فإذا نسوا هذا الإجراء الوقائى ذكرهم به منظر أول طربوش يهوى على الأرض«بلفتة» ملكية! . . إذ فى اللحظة التى كانت أبواب القطار تغلق فيها كان فاروق يشعر أن «الستار» قد أنزل، وأنه آن للممثل الذى مثل دور الملك أن ينزع ثياب الملك وأن يستريح منها!!

* * *

وكان إذا أراد «كملك» أن يتودد إلى رجل ما، لمصلحة سياسية أو شخصية، عرف كيف يمثل دوره من هذه الناحية أيضا . .

وجاء وقت اصطفى فيه المستر«تاك» سفير أمريكا الأسبق فى مصر . . .

وفى ذات يوم علم أن المستر «تاك» سيحتفل بعد يومين بعيد ميلاده، وأن زوجته أعدت له حفلة ساهرة خاصة فى دارهما، دعت إليها رجال السفارة والقنصلية الأمريكيتين ونساءهم وبعض أصدقائهما الخصوصيين، وطلبت منهم جميعا أن يحضروا بملابس تنكرية ذات صبغة شعبية . . وأنها كتمت عن زوجها حكاية الملابس التنكرية حتى إذا أزف موعد الحفلة ونزل من حجرته بملابس السهرة(الفراك) ليحيى ضيوفه ألفاهم بملابس الكناسين والشيالين ومن إليهم . .

ترامت هذه المعلومات إلى سمع فاروق، فقرر أن يهدى إلى المستر«تاك» يوم عيد ميلاده صندوقًا كبيرا من «سيجاره» الخاص ذى الغلاف المحلى بالتاج . . وقرر فى الوقت نفسه أن يرسله إليه ساعة الحفلة التى تقيمها له زوجته . .

وكان من بين «النمر» التى يشتمل عليها برنامج «العرض» فى «أوبرج الأهرام» فى ذلك الحين «نمرة» يمثل فيها ممثلان أجنبيان دورا هزليًا بملابس تنكرية . . فاتفق فاروق مع

مدير المحل على إيفادهما بتلك الملابس إلى منزل المستر «تاك» فى الساعة التى تبدأ فيها حفلته ليسلماه الصندوق باسمه! . .

وفى الموعد المعين، وبينما كان المستر «تاك» يرحب بضيوفه، شاهدوا رجلين متنكرين بملابس أثارت ضحكهم جميعا يسعيان إليهم من باب الحديقة، فحسبوا أنهما مدعوان تفننا فى تنكرهما فلم يعرفوهما . . حتى إذا اقترب الرجلان من المستر «تاك» سلمه أحدهما صندوقًا وناوله الآخر بطاقة . . فدهش الحاضرون لهذا المنظر، ووقفوا ينتظرون معرفة سر هذه المظاهرة، أو سر الهدية التى جاءت بهذه المظاهرة، فلما سمعوا السفير يقول : «إن هذا لطيف جدا من صاحب الجلالة» . . أدركوا أن الهدية من الملك فاروق!

وكانت البطاقة باسم أحد رجال الملك وقد كتب تحتها «بأمر جلالة الملك مع أطيب تمنياته لكم بمناسبة عيد ميلادكم» . .

ودعا المستر «تاك» الرجلين إلى شرب كأس من الشمبانيا معه ثم ودعهما مسرورًا . . .

وقد رأيت فاروق يبكى مرة واحدة!

وكان سبب بكائه أن شقيقته فائقة تزوجت من فؤاد صادق «بك» فى أمريكا قبل أن يبلغها موافقته على هذا الزواج بوصفه ملكا ورئيسا للعائلة!

ففى أحد الأيام تلقى نجيب سالم «باشا» ناظر الخاصة الملكية وحسن يوسف «باشا» رئيس الديوان الملكى بالنيابة وأنطون بوللى «بك» مدير الأشغال الخصوصية وكاتب هذه السطور ـ أمرًا بأن يتوجهوا إلى «الصالون الخاص» بقصر عابدين لأن جلالة الملك يريد الاجتماع بهم . . .

واجتمعنا فى «الصالون الخاص» نحن الأربعة . . .

وبعد قليل دخل علينا فاروق . . متجهم الوجه وبيده برقية . . وقال : عندى خبر سيئ جدا! . .

فلم ينبس أحد منا ببنت شفة . .

فقال : تلقيت برقية من أمريكا بأن فائقة تزوجت فؤاد صادق بدون أن تنتظر موافقتى على زواجهما! . . .

فقال أحدنا محاولا التخفيف عنه : ولكنها أرسلت يا مولاى تستأذن فى الزواج . .

فقال: أرسلت تستأذن فعلا . . ولكنى لم أكن قد أذنت بعد!

فلم يعقب أحد على ذلك . .

فقال فى انفعال شديد: وهكذا تتزوج ابنة الملك فؤاد بعيدة عن بلادها وبدون إذن الملك رئيس العائلة! . .

وبكى!

فقال له ناظر الخاصة: كل شىء يسوّى يامولانا . .

فهز رأسه وقال: لا . . لا . . دى حاجات ما تتصلحش!

وبينما كان يمسح دموعه قال لنا: هذا ما أردت أن أبلغكم إياه، ليفكر كل منكم فى الموضوع وفيما يجب عمله ثم يبلغنى رأيه . .

وتركنا وعاد إلى الجناح الخاص به . .

وكان خبر اعتزام شقيقته فتحية الزواج من رياض غالى لم يبلغه بعد!

مغامراته النسائية!

هذا موضوع تعددت فيه الكتابات وتنوعت، وكثرت فيه الروايات وتباينت، ولكنها بنيت كلها على أساس واحد، وهو أن فاروق كان كثيراً ما يسمونه «زئر نساء»!

ولذلك سيدهش القارئ، وله أن يدهش، إذا فاجأته بقولى إن جميع تلك الكتابات والروايات قامت على حكم خاطئ، وإن فاروق لم يكن «زئر نساء» !

قامت على حكم خاطئ لأنها بنيت على «المظاهر»، بيد أن «المظاهر» لم تكن مرآة صادقة للحقيقة والواقع . .

وسيزداد القارئ دهشة متى علم أن فاروق نفسه هو الذى أوجد تلك «المظاهر»، وأنه هو الذى سعى بكل الوسائل لتحريض الناس علي تصديقها!

أجل . . إن فاروق نفسه هو الذى «أظهر» للناس أنه «دون جوان»، لا همَّ له إلا تعقب النساء، وملاحقة النساء، وأنه لا يعيش إلا محاطًا بالنساء، فلا يترك امرأة إلا ليستقبل أخرى . . .

وهو الذى «أظهر» للناس أنه مقدام فى مغامراته النسائية، مستهتر فى علاقاته الغرامية، مفرط فى إشباع شهواته الجنسية!

مع أنه كان فى استطاعته أن يخفى ذلك كله، أو جانبا كبيراً منه على الأقل، بشىء من التستر . .

ولكنه لم يتستر، ولم يحاول أن يتستر؛ لأنه لم يشأ أن يتستر، بل كان يتعمد أن يعلن تلك «المظاهر» للناس، فيتحدثوا بها ويتناقلوها! . .

وفى هذه الناحية أيضا من نواحى حياة فاروق نواجه نوعًا عجيبا آخر من أنواع المفارقات والمتناقضات التى حفلت بها سيرته . .

* * *

كان فاروق«كرجل» يشكو «مركب نقص» لا يستريح منه أبداً لنشوئه عن علة جسمانية دائمة، فكان من الطبيعي والحالة هذه أن تكون العقدة النفسية دائمة كذلك مثلها . .

وكانت علته المادية تشعره دائما بأنه أقصر من سائر الرجال باعًا فى دنيا النساء، وأضعف منهم بأسا فى مباشرة أحداثها، وإن كان أسرع منهم عَدْواً فى بلوغ مراميها . .

فالرجل الذى تكون هذه حالته، وتلك علته، يستحيل عليه أن يكون« زئر نساء» ؛ لأن ظروفه لا تمكنه من السيطرة على الموقف إلا نادراً، وبعد جهد كبير!

إذن كانت هناك استحالة مادية تحول دون أن يكون فاروق«زئر نساء» فى الحقيقة أو الواقع . . .

ولم أكن أود أن أسوق تلك الإشارات، وإنما اضطررت إلى ذلك اضطراراً، إذ بدونها لا يتسنى تفسير السر الجاثم وراء تلك «المظاهر» التى كان فاروق يحرص على تسليط الأضواء عليها! . . .

ولم تشغله تلك العقدة النفسية كثيراً فى البداية . . .

فقد تزوج فى سن مبكرة، فكان سرُّه مكتوما!

ثم عرف مغامرته الغرامية الأولى بعد زواجه، وكانت مع سيدة «نبيلة» ليس من خلقها، ولا من مصلحتها، أن تكشف عن تفاصيل علاقتهما، فظل أمره مستوراً !

ولما أراد توسعًا فى صلاته النسائية، اختار صديقاته من الأجنبيات، فلم تنتشر أخباره فى المجتمع المصرى، واستمر حاله مجهولا!

ثم اتصل ببعض المصريات، وكان جلهن من أرخص البيئات، وسرعان ما ردد المجتمع روايات كثيرة من أحاديثهن ونوادرهن، فذاع ما لم يكن معلومًا! . .

وبلغت تلك الروايات سمع فاروق، وكان بطبيعته أذنًا يحب سماع كل ما يقال عنه، فأصابته فى موضع العزة من رجولته . . .

* * *

ومن تلك اللحظة قرر أن يحارب ما يروى عنه فى المجالس والمجتمعات، ولم يجد إلى ذلك سبيلا خيراً من «المظاهر» التى تظهره بأنه «زئر نساء»، وتبدد الصيت الذى أنشأته له بعض اللواتى عرفهن ولم يعرف كيف يكفل سكوتهن . . .

وساعده يومئذ على الاسترسال فى تلك «المظاهر» القطيعة التى قامت بينه وبين زوجته الملكة السابقة فريدة، وكان حديث هذه القطيعة قد شاع فى البلاد، فتوهم أن ذيوعه ييسر له غشيان المنتديات والمحال العامة، ويبرر ظهوره بالمظاهر التى دفعته إليها عقدته النفسية، ما دام الناس يعلمون أنه على خلاف مع زوجته وأن طلاقهما أصبح أمراً مقرراً لا مفر منه، وأنه لا ينتظر سوى الفرصة الملائمة لتنفيذه وإعلانه ـ فلاحرج عليه إ ذن، ولا لوم إن شاهدوه محاطًا بتلك المظاهر . . .

والواقع إن فاروق لم يغدُ من رواد السهر واللهو فى خارج القصر إلا بعدما تحول خلافه مع فريدة إلى قطيعة، ثم تمادى فى ذلك لما قرر أن تكون «المظاهر العكسية» سلاحه فى محاربة الروايات التى روجتها بعض النساء عنه . . .

ولما عرفته المعرفة التى كانت بداية علاقتى به، كان قد ألف ارتياد المحال العامة، ويذكر القارئ أننى قلت قبلا إن لقاءنا الأول غير الرسمى فى القاهرة كان فى «أوبرج الأهرام»، وأننى لقيته هناك غير مرة بعد ذلك .

فالإشاعات التى كانت تقول إن الخلاف بين فاروق وفريدة نشأ بسبب «حياته الليلية» فى الأماكن العامة والمنتديات العمومية كانت غير صحيحة، والذين روجوها أو صدقوها ورددوها كانوا لا يعرفون ما يدور خلف جدران القصور، أو بعبارة أصح ما دار خلف جدران القصور! . . .

* * *

فقد دبَّ الخلاف بينهما فى بادئ الأمر لما ضاقت فريدة ذرعا بنزواته فى حياته اليومية، وكانت فريدة امرأة متعلمة، مثقفة، راقية، مرهفة المشاعر، فعيل صبرها من تلك النزوات على مر الأيام، وتعاقبت بينهما الخلافات، فكانت فى كل مرة تسوى بتدخل بعض الأقرباء أو الأصدقاء، إلى أن تفاقم الخطب ولم تعد مساعى الوسطاء تجدى نفعا!

وكان فاروق وفريدة يقيمان حفلات خاصة يدعوان إليها بعض أقاربهما من الجنسين، وكان من بينهم نبيلة جميلة صغيرة السن متزوجة من نبيل من أفراد الأسرة، فاسترعى حسنها نظر فاروق، فأخذ فاروق يعيرها التفاتًا خاصًا . .

وتحقق فاروق مما قيل عن علاقة تلك النبيلة الشابة بزوجها، وهو أنها لم تتزوج منه عن حب أو عن ميل، بل استجابة لإلحاح شديد كان لأهلها نصيب كبير فيه ـ تحقق فاروق من ذلك، فخطا خطوة جديدة فى علاقته بها، فكانت المغازلة . .

ولم تلبث النبيلة أن فتحت له قلبها، فنفذ إليه مؤكدا لها حبه وإخلاصه، وأنه لا يعرف السعادة الحقيقية إلا عندما يكون قريبًا منها؛ لأنه محروم منها في حياته الزوجية، فصدقته، وكانت من جهتها قد لاحظت فتورًا في العلاقات بينه وبين زوجته. . .

* * *

وشعرت فريدة بما جرى وبما كان جاريًا، فازدادت حالتها العصبية سوءا، واتسعت شقة الخلاف بينهما!

وكنت أجهل دخائل القصر في ذلك الحين، ولا أعرف شيئا عن حياة فاروق في بيته، وقد سمعت فيما بعد أنه كان لبعض أقاربه «دور» في إذكاء نار الفتنة بين زوجته وبينه، فأقصاهم عن مجلسه ومنع دخولهم القصر. . .

وأبت فريدة في اعتزازها بكرامتها كزوجة أن تصغى إلى الذين حاولوا أن يهدئوا من ثورة غضبها بقولهم لها: إنه ملك وشاب وقد تزوج قبل أن «يرى الدنيا»، فليس من الحكمة أن تتشدد معه من هذه الناحية، فإنها الملكة وأم أولاده، ومن المؤكد أنه سيعود إليها تائبا في آخر الأمر. أبت أن تصغى إلى هذه النصائح، وأصرت على عنادها، ووجدت بالقرب منها من أيَّدها في مسلكها. .

وقابل فاروق عنادها بمثله، ووجد هو كذلك من قال له ألا تحمد فريدة ربها على أنها أصبحت ملكة، فتريد أيضا أن تتحكم في حياتك! . .

واستفحل النزاع بينهما بنشوء عاملين جديدين:

الأول: أنه نمى إلى فريدة: أن النبيلة رزقت مولودة. .

والثاني: أن فريدة وضعت بعد ذلك بقليل مولودًا أنثى هي ثالث بناتها، وكان فاروق يتوق إلى مولود ذكر. . .

فكان لهذين العاملين تأثيرهما في حالتها النفسية من جهة، وفي عدم تخفيف التوتر بينها وبين زوجها من جهة أخرى. .

ومن ذلك الحين اندفع فاروق في «خروجه الليلي»، فجاء مسلكه ضغثًا على أبالة!

* * *

ولم تأت سنة ١٩٤٤ حتى كانت القطيعة قد تمت بين فاروق وفريدة، فلا لقاء بينهما . . ولا سلام ولا كلام!

وكاشف فاروق يومئذ رائده ورئيس ديوانه أحمد حسنين برغبته فى الطلاق، فقال له إنه لا يمكن أن يفكر فى ذلك ما دام اللورد «كيلرن» - السفير البريطانى إذ ذاك - موجوداً فى مصر، فإنه يكرهه وقد ينتهز الفرصة ليسىء إليه بشكل من الأشكال . .

ولم تكن رغبة فريدة فى الطلاق بأقل من رغبة فاروق، بل عندى أنها كانت فى ذلك الحين أشد منه رغبة فى وضع حد لحياتهما الزوجية، وأنه هو لم يخاطب أحمد حسنين فى هذا الموضوع إلا بعد ما أيقن أن فريدة لم تعد تريد العيش معه، ولو كانت منفصلة عنه فى حياتها الداخلية . . .

* * *

وحاول حسنين أن يقنع فريدة بالتساهل، وسمعت فى وقت ما أنها لانت، أو كادت، وأن مراد محسن ناظر الخاصة الملكية أفسد سعى حسنين وأحبطه - أقول «سمعت» ذلك لأننى لم أتمكن من تحقيق هذه الرواية فلا يمكننى إذن أن أجزم بصحتها . .

غير أنى أعتقد أنه لو شاءت فريدة، فى المراحل الأولى للقطيعة، أن تلين، وأن تغض الطرف، وأن تقبل استمرار حياتها الزوجية، لرحب فاروق بذلك، ولكنها أبت، وأصرت على الإباء بتصميم لا يتزعزع!

ولما قطع أحمد حسنين الأمل من التوفيق بينهما، قال لهما إن الطلاق أمر متفق عليه، وإنما لابد من انتظار الوقت المناسب . . . ولولا «القطيعة التامة» لما قبلت فريدة الانتظار، فقد كفلت لها هذه القطيعة عدم لقاء زوجها بحال ما، وهذا ما كانت تنشد وتبغى!

ولم يلتقيا بعد ذلك إلا فى الحفلات التى كانت تقام بمناسبة أعياد بناتهما، فكانا يتبادلان التحية ثم يقف كل منهما فى جانب بعيدا عن الآخر! . .

وبلغ من تشدد فريدة فى موقفها أنها لما احتفل بعقد قران شقيقها سعيد على كريمة سيف الله يسرى «باشا» والأميرة السابقة زينب فى دارهما بالمعادى، لزمت فريدة الطابق العلوى لأن فاروق كان فى الطابق الأرضى، ولم تنضم إلى المدعوين إلا بعد انصرافه . . مع أن العرس كان عرس شقيقها، وقد أنعم عليه فاروق فى ذلك اليوم برتبة البكوية .

* * *

وفى خلال تلك الفترة، فترة القطيعة، كانت المجالس تتناقل الروايات عن غراميات فاروق، وكانت المظاهر التى تعمدها قد أتت ثمرتها المحتومة، فصدق الناس أنه «زئر نساء» وبذلك نال السمعة التى أرادها لنفسه! . .

ولكنه من جهة أخرى واجه حملة جديدة من جانب الرأى العام، إذ أخذ كل بيت يردد أن الملك يسهر ويلعب ويلهو والملكة «محبوسة» فى القصر!

ولذلك أخذ يتعجل الطلاق بكل قواه، وحسنين يسوّف، ولم يكن حسنين ليجهل ما سيكون للطلاق من وقع سيئ فى النفوس، فكان فى كل مرة يهدئ من روع مولاه ويؤجل تنفيذ ما يطالبه به إلى فرص أخرى . . . ملوحًا له باللورد «كيلرن»!

* * *

ولما توثقت علاقتى بفاروق توثقًا يسمح لى بمخاطبته فى موضوع علاقته بزوجته، انتهزت أول فرصة سنحت لى وكلمته فيه . . . كنا فى الإسكندرية، وكنا جالسين بعد الغداء على الشرفة المطلة على البحر فى جناحه الخاص بقصر المنتزه، وقبيل الساعة الرابعة والنصف قال لى: سأنهض لارتداء ملابسى، لأنى سأقابل المستر «تاك» سفير أمريكا بعد قليل، فانتظرنى هنا إلى أن تتم المقابلة . .

وبعد نصف ساعة خيل إلىَّ سماع صوت تصفيق منبعث من الحديقة، فمددت إليها بصرى، فشاهدت الأميرتين الصغيرتين فريال وفوزية تعدوان نحو مكتب والدهما، فأدركت أن فاروق هو الذى صفق مناديا إياهما ليراهما السفير الأمريكى . .

ولما انتهت المقابلة وخلع فاروق ملابسه عاد إلى الشرفة وحدثنى عن المقابلة، ثم قال:

وقد لمحت فريال وفوزية فى الحديقة فناديتهما «وقدمت لهما المستر تاك» .

فقلت: لقد رأيتهما تعدوان نحو المكتب فرحتين . .

فقال بالفرنسية: إنهما لطيفتان. أليس كذلك؟!

فقلت: إنهما لطيفتان حقًا. وتهدج صوتى، ولاحظ فاروق أن عينىَّ تدمعان، فسألنى قائلا: ماذا جرى لك؟ فقلت: لا شىء . .

فقال: أنت تريد أن تقول شيئًا؛ فتكلم . .

فصارحته عندئذ بأن كل من يحبه ويرجو له الخير يتمنى مخلصا أن يصفو الجو بينه

وبين الملكة، فيعودا إلى حياتهما الزوجية الأولى، وتكون فريال وفوزية أول من يسعد بذلك . .

وتركنى أفيض فى هذه المعانى، ولم يقاطعنى مرة واحدة، فشجعنى سكوته على المضى فى حديثى، ثم ختمته بقولى : أعطنى جلالتك شيئًا واحدًا . . أعطنى أن يراك الشعب راكبا سيارة مكشوفة من قصر المنتزه إلى قصر رأس التين وإلى جانبك الملكة وبينكما فريال، وأنا أضمن لك أن يقابلك الشعب كما قابلك يوم عودتك من القصاصين فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ . .

ولم يجبنى بكلمة واحدة، ثم نهض ودخل حجرة نومه ومكث فيها ساعتين وحده، ولما خرج منها خاطبنى فى موضوعات أخرى . . .

سررت بتلك البداية . . وبعد أيام عاودت الكرة مرة أخرى، فتركنى أتكلم كما فعل فى المرة السابقة، ولما فرغت من كلامى قال لى : «إننى أقدر جميع الاعتبارات التى ذكرتها ولكن الشيء الذى كان هنا (وأشار إلى قلبه) قد مات!» . . .

ولا أعتقد أنه كان صادقًا يومئذ فيما قاله لى، بل أعتقد أنه كان على استعداد للتصافى، ولكنه كان يعلم ما لم أكن أعلمه بعد، وهو أن فريدة مصرة على عزمها، فأبى عليه كبرياؤه أن يعترف لى بحقيقة الموقف، فحدثنى عن شعوره هو دون أن يشير إلى شعورها هى بكلمة واحدة . .

* * *

قلت إننى لا أعتقد أن فاروق كان صادقًا فيما قاله لى يومئذ؛ لأننى كنت دائمًا أشعر بأنه إذا كان قلبه قد خفق يومًا بحب امرأة ما، فقد خفق بحب فريدة وحدها، وأن حبه لها لم «يمت» نهائيا قط، خلافا لما زعمه لى!

فقد توهم عند اختلافهما . . وعند استفحال النزاع بينهما . . وعند تشبثها بموقفها . . وعند طلاقهما . . أن حبه لها قد «مات»، فى حين أنه فى الحقيقة لم يمت! وعندى أن نزواته وعناده، وعناد فريدة ومقاومتها له وإصرارها على طلب الانفصال عنه - عندى أن هذا كله كان يهيجه، فيصوّر له أنه لم يعد يحبها، وأنه لم يعد يطيق قربها منه، وأنه يتوق إلى اليوم الذى يتخلص فيه منها.

فإذا سكن هياجه شعر فى قرارة نفسه بأنها لم «تمت» فى قلبه!

وكنت ألاحظ، حتى فى أشد أوقات خلافهما، أنه إذا تكلم عنها معى أشار إليها بقوله «جلالة الملكة»، وإذا كان الحديث بالفرنسية قال «الملكة» أحيانًا و «زوجتى» أحيانًا أخرى . .

* * *

وأود- بمناسبة ما قلته عن الإحساس الذى كان دائمًا يخالجنى بشأن شعور فاروق الحقيقى نحو فريدة- أن أروى هنا قصة واقعتين اثنتين، ثم أترك للقارئ أن يعلق عليهما بما يشاء . . .

ففى خريف سنة ١٩٤٧ أجريت علمية جراحية لفاروق فى مستشفى المؤاساة بالإسكندرية، ولما بدأ يفيق من فعل البنج، وقبل أن يسترد سيطرته على لسانه، تكلم فقال: مين هنا؟

فقال له الدكتور عباس الكفراوى: رجالك كلهم هنا . . .

فقال: مين يعنى . . .

فعدّد له أسماء المحيطين بفراشه، وكنت منهم.

فقال: يعنى مفيش حد غريب . .

فقال له: لا يا مولانا . .

فقال: كنت أفضل أن تكون امرأتى هى اللى جنبى . . إنت فاهمنى يا عباس؟

وأمسك بيد الكفراوى، فربت له عليها.

ثم نادى كلا منا، وأمسك بيده قليلا . . .

حتى إذا أفاق من البنج تمامًا، صاح فى أحد الحاضرين؛ ليظهر لنا أن العملية لم تضعفه وأن البنج لم يؤثر فيه . . .

أما الواقعة الثانية فكانت عند عقد خطبته على ناريمان رسميًا، ففى الغد زارنى فى بيتى، وتلا علىّ برقية أخرجها من محفظته، وكانت من فريدة تهنئه فيها بخطبته، وترجو له السعادة والهناء، ولما فرغ من تلاوتها قال: ألم تكن هذه المجنونة أولى بهذا كله! . .

وسألته عما ينوى عمله إزاء تلك البرقية الرقيقة، فقال: سأرسل إليها غدا باقة من الورد شكراً عليها. .

وكانت له أمنية واحدة فى الفترة التى انقضت بين طلاقه من فريدة وزواجه من ناريمان، وهى أن تتزوج فريدة قبله!

وصارحنى بذلك مرتين. . وإن لم يفصح عن السبب.

غير أنه لم يكن من الصعب علىّ درك السبب، فقد كان يرى فى زواج فريدة قبله تبريرا لكثير من تصرفاته فى نظر الرأى العام. . .

وكانت تصل إليه أنباء شتى عن اعتزامها الزواج، فيسر لها، ثم لا يلبث أن يظهر له أنها غير صحيحة فيتمنى أن تتحقق فى القريب العاجل. .

* * *

وفى يوم عقد قرانه على ناريمان، قبَّل والدتها السيدة أصيلة على خديها أمام الأمراء والأميرات فى الاستقبال الذى أقامه فى قصر «عابدين» لأعضاء الأسرة العلوية.

ولما ذهبت إلى مكتبى لأسجل المعلومات التى توزع على الصحف عن الحفلة، كلفت من يسأله هل يود أن تذكر الصحف أنه قبَّل حماته أمام أعضاء الأسرة، لأن رأيى الخاص ألا يذكر ذلك. .

وجاءنى الرد بعد قليل بأن «مولانا يريد أن تذكروا أنه قبَّل أصيلة هانم. . فإن ذلك سيغيظ بعض الناس!».

وكان يعنى «ببعض الناس» أسرة زوجته الأولى!

وعلى إثر إذاعة نبإ مولد «ولى العهد»، تلقى فاروق برقية باسمه من فريدة ضمنتها أصدق تهانيها «بما مَنّ الله عليه به، وبما كان يتمناه» فاغتبط بها اغتباطا شديداً، وأرسلها رأسا إلى بعض الصحف؛ ليعلم الناس أن زوجته الأولى غير ناقمة عليه!

* * *

وكان فاروق فى سنى الحرب العظمى الأخيرة يكثر من دعوة السيدات الأمريكيات والإنجليزيات وغيرهن من الأجنبيات المتزوجات من إنجليز وأمريكيين إلى مآدب عشاء فى

المحال العامة. وكان بعضهن متزوجات فيصحبن أزواجهن، والبعض الآخر غير متزوجات فيحضرن مع بعض المدعوين.

وكان رواد تلك المحال لا يعرفون حقيقة صلاته بهن، فكانوا يحكمون على «الظاهر»، وكثيرا ما كانوا في نهاية السهرة يرونه منصرفًا بسيارته وقد ركبت معه فيها ثلاث منهن أو أربع، فتنطلق الألسن بأنه عاد إلى القصر مستصحبا معه «شلة» من النساء في سيارته!

وكان الذين ينشرون ذلك لا يكذبون ولا يفترون، فقد شاهدوه بأعينهم منصرفًا من مكان السهرة ومعه فعلا ثلاث سيدات في سيارته أو أربع..

ولكن لو أتيح لهم أن يروا ماذا كان يحدث بعد ذلك بدقائق؛ لعلموا أنهم أخطئوا الحكم؛ لأن «المظاهر» التي بنوا عليها استنتاجهم لم تكن مطابقة للحقيقة، بل كانت بعيدة عنها بعداً لا يمكن أن يتخيل مداه من كان يراقب «مظاهره»...

فماذا كانت الحقيقة؟... أو ماذا كان يحدث بعد ذلك في الحقيقة؟

كانت النساء الثلاث أو الأربع اللواتي شوهدن منصرفات معه يغادرن السيارة الملكية قبل أن تبلغ القصر، فيعود فاروق إلى بيته وحده مصحوبًا بأحد رجاله.. لا أكثر!

فقد كان «يتظاهر» بأنه استصحبهن معه، وكانت جميع«المظاهر» تدل على أن هناك «ليلة حمراء» ستحيا بعد ذلك في السراي أو في أحد قصوره الخاصة، في حين أنه كان يوصلهن إلى فندقهن أو إلى بيوتهن ويودعهن عند أبوابها بدون أن يفكر حتى في تقبيلهن... ولكن أنى كان للناس أن يتصوروا أن تلك«المظاهر» الجامحة ستنتهي هذه النهاية الهادئة!..

ولم يحدث ذلك مرة واحدة، بل حدث في كل مرة استصحب فيها شلة من النساء عند انصرافه من مكان عام.

* * *

وكان يملّ أحيانا قضاء السهرة كلها في مكان واحد، ويقرر الانتقال إلى مكان آخر، فيقول أنا سآخذ معي ثلاث سيدات من الحاضرات، فلتوزع الباقيات أنفسهن على سائر السيارات... ولا يعلم الناس أنه ذاهب إلى مكان آخر بصحبة جميع الحاضرين؛ بل يظنون أنه منصرف ليعود إلى القصر. فإذا رأوا النساء الثلاث صاعدات إلى سيارته قضوا ما بقي من سهرتهم في استهجان استهتاره، وكانوا في الغد على استعداد لأن يقسموا في

مجالسهم بأنهم شاهدوه راجعًا إلى القصر ومعه ثلاث نساء فى سيارته لا امرأة واحدة فقط! . .

أما المرأة التى تكون على موعد معه، فتوافيه فى مكان اجتماعهما سرا، إما وحدها أو بصحبة رجل من خدمه، دون أن تكون من اللواتى اشتركن فى تلك السهرة!!

* * *

ولما انتهت الحرب كان قد ألف مجالسة النساء فى الأماكن العامة، فلما قلّ عدد الأمريكيات والإنجليزيات والأجنبيات بوجه عام، أخذ يستعيض عنهن بدعوة بعض «الأرتستات» الأجنبيات إلى مائدته أحيانا، فيمضى معهن ساعات طويلة فى مزاح ومداعبة وضحك وقهقهة . . وكان الذين يرون هذه «المظاهر» يقولون: إذا كان هذا تصرفه معهن فى مكان عام كهذا المكان، فماذا يصنع عندما يختلى بهن!! . . وهل سيطرت عليه شهواته لدرجة أنه لا يستطيع أن ينتظر ريثما يوافينه فى بيته، فعكف على مغازلتهن علنًا من الآن؟!!

ولو بحثوا، لعلموا أن مجهود تلك الساعات الطويلة كان ينتهى عند الباب«بنسوار» من هنا و«بنسوار» من هناك! . . .

وكذلك كان يحلو له أحيانًا أن يوصل بعض «الأرتستات» إلى فندقهن فى نهاية السهرة، فلا تكاد سيارته تغيب عن الأنظار حتى تنتشر الأخبار بأن الملك انصرف ومعه فى سيارته ثلاث «أرتستات» أو أربع ليمضى معهن «ليلة حمراء» . . .

ولم تكن «الليلة الحمراء» فى الحقيقة سوى «توصيلة» بالسيارة، كانت تنتهى بعد ربع ساعة بالقرب من الفندق الذى يقمن فيه . . ثم يمضى هو فى حاله إلى القصر بمفرده! . .

* * *

وكثيرًا ما كان إذا أراد العشاء فى مكان عام فى ساعة متأخرة من الليل، دعا «أرتست» من «الأرتستات» الموجودات، أو «أرتستين» إلى مشاركته فى طعامه، فيأكل وهو يمازحهما ويداعبهما، ويروى لهما بعض الحكايات والنوادر، أو وهويصغى إلى ما فى جعبتهما من قصص ونكات، وقهقهته المتواصلة تملأ جوانب المكان . .

ولم تكن تلك الجلسة تطيب له إلا إذا مدت المائدة فى مكان منزو، وأطفئت معظم الأنوار القريبة منه، فتذهب ظنون الناس مذاهب شتى فى تفسير تلك الخلوة، وفى تعليل

سر النور الخافت الذى يأكل على ضوئه . . ولو كانوا على مقربة منه، أو معه، لاكتشفوا حقيقة تلك المظاهر الفارغة الخادعة وخُلُوَّها حتى من «المغازلات» المألوفة فى الأندية الليلية و«الكاباريهات»! . . .

كانت السهرة كلها عبارة عن قصص ونوادر وحكايات ونكات . . حتى إذا آن أوان انصرافه وانتظرته المرأتان أن يقول لهما أو لإحداهما تعالى معى، ودعهما بقوله : أشكركما جدا على جمعيتكما اللطيفة، وآمل أن يكون لى حظ لقائكما مرة أخرى قريبًا! . .

وكان يمد جلسته فى بعض الليالى إلى ما بعد انصراف جميع رواد المحل، أو إلى ألا يبقى تحت سقفه سوى خمسة منهم أو ستة . . . فتكون النتيجة فى الغد أن يتحدث الأولون فى كل مجلس عن سهرتهم، وعن انصرافهم فى الساعة الثانية صباحًا، أو الثالثة، أو الرابعة «والملك لا يزال غارقا بين الأرتستات» فتتولد روايات جديدة عن مغامراته وغزواته النسائية، وتضاف إلى الروايات القديمة! . . .

* * *

وكأنما خشى فاروق ألا يكون فى ذلك كله مادة كافية لأحاديث الناس ورواياتهم، فأوعز إلى صاحب محل عام كان يتردد عليه بأن يحيط جانبًا صغيرًا من جوانب المكان بستائر من القطيفة (المخمل) من جهاته الأربع بحيث يمكنه ـ إذا أراد ـ أن يجلس فى خلوة تامة فى منأى عن أنظار الحاضرين . .

وكثيرًا ما كان يدعو بعض أصدقائه وصديقاته إلى ذلك المحل، إما للعشاء أو لقضاء السهرة . . وإلى أن يحل موعد العشاء أو موعد ابتداء العرض كان يدعوهم إلى الجلوس فى الركن المحاط بستائر من كل جانب . . فيسمع الناس قهقهته وإن لم يروه، ويسمعون ضحك الرجال والنساء الذين معه، ويسمعون رنين الكئوس فتتعدد الأقاويل عما يجرى خلف «الستائر» ، وتتباين الروايات، ثم كانت فى النهاية تتفق على أمر واحد، وهو أنه لو كان مايدور خلف «الستائر» لا يقتضى التستر لما كان هناك موجب للستائر . .

أما قصد فاروق الحقيقى من تلك الستائر، فكان رغبته فى تعزيز «المظاهر» وزيادة الإعلان، لا الرغبة فى التستر كما توهم بعضهم، أو الحرص على التمتع بجلسة خاصة بدون أن يكون ومن معه هدفًا لأنظار الناس ـ كما كان هو يقول دون أن يكون صادقًا فى

ذلك ، بدليل أنه كان ينتقل بعد قليل ، مع ضيوفه إلى قاعة الأكل أو العرض ، حيث يراهم الناس جميعًا ، وحيث لا تتحول عنهم الأنظار . .

وإذا عرف «أرتستين» أو ثلاثا فى ذلك المحل ، انتهز تلك الفرصة ، أى فرصة وجوده خلف الستائر مع بعض ضيوفه ، ودعاهن إلى الجلوس معه فترة من الوقت . وكان نبأ ذلك ينتشر طبعا فى الحال فى المكان كله بسرعة البرق ، فيمتلئ الجو بالروايات والإشاعات عما يحدث «خلف الستائر» ، وعن سر دعوة «الأرتستات» إلى تلك الخلوة المريبة ! . .

وهنا أيضا كان مسلكه لايخلو من متناقضات . . فبينما كان وضيوفه لا يجلسون أحيانا إلا خلف الستائر ، كان فى أحيان أخرى يختار لتلك الجلسة مائدة أو مائدتين بالقرب من المدخل ، بحيث يشاهده كل قادم أوقادمة . . ولا يغادر مكانه هذا حتى يشعر بالجوع ، أو حتى يحين موعد العرض ، فيدخل قاعة الأكل ! . .

* * *

وفى بعض الليالى كان لا يستقر على قرار . . يبدأ سهرته فى مكان ما . . ثم يشعر بالضجر ، أو يذكر أن فى مكان آخر «برنامجًا» جديدا ؛ فينتقل إليه . . فإذا لم يعجبه أكمل سهرته فى مكان ثالث !

وفى الغد كنت تسمع أناسًا يقولون : رأينا الملك أمس فى مكان كذا ، فيقول آخرون : ونحن رأيناه فى مكان كذا ، فينبرى فريق ثالث قائلا : ونحن رأيناه فى مكان كذا . . ولم يكن من شأن ذلك كله طبعًا سوى أن يساهم بدوره فى تضخيم السمعة التى أصبحت له ، وهى أنه شاب خليع مستهتر !

وبذلك نجح فاروق فى أن يُشهر عنه أنه «زئر نساء» . .

ولكنه فى سبيل تحقيق أمنيته قضى على مقامه وهيبته ، وحل محلها سمعة أسخطت الشعب عليه ، فكانت من الأسباب التى أودت بعرشه وأطاحت بتاجه !

* * *

غير أننى أجافى الحق إن أنا عزوت استهتاره إلى سبب واحد ، وهوحرصه على نفى ما روجته بعض النساء اللائى اختلطن به عن مواطن الضعف فيه . .

فلاريب أن ذلك الاستهتار الذى ألقى نفسه فى أحضانه صادف استعدادا طبيعيا عنده ، وإلا ما كان تمادى فيه كما تمادى ، ولا غالى فيه كما غالى . .

وقد ورث هذا الاستعداد الطبيعي للاستهتار، بل ورث خلق الاستهتار نفسه عن بعض أفراد عائلته ولاسيما أمه!

وإذا كنت أخصص أمه بالذات، فلما وجدت من وجوه الشبه بينهما فى هذا المضمار، فكلاهما يميل إلى «الاستهتار العلنى»، وكلاهما لا يكترث لما قد يقال عن هذا الاستهتار، وكلاهما يتفنن فى ابتكار طرق جديدة فى الاستهتار، كأنه يجد فى ذلك سعادة وغبطة تكملان لذته!

وقد سمعت عن أمه حكايات كثيرة فى هذا الصدد، على أننى أعتقد أن الحكاية التالية قد تكون أشدها عجبا، وإن لم تكن أكثرها غلوا . .

لما كان محمد شرارة «باشا» وكيلا لوزارة الخارجية، اعتدت أن أزوره كل يوم فى مكتبه بالوزارة، لما بيننا من صداقة قوية، وكنت يومئذ اشتغل بالصحافة وحدها.

وكان شرارة يطمئن إلىّ ويصارحنى بكل ما عنده، ثم نتفق على ما ينشر وما لا ينشر . . وفى ذات يوم دخلت عليه، بينما كان الأستاذ محمد فوزى خارجًا من مكتبه - وكان فوزى فى ذلك الحين قنصلا عامًا لمصر فى القدس - فلما انفردت به سألته : هل عند فوزى أخبار جديدة عن الحالة فى فلسطين؟

فأجابنى بقوله : اسكت يا شيخ . . الرجل «مقلوق» ومعذور حقيقة.

فقلت : خيرًا إن شاء الله . .

فقال : أنت تعلم أن الملكة نازلى موجودة فى القدس فى هذه الأيام، ويظهر أنها «نظّرت» على فوزى، فكان يتملص منها ويهرب بكل وسيلة . . ثم دعته وزوجته إلى زيارتها يومًا ، واستقبلتهما فى «الصالون» الخاص بها فى الفندق، وبعد حديث قصير معهما قالت للزوجة : «تفضلى بقى واقعدى وظهرك لنا» ثم اقتربت من فوزى على المقعد الذى كان جالسا عليه، وشرعت فى مغازلته، فأنهى المقابلة فورًا بحجة أنه على موعد رسمى . . ثم طلب إجازة وجاء إلى مصر؛ ليهرب من ذلك الحرج . . وقد سألنى الآن عما يفعل، فقلت له أن يرجع إلى مقر عمله، وأن يقاطعها ولا يسأل عنها، وأن يتصرف كأنها غير موجودة! . .

وفى سنة ١٩٤٥ كنت أصطاف فى فندق« مديتيرانيه» برمل الإسكندرية، وكان أحمد حسنين مقيمًا فى الفندق نفسه، وبينما كنت عنده يومًا دق جرس التليفون، فتناول

السماعة وأصغى ثم تكلم، فأدركت من العبارات الأولى أنه يتكلم مع «الملكة» نازلى، وكانت العلاقة بينهما معروفة وغير خافية على أحد . .

ثم سمعته يقول لها بالفرنسية : الليلة؟ . . ومن سيكون معنا؟ . . هذا عمل غير حكيم . . كيف نكون وحدنا فى مكان كهذا يزدحم كل ليلة بالناس . . لماذا لا تختارين مكانًا آخر؟ . . فكرى جيدا . . إنى لا أعتذر ولا أرفض ولكن . . طيب حاضر . . حاضر . . حاضر . . . . «أورفوار» يا أفندم . .

وأعاد السماعة إلى مكانها ووجهه يتصبب عرقا، فلم أر من اللياقة أن أسأله عن موضوع حديثه معها . . غير أنه لما قال : «شيء يجنن»! . . قلت له : ماذا تريد منك؟ . . فقال : تريد أن تتعشى معى، وأن نكون وحدنا . . وهل تدرى أين . . فى مطعم هذا الفندق يا سيدى . . فى «الرومانس» . . وبشرط أن نجلس فى الجزء المكشوف منه . . فى ضوء القمر!

وفى الساعة العاشرة مساء أطللت على حديقة «الرومانس» ، وكانت غاصة بالناس، فأبصرت نازلى وحسنين جالسين وحدهما إلى مائدة صغيرة . . ونازلى تحاول أن تضع وجهها فى وجهه، وهو يبذل جهده لكى يظل بعيدا عنها . وكان يعلم أن جميع الأنظار مصوبة إليهما . . وكانت هى تعلم ذلك أيضا ولا تبالى بأحد!

وخطر لى عندئذ خاطران . . الأول : ترى لو بعث الملك فؤاد الآن من رمسه وشاهد هذا المنظر! . .

والخاطر الثانى : ماذا يكون الموقف لو أقبل فاروق مع بعض أصدقائه؛ ليتعشى فى هذا المكان كما كان يفعل بين حين وآخر! . . .

* * *

وكما أن فاروق لم يكن ذا «مزاج» فى مأكله وتدخينه، وفى ملبسه ومظهره، كذلك لم يكن ذا مزاج فى كيفية اختيار خليلاته وصاحباته، فالبيضاء كانت عنده كالسمراء ، والسمراء كالبيضاء ، والنحيفة الرشيقة«كالمليانة» والسمينة ، والطويلة كالقصيرة، والقصيرة كالطويلة ، وذات المظهر الجذاب الممتلئة«سكس أبيل» كالجامدة الفاترة الطرف، وطالما حيَّر أصدقاءه بذوقه وأدهشهم «بتنقيته» وكان بعد ذلك كله يدعى جادًا أنه خبير فى الجمال! . . .

وقد سمعته غير مرة يقول : يجب على المرأة التي أتخذها خليلة لي أن تعد اختياري لها «دبلومًا» بأنها جميلة!

* * *

والنساء اللواتي اتصل بهن فريقان أو قسمان، قسم كانت علاقاته بهن وقتية وعابرة، وقسم كانت صلاته بهن تدوم فترات متفاوتة الآجال..

وأعني بالعلاقة الوقتية العابرة، العلاقة التي اقتصرت على مقابلات قليلة العدد، ولم يمثل فيها فاروق دور الحبيب الوله، بل كانت مقابلات يدفعه إليها«الاستلطاف» الطارئ وحب التنويع، أملا منه بأن يكون للتنويع فائدة في معالجة علته، وكانت معظم نساء هذا النوع في العلاقة من «الأرتستات» الأجنبيات يضاف إليهن النساء اللواتي كان يتضح له بعد اجتماعه بهن مرة أو مرتين أن التوفيق خانه معهن، فكان يعزو إعراضه عنهن وعدم استمراره في الاتصال بهن إلى عيب فيهن، وكانت أغلبهن من بنات الهوى، ومن بيئات استشرى فيها الفساد، ولذلك لا يمكن أن تسمى نساء هذا القسم خليلات أو صاحبات..

أما النساء اللواتي تألف منهن القسم الثاني، فهن اللائي يصح أن يقال عنهن إنهن كن خليلاته وصاحباته في أوقات شتى، باعتبار أن علاقته بكل واحدة منهن دامت فترة من الزمان، وكن من النساء اللواتي لهن في الغرام مذهب مسماح، وإن اختلفت بيئاتهن. وكان بينهن مغنية فرنسية تغني في أحد الأندية الليلية، وسيدة أجنبية اتهمت في بلادها بالدعارة السرية، وحوكمت، وحكم عليها بالحبس، وكان فاروق يعطف عليها عطفا خاصا، فهيأ لها سبل الدفاع عن نفسها والخروج من السجن، فلما عادت إلى مصر - حيث كانت قصتها معروفة في جميع الأندية والمجالس المختلطة - دعاها أول ليلة إلى العشاء في نادي السيارات بالإسكندرية، ليظهر للناس أنه لا يستحي منها!

* * *

وكان فاروق هو الذي يختار خليلاته وصاحباته بمعرفته، ومن تلقاء نفسه، وبدون وساطة أحد، وكان يلتقي بهن في المجتمعات، فيسعى إليهن كما يسعى أي شاب إلى الفتاة التي تروقه ويروم الفوز بها. . ماعدا تلك المغنية الفرنسية، فقد عرفها في المكان الذي كانت تغني فيه، وكانت آخر محظية له قبل زواجه من ناريمان. . أقول آخر محظية ولا أقول آخر امرأة!

وكان يلذ له وهو يحوم حول المرأة التى يبغى اتخاذها خليلة له أن يستشعر أن فاروق الرجل هو الذى يمثل دور المعجب المتيم، وأن فاروق الرجل هو الذى نجح فى تحقيق أمنيته وقضاء غايته، لا فاروق الملك. وأن المرأة التى يشاغلها تهواه كرجل ولا تهواه لأنه ملك!

حتى مع «الأرتستات» الأجنبيات اللواتى كن يعملن فى «الكاباريهات» ، كان يطيب له أن يسلك المسلك عينه، وأن يحس أنه أدرك غرضه ببراعة مغازلته وظرف أحاديثه وكياسة معاملته؛ فقدرته المرأة كرجل قبل أن تعير اسمه التفاتا، وقبل أن تفكر فيما ستجنيه منه. . وكثيرا ما كنا نراه مجتهدا فى حديث مع من تكون مستعدة لكل دعوة تتلقاها؛ فنشفق على تعبه، ونرثى لحاله، ولكن لم تكن هناك فائدة من إقناعه بغير ذلك ، فقد كانت فرحته لا تتم إلا إذا أوهم نفسه بأنه «غزا» قلب المرأة كرجل لا كملك!

* * *

وكانت خطته فى كسب قلوب المترددات من محظياته العتيدات لا تتغير. . فيظهر لهن أنه يهيم بهن حبا، وأنه يفتقر إلى قلب يفهمه، ويقابل إخلاصه بإخلاص، وأنه سئم حياة الانتقال من واحدة إلى أخرى؛ فيريد الآن أن يركز شعوره كله فى امرأة واحدة، بشرط أن تكون خليقة بإخلاصه. .

ومن الغريب أنه كان جاداً فيما قاله لبعضهن من هذا القبيل! . . فقد كان إذا شغف بالمرأة التى يمنى النفس بأن تكون خليلة له، اعتقد مخلصاً أنه يحبها فعلا، فإذا قال له إنه يهيم بها حبّا وأقسم لها على ذلك، كان فى الحقيقة صادقا وغير مخادع حين كان يقول ذلك!

وكذلك كان يعتقد فى تلك اللحظة أنه سيخلص لها ويقتصر عليها، ويكف عن السعى إلى غيرها. . قال لى مرة وهو فى مستهل علاقة جديدة بخليلة جديدة: إنى بمعرفتى لهذه المرأة قد عثرت على ما كنت أبحث عنه وأنشده، فإنها جميلة وعاقلة ومهذبة ومطيعة، و«بنت أصل»، ولذلك سأستقر الآن وأقنع بها، وأريح نفسى من «اللف والدوران» هنا وهناك. . .

فماذا كانت نتيجة تلك الأوصاف. . وتلك القرارات؟

كانت مثلها فى كل مرة : رعاية وعناية فى البداية ، ومظاهر حب وإقبال فى الأشهر الأولى ، ثم ضجر وإهمال ، ثم بحث عن مواعيد أخرى ، ثم فتور ، ثم انقطاع أو قطيعة!

* * *

وكان شهر العسل والإخلاص لا يمتد إلى أكثر من ستة أشهر بحال ما ، ثم تتغير المعاملة ويعود إلى «اللف والدوران» ، فتتألم الخليلة ، وفى الوقت نفسه تدرك أن لا فائدة من المقاومة إلا إذا شاءت قطع ما بقى من صلة ؛ فتسلم بالأمر الواقع ، فتستمر علاقتهما بعد ذلك فى مد وجزر إلى أن ينقطع عنها تدريجيا ، أو إلى أن ينشأ بينهما نزاع ؛ فتكون القطيعة ونهاية العلاقة . . .

ولم يكن «لعمر» الخليلة بعد الأشهر الستة الأولى حد معلوم أو أجل معروف ، فإن «صغّرت عقلها» ـ كما كان يقول ـ انتهى «عمرها» بعد ذلك بسرعة ، وإذا أظهرت تعقلا وسلمت بالأمر الواقع طال «عمرها» إلى أجل غير مسمى ، فيضعها على «الرف» ويعود إليها من وقت إلى آخر . . ولها فى هذه الحالة أن تصادق من تريد وأن تتصرف كما تشاء ، وكان «مزاجه» عجيبا من هذه الناحية ، فقد كان ينقطع عن خليلة قديمة شهرا أو ثلاثة أشهر أو ستة ، لا يعرف فى أثنائها ماذا حدث لها ، ولا يهمه أن يعرف ، ثم يذكرها فجأة ، فيسأل عنها ويجتمع بها ويجدد علاقته بها يومين أو ثلاثة أيام أو أسبوعا ، ثم يتركها وينقطع عنها عدة أشهر أخرى ، قد يسأل عنها بعدها فى يوم قطعت فيه كل أمل من احتمال عودته إليها . . وقد لا يسأل!

وفى السنوات العشر التى اختلطت فيها به لم أعرف له سوى صديقة واحدة فازت بتقديره مدة طويلة ، وكان قد بدأ يغفلها حين شعر أن له غريمًا وأنها هى التى تعرض عنه وتتهرب منه ، فحفزه ذلك إلى الاستمرار فى ملاحقتها وأن يكن إخلاصه لها وحدها . لم يستمر سوى فترة معينة أسوة بغيرها . .

قلت «فازت بتقديره» ولم أقل فازت بحبه ، لأنى أجزم بأن فاروق كان من صنف الرجال الذين لا يحبون ولا يعرفون ما هو الحب ، ولهذا قلت قبلا إنه إذا كان قلبه قد خفق بحب امرأة فقد خفق بحب فريدة ، ولم أقطع بأنه أحبها كما يفهم الناس الحب ومعنى الحب وكيف يكون الحب . .

كان إذا أولع بامرأة اعتقد أنه يحبها واعتقد أن هذا هو الحب الذى يسعد به المتحابون

ويتغنى الشعراء ، أما فى الحقيقة فكان لا يعرف هذا النوع من الحب، لا لأنه يتجنب معرفته؛ بل لأنه لم يقدر له أن يعرفه!

كان يشتهى فيشبه له أنه يحب، بل كان يخال أنه يحب، وكان صادقا فى هذا الخيال فى بعض الأحوال ؛ لأن ما يشعر به كان فى نظره حبّا وهياما . . فى حين أنه كان بعيدا كل البعد عن الحب الحقيقى، ولم يكن سوى الشعور الذى يصور شهوة الملهوفين! . . .

وليس أدل على ما تقدم من التغيير الجلىّ الذى كان يطرأ على كيفية معاملته للواتى «يحبهن» بمجرد أن يصبحن خليلاته، ومن السرعة والسهولة اللتين كان يتخلى بهما عنهن بعد ذلك الواحدة تلو الأخرى، غير مميز بين التى «أحبها حبّا جمّا »، وبين التى عاشرها فترة طويلة ، والتى لم يلازمها سوى فترة قصيرة - كانت معاملته لهن فى النهاية من نوع واحد دائمًا لأن «حبه» لهن فى البداية كان دائمًا من نوع واحد كذلك.

* * *

أما علاقاته العابرة، ومعظمها كما قلت كانت مع «الأرتستات» الأجنبيات ومن إليهن، فكانت تتوقف قبل كل شيء على براعة المرأة فى تسليته، «فالأرتست» التى كانت تعرف كيف تسليه بالحكايات والقصص والنوادر والنكات هى التى كانت تعجبه فى المقام الأول . وكان يحب«الجلوس» معهن أكثر من حبه «للاجتماع» بهن، بشرط أن يعرفن كيف يتكلمن، وبشرط ثان لايقل عن الأول أهمية، وهو أن يعرفن كيف يصغين إليه . فإذا روى نكتة أو بدرت منه مداعبة عرفن كيف يغرقن فى الضحك ، وإذا خاطبهن بالفرنسية عرفن كيف يقلن له إنه يتكلمها كأنه من أبنائها، وإذا «جرّب صوته» أمامهن عرفن كيف يقلن له إن قليلين من الناس يستطيعون أن يبلغوا بأصواتهم «الدرجة» التى يبلغها هو، وإذا أبدى رأيًا فى موضوع ما - ولو كان فى الطعام الذى يأكلون منه - عرفن كيف يقدرن آراءه وكيف يعربن عن إعجابهن بها . . .

وكان بعض الذين يديرون شئون هؤلاء «الأرتسات» يلقنونهن دروسًا فيما يجب أن يكون عليه مسلكهن معه، ويرشدونهن إلى ما يحب وما لايحب، وإلى ما يعجبه وما لايعجبه . ومن ذلك أنه كان من النادر أن يعرف «أرتست» أجنبية وألا «يكتشف» أنها «ملكية»، بشعورها وعقيدتها، أو أنها من عائلة اشتهرت بنزعتها «الملكية»، أو جدها كان من رجال الملك يوم أن كانت الملكية تحكم فرنسا - فيبادر إلى إذاعة نبإ «اكتشافه» بين الجالسين حوله وعلى وجهه دلائل الغبطة والرتياح . . .

وكان يصدق ما تقوله له النساء «البارعات» بوجه عام، لدرجة أنه كان يبدو أحيانًا أمامهن كالطفل الساذج، ولا سيما عندما تكون بنات الهوى من الأجنبيات، فيقول عندئذ: «هذه المرأة أجنبية وليس لها مصلحة فى أن تقول لى هذا الكلام» فى حين أنها تكون صاحبة أغراض شتى، منها أن «تتاجر» فى بلاد أخرى بأنها كانت «صديقة للملك فاروق»، أو أنها كانت تغنى أمامه أوترقص أمامه، وتستغل ذلك فى دعايتها، وهى فى المعتاد من فنانات الدرجة الثالثة أو الرابعة! . . .

* * *

ولم يكن سرا مجهولا عند عارفى فاروق؛ أنه كان من طبعه إذا رأى «أرتست» متعففة ومتحفظة رغب فى معرفتها، فإذا أظهرت عدم اكتراث وتصرفت كأنها منصرفة إلى عملها وحده تاق إلى التحرش بها، وقد فشلت بعض «الأرتستات» الجميلات فى تحريضه على معرفتهن ومصاحبتهن، لأنهن «استعجلن» وأشعرنه بأنهن راغبات فى لقائه، فأعرض عنهن!

ولعل القصة التى سأرويها فيما يلى خير ما يصور ما ذكرته عنه فى الفقرتين المتقدمتين . . .

كنا نتعشى مرة «الإسكارابيه»، وكنا جالسين فى «البار» . . .

أما لماذا كان يجلس فى «البار» مادام «لايشرب» فموضوع تحدثت عنه فى حديث سابق . . .

وكان أمامنا على «الكونتوار» (أى على الكراسى العالية التى تصف أمام «جارسون البار» ليجلس عليها الشاربون الذين تطيب لهم هذه الجلسة) رجل أجنبى وبصحبته سيدة أجنبية يدل مظهرها على أنها مشغولة بحديثه معها بكل جوارحها . . . وكانت وسيمة رشيقة وتعرف كيف تبرز جمال ساقيها!

ولم يكن من السهل «فى تلك الأيام» أن يدخل فاروق مكانًا ما بدون أن يراه الموجودون، أو بدون أن ينبههم أحد إلى قدومه على الأقل، فكيف إذا دخل حجرة صغيرة كحجرة ذلك «البار» تحيط العين بجميع الجالسين فيها قبل أن يرتد طرفها إلى صاحبها . . .

ومع ذلك دخل فاروق مع بعض صحبه، وجلس فى مكانه المعتاد بجوار باب الحجرة بدون أن يبدو على تلك السيدة مايدل على أنها تنبهت لقدومه وجلوسه، أو بدون أن يبدو عليها أنها تنبهت لقدوم مخلوق ما، سواء كان فاروق أو غير فاروق، مع أن الأنظار فى

مكان كهذا تتجه بسرعة، وبحركة طبيعية، إلى الباب كلما ظهر منه قادم جديد أو قادمة جديدة . . .

وقد يقال إن السيدة وصديقها كانا غافلين عما حولهما بحديث عاطفى، فلم يشعرا بدخول الملك عليهما، ولكن الغريب أنهما استمرّا في هذا التغافل بالرغم من الجو الذى ساد الحجرة بعد ما دخلها فاروق، وبالبرغم من قهقهته العالية، وكانت وحدها خليقة بأن تستلفت إليه الأنظار، وبالرغم من حركة «الخدمة» التى نشطت لتلبية طلباته بإشراف مدير المحل نفسه. فالبرغم من كل ذلك ظلت السيدة متجهة إلى صديقها بجميع حواسها، غير ملتفتة لما يجرى حولها، كأنهما وحدهما فى مكان منعزل عن العالم أجمع . . .

ولما لاحظتُ أنها لم تلق نظرة واحدة إلى ناحية فاروق ـ مع أنه كان جالسًا بالقرب من مدخل الحجرة كما ذكرت ـ أيقنت أنها وصديقها «يمثلان» دورًا بارعا، وأنها تنفذ بمهارة تامة تعليمات ونصائح أسديت إليها! . .

ولاحظ فاروق من جهته أنها لم تعره التفاتا، فازدادت حسنا فى نظره، وازداد توقا إلى معرفتها والكشف عن حقيقة أمرها. فأخذ يحدق فيها أملا بأن تبدر منها حركة فيقع نظرها على نظره. . فذهب مجهوده سدى، وظلت صاحبتنا مقيمة على مسلكها فى تجاهل ما حولها!

وعند منتصف الليل استأذنتُ منه فى الانصراف؛ لتعبى وكثرة عملى فى اليوم التالى، فأذن لى وقال: أما أنا فسأبقى لأنى لا أشعر باستعداد للنوم. . .

وبعد ثلاث ساعات، وكنت غارقا فى النوم، استيقظت على صوت التليفون الخاص القريب من سريرى، وكان المتكلم فاروق . . وأدركت حالا من لهجته أنه «فرحان» !

ولم أخطئ التقدير، فقد كان حقيقة فرحًا ، وأى فرح! . . .

قال لى: إنت فاكر السيدة التى كانت جالسة فى «البار» ولم تكن تلتفت يمينا أو شمالا . .

قلت : فاكرها يا أفندم. . .

قال : سأروى لك بشأنها قصة تكاد تكون كالقصص التى تقرؤها فى الكتب. . هل تتصور أنها لم تكن تعرفنى. . هل تتصور أننى كلمتها وأنها كلمتنى وهى لا تعرف من أنا. . هل يمكنك أن تتصور شيئا كهذا، ومع ذلك فهذا ما حدث. . فإنها بعد انصرافك

اشتركت فى حديث مع بعض «الأرتستات» وكنت أنا أحادث واحدة منهن، فساهمنا جميعا عندئذ فى حديث مشترك . . وبالاختصار دعوتها وصديقها إلى مائدتى وأخذت أتكلم معها . . وبعد نحونصف ساعة لمحتها تتفرس فىّ، ثم أمسكت عن الكلام فجأة وقالت: «يا للغرابه . . إننى لما تفرست فيك الآن خيل إلىّ أنك تشبه رجلا أرى صوره فى كل مكان . . . » . فضحكت، فقالت : «ألا تكون أنت هو؟» . فقلت لها ضاحكا: من تعنين؟ . . فقالت: «الملك فاروق!». فقلت لها: وافرضى أننى هو فهل يغير ذلك من الموقف؟ . . فاعتدلت فى جلستها وقالت: «عفوا يا صاحب الجلالة أرجو أن تصفح عنى إذا كنت قد . . » فقاطعتها قائلا: أنت كلمت فى بادئ الأمر رجلا حسبته رجلا عاديّا فاستمرى كما بدأت ولا تدخلى «الملك» فى شئوننا!

وبعد ما قصّ علىّ ذلك قال: فهل تتصور شيئا كهذا . . أنا نفسى ذهلت لما قالت لى إنها اكتشفت حقيقة أمرى، فقد كنت أظن أنها عرفتنى من البداية! . .

وكانت كل عبارة من عباراته تنم على الاغتباط الشديد . . فقد أراد أن يفهمنى ما توهمه، وهو أن تلك المرأة مالت إليه قبل أن تعرف أنه الملك! . . مالت إليه لشخصه لا أكثر! . .

وكذلك «بلع» بسذاجة الدور الذى مثلته تلك الغانية ببراعة من أوله إلى آخره! . .

ولم ينم فى تلك الليلة إلا بعدما روى قصته لغير واحد من أصدقائه . . .

* * *

وكان مستوى خليلاته يهبط على مر الأيام، حتى لم يعد يقيم وزنًا للبيئة التى نشأت فيها خليلته وخرجت منها لترتمى فى أحضانه . .

ويعزى هذا الهبوط فى مستواهن إلى عدة أسباب واعتبارات، ومنها:

أولا: أنه شاع بين النساء فى الأوساط التى كان يتردد عليها أنه غيرجدى فى حبه، وأنه سريع التقلب والهجر، وأنه لا يبقى على الصداقة بعد انتهاء العلاقة.

ثانيا: أنه لا يستر المرأة التى تصاحبه إذا أرادت أن تبقى علاقاتهما سرّا، فكان لا بد أن ينشر أخبار غرامه بين أصدقائه، ولابد أن يحرجها فى المجتمعات، ليعلم القاصى والدانى أنها على صلة به.

ثالثا: أن ألوان بعض علاقاته الغرامية برهن على أنه لا يقدر الأنواع الراقية حق

قدرها، فلم يعد بعض النساء يرين فى قبول الاتصال به إعلاءً لشأنهن وتحية لجمالهن ومدعاة لتفاخرهن.

رابعا : أنه لم يكن كريما مع خليلاته وصاحباته، حتى تقول المرأة التى لا يهمها العاطفة والكرامة: إننى لا أبالى بإخلاصه مادام يغرقنى بهداياه وعطاياه. .

* * *

كانت هداياه «الغرامية» أقل جدا مما ينتظر من ملك، ومن ملك واسع الثروة، ومن ملك يقول إنه يحب ويعشق!

وعرف عنه ذلك حتى فى محيط «الأرتستات»، لدرجة أن «الأرتست» التى كان لها صديق دائم كانت تهرب منه وتعتذر عن لقائه بأعذار شتى؛ حرصا على صديقها، فقد كان «أضمن» لها من ملك لا يخلص لعلاقة، ولا يرعى صداقة، ولا يسخو من عطاياه وهداياه. فلم تجازف وهو لن يعوضها عما قد تفقد وتخسر! . .

ولذلك كانت التى تقرر قبول الاتصال به توطن النفس من اللحظة الأولى على أن تقنع بالقليل من المال والهدايا، مكتفية بما تكسبه من إعلان وشهرة. . وبماتتلقى من دعوات وتحيات. . وكان فاروق سخيا جد السخاء فى هذا النوع من الكرم. . أى كرم التأييد الأدبى. . فكان إذا ذهب إلى مكان عام له فيه «أرتست» صديقة، دعاها إلى مائدته ولاطفها أمام جميع الناس، وقد يراقصها مبالغة منه فى العطف والرعاية، مادام الرقص لايكلف مالا! . .

ولقيت منه المغنية الباريسية«آنى بيريه» عناية كبيرة إبان عملها فى «الإسكارابيه»، ولا ريب أنها تمنت غير مرة أن ترجح كفة تقديره المادى على كفة تقديره الأدبى، أو أن تتساوى بها على الأقل. .

ومن ذلك أنه دعا مرة بعض أصدقائه وصديقاته إلى العشاء فى «الإسكارابيه»، ولما اكتمل عقدهم حول المائدة أرسل فى استدعاء «آنى بيريه»، وأجلسها أمامه، وأمر بإحضار «شمبانيا». فلما أحضروها قال: إنى أدعوكم إلى شرب نخب«آنى بيريه» واقفين. . بينما كانت أنظار جميع الجالسين فى القاعة مصوبة إليهم تتساءل فى حيرة عن سر تلك «المظاهرة الملكية» . . ولم تدم الحيرة طويلا. فقد وقف «مقدم البرنامج» بعد قليل يقول: إن «آنى بيريه» تحتفل الليلة بعيد ميلادها، وإنها لهذه المناسبة ستسمعهم أنشودة جديدة. فصفق الحاضرون، وسارت فى «استحياء» إلى مكانها بالقرب من «الأوركسترا» ! . .

وأوعز فاروق فى تلك الليلة إلى ضيوفه؛ بأن يقدم كل منهم هدية إلى «آنى بيريه» . . وكان أحد محال المجوهرات يعرض بعض الحلى الصغيرة فى «الإسكارابيه»، فاختار لها كل واحد حلية منها . .

وهكذا أغدق فاروق على الفنانة التى أعجب بها . . ولكن على حساب غيره!

* * *

ولنقابل الآن بين ما جرى فى تلك الليلة وما حدث فى حفلة ساهرة كبيرة أقامتها الأميرة السابقة شويكار وزوجها إلهامى حسين «باشا» احتفالا بعيد الميلاد الملكى . .

ففى تلك الحفلة سمع القاهريون لأول مرة مغنية شيلية حسناء مشهورة، وقد وفقت فى غنائها توفيقًا كبيرا، والتهبت الأكف بالتصفيق لها غير مرة، فتوقع كثيرون أن تحظى بلفتة خاصة من فاروق، ولشد ما كانت دهشتهم حين انتهت الحفلة بدون أن يرمقها بما توقعوه. أما رجاله فلم يدهشهم تصرفه لأنهم كانوا يعرفون عقليته فى مثل تلك المواقف . . فقد حدث عند تقديم هذه المغنية للحاضرين أن قال الذى تولى تقديمها لهم إنها غنت أمام ملك كذا فأعجب بها فأنعم عليها بنشان؛ وغنت أمام ملك كذا فقدرها وأنعم عليها بنشان أيضا -وكانت تزين صدرها بالنشانين- وأن ملك كذا أمضى اسمه على الآلة التى تعزف عليها فى أثناء غنائها تحية لفنها . . فأراد فاروق بالتصرف الذى تصرفه أن يظهر أنه لا يتأثر بمسلك غيره من الملوك، وأن له رأيه الخاص فى الإعجاب والتقدير . . فلم يوجه إليها كلمة واحدة!

* * *

وأشيع عنه فى وقت ما أنه كان إذا افتتن بامرأة ورفضت أن تقبل عروضه بالحسنى، أخضعها لمشيئته بالقوة أو التهديد . .

وكل ما روى عنه من هذا القبيل غير صحيح، فإن كل امرأة من النساء اللواتى «عاشرهن» استسلمت له بمحض إرادتها ومطلق حريتها، وكل امرأة تدعى أنه استولى عليها بالقوة فلم يسعها سوى الرضوخ، لاتقول صدقًا، وكل امرأة تزعم أنه أراد أخذها قهرا فصمدت له، تزعم ذلك كذبا . . فقد كان يلجأ إلى جميع وسائل الإغراء لإدراك وطره، ولكنه لم يتوسل بالقوة والعنف قط!

ومن القصص التى يعرفها كثيرون من رجال القصر السابقين، أنه كان بين «الكلفوات» الشابات الثلاث اللواتى أحضرن من تركيا فى وقت ما ـ «كلفة» واحدة منهن أعجب بشكلها فغازلها، ثم راودها عن نفسها، فأبت، وأصرت على إبائها، غير عابئة بكثرة إلحاحه وسعيه، ولما أيقن أن إلحاحه لن يجديه نفعا أمر بالاستغناء عن خدمتها وإعادتها إلى بلادها، فلم تتزعزع عن موقفها وتركت خدمة القصر! . . .

فلو كان اعتاد الاستيلاء على الممتنعات بالقوة لما تردد فى التوسل بالقوة لإخضاع تلك الفتاة الممتنعة، وهى خادمة فى قصره!!

* * *

وعلى ذكر «الممتنعات» سأقص على القارئ قصة ألطف حيلة ابتكرتها مخيلة سيدة أجنبية لتثنى فاروق عن مغازلتها . .

وكانت تلك السيدة الأجنبية فى ريعان الشباب، وذات جمال رائع، فما كادت تلاحظ أن فاروق يلاطفها لمأرب له فيها، حتى قررت أن توقفه عند حده من اللحظة الأولى من غير أن تغضبه أو تجرح شعوره، ولاسيما أن زوجها فى ذلك الحين كان قنصلا لدولته فى مصر . .

ودعاها فاروق وزوجها إلى مأدبة عشاء مع بعض أصدقائه وصديقاته، وأجلسها إلى يمينه لتشعر بأنه يحيطها بتكريم خاص، واندفع فى مجاملتها والتودد إليها حتى كاد يقصر حديثه عليها . .

وطاف الخدم بالكئوس يملئونها «بالشمبانيا»، فتناول فاروق كأسها ورفعها إلى فمه متظاهراً بالشرب منها، ثم قال لها: «لقد شربت من كأسك لأعرف أسرارك!» . . وهى حركة كان يكررها دائمًا عند تودده إلى كل امرأة جديدة يسعى لخطب ودها . .

فقالت له جادة: ليتك لم تفعل ذلك يا صاحب الجلالة . .

فقال لها باسما: لماذا؟ هل عندك أسرار لا تريدين أن أعرفها! . .

فقالت له بدون أن تغير لهجتها: كلا يا صاحب الجلالة، ولكنى حريصة على صحتك . .

فقال مستغربا: لا أفهم ما تعنين . .

فقالت له بصوت خافت : إنى أشكو من مبادئ السل ، وقد عولجت فى أوروبا ، ولكنى لم أبلغ مرحلة الشفاء التام بعد!

وسعلت سعالا خفيفا . .

ثم كررته من وقت إلى آخر . .

ولم يمد فاروق يده إلى كأسها مرة ثانية!

وكانت تلك المأدبة آخر مرة دعاها فيها وزوجها إلى حفلاته!

بل كانت آخر مرة رآها فيها!

وبهذه الحيلة البارعة تخلصت من إلحاحه عليها . . .

الخـــاتمة !..

عشـــر ســـنوات..

أجل! عشر سنوات فى خضم تلك الحياة المتضاربة النزوات، الحافلة بالمفارقات، أرقب عن كثب الشخصيتين اللتين كانتا تتجاذبان فاروق وتصطرعان فى داخله، وأتتبع عن قرب أعراض تنابذهما وآثار تماسكهما كما كانت تتجلى فى تصرفاته المتناقضة، سواء كان ذلك فى حياته الخاصة أو فى حياته العامة. .

وغنى عن البيان أن ما سجلته فى هذا الكتاب عن تلك النزوات والمفارقات لم يأت طفرة واحدة، ولم يلتزم إطارًا واحدًا، وإنما كان يظهر حينًا ويختفى أحيانًا، وتبرز معالمه فى مناسبة من المناسبات ثم إذا هو يفىء إلى رشده ويبدو كأحسن ما يكون تعقلاً وروية، ثم يعود سيرته الأولى فجأة ودون مقدمات!. .

ولا أجد غضاضة فى أن أعترف بأنى كنت أعتقد اعتقادًا راسخًا أنها نزوات ومفارقات قابلة للعلاج والإصلاح. . وكنت أعزوها - أو أعزو أغلبها - إلى حداثة سنه، واضطلاعه بالملك فى سن مبكرة، وعدم قيام نشأته الأولى على أصول مستقيمة، وتقصير المسئولين عنها فى تلقينه مبادئ التربية والتثقيف الخليقة بشاب يعدونه لارتقاء العرش بعد أبيه.

وعلى أساس هذا الاعتقاد أقدمت على العمل معه، ولم أقف جامدًا إزاء نزواته ومفارقاته، فكنت أسدى النصح كلما رأيت النصيحة ضرورية، وأحاول تقويم المعوج من السلوك كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً، حتى جاوزت صراحتى فى بعض الأحوال ما تعارفت عليه قواعد البروتوكول وقيود القصور. .

ولم تكن نصائحى وجهودى تذهب كلها عبثًا، بل كثيرًا ما لمست لها نتائج طيبة، وإن كانت جزئية، ولكنها كانت على كل حال تقوِّى الأمل وتبعث على الرجاء بإمكان إصلاح الحال، وبدافع من هذا الرجاء مضيت فى عملى. . وفى مسعاى. . .

كـان ذلك فى السنين الأولى لخـدمتى فى القصـر ، ثم أخـذ اليأس يحل محل الرجـاء رويداً رويداً ، كلما شاهدت بعينى ووجدانى أن مظاهر النزوات والانسياق وراء الشهوات تزداد كلمـا امتـد بهـا العـهـد ! . . . ولم ألبث أن أدركت أن مـرور الأيام يؤصل العلة ولا يخففـهـا ، حتى إذا انقضت ثمانى سنوات على صلتى به لـم أجد مناصـًا من الاعتراف بقنوطى وفشلى ، إذ ثبت لى أن تطاحن الشخصيتين فى شخص فاروق أسفر عن انتصار الشخصية الناقصة الهادمة ، انتصاراً قضى على كل ما جاش فى صدرى من آمال . .

لا جناح علىّ أن أعترف أمام التاريخ بأن مهمتى لم تكلل بالنجاح ، وأن العلة كانت أكبر منى ، بل كانت أكبر من القدر نفسه ، فهزمت الملك وقضت عليه !

ويحضرنى فى هذا المقام ما جاء فى مذكـرات البرنس «فون بيلوف» مستشار الريخ الألمانى الأسبق ، فى حديثه عن الإمبراطور غليوم الثانى . . فطالما ذكرنى ما تضمنه هذا الحديث عن نزوات غليوم الثانى ومفارقاته بما عرفته عن نزوات فاروق ومفارقاته ، رغم اختلاف صورها وألوانها ، ورغم ما كان بين العاهلين من العلم والثقافة لما اعترف «فون بيلوف» بأن جميع جهوده ومساعيه باءت بالفشل أمام أطوار الإمبراطور ونزواته !

وحلت سنة ١٩٥٠ . . . وحلّ معـهـا اليـأس المطبق من كل إصـلاح يرجى ! . . . وبخاصة بعدما استولى القمار على جميع مشاعره ، وسيطر على نشاط ذهنه ، وشغله عن كل شاغل آخر ! . . عندئذ قررت أن أنسحب من القصر . . وكان قراراً لا رجعة فيه !

ولم يكن انسحابى أمراً ميسوراً بعد تلك السنوات الطويلة التى قضيتها بالقرب منه ، وقد حبانى بثقته وصداقته ، وارتفعت الكلفة بيننا إلى حد سمح لى بأن أصارحه بما أريد ، وأن أغلظ له القول أحيانًا على منوال لم تألفه لغة القصور ! . . فأخذت أعمل الفكر فى أن يكون انسحابى بكرامة وبدون جلبة ، فاعتذرت باعتلال صحتى واتخذتها ذريعة ؛ لأنأى بنفسى عن المسرح . . وأكثرت من السفر إلى الخارج . . . وتوالت استقـالاتى شفـاهًا وكتابة ! . . .

وأحسّ فاروق برغبتى فى اعتزال خدمته وتصميمى عليها ، فكان يطاولنى ويرجئ البت فيها ، ويمنحنى كارهًا ما أشاء من إجازات ، فلم يزعزع ذلك كله من تصميمى على الانسحاب الكامل . . .

وأخيرا قَبِلَ استقالتى فى الأسبوع الأول من شهر أكتوبر سنة ١٩٥١ .

* * *

لقد كانت غرائب المتناقضات وشذوذ المظاهر والنزوات التى تتسم بها تصرفات فاروق تجرى علنًا فى المجتمعات والمنتديات ، وفى داخل القصور وخارجها ، يشهدها الناس من رسميين وغير رسميين ، وتشير إليها الصحافة الأجنبية فى صراحة وضّاحة . وكنت كلما استعنت بتلك النشرات والكتابات فى محاولة إقناع فاروق بإصلاح مسلكه والإقلاع عما لا يليق به ، اكتفى بإصدار أمره بمنع تداول تلك الصحف والمجلات فى مصر ، واندفع فى شططه كأن أحدًا يلهب ظهره ويدفعه إليه دفعًا . .

وكان الناس فى مصر يتحدثون عن ذلك فى الدور والأندية ، وكان ما يتهامسون به يبلغ سمعه ، فيتغاقل عنه ، ويزدرى نتائجه ، كأنما استمرأ المرعى فأوغل فيه ، غير عابئ بسمعته ، وغير حافل بواجبات الملك ومقتضياته . .

وأخيرًا أيقنت أن لا فائدة من استمرار وجودى إلى جانبه ، وأن العاقبة سيأتى حتما دورها ، وإن أبطأ سيرها . . .

* * *

إن النزوات والمفارقات التى سجلتها فى هذا الكتاب لم تكن سرًا مكتومًا ، ولكنى رصدتها كما يرصد الصحفى ما يجرى حوله ، وعكفت على درسها محاولاً علاجها ، فغلبنى اليأس فى آخر الأمر كما أسلفت . . .

الفهرس

رقم الإيداع ٩٩/١٥٠٤٩
I.S.B.N. 977 - 09 - 0577 - 1

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ـ٨١٧٢١٣ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

فاروق كما عرفته

ملك النهاية



دار الشروق